

الجزء الثاني

١٣٧١ - ١٩٥١

مطبعة التفيض ببغداد



Vol 2

المجلد الثاني

(١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)



طبع شركة النشر والطباعة العراقية
المحدودة - بغداد

الأدب العربى

ألوانه وتأريخه

آثرت المفرد على الجمع فعبرت بـ (الأدب العربى) معرضـا عن التعبير الشائع « الآداب العربية » ؟ لأن الأدب العربى واحد فى مفهومه ، وفى تكونه ونشأته ، وفى آلاته ومادته ونتاجه • فهو نسيج أمة واحدة وان نبتت مادته فى بقاع مختلفة ، وغرست أشجاره فى بساتين عدة ، وقطفت ثماره من أغصان مؤتلفة • ولا يصدق الجمع الا اذا أريد بالآداب العربية غير ما أذهب اليـه : ـ اذا أريد بها علوم العربية ـ فيقال تأريخ الآداب العربية ، أى تأريخ العلوم العربية ، وهو رأى ذهبت اليه أكثرية المؤلفين ، وقول لاكه كثير من الكتاب والمتأدبين ، ومذهب سلكه كثير من الباحثين • أو اذا أريد بالا داب النظم والنثر بأنواعهما • وهو قول يفهمه العامة ، ويجرى على ألسنة أنصاف المتعلمين • ولا يشجعنى الواقع والعمل فى النظر ، على الاستسلام لقبول ذلك الرأى وترديد ذلك القول ، وسلوك هذا المذهب ، على ما سأبحثه قريبا • كما لا يشجعنى الواقع والعمل فى النظر ، على الميل الى ما فهمته العامة ونطق به أنصاف المتعلمين •

ما الأدب العربى ؟

موضوع جدير أن يسأل عنه ، وحقيق بأن يجاب عنه بعد الروية والأناة • وبعد التأمل والبحث ، ألقيت السؤال على نفسى، وراجعت مظان البحث، فلم أخرج من مراجعاتى بأكثر من : أن الادب هو الظرف وحسن التناول، يقال أدب أدبا أى ظرف وحسن تناوله فهو أديب والجمع أدباء ، وتأدب تعلم الأدب وتهذب ، وتأدب على فلان تخلق بخلائقـه ، وان الأدب علم يحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظا وكتابة • وهو العلم الشامل لعلوم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والمحاضرات والعروض والقوافى وقرض الشعر والتأريخ • وزاد بعض المتأخرين من المؤلفين فى تعريف الأدب فقال انه علوم اللغة العربية •

وقد راجعت ما تيسر لى من الكتب المؤلفة فى تأريخ الأدب العربى ، فرأيت أن

البعض قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه المنظوم والمنثور من الكلام ، فقصر كتابه على الشعراء والناثرين ، فأمعن فى تراجمهم على حسب العصور التى اصطلح عليها ، فترجم لمن وقع اختياره عليه من أبناء العصر الجاهلى ثم الأموى وهكذا ، وعرض نماذج من نظمهم ونثرهم • فمن موجز فى الترجمة والعرض ، ومن مطنب فيهما • ـ ويخيل لى أن الناحين هذا المنحى من المؤلفين يذهبون الى أن الأدب هو القدرة على صياغة الكلام منظوما أو منثورا ـ • ورأيت البعض الآخر قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه علوم اللغة العربية فوضع كتابه على هذا المفهوم ، وبحث تلك العلوم علما علما على حسب العصور التى اصطلح عليها • ومنهم من ذهب الى أنه العلوم التى عرفها العرب وبحثوا فيها باللغة العربية سواء أكانت متعلقة باللغة نفسها كالصرف والنحو ومفردات اللغة وقرض الشعر ونحو ذلك ، أم كان متعلقها غير ذلك كالطب والبيطرة والفلك ونحوها ، فوضع كتابه باحثا فيه تلك العلوم من حيث نشأتها عند العرب وتطورها فى العصور التى اصطلح عليها •

ومنهم من زاد فى مفهوم الأدب العربى فقال : هو علوم اللغة العربية أو ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم • فهذا المفهوم للأدب واسع الدائرة ، لايحيط به الا علام الغيوب •

واذا ما رجعنا الى تصنيف الآراء والمذاهب فى مفهوم الأدب نجدها ثلاثة صنوف : صنف ضيق الدائرة ، ومن هذا الصنف الرأى الذاهب الى أنه أداء المراد نظما أو نثرا جاريا على قواعد علوم اللغة • فكل ناظم أو ناثر على هذا الوجه أديب • وصنف واسع الدائرة لا يحيط بها الا القليل ، ومن هذا الصنف المذهب القائل انه علوم اللغة العربية وهى اثنا عشر علما : اللغة والنحو والصرف ••• الخ ، فمن أحاط بهذه العلوم فهو أديب وان كان جامد الفكر ، فاسد الذوق ، ومن قصر فيها أو فى بعضها فهو خارج عن معسكر الأدباء ، قصى عنهم وان كان ألمعيا ، لامع الفكر خصب الخيال ، صحيح الذوق سالمه • والصنف الثالث أوسع دائرة يتعذر أن يحيط بها بشر ، أو يقطعها انسان ، ومن هذا الصنف القول الذاهب الى أنه ثمار عقول أبناء اللغة العربية ونتاج قرائحهم ، فلا يوصف بالأديب على هذا القول الا من أحاط بهذه الثمار وهذا النتاج • وهذا أمر متعذر محال ، فلا أديب اذا ولا أريب • وان تسامحنا وقلنا لا تشترط الاحاطة بل يكفى الاشتراك فى تحقيق تلك الثمار وحصول ذلك النتاج ، لزم أن نزعم أن أكثر أبناء الأمة العربية أدباء ، اذ لا تخلو أكثرية الأفراد من هذا الاشتراك ، ولا شك فى بطلان هذا الزعم •

فأنت ترى وتسمع هذه الفوضى فى مفهوم الأدب وما يؤدى اليه كل مذهب من

النتائج المرفوضة والاحتمالات البعيدة من الواقع • ولعل هذا التبلبل فى المفاهيم والنتائج ناشىء عن أن الأدب من الأمور غير القابلة للتعريف ، اما لبداهته ، فان البديهيات لا تعرف ، واما لغموض مفهومه وخفاء ماهيته ، والغامض أو الخفى مما لا يعرف الا بالرسم ، والرسوم لا تكشف عن الحقائق ولا تقرر الماهيات ، وانما تصور لها شكلا غير واضح كل الوضوح ، ولربما تعددت الرسوم لتعريف شىء واحد ، فكل معرف يرسمه برسم غير الرسم الذى عرفه به الآخر ، وباستعراض الرسوم يتحقق الاضطراب وتنشأ الفوضى فى المفاهيم الحقيقية ، شأنه شأن العلم ، فقد وقع البون الشاسع والخلاف الواضح فى تعريفه ، فقيل فى تعريفه انه حصول صورة الشىء فى الذهن ، وقيل هو المسائل الحاصلة فى الذهن ، وقيل هو ملكة يقتدر بها الانسان على معرفة الشىء •وقيل وقيل • فقد وقع هذا الخلاف وهذا البون فى مفهوم العلم ، وهو من أعرق الحقائق الثابتة الراسخة ، لا ينكره على نفسه أحد حتى الجاهل ، ولا يرضى بالخروج عن حزبه حتى الطفل ، ويتمسك بعروته الوثقى جميع الناس ، مع كل هذا ومفهومه مختلف فيه ، وماهيته كالمجهولة يختلف العلماء فى بيانها ، وتتضارب الآراء فى تقريرها وبحثها • وما ذاك الا لأنه من البديهيات التى تدركها العقول وتقصر عن تحديد ما أدركته بتقرير ماهيته والكشف عن حقيقته ، فلا معدى لها عن التعريف بالرسم دون التطال الى التعريف بالحد • والأدب صنو العلم ، فهما فى العرض والبيان سواء ، فما وقع لأحدهما فى الماهية والمفهوم وقع للآخر •

والذى تشعر به نفس الأديب وتطمئن اليه — على ما أرى — أن لأدب الأمة مفهومين : عام ، وخاص •

أما العام فهو جميع ما أنتجته الأمة مما له علاقة بثقافتها من دين وأخلاق وعلوم واجتماع ، وما تسير عليه من ذلك فى حياتها • وهو أعظم ثروة معنوية تبنى عليها الأمة كيانها وثروتها المادية • ولا يحيط بهذا النوع من الأمور بعد الله الا التأريخ • وهو يختلف قوة وضعفا ، ونشاطا وركودا ، وشهرة وخمولا ، باختلاف العصور • والجدير بهذا النوع أن يتلقاه الباحثون بالبحث من حيث العصور التى مر بها أو مرت به ، وعبر عليها أو عبرت عليه ، تحقيقا للموازنة بين سير أدب الأمة فى عصورها المختلفة ، لتبيين مواطن الضعف ، وعوامل القوة أو الوهن ، لتكون على بصيرة من أمرها فى أهم مقومات حياتها وهو الأدب بمعناه الواسع • فان هذه المقايسة والموازنة والحصول على النتيجة المترقبة منها ، لاتؤتى أكلها غنية بالفوائد الا اذا نظر فيها من حيث العصور • أما اذا نظر اليها من حيث البيئة أو من حيثيات أخرى فان الفائدة من بحثها تضعف ،

اذ النظر فى ذلك يصبح محليا غير شامل ، مع أن الشمول هو الذى يجب أن يكون المبحوث فيه ، وهو الذى يجب أن يكون محط النظر ، فان هذا المعنى العام لا يلائمه النظر فيه من ناحية محلية ، ولا تتجلى الفوائد من بحثه واضحة الا اذا شمل الأمة كافة عامة ، دون تخصيص ببيئة أو تمييز بين بيئة وبيئة •

وأما المعنى الخاص فهو ملكة يقتدر بها المرء على الافصاح عن الأشياء ـ خصوصا ماينطوى عليه المجتمع من محاسن أو معايب ـ افصاحا يجعلها قريبة من المحس الملموس كتابة ، نثرا أو نظما ، أو خطابا ، جاريا على الأسلوب العربى البليغ • وبعبارة أخرى هو ملكة يقتدر بها المرء على تصوير الأشياء ـ خصوصا منها حالات المجتمع ودخائله ـ تصويرا دقيقا من طريق الالفاظ ، كتابة أو خطابا جاريا فى ذلك على الأسلوب العربى البليغ • فهذه الملكة أو القدرة هى الأدب ومالكها أديب • والأدباء تتفاوت منازلهم رفعة أو انخفاضا ، وبسطة أو انقباضا ، بحسب متانة تلك الملكة وضآلتها ، وقوة تلك القدرة وضعفها • ولا تتكون هذه الملكة وتلك القدرة الا بعد دراسة علوم اللغة العربية والارتياض والتمرن ، وحفظ الكثير من القرآن العظيم ، وشعر فحول الشعراء المبرزين ، وطرف من نثر الكتاب المعروفين ، والدأب على التخيل المستقيم ، واستقصاء مميزات الأشياء التى يمر بها المتصدى لأن يكون أديبا ، والتعمق فى مؤثرات بيئاتها •

والبحث فى هذا المفهوم من الأدب حرى أن ينظر فيه الى البيئة التى نبت فيها ، والظروف التى ألفته وأحاطت به ، لا من حيث العصور التى قطعها والأيام التى سار فى موكبها أو سارت فى موكبه • فان الفائدة المرجوة من بحثه من حيث مغرسه ومرباه أجدى منها من بحثه من حيث عصوره وعمره ، وشبابه ، وكهولته ، وشيخوخته • فان الأدب لا يوصف فى الواقع والحقيقة بشباب أو كهولة أو شيخوخة ، بل هو اما حى واما ميت •

فاذا تقرر ما أردت تقريره ، وقبل الأدباء وعلماء الأدب ذلك ، فانى أقترح أن تنفر طائفة منهم لأخذ الأدب بمعناه العام وتضع فيه مؤلفا ضخما يجمع ما غبر وما حضر من مواده وقواعده ومسائله ، ثم تصنف ذلك على وضعين : الوضع الأول بحسب العصور التى مرت به ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم العام للأدب • والوضع الثانى بحسب بيئاته ومحيطه ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب •

وأعود فأقول ان المفهوم الخاص للأدب يحسن بحثه من ناحية بيئته ومحيطه

لا من ناحية عصوره ، لما قررته آنفا ، على العكس من الخطة المتبعة فى بحثه الدارج عند كتاب العصر • فانهم عكفوا على بحثه بالمفهوم الخاص من ناحية عصوره ، فجاءت مؤلفاتهم تكاد تكون نسخة طبق أصل واحـد : تراجم أدباء معـدودين ، واستعراض نماذج ـ تكاد تكون معينة ـ من نظمهم ونثرهم • وربما أراد بعضهم التوسع فحشر بين من يستحقون الترجمـة ممن يعـدون قـدوة فى الأدب أناسـا ربما كان أكثرهم من المهازيل الضعاف المقلدين ، ظنا منهم أن التوسع فى الموضوع أو التجدد فيـه هو بتكثير السواد فيه • ولم أصادف من نحا فى بحثه المنحى الذى أرمى اليه ، ذلك المنحى الذى ينظر الى بحث الأدب بمعناه الخاص من ناحية بيئاته مع قطع النظر عن الأشخاص الذين أوقدوا شموعه ، أو حملوا مشاعله ، اللهم الا بالتبع وعرض الكلام • وكان يحلو لى أن أجرب نفسى بوضع كتاب فى تأريخ الأدب العربى على الطريقـة التى أقترحهـا ، لكن وجدتنى عاجزا عن القيام بهذه التجربة فى الوقت الراهن • ولعل المستقبل يفسح لى وقتا يسهل لى انجاز رغبتى • ولعل فحول الأدباء من المخضرمين أو الشبان يغنوننى عن ذلك •

انى رسمت لنفسى فى هذا الموضوع ثلاث بيئات كبرى ، تتقارب مؤثرات كل بيئة منها ومفاعيلها فى البيئات الصغيرة المنطوية فى ضمنها :

البيئة الغربية ، وتضم الأندلس والمغرب الأقصى •

والبيئة الشرقية ، وتضم ايران وما جاورها من الأقطار الاسلامية •

والبيئة الوسطى ، وتضم مصر وسورية بمعناها الواسع وجزيرة العرب والعراق •

وهذه البيئات الثلاث واسعة جدا ، كل بيئة منها تضم بيئات خاصة تتمايز بعض الشىء فيما بينها من بعض الوجوه • فلكل من هذه البيئات الكبرى طابع خاص فى الأدب ، له ميزاته وخصائصه • وليس فى وسعى أن أبحث فى هذه العجالة بحثا مسهبا عن كل من هـذه البيئـات الثلاث الواسعة الكبر ، وليس بمقـدورى أن أتغلغل الى البيئـات الفرعيـة العـديدة التى تضمها كل من تلك البيئـات الواسـعات الكبر • فان ذلك يتطلب فراغا فى أزمان طويلة وتعاونا فى العمل بين ذوى الاختصاص • وانما أقصر بحثى على هذه البيئات الثلاث بوجه عام ، فألم بكل منها الماما لأوضح الفكرة التى أرمى الى السير على هداها •

وقد عقـدت كلامى على وصف الأدب فى كل بيئة من هذه البيئات بوجه عام ، ثم المقارنة بين ألوانه ومراتبه فى كل منها وضرب الأمثلة على ذلك • وليس التوفيق

مضمونا لى فى الخروج من هذا البحر بسلامة وفوز ، فان الموضوع ليس من السهولة بمكان ، ولكن لابد أن يخرج الباحث فيه بشىء له قيمته وله فائدته .

لكل بيئة من البيئات الثلاث التى عقدت الكلام فيها مواقع جغرافية لها عواملها الطبيعية ومؤثراتها الخاصة . ولكل منها حالات اجتماعية وعادات مألوفة وأخلاق معروفة ، تختلف بها عن أختيها فى روابطها الاجتماعية وعاداتها وأخلاقها . فالمواقع الجغرافية والعوامل الطبيعية والدوافع الأخلاقية والعادات ، لها أهم الآثار فى ساحات الأفكار ، وأعظم التأثير فى مجارى التفكير وأساليب التعبير . وهل ينكر ما بين الجبلى والصحراوى، وبين البحرى والبرى من اختلاف فى الخيال والتصوير ، وتباين فى التمثيل والتشبيه ، والسهولة والوضوح ، أو التعقيد والدقة فى البيان ؟ فهذه المؤثرات والمكونات والدوافع والروابط والمواقع هى العلل الكبرى فى اختلاف ألوان الأدب باختلاف البيئات . فالبيئة الجبلية تميل فى أصلها الى التضخيم والتكبير ، وقد تصل فى ذلك بالتدرج الى المبالغات فالغلو فالاغراق ، ويجرى نثرها ونظمها وتصورها وبيانها وتصويرها هذا المجرى .

والبيئة الصحراوية تأتى أخيلتها واسعة واضحة ، تؤاخى السهولة ، بعيدة عن المبالغات ، فتجرى فى نظمها ونثرها وتصويرها وبيانها مجرى الوضوح والسهولة ، متمشية مع الحقيقة أو المجاز القريب منها ، متجافية الغلو والمبالغات القريبة منه . وربما امتزجت بالحماس متأثرة بما تفيضه الصحراء عليها من وهج ، وما ترسله أشعة شمسها من حرارة ، وما تخزنه فى أعصاب أبنائها من حساسية .

والبيئة البحرية تجىء أخيلتها أصفى من المرآة المجلوة ، متموجة تموج مياه البحر الصافية ، ترتسم فيها صور مختلفة ارتسام عجائب السماء فى وجه البحار ، وشواهق الجبال ، وعوارض السواحل عليها ، هذا مع اتساع عميق المدى . فينصب نظمها ونثرها وتصورها وتصويرها وبيانها على هذا الغرار . وهكذا كل بيئة كبيرة أو صغيرة لها عوارض خاصة ومميزات لصيقة بها ومؤثراتها على طبيعة أبنائها ، وما الادب الا وليد الطبائع .

وشأن الأدب فى الأمة كبير ، وأثره فى حياتها ومقوماتها عظيم ، فانه هو المرشد ، وهو القوة التى تحرك النفوس ، وتبعث فيها النشاط ثم الحركة والعمل ، وهو مفتاح النهضات ، وباب الدخول الى السير بالأمة فى طرق الصلاح والاصلاح . واذا استكملت الأمة أدبها بمعنييه العام والخاص ، فقد بنت مجدها على أسس لا تتصدع ، وصانت كيانها من عوادى الدهر وحوادث الزمان .

والوضع الطبيعي يقضى بأن يسبق الأدب بمعناه الخاص الأدب بمعناه العـام • فان المعنى الأول منبه للأمة من رقادها ، مذكرها بأمجادها ، دافعها الى العمل لتحتل مكانها اللائق بها ، خصوصا اذا كانت من الأمم التى اشتركت فى بناء المدنية الانسانية ، وحفظ التاريخ لها ما جاءت به للعالم من خير وهدى ، وما ساهمت به فى بناء كيان العالم المتمدن • أما المعنى الثانى فهو نتيجة منبعثة من تلك الدوافع والمؤثرات ، وهو يتسـع ويضيق بحسب نشاط الآمة وميزاتها الطبيعية ، وكفايات أبنائهـا ومسـايرة الحظ لها ، يحفظها من الاصطدام بعقبات الدهر التى ليست فى الحسبان •

ونخرج من هذا الفصل أن الأدب يتنوع من حيثيات مختلفة ، فهو أدب بالمعنى العام (الأدب العام) وأدب بالمعنى الخاص (الأدب الخاص) • وهذا النوع ذو فروع فهو أدب اجتماعى ، وأدب دينى ، وأدب مدنى ، وأدب ريفى ، وهكذا • واذا تسامحنا ولم نشترط فى هذا النوع من الأدب كون التعبير جاريا على الاسلوب البليغ ، فان الأنواع تزداد عددا ، فهناك حينئذ الأدب العامى والأدب البدوى ، وهكذا •

وهـا انى أقـدم صورا من أدب بيئـة من تلك البيئـات ، من نثرهـا ونظمهـا ، تتجلى فيها أفعال البيئة وتأثيرها ، وأعمد فى هذه الصور الى المشهورين من الأدباء ، ناظرا فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب •

النظم :

القاضى الأرجانى من أدباء القرن السادس :

أنى لى وقـد سـاويته فى نحولـه	خيـالى لمـا لم يكن لى راحـم
فـدلس بى حتى طرقت مكانـــه	وأوهمت الفـى أنه بى حـــالم
وبتنا ولم تشـــعر بنا الناس ليلة	أنا سـاهر فى جفنـه وهو حـــالم

تقـول للبـدر فى الظلـماء طلعته	بأى وجـه اذا أقبلت تلقـــانى ؟
وجـه السـما لى مرآة أطـالعهـا	والبـدر وهنـا خيـالا فيه لاقـانى
لم أنســه حين أبكانى وأضحكـه	وقوفنـــا حيث أرعـــاه ويرعانى
كل رأى نفســه فى عين صـاحبه	فالحسن أضـحكه والحـزن أبكانى

فانظر الى ما فيه من اغراق فاق الاغراق الذى عيب به المتنبى فى قوله :

كفى بجسمى نحولا اننى رجـــل	لـولا مخـاطبتى ايـاك لم تـرنى

الثعالبى :

صاحب فقه اللغة ويتيمة الدهر ، وهو من أدباء القرن الخامس :

ياسيـــدا بالمـكرمات ارتـــدى وانتعـــل العيـــوق والفرقـــدا
مالك لا تجـــرى على مقتضـــى مـــودة طـــال عليهـــا المـــدى

الخـازن :

من القرن الرابع ، يعتذر الى الصاحب بن عباد :

لنـــار الهـم فى قلبـــى لهـــيب فعفـــوا أيهـــا الملك المهيب
فقـد جـاز العقـــاب عقـاب ذنبى وضج الشـــعر واستعـــدى النسيْب
وفـاضت عبرة مهـج القـــوافى وغصصهـــا التـذلـل والنحيب
وقـــد فصمت عراهـا واعتـراهـا لسـخطك بعـد نضـرتهـا شحوب
تجـاوزت العقـوبـة منتهـاهـــا فهب ذنبـى لعفـــوك يـاوهـــوب
صبت على ســـوطا من عـــذاب يـــذل لبـأسـه الدهر الغـلوب
وأرهقنـى نكـــيرك لى صعـــودا من الأشـجـان ليس لـه صبوب
عليـك أنيـــخ آمـــالى ، فرحب بهـــا ، واليـك من ذنبى أتـوب

النثر :

الحـازن يكتب للصاحب :

كتابى أطال الله بقاء الأستاذ سيدى ومولاى من الحضرة التى نرحل عنها اختيارا ونرجع اليها اضطرارا ، ونسير فى فنائها اذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود الى أرجائها اذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الاقالة هـذبه العثار ، ومن لم يؤدبـه والداه أدبه الليـل والنهـار . وما الشـأن فى هذا ، ولكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى ، وغم لايحصى ، وانفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ولم تغن عنى بريش طائر ، وبعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت يشـــهد الله صفر اليدين من البيض والصفر ، أتلو والعصر ان الانسان لفى خسر .

الصاحب بن عباد فى رسالة له :

نحن وحياتك فى مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، يحملهما زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف بهلم الى الأقداح . لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون الينا أسرع من الماء فى انحداره ، والقمر فى مداره .

وفى أخرى :

نحن ياسيدى فى مجلس غنى الا عنـك ، شاكر الا منك ، قـد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج ، وفتقت فأرات النارنج ، وانطلقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سـوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندامى ، وامتدت سماء الند ٠ فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد ٠

الثعالبى يقول فى الصاحب :

هو صدر المشرق ، وتأريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع الفضل والاحسان ، وكانت حضرته محط رجال الأدباء والشعراء ، وموسم فضلهم ومنزع آمالهم ٠ ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب اليـه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبدائع الافهام ، ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وثمار الخواطر ودرر القرائح ٠

*
* *

فاذا ما قارنا مثل هذه النماذج بأمثالها من رسائل ومقالات وشعر من أمثال الجاحظ ولسان الدين بن الخطيب وابن زيدون وابن نباتة وأضرابهم من أدباء البيئتين الصحراوية والبحرية ، يظهر الفرق واضحا كل الوضوح ٠ ولا حاجة الى الرجوع الى العصور البعيـدة ، بل ارجـع البصر فى عصرنا الحـاضر الى أدب العراق ، وأدب مصر ، وأدب لبنـان ، وأدب المهجر ، تجـد الفروق واضحـة بارزة ظـاهرة من حيث المـواضيـع والديباجة والمغازى والأسلوب ، رسمتها بواعث البيئة ٠

هذا وليس فى وقتى سعة للتبسط والاسهاب فى بحث الموضوع ، وفيما سمح لى الوقت به من هذه الكلمة أكتفى بتوضيح الفكرة التى أرمى اليها ، وعرضها على أنظار الأدباء ، عسى أن تلقى قبولا ثم تحضرا ، ثم عملا ، ثم انتاجا ؟ ومن الله التوفيق ٠

منير القاضي

المرأة والرجل

المرأة والرجل محور الحيـاة ووحدة المجتمع ، والبحث فيهما من أهم المواضيـع الحيوية ، التى تؤدى الى الاستقرار والسعادة فى الحياة وتجعلها نعيما لا جحيما ، وبالرغم من كثرة البحوث فى هذا الموضوع الحيوى فلا يزال معظم الناس متأثرين بالخرافات والتقاليد والشائعات ، يجهلون كثيرا من حقائقه الأساسية . ولا ظرف أنسب من الظرف الحاضر للبحث فى مشكلات المرأة والرجل ، لأن المرأة وعت حقها فى الحياة وشعرت بالغبن الذى أصابها فى الماضى والحاضر ، فوثبت وثوب اللبوءة للدفاع عن حقوقها ، وأخذت تنفض عنها ذل الماضى ، وخرجت عن العرف والتقاليد والاوضاع التى حرمت عليها ما أحلته للرجل .

التنافس بين الرجل والمرأة قديم منذ عهد الخليقة ، وقصة آدم وحواء ، قصة اغواء المرأة للرجل ، رددتها الكتب المقدسة والأخبـار ، واتخـذها الرجل حجة للحط من كرامة المرأة ونسبة الشر اليها .

كان العالم فى الماضى ولا يزال فى الحاضر عالم رجال ، فلهم الحول والطول والأمر والنهى ، وقد رفع الرجل المرأة الى الأوج حينا ، وانزلها الى الحضيض حينا ، ونعتها بأشنع النعوت ، وجعلها مصدر الشر .

قال كونفشيوس : يختلف النساء عن الرجال اختلاف الأرض عن السماء ، حقا انهن بشر ، ولكنهن من طبقة أحط من طبقة الرجال . ومن الطبيعى أن تكون المرأة عـديمـة الارادة وتحت سيـطرة الرجـل . ومن أقـوال « هبـونكس Hyponax» الشاعر الاغريقى الشهير : تسعد المرأة الرجل يومين فى حياتها ، يوم زفافها ويوم وفاتها . ومنـذ زهـاء ألفى سنة وصف العالم الرومـانى الطبيعى « بلينيوس » المرأة فى وقت الحيض الوصف الآتى :

ان لمسها أو وجودها يحول الخمر خلا ، ويتلف المحاصيل الزراعية ، ويميت البذور

النباتية ، ويخرب الحدائق ، ويسقط الأثمار من اشجارها ، ويذهب حدة المواسى ، ويقتل النحل ، ويبيد الصراصر !

وقال نيتشه : وظيفة المرأة مسرة الرجل وجعل حياته مريحة ومرضية . وقال المصلح البروتستانتى الشهير (لوثر) : اذا تعبت المرأة من الحمل ولو ماتت فلا بأس فى ذلك لأنها خلقت للولادة .

وقد حط الفيلسوف الألمانى شوبنهور من قدر المرأة ، وخطأ الشرائع التى ساوت بينها وبين الرجل .

ويطول بنا الكلام اذا أردنا أن نسرد أقوال الرجال والنساء أيضا ، وآراءهم فى المرأة ، وقد تأثر رجال عصرنا بهذه الروح ، روح التحامل على المرأة ، ووسموها بأشنع الصفات ، فالكاتب الذائع الصيت عباس محمود العقاد ، جرد المرأة من كل صفة حسنة تقريبا فى كتابه « هذه الشجرة » ، ومما قاله فيها : « المرأة مزودة بوسائل الغواية ، موكلة بالمخالفة والخداع . هى تغوى لأنها ينبغى أن تراد ، ولا ينبغى أن تريد ، وهى تشتهى المخالفة لأنها تؤمر وتنهى ، أو لأنها رهينة بارادة الآخرين » .

وقال بصدد البحث عن الجمال : « جسم المرأة جسم تابع ، وليس بالجسم المستقل الذى لا ينظر الى تكوين غيره ، وجسم الرجل جميل التكوين لذاته ، لا لأنه منظور فيه الى مخلوق آخر يتوقف عليه » .

وقال فى بحثه عن الجنس : « الرجل حى النزعة فى مجمل صفاته ، والمرأة نباتية النزعة فى مجمل صفاتها » .

ويستغرب الانسان هذه الآراء الغريبة التى تحتاج الى كتاب خاص لادحاضها ، وقد جعل خواص الرجال وعوامهم المرأة موضع السخرية والتهكم فى احاديثهم ومباذلهم ، والمثل السائر : « فتش عن المرأة » معروف عندنا . وكذلك يعير الرجال بعضهم بعضا بعقل المرأة وتقلبها وعدم محافظتها على الأسرار ، وغير ذلك من ضروب التحامل والتجنى عليها .

فلا غرو أن تثور النساء على الرجال ثوران البراكين ، ويشهرن السلاح لاسلاح العيون والوجوه والقدود ، بل سلاح العلم والعمل والجهود .

ونحن لن نتناول فى بحثنا بواعث الثورة النسوية وأهدافها ونتائجها ؟ لأن هذا موضوع قائم بنفسه ، ولكننا سنبحث عن خصائص المرأة وخصائص الرجل الطبيعية لنتبين ان كان فى طبيعة كل منهما مؤهلات خاصة تميز كل جنس عن الجنس الآخر ، وهل من مصلحة المرأة والرجل والمجتمع أن تهجر المرأة البيت وتغزو الأسواق التجارية

والحقول الزراعية وقاعات المحاكم وغرف العمليات ودور الصناعة وساحات القتال ؟ وهل من الممكن تطبيق المساواة التى تنشدها المرأة وتكافح فى سبيلها مكافحة المستبسل ؟

وسنحاول أن نكون فى دراستنا بعيدين عن التحامل كل البعد ، وندرس هذا الموضوع فى ضوء العلم الصحيح لنتوصل الى حل معقول .

وأول سؤال يتبادر الى أذهاننا « أتوجد فروق أساسية بين المرأة والرجل ينتج عنها فروق فى الحياة العملية ، أم هذه الفروق عارضة لادخل لها بوظيفتهما فى الحياة ؟ » .

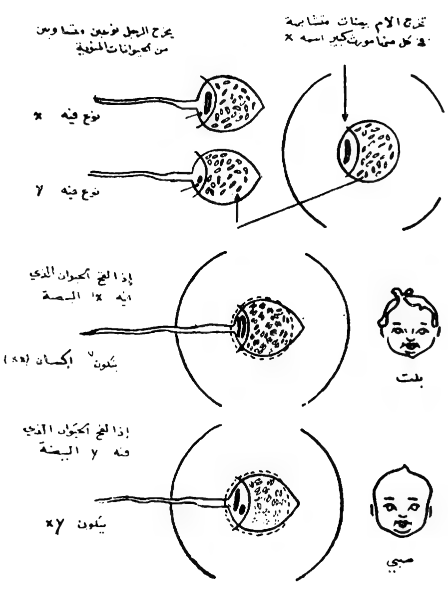
يحكى أن فتاة كانت تتفرج على معرض التماثيل فى قاعة بلندن ، وقد رافقتها والدتها ، ولما نظرت الى تمثالى آدم وحواء ، التفتت الى والدتها وسألتها « أيهما آدم وأيهما حواء . . . ؟ » فأجابتها والدتها « ألا تستطيعين التمييز ! » ، فأجابت الفتاة : « كلا ، انهما عاريان » .

هذا ما يعرفه ويفهمه الناس من الفروق الخارجية بين الذكر والأنثى : الشعر الطويل ، والخصر النحيل ، والوجه المستدير ، والصوت الرقيق ، وغير ذلك من الأوصاف التى تميز الأنثى عن الذكر ظاهرا .

وفى سنة ١٩٢٣ أصدر الألمانيان « Mathilde & Mathias Vaerting » كتابا موضوعه : (الجنس السائد) زعما فيه أن لافرق بين الذكر والأنثى ، وأن الفروق بينهما نشأت من ارتباط كل جنس بجنسه ، وعزوا هذه الفروق الى سيادة الرجل المرأة ، وادعيا أنها ستزول بزوال الأيام ، فيتشابه الجنسان . (ونظرة الى اناث الحيوانات وذكورها ، واناث البشر وذكورها ، تدحض هذه السفسطة) .

فلنبحث بحثا موجزا سهلا عن معنى الجنس أى كيفية تكوين الأنثى ، وتكوين الذكر ، لأنه المفتاح الأول لبحثنا والأساس الذى ترتكز عليه فروق الجنس .

جسم الانسان مركب من ملايين ملايين الخلايا المجهرية ، وفى كل خلية عدا قليل منها نواة فيها جسيمات تسمى (المورثات) « Chromosomes » وهى التى تكسب الانسان صفاته الجسدية والعقلية والنفسية ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، أسود أو أبيض ، ذكيا أو بليدا ، عصبى المزاج أو هادئه ، بتأثير هذه المورثات ، وهى التى تخلق الرياضى والموسيقار وصاحب الفن وغير ذلك من الصفات الوراثية ، التى يتمتع بها البشر . وهذه المورثات نوعية فى النبات والحيوان والانسان ، أى فى كل منها نوع خاص من المورثات ، وعددها فى الانسان ٤٨ مورثا . فلو نظرنا فى المجهر الى خلايا أجسامنا ، لرأينا فى كل منها ٤٨ من هذه الجسيمات الصغيرة التى انطوى فيها العالم الأكبر ، خلا النطف الجنسية التى يكون فيها نصف هذا العدد كما سنوضح ذلك ، وكل مورث مركب من وحدات



الرسوم ماخوذة عن كتاب النساء والرجال تاليف امرام شنفلد

متناهية الصغر تسمى (العوامل الوراثية أو جينس) ، وتكون هذه المورثات أزواجا أزواجا فى جسم الانسان ، أربعة وعشرين زوجا فى الأنثى وأربعة وعشرين فى الذكر ، وهذه المورثات مختلفة الأشكال والحجوم ، وفى عدد العوامل الوراثية الموجودة فيها ، وكل زوج فى الأنثى يحمل نفس العوامل الوراثية التى فى الزوج الذى يقابله فى الذكر ، ومن بين هذه المورثات مورث يمتاز عن اقرانه بكبر حجمه وعدد العوامل الوراثية الموجودة فيه ويسمى المورث (جـ أو ×) [١] ،وهو الذى ينقل صفات مهمة جدا ، ولما كان هو الذى يعين الجنس سواء أكان ذكرا أم أنثى سمى (المورث الجنسى) • ويكون مزدوجا فى خلية الأنثى ومفردا فى خلية الذكر ، ففى خلية كل أنثى ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان ، وفى خلية كل ذكر ٤٦ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد × ورفيق آخر له يسمى (ى أو Y)، وقبل أن تلقح نطفة الذكر نطفة الأنثى تمر كل نطفة بدور يسمى (دور النقصان) تفقد فيه نصف المورثات الموجودة فيها • ولما كانت المورثات الموجودة فى نطفة الذكر ٤٨ منها ٤٦ اعتيادية ومورث جنسى واحد وآخر Y فهى تنشطر شطرين ، شطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد ، وشطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث يسمى (ى أو Y) •

وتحدث لنطفة الأنثى العملية نفسها أى تفقد نصف المورثات الموجودة فيها ، فتنشطر أيضا شطرين شطرا فيه ٢٣ مورثا جنسيا اعتياديا ومورث جنسى واحد (ج أو ×) ، والشطر الآخر فيه مافى الأول ، ففى كل شطر من شطرى نطفة الأنثى مورث جنسى حين لايوجد هذا المورث الا فى شطر واحد من شطرى نطفة الذكر ، اذن تكون الحيوانات المنوية على نوعين ، نوع فيه مورث جنسى واحد ، ونوع فيه المورث Y وهو صغير وضئيل الأثر فى أغلب الأحيان •

ونتوصل بهذه الحقائق الى سر الذكور والأنوثة أو تكوين الصبى والبنت • فاذا لقحت الحيوانات المنوية ، التى تحمل المورث الجنسى وفيها نصف عدد المورثات ، البيضة التى تحمل أيضا نصف عدد المورثات ، وبها مورث جنسى ج × يتكون كائن فيه العدد الكامل للنوع وهو ٤٨ مورثا جنسيا ، منها ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان × ، ويكون أنثى ، لأن وجود المورثين الجنسيين مختص بالأنثى ، واذا لقحت الحيوانات المنوية التى فيها Y البيضة التى فيها × يتكون كائن فيه ٤٦ مورثا اعتياديا ، ومورث جنسى واحد وآخر Y أى ذكر • وباللحظة التى تلقح فيها نطفة الذكر نطفة الأنثى يتعين نوع الجنس أذكر هو أم أنثى ، وتبدأ الخلية الملقحة بالانقسام المطرد ، فتنقسم هى نفسها الى

(١) اشارة الى الجنس •

خليتين ، والخليتان الى أربع ، والأربع الى ثمان ، حتى يكتمل نماء الجنين ، ويكون فى كل خلية نفس عدد المورثات التى فى الخلية الأولى أى لايحدث نقصان فيها كما حدث فى نطفتى الذكر والأنثى .

فالذكورة والأنوثة تتوقفان على وجود مورث جنسى واحد فى الحالة الأولى وموروثين جنسيين فى الحالة الثانية[١] .

ونتوصل بما مر ذكره الى حقيقتين أساسيتين ، الأولى أن نصف الانسان من الأب ونصفا من الأم ، ففى كل امرأة نصف رجل وفى كل رجل نصف امرأة . والحقيقة الثانية : أن تكوين الجنس يتوقف على نطفة الذكر لا على نطفة الأنثى ؛ لأن فى نطفة الذكر مورثا جنسيا واحدا ، فاذا لقح نطفة الأنثى يتولد كائن فيه مورثان جنسيان ، أى أنثى ، واذا لقح نطفة الأنثى حيوان منوى خال من المورث الجنسى وفيه المورث Y يكون الجنين ذكرا . فالرجال هم الذين يكونون الذكر أو الأنثى ولا لوم على النساء بذلك ، ويجنى الرجال على النساء بنسبة ولادة البنات اليهن فان كان من ولادتهن ملامة فهى على الرجل لا على المرأة .

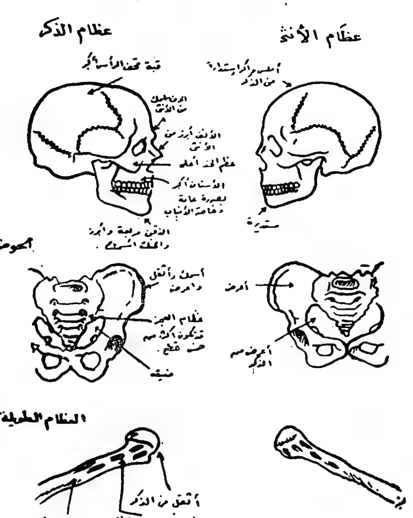
وفى اللحظة التى يتم فيها التلقيح يتعين مصير الجنين ، فيسلك فى نمائه سلوكا خاصا اذا كان ذكرا وسلوكا آخر اذا كان أنثى . يكون طول الجنين فى الاسبوع الرابع نحوا من سنتمتر واحد وتظهر فيه طلائع الجنس ، ويظهر فى الاسبوع السادس حينما يصبح طول الجنين نحوا من ٣ سم بروز هو بواكير أعضاء التناسل، ولا يمكن تمييز الأنثى عن الذكر فى هذا الدور . ومن الأمور المهمة فى تكوين الأجنة أن أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث : تكون المنطقة التناسلية قبل الاسبوع السادس منطقة حيادية ، وتبدأ فى الاسبوع السادس أو السابع أعضاء الذكر بوضوح اذا كان الجنين ذكرا ، ويضمر الجزء المختص بالأنوثة ، ويحدث عكس ذلك اذا كان الجنين أنثى فينشط الجزء الأنثوى ويضمر الجزء الذكرى من المنطقة الجنسية ، فأعضاء تناسل الذكر تظهر بين الاسبوع السادس والسابع مع أن أعضاء الأنثى التناسلية يتأخر ظهورها الى الاسبوع الثانى عشر . ونقول بعبارة أخرى ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث بما يقرب من ستة أسابيع ، والعامل فى النماء الجنسى هو مفرزات الغدد الجنسية : المبيض والخصيتين ، وتنشط مفرزات الأنثى أكثر من مفرزات الذكر فى الجنين الأنثى ، وعكس ذلك فى الجنين الذكر ، وليست المفرزات الجنسية هى التى

(١) لوح ١

نماذج من حدوث التعظم في هيكل عظم البنات قبل الصبيان

متوسط تعظم العظام جزء الهيكل العظمي	في البنات	في الصبيان
١- إبهام اليد (المفصل الثاني)	الشهر الثامن	الشهر الثاني عشر
٢- إبهام الرجل الكبير (المفصل الأول)	١٤ "	٢٠
٣- الرضفة	٢٣ شهر	٣ سنوات وشهر واحد
٤- العظم الزورقي في الرسغ	٣ سنوات وشهران	٤ " و(٤) أشهر
٥- عظم الزند	٤ " و(٦) أشهر	٥ + سنة
٦- عظم العقب	٥ سنوات	٦ " وشهران
٧- عظم الكاحل	٦ " و(١٠) أشهر	٨ سنوات
٨- عظم العضد (الطرف الأسفل Trochlea)	٧ " وشهران	٨ " و(٤) أشهر
٩- عظم العضد (الطرف الأعلى Epicondyle)	٨ " و(٣) أشهر	١٠ " و(٥) "
١٠- حرف عظم القصبة	٩ سنوات	١٠ " و(١٠) "
١١- نتوء الضلع الأول	١٠ "	١٣ " و(٣) "
١٢- الأستداد الغرابي لعظم اللوح	١١ " و(٣) أشهر	١٣ " و(١٠) أشهر
١٣- حرف الحرقفة	١٢ سنة	١٣ " و(٥) أشهر
١٤- منطقة الحوض	١٣ " وشهران	١٥ سنة

التمييز بين الجنسين في الهياكل العظمية



تؤثر وحدها فى تكييف الجنين ، بل هناك مفرزات أخرى تأتى من الغدة الدرقية الموجودة فى مقدمة العنق ، ومن الغدة النخمية الموجودة فى الدماغ ، ومن الغدة الكظرية الموجودة فى قمة الكلية ، ولا يسع المقام تفصيل تأثير هذه الغدد .

قلنا ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل اعضاء تناسل الاناث ، ويحدث عكس ذلك فى تكوين الجهاز العظمى ، الذى يتكون فى الاناث أبكر من الذكور .

تكون عظام الجنين قبل الشهر الخامس من تكوينه بشكل قالب من غضاريف ، وتبدأ بالتعظم (أى التحول الى عظام) قرب الشهر الخامس فما بعد ، وتتعظم الغضاريف فى الأنثى بين الاسبوع الثامن عشر والعشرين أى بين الشهر الرابع والخامس ، ويتأخر تعظم غضاريف الذكر نحوا من شهر الى شهرين عنه فى الأنثى . ومعنى ذلك أنه يتم تكوين عظام الانثى قبل عظام الذكر بشهر أو شهرين ، وتكمل كذلك بقية أعضاء جسم الأنثى قبل أعضاء الذكر ، ولكن ليس بنفس السرعة التى يكتمل بها الهيكل العظمى .

فاذا كان تكوين الجنين الأنثوى قبل الجنين الذكرى ، فيجب أن تولد الأنثى قبل الذكر ، وأن تكون مدة حملها أقصر من حمل الذكر ، وهذا هو الواقع . وقد تمكن العلماء فى أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية من تعيين مدة الحمل بالضبط ، وعرفوا ذلك من الجنود الذين يرخص لهم فى العودة الى أوطانهم لمدة قصيرة ، فيجامعون نساءهم مرة واحدة ويرجعون الى ساحات القتال ، وقد وجد الطبيب الالمانى « Sergel » سنة ١٩٢١ أن متوسط مدة حمل الذكور ٢٧٦ر٦ يوما والاناث ٢٦٧ر٦ يوما ، ووجد الطبيب الانكليزى « Ewart »أن البنات يولدن بمعدل ستة أيام قبل الأبناء ، ويصدق الشيء نفسه على اناث الحيوانات والحشرات وذكورها مما لامجال لتفصيله الآن .

والاعتقاد السائد أن الذكور أسبق نماء من الاناث ، لاتؤيده الحقائق العلمية ، فقد ذكر ارسطاطاليس أن الذكر يتكون فى رحم أمه فى اليوم الثالث عشر والأنثى فى اليوم الخامس والأربعين . وقد ذهب الناس مذاهب شتى فى تمييز الذكر عن الأنثى فى أثناء الحمل ، فقالوا ان وجه الأم يكون أكثر بشرا فى الجنين الذكر وتكون الحامل ثقيلة الخطا فى الذكر ، وان حركة الجنين تكون فى الذكر أبكر من الأنثى ، والحقيقة عكس ذلك ، ولا يوجد لحد الآن طريقة تميز الذكر عن الأنثى فى رحم الأم سوى أشعة × أو « بفحص » دم الحامل وبولها .

والثابت باجماع الاحصاآت العالمية أن عدد الذكور والاناث متساو تقريبا بالرغم من أن نسبة ولادات الذكور أكثر من نسبة ولادات الاناث ، فكيف نوفق بين هذه الحقيقة والحقيقة الأولى فى أن العدد متساو فى الفريقين ؟ من الثابت فى كل الاحصاآت

أن نسبة ولادات الاناث ١٠٦ ذكور لكل ١٠٠ أنثى ، وقد ذهب العلماء فى تعليل هذه النسبة مذاهب شتى ، ولا نطيل بسرد النظريات ، بل نسرد نظرية واحدة تغنينا عن سائرها .

قلنا ان فى خلايا الأنثى مورثين جنسيين وفى خلايا الذكر مورثا جنسيا واحدا × وآخرY، فمن الممكن أن تكون الحيوانات المنوية التى فيها المورث ىY أسرع من الحيوانات الأخرى فتصل قبلها الى نطفة الأنثى فتلقحها ويكون الجنين ذكرا لأن النطفة تحتاج من ملايين الحيوانات المنوية التى يخرجها الذكر الى حيوان واحد لتلقيحها ، ومتى لقحها يسد الطريق فى وجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تلاقى حتفها فى هذه المعركة الدامية ، معركة الموت والحياة . وهذه الصفة وراثية ، فنرى بعض النساء لايلدن الا ذكورا ، وغيرهن لايلدن الا اناثا ، فاذا كان عدد الذكور الذين يولدون يربى على عدد الاناث فلماذا يتساوى الجنسان ؟ والجواب عن ذلك : أن فى خلايا الأنثى مورثين جنسيين ، وفى خلايا الذكور مورثا جنسيا واحدا كما ذكرنا ، وتمتاز المورثات الجنسية عن سائر المورثات بأنها أكبر حجما وفيها عدد من العوامل الوراثية أكثر من غيرها ، ومن جملة العوامل التى تحملها : عامل طول العمر ، ولما كانت فى الاناث ضعف عدد الذكور ، فهى بصورة عامة أطول عمرا وأكثر مناعة ضد قسم من الأمراض فى الذكور ، وتذكر الاحصاآت أن متوسط وفيات الاناث ٢٥ ٠/٠ أقل من الذكور ، ويعد بعض العلماء طول العمر من الصفات الجنسية الثانوية فى الاناث ، وكان متوسط العمر الذى عاشه الذكور سنة ١٩٠٠ « ٤٨ر٢ » والذى عاشه الاناث ٥١ ٠/٠ وبلغ متوسط عمر الذكور فى سنة ١٩٤٢ « ٦٣ر٦٥ » ، والاناث « ٦٨ر٦ » .

ان وفيات الأجنة الذكور فى بطون امهاتهم أكثر من وفيات الأجنة الاناث وتقدر النسبة بـ ١٢٧ وفاة جنين ذكر ، لكل ١٠٠ وفاة جنين أنثى ، واذا اعتلت صحة الأم فى اثناء الحمل يتعرض الذكر للموت اكثر من الأنثى ، واذا تحسنت صحتها ترتفع نسبة ولادة الذكور الأحياء ، لأن مناعة الذكور كما بينا أضعف من مناعة الاناث ، وتؤيد الاحصاآت الحديثة هذه الحقيقة ، فان نسبة الذكور للاناث فى الامهات اللاتى سنهن بين ١٨ ـ ٢٠ بلغت ١٢٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، واللاتى سنهن بين ٣٨ ـ ٤٠ ، ٩٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، فلما كانت المرأة أكثر فتوة وصحتها جيدة ، كانت أقرب لولادة الذكور من الاناث .

وهناك ظاهرة تستلفت النظر وهى أن نسبة ولادة الذكور تزداد عادة بعد الحرب ، فقد ازدادت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، فازدادت ٢١ ٠/٠ فى الحرب الأولى . بلغت النسبة فى المانيا ١٠٨ر٥ ذكور ـ ١٠٠ أنثى ، وبلغت فى انكلترة بعد

الحرب العالمية الثانية ١٠٧ ذكور ــ ١٠٠ أنثى أي بزيادة ١ر٥ ٠/٠ على الاوقات الاعتيادية .

وقد ذكر العلماء اسبابا كثيرة فى تعليل ذلك : (١) منها كثرة الفتيات الصغار السن اللاتى يتزوجن باكرا فيرتفع متوسط ولادة الذكور لأن صحة الأم الفتية تكون غالبا جيدة .

(٢) ازدياد نسبة الولادات الجديدة « First births » زيادة كبيرة ، فلا تكون الأم قد نهكها الحمل والوضع بعد ، فتكون الظروف أنسب لولادة الذكور .

(٣) يكون أزواج كثيرات من النساء فى ساحات القتال ، فيسترحن من عناء الحمل وتتحسن صحتهن ، ويعيش الذكور فى بطونهن ، وتزداد نسبة ولادتهم . ويميل العلماء الى الأخذ بالنظريتين الأولين ، ونضرب صفحا عن النظريات الأخرى . وتكون ولادة الذكور وراثية فى بعض الأسر ، وقد مر بنا تعليل ذلك .

يتضح لنا مما تقدم أن الذكور أقل مقاومة من الاناث فى بطون امهاتهم اذا كان محيطهم الداخلى غير ملائم لهم . ويموت عدد منهم أكثر مما يموت من الاناث ، ويتعرض الذكور بعد الولادة لشتى الامراض ، ويخوضون الحروب فينقص عددهم ويتساوى الجنسان .

نعود الا ن الى تطور الأنثى والذكر : يكون نماء الأنثى فى الدور الأول من الحياة أسرع من نماء الذكر ، خلا اعضاء التناسل التى مر ذكرها ، وتبلغ البنت أبكر من الصبى ، فهى تبلغ حوالى السنة الثالثة عشرة من العمر ، ويبلغ الصبى حوالى السنة الخامسة عشرة ، ولا ينمى الهيكل العظمى فى الاناث قبل الذكور فقط ، بل الاناث يسبقن الذكور فى نماء كافة اعضائهن ، ولكن عظام الذكور تكون أكبر حجما وأثقل وزنا بحكم الوراثة ، ولهذا يزيد وزن الذكور على وزن الاناث بعد الولادة نحوا من ٤ ٠/٠ ، والذكور أثقل وزنا وأطول قامة بصورة عامة من الاناث ، ولكن نماء الجسم أسرع فى الاناث منه فى الذكور . ويجب ان نفرق بين العمر الزمنى وهو العمر مقدرا بالسنين ، والعمر الاحيائى (البيولوجى) الذى يقدر بالوزن والحجم ، والنضج العقلى ، فقد يتساوى الذكر والأنثى بالعمر الزمنى ويختلفان فى العمر الاحيائى ، فحينما يكون عمر الصبى والبنت سنتين ، تكون البنت أكبر من الصبى احيائيا بستة اشهر ، وفى سن الخامسة تكون البنت أكبر من الصبى أحيائيا بسنة واحدة ، وحينما تصل الى سن المراهقة فى سن الثلاثة عشر عاما تكون أكبر من الصبى بسنتين . ونأتى بمثال آخر من عالم الحيوانات فان جرو القطة الذى يكون عمره الزمنى يوما واحدا يعادل احيائيا عمر صبى وبنت عمرهما سنة .

ان عظام الذكور تكون أثقل وأعرض وأطـول نسبيا من عظـام الاناث ، وعضلات الذكور أكبر وأقوى من عضلات الاناث ، وهذه الحقيقة تدلنا على أن الذكر أقوى من الأنثى جسديا بصورة عامة ، والأنثى لاتستطيع أن تجاريه فى الأعمال التى تحتاج الى قوة جسدية • وسنتطرق الى هذا الموضوع حين بحثنا عن توزيع الأعمال بين الرجل والمرأة • ومما يلفت النظر ، ان نمـاء أوزان الذكور وطولهم يكونان غـير منتظمين فى الذكور ومنتظمين فى الاناث (راجع جدول الطول والوزن) •

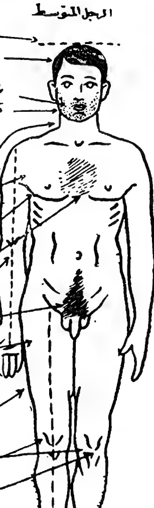
« تصير حنجرة الصبى أكبر من حنجرة البنت منذ السنة الثالثة ، وأوتاره الصوتية أسمك وأطول منها فى هذا العمر ، ولهـــذا يكون صوته أعلى من صوتها « أخشن » •

ويستطيع المتخصصون تمييز عظام المرأة والرجل بعد آلاف السنين ١٠٠/١٠٠ ، وتكون هذه الفروق أبرز فى الانسان البدائى ، وقلما يخطئون فى تمييزها ، واذا ميزوا جزءا منها يستطيعون بسهولة تمييز الأجزاء الباقية ، وتكون أبرز الفروق فى الحوض ، فحوض الأنثى أبرز نسبيا من حوض الذكر ، ولكنه أعمـــق من حوضهـا ، وأثقل وأقوى ، وحوض الأنثى أعرض من حوض الذكر ، ومفـــارز العضلات أبرز فى الذكر من الأنثى ، وعجز الرجل أعلى وأضيق وأقل ميلانا من عجز الأنثى •

وتختلف جمجمة الذكر عن الأنثى بكبر قبتها ، وكبر عظام الخـدين والصـدغين والأنف ، وجبهة الذكر أبرز من جبهة الأنثى ، وجبهة الأنثى منتصبة أكثر من الذكر ، والمسافة بين الأنف والعينين أبعد فى الأنثى منها فى الذكر •

عظام الذكر	عظام الأنثى
الجمجمة : قبة قحف الرأس أكبر	أملس وأكثر استدارة منها عند الذكور
الحرف أثخن من الأنثى	
الأنف أبرز من الأنثى	
عظم الجذع أعلى	
الأسنان أكبر بصورة عامة وخاصـــة	
الأنياب	
الذقن مربع وأبرز والحنك أثخن	مستدير
الحـوض : أثخن وأثقل وأعرض	أضيق من حوض الذكر
عظام انعجز : قد تكون أكثر من خمس قطع	
العظام الطويلة : الأطراف أثقل فى الذكر	
مفارز العضلات أعمق	


الذكر


الرجل المتوسط
أطول بحوالي ٦٪ من الأنثى وأثقل ٢٠٪
شعر الرأس: أقصر من الأنثى ويتساقط كلما تقدم سناً
شعر الوجه: ينمو طول الحياة
تقاطيع الوجه: الجبهة أبرز. الحنك أكثر تربيعاً
الأنف والأذن والأسنان أكبر من الأنثى
الوجه أكبر وأطول.
الرقبة: أسمك، الحنجرة أكبر وأطول نحو الثلث
الكتفان: أعرض وأكثر تربيعاً
الصدر: أكبر وأوسع في الجهات الأربع
العضلات: أكبر وأظهر وأبرز على سطح الجسم.
الثديان: أثريان في الذكر
شعر الجسم: أكثر وضوحاً في الذكر وخاصة في الصدر والذراعين
الذراعان: أطول وأسمك في الذكور. زاوية المرفق مستقيمة
شعر العانة: يتجه إلى أعلى ويكون بشكل مثلث
الوركان: أضيق
اليدان والقدمان: أكبر والأصابع والأباهم أثقل وأقوى وأقل حدة
الأفخاذ: أسطوانية بشكل أكبر، والعضلات بارزة فيها
الساقان: أطول من الإناث، الجزء الخلفي أبرز
زاويتا العضد والساعد مستقيمتان
يكمل النماء في نحو ٢٤ سنة من العمر

الأنثى


المرأة المتوسطة
شعر الرأس: أطول وأنعم
شعر الوجه: ضئيل جداً، ولا يرى عادة إلا في الشيخوخة
تقاطيع الوجه: أنحف، الوجه أكثر استدارة وأعرض. الرأس أكثر استدارة نسبياً، العينان متفرقتان أكثر من الرجل
الرقبة: أكثر استدارة.
الكتفان: أكثر استدارة، وأملس وأكثر انحداراً
الصدر: تغطيها طبقات الشحم وتخفي شكلها.
الثديان كبيران، والحلمتان وما يحيط بهما أكبر
شعر الجسم: ضئيل وضعيف جداً
زاوية المرفق: منحنية
الوركان: أعرض وأكثر استدارة
شعر العانة: عرضياً ويتجه إلى الأسفل
اليدان والقدمان: أصغر نسبياً وأضيق وأنحف
الأفخاذ: مخروطية الشكل أكثر وأعرض من فوق وكلها أقصر.
الساقان: أقصر نسبياً وأكثر استدارة
زاويتا العضد والساعد: منحنيتان
اكتمال النماء في نحو ٢٠ سنة

عظام الذكر	عظام الأنثى
العظام أثخن	
الرجل المتوسط	المرأة المتوسطة
أطول من الأنثى بنحو من ٦ بالمائة وأثقل ٢٠ بالمائة	
شعر الرأس : أقصر من الأنثى ويتساقط كلما تقدم سنا •	أطول وأبقى
شعر الوجه : ينمي طول الحياة	ضئيل جدا ولا يرى عادة الا في الشيخوخة •
تقاطيع الوجه : الجبهة أبرز ، الحنك أكثر تربيعا ، الأنف والأذن والأسنان أكبر من الأنثى ، الوجه أكبر وأطول	أنحف ، الوجه أكثر استدارة وأعرض ، الرأس أكثر استدارة نسبيا ، العينان مفترقتان أكثر من الرجل •
الرقبة : أغلظ • الحنجرة أكبر وأطول نحو الثلث	أكثر استدارة •
الكتفان : أعرض وأكثر تربيعا	أكثر استدارة وأملس وأكثر انحدارا •
الصدر : أكبر وأوسع في الجهات الأربع	
العضلات : أكبر وأظهر وأبرز على سطح الجسم	تغطيها طبقات الشحم وتخفى شكلها •
الثديان : أثريان في الذكر	كبيران ، الحلمتان وما يحيط بهما أكبر •
شعر الجسم : أكثر وضوحا في الذكر وخاصة في الصدر والذراعين •	ضئيل وخفيف جدا •
شعر العانة : يتجه الى الأعلى ويكون بشكل مثلث	عرضي ويتجه الى أسفل •
الذراعان : أطول وأغلظ في الذكور •	
زاوية المرفق مستقيمة	زاوية المرفق منحنية
الوركان : أضيق •	أعرض وأكثر استدارة
اليدان والقدمان : أكبر ، والأصابع والأباهم أثقل وأقوى وأقل حدة •	

الرجل المتوسط	المرأة المتوسطة
الأفخاذ : اسطوانية الشكل أكثر ، والعضلات بارزة فيها •	مخروطية الشكل أكثر وأعرض من قمتها ولكنها أقصر •
الساقان : أطول من الاناث ، الجزء الخلفي أبرز •	أقصر نسبيا وأكثر استدارة
زاويتا الفخذ والساق : مستقيمتان •	منحنيتان •
يكمل النماء في نحو ٢٤ سنة من العمر •	يكمل النماء في نحو ٢٠ سنة من العمر •

ان عضلات الرجل أكبر وأقوى من عضلات المرأة ، وعضلات المرأة أصغر حجما من عضلات الرجل بنحو الثلث ، والشحم في عضلات المرأة أكثر من شحم عضلات الرجل ، وهو سر استدارة أعضائها ونعومتها وتحملها للبرد ، وهذا الفارق يجعل الرجل أخف حركة وأكثر نشاطا ، وعضلات المرأة أطول بالنسبة الى جسمها من عضلات الرجل •

وجلود النساء أرق بصورة عامة من جلود الرجال ، وأطرى منها بسبب كثرة الشحم تحتها ، وتختلف أسرة الكفين (خطوط الكفين) اختلافا بارزا في الجنسين ، فان أسرة كف المرأة مستديرة وأسرة كف الرجل منحنية ، ويستعان بهذه الأسرة على اثبات الشخصية في الأدلة الجنائية وهي ما يعبر عنه ببصمات الأصابع •

وشعر رؤوس الاناث أثخن وبيضى أكثر منه في الذكور في المقطع العرضي ، وشعر الحاجب أكثف في الذكور منه في الاناث ، وتكون أحشاء الصدر كالقلب والرئتين أكبر نسبيا في الذكور من الاناث ، وكذلك أحشاء البطن ، وسعة الرئتين أكبر في الذكور منها في الاناث ، ويقال ان معد النساء أكبر من معد الرجال ، وأمعاءهن أطول من أمعاء الرجال ، وأكبادهن أكبر من أكبادهم •

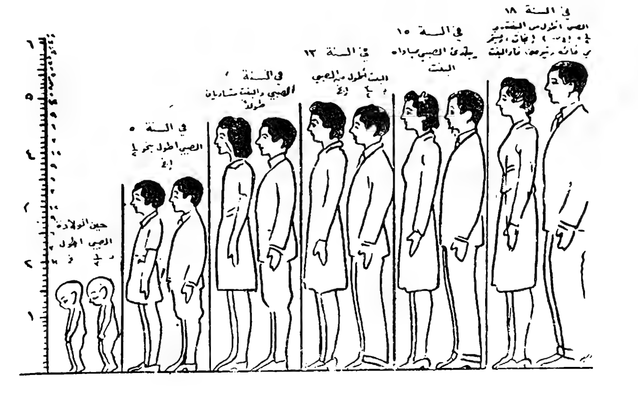
الدماغ :

نقتصر هنا على تركيب الدماغ ، وسنذكر فروق الذكاء بين الاناث والذكور فيما بعد • ان وزن دماغ الذكور أكثر من وزن دماغ الاناث وحجمه أصغر من حجم دماغهن ، ولكن أدمغة النساء مساوية لأدمغة الرجال بالنسبة الى أحجام أجسامهن ، ولحاء الدماغ مركز الفعاليات العقلية أقل في النساء منه في الرجال ، ولكنه يساوي لحاء أدمغة الرجال لأنه متناسب مع حجم أدمغتهن ، ولا توجد فروق مهمة في أجزاءالدماغ الأخرى ، ويقال ان مركز العاطفة في النساء أكبر منه في الرجال •

مفرزات الغدد الصم :

ان مفرزات الغدد الجنسية الداخلية هي التي تولد الفروق الجنسية الثانوية في

فروق الطول في الجنسين



ص (٢٢)

الطول والوزن

متوسط مقاييس الصبيان والبنات

العمر	الطول بالسنتيمتر: الصبيان	الطول بالسنتيمتر: البنات	الوزن بالكيلوغرام: الصبيان	الوزن بالكيلوغرام: البنات
٣ أشهر	٥٧,٧٥٠ - ٦٢,٧٥	٥٦,٧٥ - ٦١,٧٠	٥,٤٠٣ - ٦,٩٤٦	٥,٠٨٠ - ٦,٤٤٧
٦ أشهر	٦٣,٥٠ - ٦٨,٥٠	٦٢,٥٠ - ٦٧,٥٠	٦,٩٠٠ - ٨,٨٠٨	٦,٠٩٢ - ٨,٢١٧
١٢ شهراً	٧١ - ٧٦,٥٠	٧٠ - ٧٥	٨,٥٨١ - ١٠,٨٥١	٨,٠٨١ - ١٠,١٧٠
١٨ شهراً	٧٧ - ٨٢,٥٠	٧٥,٧٥ - ٨١,٢٥	٩,٩٤٣ - ١٢,٣٩٤	٩,٣٥٢ - ١١,٧١٢
سنتان	٨١,٧٥ - ٨٧,٧٥	٨٠,٥٠ - ٨٦,٥٠	١١,٠٢٣ - ١٣,٦٦٥	١٠,٣٩٧ - ١٢,٧٣٩
٣ سنوات	٩٠ - ٩٦,٥٠	٨٨,٥٠ - ٩٥	١٣,٠٢٠ - ١٦,٠٢٦	١٣,٠٧٦ - ١٤,٩٨٢
٤ سنوات	٩٧ - ١٠٤	٩٥,٧٥ - ١٠٢,٢٥	١٤,٣٤٦ - ١٧,٧٩٧	١٣,٨٤٧ - ١٧, ٢٥
٥ سنوات	١٠٣ - ١١٠,٥٠	١٠١,٧٥ - ١٠٩,٢٥	١٥,٩٣٥ - ٢٠,٧٤٩	١٥,٣٤٥ - ١٨,٨٨٦
٦ سنوات	١٠٨,٧٥ - ١١٦,٢٥	١٠٧,٧٥ - ١١٥,٢٥	١٧,٧٩٧ - ٢٢,٠٦٤	١٧,٠٢٥ - ٢١,١١١
٧ سنوات	١١٣ - ١٢٢	١١٣ - ١٢١	١٩,٥٢٢ - ٢٤,١٥٢	١٩,١١٢ - ٢٣,٧٤٤
٨ سنوات	١١٨,٧٥ - ١٢٧,٢٥	١١٨ - ١٢٦,٥٠	٢١,٤٢٩ - ٢٦,٥١٤	٢١,٠٦٦ - ٢٦,١٥٠
٩ سنوات	١٣٣,٧٥ - ١٣٢,٢٥	١٢٣ - ١٣١,٥٠	٢٣,٤٢٦ - ٢٩,٢٢٨	٢٣,١٥٤ - ٢٩,٩٧٥
١٠ سنوات	١٢٨,٥٠ - ١٣٧,٥٠	١٢٨ - ١٣٧	٢٥,٨٧٨ - ٣٢,٥٠٦	٢٥,٥١٥ - ٣٢,٣٣٤
١١ سنة	١٣٣,٢٥ - ١٤٢,٧٥	١٣٣,٥٠ - ١٤٣	٢٨,٦٠٢ - ٣٦,٠٤٨	٢٨,٩٤٠ - ٣٦,٨١٩
١٢ سنة	١٣٩ - ١٤٧,٥٠	١٣٥ - ١٤٩	٣١,٥٠٨ - ٣٩,٥٨٩	٣٢,٠٩٨ - ٤١,٠٨٧
١٣ سنة	١٤٢,٢٥ - ١٥٢,٢٥	١٤٤,٢٥ - ١٥٤,٢٥	٣٤,٤٥٩ - ٤٣,٤٤٨	٣٥,٧٢٠ - ٤٥,٩٩٠
١٤ سنة	١٤٦,٥٠ - ١٥٧	١٤٨,٢٥ - ١٥٨,٧٥	٣٦,٨١٩ - ٤٦,٧١٧	٤٠,٥٩٢ - ٥١,٥٢٩
١٥ سنة	١٥٠,٧٥ - ١٦١,٢٥	١٥١ - ١٦١,٥٠	٤٠,٥٨٨ - ٥١,٤٨١	٤٣,٤٤٩ - ٥٤,٣٤٤
١٦ سنة	١٥٤,٥٠ - ١٦٥,٥٠	١٥٢,٧٥ - ١٦٣,٢٥	٤٣,٥٨٤ - ٥٥,٢٨٨	٤٤,٩٤٦ - ٥٥,٧٥١
١٧ سنة	١٥٨ - ١٦٩	١٥٤ - ١٦٤,٥٠	٤٧,١٢٥ - ٥٩,٧٤٦	٤٦,٥٢٥ - ٥٧,١٥٩
١٨ سنة	١٦١ - ١٧٢	١٥٤,٧٥ - ١٦٥,٢٥	٤٩,٨٤٩ - ٦٣,١٠٦	٤٨,١٦٩ - ٥٨,٥٢١
١٩ سنة	١٦٣,٢٥ - ١٧٤,٢٥	١٥٤,٧٥ - ١٦٥,٢٥	٥٢,٢٠٩ - ٦٦,٠٠٠	٤٨,١٦٩ - ٥٨,٥٢١
٢٠ سنة	١٦٤,٥٠ - ١٧٥,٥٠	١٥٤,٧٥ - ١٦٥,٢٥	٥٥,١٦١ - ٦٧,٤١٩	٤٨,١٦٩ - ٥٨,٥٢١

الجنسين ، ويفرز الذكر منهما ضعفين ونصفا لما تفرز غـــدد الأنثى ، وتبلغ المفرزات الأنثوية ثمانية أضعاف مفرزات الذكر ولكنها تكون غير منتظمة فى الانثى بل تصعـد وتهبط باختلاف الظروف ، فتهبط فى وقت الحيض وفى اثناء الولادة ، وتزداد فى بعض الفصول ؛ ويرى أحد الثقات فى هـذا الموضوع أن مفرزات الغـدد الجنسية تزداد فى الذكر والانثى فى فصل الربيع •

الاستهلاك الغذائى :

أنشط فى الرجال منه فى النساء ، فيستهلك الرجل طاقة أكثر مما تستهلكه المرأة ، فهو أقدر على العمل وأكثر تحملا من المرأة •

الجهـاز الدمـوى :

ان قلوب الرجال أقوى بصورة عامة من قلوب النساء ، ويدفع قلب الرجل دما الى الجسم أكثر مما يدفعه قلب المرأة ، ونبضات قلب المرأة أكثر عـددا من نبضـــات قلب الرجل ، فتبلغ فى الذكور ٧٠ـ٧٥ فى الدقيقة وفى الاناث ٧٥ـ٨٠ فى الدقيقة ، ويختلف عدد النبض باختـلاف العمر والظروف ، ويكون ضغط دم الرجال أعلى من ضغط دم النساء ، وعدد كريات الدم الحمر أكثر فى الذكور منه فى الاناث ، وهذه الكريات هى التى تنقل الأكسجين الى الجسم لحرق فضلاته ، وعددها فى الذكور نحو من خمسة ملايين ومائتى الف كرية فى المليمتر من الـدم ، وفى الاناث نحو من أربعة مـلايين وتسعمائة الف كرية فى المليمتر المكعب ، ونسبة الهيموغلوبين ، المادة التى تلون الدم باللون الاحمر ، ٩٠ ـ ١٠٠ ٠/٠ فى الذكور و ٨٥ ـ ٩٠ ٠/٠ فى الا ناث ؛ والمـاء فى دم المرأة أكثر منه فى دم الرجل •

مقـاومـة الأمراض :

من العقـائـد الشـائعة أن المـرأة أضـعف من الرجـل بصـــورة عـامـة ، وقد بينا أن الرجـل أصلب عظما وأقوى عضـلا من المرأة ، ولكن الرجـال يفوقون النساء بالقوة الجسدية ؛ والنساء أشد مناعة ضد الأمراض والعوارض بصورة عامة من الرجال ، فالذكر أضعف من الوجهة الأحيائية (البيولوجية) من الأنثى • ومما لاشك فيه أن الرجال أكثر تعرضا للأخطار من النســاء بسبب الحروب وبسبب طبيعة أعمالهم اليومية بالاشتغال فى المصانع والمناجم ، والتعرض للتعب الشديد ، وغير ذلك من الأمور التى تقتضيها طبيعة اعمالهم ، ولكن بالرغم من أن عدد المولودين من الذكور أكثر من الاناث فان ضريبة الموت فى الذكور أعلى منها فى الاناث ، وقد ذكرنا الأخطار المحيطية التى تعرض الرجـال أكثر من النسـاء للموت ، ولكن فى الأحوال الطبيعيـة أيضـــا

يكون الذكور أكثر تعرضا للموت من الاناث ، فعدد الذكور الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أكثر من الاناث ؛ وقد وجد الدكتور Antonio Ciocco أحد المتخصصين بالصحة العامة فى الولايات المتحدة أن عدد الاولاد الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أو يولدون أمواتا يربى فى الذكور على الاناث ، ويعزى ذلك الى أسباب احيائية (بيولوجية) . واذا تذكرنا أن فى مورثات الأنثى مورثين جنسيين وفى مورثات الذكر مورثا جنسيا واحدا ندرك السبب ، والمورثات الجنسية تحمل مضافا الى العوامل الوراثية صفة طول العمر ومقاومة الأمراض ، فالاناث أكثر مناعة ومقاومة للأمراض بسبب وجود مورثين جنسيين فى مورثاتهن ، والأمراض الوراثية المميتة أكثر انتشارا فى الذكور منها فى الا ناث ، كنزف الدم الوراثى (الهيموفيليا) والعمى اللونى ، والغشاوة ، وغيرها من العيوب الوراثية التى تنقلها المورثات الجنسية ، وهى تنتقل بوساطة الاناث الى الذكور ، ولا تصاب بها الاناث .

والاحصاآت المضبوطة مرآة الأمم الصافية فى مختلف مظاهر حياتها ، ولسانها الناطق بأوضاعها الحقيقية ، وليس عندنا مثل هذه الا حصاآت لندرس بوساطتها حقيقة أوضاعنا فلا بد لنا من اللجوء الى غيرنا من الأمم الراقية ممن يعنون بهذه القضايا ، ولا تختلف أحوالهم عن أحوالنا ، لا بل هم أكثر منا اهتماما بكيانهم بسبب رقيهم العلمى وتفوقهم المالى .

ثبت من احصاآت وفيات الأطفال فى امريكا فى سنة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ أن وفيات الذكور أزيد من وفيات الاناث ٠/٠ ، وكانت احصاآت انكلترا مقاربة لها . ان وفيات الأمراض السارية فى الأطفال كالحصبة والجدرى والتيفوئيد والملاريا وذات الرئة والخناق وغيرها تكون أكثر فى الذكور بصورة عامة من الاناث ، وكذلك وفيات السفلس، ولا حاجة لازعاجكم بسرد الاحصاآت المتوفرة لدينا (راجع ص ٦٤ (N & M)).

العيوب الوراثية :

ظهر من احصاآت مستشفى Bellevue العظيم للأطفال فى نيويورك أن اصابات الأمراض فى ذكور الأطفال تربى ١٥ ٠/٠ على اناثهم وبلغت أمراض الاحساس فى الذكور (alleigy) كالربو والشرى والصداع وما أشبه ذلك ضعف الاناث . ويصيب بعض العيوب العضلية الوراثية المميتة الذكور أكثر من الا ناث . ومن العيوب البارزة زيادة نسبة العمى الوراثى فى الذكور ، فيزيد عمى الصبيان بنحو الثلث على البنات ، ونسبته فى الولايات المتحدة ٢٠٫١ لكل مائة الف من الصبيان.

و ١٥ر٥ لمائة الف فى البنات قبل السنة الخامسة من العمر ، وتكون هذه العيوب فى المورث الجنسى (ج أو ×) •

اللجلجة :

هى التردد فى الكلام • ان عيوب النطق أكثر بين الذكور منها بين الاناث بصورة عامة ، وقد عزاها جماعة من العلماء الى أسباب نفسية ، وعزاها غيرهم الى عيوب وراثية فى مراكز النطق فى الدماغ ، فيتأخر نضج جزء منه ويؤثر فى غدة من الغدد اللعابية •

الاصابة بالأمراض :

قلنا ان الاناث أكثر مناعة ضد الأمراض من الذكور بصورة عامة ، واذا استثنينا الحيض والولادة ولم نجعلهما من الأمراض ، فان اصابات الاناث بالأمراض أزيد منها فى الذكور بنحو ٢٥ ٠/٠ ، ولكن وفيات الذكور أكثر من وفيات الاناث ، وهاك الاحصاء الذى قام به Antonis Ciocco فى امريكا لأسباب وفيات الذكور والاناث فى اجهزة الجسم المختلفة :

الجهاز	نسبة وفيات الذكور والاناث
الدموى	يموت ٥٠ر٢ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
التنفسى	يموت ٣٤ر٢ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
العصبى	يموت ٣٣ر٥ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الهضمى	يموت ٢٥ر٦ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
البولى	يموت ٨ر٩ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الجلدى	يموت ١ر٩ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
العضلى	يموت ٠ر٥ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الغدد الصم	يموت ١٥ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث

ولا نسترسل فى سرد الاحصاآت الكثيرة تجنبا للتطويل • وتزيد وفيات الاناث على وفيات الذكور بالأمراض الآتية :

المرض	نسبة زيادة وفيات الاناث على وفيات الذكور
السرطان بأنواعه	١٥ ٠/٠
البول السكرى	٦٤ ٠/٠
الجحوظ	٣٨ ٠/٠
حصى المرارة	٨٩ ٠/٠

ولكن مجموع وفيات الذكور بالأمراض المختلفة أزيد من مجموع وفيات الاناث كما ذكرنا • ومن الأمراض العقلية البارزة الجنون ، فان وفيات الاناث فيه أزيد من وفيات الذكور • وتبلغ نسبة الزيادة ٤٠ ٠/٠ ولكن الرجال أبكر اصابة به من النساء ، فيصاب الرجال به بسن ٣٠ من العمر والنساء بسن ٣٤ •

الصـرع :

تكون وفيـات الذكور فيه أكثر من وفيات الاناث • ان النساء أطول عمرا من الرجال بصورة عامة كما يظهر من الاحصاآت الآتية :

السنة	متوسط العمر	ذكور	اناث
١٩٠٠	»	٤٨ر٢	٥١
١٩٤٢	»	٦٣ر٦٥	٦٨ر٦

وقد بينا أن سبب قوة مناعة المرأة ضد الأمراض متولدة من وجود عاملين جنسيين في مورثاتها ، وحكمة ذلك أن المرأة معرضة لأخطار لايتعرض لها الرجل وهي الحمل والولادة والسهر الطويل ورعاية الاولاد ، ولهذا ميزهـا الخالق عز وجل عن الرجل لأن وظيفتها في الحياة تختلف عن وظيفته ، وسنتطرق الى هذه الحقيقة في آخر المقال حين نبحث في مساواة المرأة للرجل •

وقد ذكرنا الفروق الجسدية بين الاناث والذكور ، وسنذكر قسما من مظاهر تلك الفروق التي تستند الى اختلاف تركيبها •

الحركة :

بالرغـم من ارتبـاط الانسان بالمحيط فان الجنسين ينشـآن نشـأة مختلفة بتأثير مفرزات الغدد الصم والتفـاعلات الكيميائية التي تؤثر في الحجم والطول ومقـاومة الأمراض وغيرها من الأمور التي ذكرناها • وقد أيدت تحريات علماء النفس ملاحظات الأمهات والممرضات والمربيات في أن الصبيان يكونون أكثر حركة وقوة وميلا للاعتداء بعد الشهر ٢ ــ ٣ ، وقد تتبع الأستاذ Arnol Gessel ومشـاركوه في مستـوصف (يال) لتربية الأولاد نشأة ١٠٠ صبي منذ ولادتهم حتى السنة الخامسة من أعمارهم ، ودون ملاحظاته عليهم في كتاب خاص • وقـد لخصت الدكتـورة Helene Thompson احدى مشاركاته في هذا البحث ، قسما منها نقتطف منه النبذة الآتية :

كان الصبيان أكثر حركة من الاناث في الشهر التاسـع من أعمارهم في الحبو وغيره من الحركات التي تتطلب قوة جسدية ، وقد درسنا انتصاب قامتهم في الزحف والوقوف فوجدنا الذكور أسبق من الاناث ، وكان الاناث أقل حركة ونشـاطا من

الذكور وأكثر ميلا الى الأعمال التى يعملها الانسان جالسا ، ووجدنا الاناث أهدأ من الذكور فى أثناء الرضاعة وكن ينمن أكثر منهم .

وتوصل الى النتائج أنفسها الدكتورAshly Meech فى مستشفى الأطفال فى نيويورك .

ويتبين من دراسات جامعة (يال) فى هذا الموضوع أن ذكور الأطفال يمشون قبل الاناث بشهر تقريبا ، بيد أننا يجب الا ننسى العامل النفسى فى هذه الحالات ، فالاناث لايشجعن على المشى كما يشجع الذكور ، وبالرغم من ذلك لانستطيع أن نغض النظر عن الفوارق الطبيعية بين الجنسين . وقد درس الدكتورHenry Halnerson عددا من الأولاد فى مستوصف الأولاد بجامعة (يال) دراسة دقيقة فوجد الذكور أكثر احكاما من الاناث برمى الكرة فى السنة ٣٫٥ من العمر ؛ وكان الصبيان فى الخامسة من العمر يضربون الكرة لمدى أبعد من الاناث اللاتى فى السادسة من العمر ، وكانت قامات البنات أكثر انتصابا من الذكور ، وكن يجعلن الكرة فوق أكتافهن أكثر من الصبيان ، ويرشقنها أكثر منهم الى أسفل ، ويضعن ثقل الجسم على أرجلهن اليمنى بينما وضع الصبيان أيديهم بجانبهم وجعلوا ثقل اجسامهم على الرجل اليسرى ، ورفعوا أجسامهم ورشقوا الكرة الى الأمام ؛ فالصبيان كانوا أحكم رميا وأبعد مدى وأكثر استقامة من البنات فى رمى الكرة .

وذكر الدكتورGesselأن البنات استطعن لبس ثيابهن فى سن أبكر من سن الصبيان لأن توازن حركاتهن أحسن من توازن حركات الصبيان ، ويلبس قسم من البنات ثيابهن ويخلعنها فى السنة ٢ ـ ٣ من العمر ، بينما وجد الصبيان صعوبة فى ارتداء ملابسهم وتزريرها فى السنة الخامسة من العمر ؛ وتدلنا هذه الظاهرة على أن توازن الحركات الدقيقة فى الذكور أبرز منه فى الاناث .

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن صغار البنات أكثر تمييزا للألوان من صغار الصبيان ؛ وظهر من دراسة الدكتور Ruth Staples لهذا الموضوع فى جامعة براسكا أن البنات منذ ولادتهن حتى السنة الثانية من العمر أكثر احساسا بالألون من الذكور ، وخاصة الألوان الصعبة كاللون الأزرق والأخضر ، ومن الممكن أن يكون منشأ ذلك عاملا وراثيا لأن صفة تمييز الألوان فى الاناث أسرع ظهورا منه فى الذكور ، كما أن الذكور معرضون لعيوب العين أكثر من الاناث ومنها العمى اللونى .

النطق :

لما كان البنات أبكر نماء من الذكور بصورة عامة فهن يتكلمن أبكر من الصبيان ، ويكن أسرع تلقنا للغات من الصبيان ، وتصدق هذه الأمور التى ذكرناها

على اناث الحيوانات كالقردة فان صغار اناثها أطوع وألين عريكة فى التدريب ، وأكثر استئناسا من الذكور ، والذكور أعند وأفطن من الاناث .

الدماغ :

الفرق فى قوى الدماغ العقلية من الأمور التى تثير حماسة الجنسين ، وهى عامل من عوامل ثوران المرأة لأن الرجل لا يقر لها بالمساواة ويدعى الفواق عليها ، وسندرس هذا الموضوع فى ضوء العلم الصحيح مجردين من تأثير العاطفة العمياء .

بين العلماء الآن نزاع يتعمدون فيه ازالة فروق الذكاء بين الجنسين وعمل مقياس ذكاء يساوى بين الفريقين ، وقد وجد المعنيون بهذا الموضوع منذ استنباط طريقة Semon Binet التى نقحها فيما بعد ستانفورد و أوتس لامتحان الذكاء ، أن البنات كن على الدوام أحسن من الصبيان فى قسم من الاسئلة والصبيان فى قسم آخر منها ، واستنتجوا أن متوسط الذكاء متساو فى الفريقين ، ولا تفوق لأحدهما على الآخر ، وقد جاء فى تقرير الاستاذ Quinn Menenan عن مقياس ستانفورد بنت المنقح The reversion of the Stanford Binet seale ما يأتى :

على من يتصدى للتفريق بين مواهب الجنسين العقلية والطبيعية أن يتبع أحد أمرين ، اما أن يدعى أن نتائج امتحانات الذكاء مختلفة تقريبا فى الجنسين فيضع لكل منهما مقياسا خاصا ، واما أن يفرض أن الفروق الكبيرة بين الجنسين غير صحيحة بحسب مقياس بنت Binet ، لأنها تنبىء عن الفروق فى الاختبار والتدريب لا عن المواهب الطبيعية ، فيستطيع فى هذه الحالة الاستغناء عن وضع مقياسين مختلفين لهما ، وقد اتبع الاستاذ مكمنار هذه الطريقة ، وهاك أهم النتائج التى توصل اليها :

كان البنات أحسن من الصبيان فى الأمور التى تتعلق بالجمال كالمفاضلة بين الألوان ، وتمييز الصور ، وفى مواد اللغة كاللفظ واختيار الكلمات والمفردات ، وفى المهارة اليدوية كتزرير الازرار وعقد العقد ، وفى الأمور الاجتماعية كتقدير الأعمار وتمييز انواع المظاهر ، وكان الصبيان أحسن من البنات فى الأمور الحيلية (الميكانيك) وتركيب الاشياء ، والتعليل الرياضى ، وتفوق الصبيان فى نقد الصور الهزلية ، وفى تحديد الالفاظ المجردة كالعلاقة والمقابلة ، والتغلب والطاعة والانتقام ، وتفوق البنات فى تحديد الشفقة والاستطلاع والحزن والتعجب . ونسرد جدولا فى أهم المواد التى تفوق بها كل جنس بحسب الاعمار :

العمر	البنات أحسن من الصبيان
٢ ـ ٣	بتذكر الصور

العمر	البنات احسن من الصبيان
٢ر٥ – ٤	**بعدالاعداد وعمل المربعات**
٣ – ٤	بتزرير الازرار
٣ – ٥	بتمييز الاشياء الجميلة
٣ر٥ – ٥	بالمفاضلة بين الاشياء
٤ – ٥	**بعمل مثلثات من ورق**
٥ر٥ – ٨	بتقدير الاعمار
٧ – ١٧	بتنضيد عقد اعتمادا على الذاكرة

العمر	الصبيان أحسن من البنات
٤ – ٩	بتقدير الصور الهزلية
٦ – ٩	بالتوجيه
٧ – ١٠	بالادراك
٧ – ١٢	بمعرفة الاضداد
٩ ١٧	بتسمية وسائط النقل
١٠ – ١٥	بالكلمات المجردة
١١ – ١٧	بالابتكار
١١ – ١٨	بالتفكير الرياضى والاستنتاج

نلاحظ من هذا الجدول أن الامور التى يتفوق فيها الاناث على الذكور تظهر فى الدور الاول من حياتهن ، والصبيان فى الدور الثانى ؛ ولاحظ الباحثون فى هذا الموضوع أن التفوق يكون أسرع فى البنات منه فى الصبيان قبل سن المراهقة ، ويظهر فى الصبيان بعد العمر الذى يظهر فى البنات ، فهل يدل ذلك على أن نماء العقل يتمشى مع نماء الجسم ؟ لم يقل العلم كلمته الاخيرة فى هذا الموضوع ، ولكننا نرى البنات أكثر تقدما فى دروسهن وامتحانات ذكائهن من الصبيان فى الدور الاول من حياتهن ، ويرى وولتر ديربرن Walter F. Dearborn مدير مستوصف التعليم النفسى فى جامعة هارفرد أن الاناث لسن ذكيات ذكاء فطريا كالصبيان ويعوض عن هذا الذكاء سبقهن الصبيان بالنضج العقلى فى بواكير اعمارهن فيتساوى الجنسان .

الخلاصة : يظهر من بحوث العلماء المتخصصين أن الصبيان يختلفون عن البنات ببعض النواحى العقلية ، والبنات بنواح أخرى ، فلا نستطيع أن نحكم أن فريقا اذكى من الآخر كما لانستطيع أن نحكم بأن الرياضى اذكى من الشاعر مثلا أو الموسيقار

لأن فى الاثنين موهبتين مختلفتين ، كما أننا لا نستطيع أن نقول ان درجة ذكاء أناتول فرانس مساو لذكاء أنشتاين ؛ لأن الاثنين نالا جائزة نوبل فى سنة ١٩٢١ وأن الأول نالها فى الآداب والثانى فى الرياضيات •

ان الصبيان أكثر ميلا للأمور الحيلية (الميكانيكية) من البنات ، ونستطيع أن نقول ان هذا الميل اكتسابى لافطرى ، ويتفوق البنات على الصبيان بقوة ذاكرتهن فى الشطر الأول من أعمارهن ويسبقهن الصبيان فيما بعد بهذه الصفة •

ومن الفروق البارزة بين الجنسين فى السنة الخامسة من العمر قضية الرسم ، فالصبيان يميلون الى رسم القوارب والطيور والأعلام والفيلة وغيرها من الحيوانات ، بينما يميل البنات الى رسم بيت أو سيدة أو دمية أو قطة وغيرها من الأشياء التى يشاهدنها فى بيوتهن ، والصبيان يميلون الى رسم الأشياء التى يشاهدونها خارج بيوتهم •

وحب الاستطلاع أقوى فى الصبيان منه فى البنات منذ دخولهم رياض الاطفال الى حين دخولهم الكليات ، ويظهر الفرق فى ميل الجنسين فى المذياع (الراديو) فان البنات يملن الىسماع الروايات التىتتعلق بالمنزل ، والصبيان يميلون الىالروايات الفاجعية ، ويظهر هذا الميل فى الروايات السينمية والكتب التى تتعلق بهذه المواضيع ، ويقرأ البنات أكثر من الصبيان كتب الشعر والقصص ، ويهتم الصبيان بجمع الاشياء العلمية ، بينما يهتم البنات بجمع أدوات الزينة والاشياء المثيرة للعاطفة ، ويظهر الفرق بين ميل الجنسين فى الالعاب ، فالبنات يفضلن «الحتيلة» أو «الحتية» أو لعبة «الغميضة» فى المدارس الأولية ، والنط على الحبل ، والصبيان يفضلون كرة القدم وكرة الشبكة Base ball أو الدعابيل وغيرها من الالعاب التى تتطلب حركة وقوة ، وهذا الميل يدل على اختلاف الجنسين ، والأمور الاكتسابية تصبح كالفطرية اذا مارسها الانسان زمنا طويلا ، سواء أكان الميل فطريا أم اكتسابيا •

شخصية الجنسين :

يقول علم النفس الحديث ، ان الفروق بين شخصية الذكر والأنثى اكتسابية تولدت من العلاقات الاجتماعية ، ويرى العالم النفسانى الشهير Gordon W. Allport من جامعة هافرد أن المولود الحديد يولد فاقد الشخصية ثم يكتسبها من المحيط بتفاعله معه ، وهذا رأى غيره من المتخصصين بالموضوع ، بيد أننا نستطيع أن نقول ان الأولاد يولدون وفيهم قابليات شخصية خاصة يتطبعون عليها ، ففى الانثى قابليات خاصة بها ، وفى الذكر قابليات خاصة به ، ومتى اختلطا بالمحيط ظهرت فى كل منهما

قابلياته الخاصة به ، وهاك بعض القابليات الخاصة بكل جنس :

الميل الى التعدى Agressiveness :

ان الصبيان أكثر شجاعة وأقل جبنا من البنات من السنة الثانية فما فوقها ، وهم أكثر ميلا للتعدى والمخاصمة من البنات ، ويلاحظ الشيء نفسه في اناث القرود وذكورها .

السلبية Naughtiness :

أبرز في البنات من الصبيان ، وتتجلى بالخجل والخوف من الغرباء ، ونستطيع أن نعلل ذلك بأن الامهات يقدمن الصبيان أكثر من البنات لمقابلة الزوار .

الاضطرابات النفسية :

من الأمور المسلمة أن البنات أكثر تعرضا للاضطرابات العصبية النفسية من الصبيان كقضم الاظافر ، ومص الاصابع ومد اللسان استهزاء بمن لا يرضين عنهم ، وهذه الحالات رموز الى التعبير عن السخط والسخرية وغيرها ، واستعاضة عن الشتم والرفس والخصام وغيرها من الحالات الشبيهة بها التي يتصف بها الصبيان أكثر من البنات .

تختلف أيضا في صغار الاناث عنها في صغار الذكور فتظهر في البنات بين ٧ ــ ١٠ من العمر بصورة قلقهن على آبائهن ، وخفقان القلب ، أو أرق يصيبهن ، ويشعرن بوخزات كوخزات الابر في أصابعهن ، وغيرها من الأعراض المنبعثة عن الخوف ، وقد تحدث هذه الأعراض في الذكور ولكنها تكون في الاناث ٤ ــ ٥ أضعاف ما هي عليه في الذكور ، ويخاف الصبيان من الاذى الجسمي كالضرب وما أشبه ذلك بينما يخاف البنات من الظلام والغرباء عنهن .

الشكاسة Naughtiness **(الشيطنة) :**

الصبيان أكثر شكاسة وأذى من البنات بصورة عامة ، وتبدو الشكاسة في البنين بصورة عنف ، فالذكور تحت تأثير اجتماعي يفرض فيهم أن يكونوا أقوى وأشجع وأشطر وأكفأ من الاناث ، فعبرون عن اخفاقهم في هذه الأمور بالعنف والثوران على الأوضاع وسوء السلوك وما أشبه ذلك . ويظهر هذا التعبير مظهرا نفسيا في البنات كالاضطرابات العصبية .

الحسد :

أكثر وجودا في البنات منه في الصبيان ، والصبيان أجرأ من البنات في ابداء رغباتهم ، وأقوى منهن في الحصول عليها .

وانا مهما بالغنا في تأثير المحيط وارتباط الشخصية به ، فلا نستطيع أن ننكر وجود

عوامل طبيعية ، تجعل اختلافا بين شخصية الصبي وشخصية البنت • يقول المتخصصون بهذه المواضيع ان منشأ اختلاف الشخصية مفرزات الغدد الصم ، الا أن الغدد الصم أنفسها متولدة من وراثة الانسان الطبيعية ، فالعوامل الوراثية هي المسيطرة ، والشخصية وليدة الوراثة ومفرزات الغدد الصم والمحيط ، وتأثير هذه العوامل الثلاثة يولد اختلافا في شخصية الذكر والأنثى •

ومن تقرير الدكتور Hugh H. Darly:

أن الاولاد الذكور يفرزون في سن ٣ ـ ١٠ مفرزات ذكرية ضعف ما تفرزه البنات ، والفرق الرئيس أن البنات يفرزن مفرزات جنسية أنثوية ٤٠ ـ ٥٠ ضعفا لما يفرزه الصبيان ، فهل لهذه المفرزات تأثير في تكييف الشخصية ؟ لقد أجرى العلماء اختبارات على الديوك ، فوجدوا أن الديوك التي تخصى (الخصاء يزيل المفرزات الجنسية فيها) أو غيرها من الذكور تصير أهدأ وأقل نزوعا للمهاجمة وأقرب الى المسالمة مما كانت عليه قبلا ، وقد اقترح بعض الظرفاء خصاء الحاكمين بأمرهم والمستبدين والذين يعيثون في الأرض فسادا ، توصلا للطمأنينة والاستقرار ونشر السلام في العالم •

الاعتداد بالجنس :

ان الذكور أكثر اعتدادا بجنسهم من الاناث ، وقد ظهر من الاستفتاء الذي قام به Allport أن الاناث اللاتي تمنين أن يكن ذكورا ، أكثر عددا بكثير من الذكور الذين تمنوا ان يكونوا اناثا ، وبالطبع يعزى ذلك الى سيادة الرجل وتحديد سلطة المرأة •

أنهينا الآن الفروق الجنسية في سن الحداثة أو الصبا ، وننتقل الى مرحلة ثانية من مراحل الحياة ، وأخطر مرحلة من حياة البنات والصبيان وهي سن المراهقة •

المراهقة :

هي تطور الفتى والفتاة الفجائي من سن الصبا الى سن الرجولية ، ولها تأثير عظيم في حياتهما الجسدية والعقلية والنفسية ، والمراهقة نوعان : المراهقة الاحيائية (البيولوجية) ، وتسميها البلوغ ، ينمى فيها الجسم والعقل ، وتظهر في كل جنس صفات خاصة نسميها الصفات الجنسية الثانوية وقد مربنا ذكرها • والمراهقة الاجتماعية ، وتسمى الرشد ، وتظهر فيها صفات نفسية تميز كل جنس من الآخر ، فالنوع الاحيائي (البيولوجي) عام لكل جنس في كل العالم • تبلغ البنت أبكر من الصبي بنحو من ٣ ـ٤ سنوات ، وسن البلوغ في الاناث من السنة ١٢ ـ ١٣ ، ويبلغ الذكور في السنة ١٤ ـ ١٦ ؛ ويختلف سن البلوغ باختلاف الاقليم والمحيط والعرق والثقافة وغيرها من العوامل الأخرى ، فتكون في الاقاليم الحارة أبكر منها في الباردة ، وبين المتمدن أبكر

منها في غير المتمدنين • وتقسم الفروق الجنسية الى قسمين ، الفروق الجنسية الأولية وهي أعضاء التناسل في الفريقين ، والفروق الجنسية الثانوية وهي الفروق التي مر ذكرها في العظام والشعر والصوت •

ويعزى ظهور الصفات الجنسية الى مفرزات الغدد الجنسية ، الخصيتين في الذكور والمبيض في الاناث ، ولكل منها افراز خارجي وهو المني في الذكور والبيوض في الاناث ، وداخلي يذهب في الدم ويحفز ظهور الصفات الجنسية ، وعلامة البلوغ الرئيسة في الذكور ظهور المني وفي الاناث ظهور الحيض (ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) • فاذا استأصلنا المبيض من الاناث والخصيتين من الذكور قبل البلوغ فلا تظهر الصفات الجنسية في الفريقين ، ويتأخر نماؤهما الجسدي والعقلي فلا يظهر المني في الذكور ولا البيض في الاناث •

لقد لخصنا التطور الاحيائي في الجنسين ، ونأتي الآن الى شرح المرحلة الثانية من المراهقة وهي سن الرشد التي تبتدىء من البلوغ حتى ما يقرب من السنة الخامسة والعشرين من العمر ، وهو التطور الاجتماعي الذي يمر بالفتى والفتاة ، ومن الامور البارزة فيه أن النضج الجسمي لا يتمشى مع النضج الاجتماعي ، ويخرج فيه الشبان والشابات الى المجتمع بخطا مترجرجة غير مزودين بالمعرفة والتجارب الكافية لملاقاة مشكلات المجتمع المعقدة ، فيخرجون من محيط ضيق سهل الى محيط واسع معقد ، ومن اختبارات محدودة الى اختبارات متنوعة لاعهد لهم بها ، وتتجدد بمرور الزمن وتزيد مشكلاتهم تعقيدا فلا يستطيعون تكييف أنفسهم لعالمهم الجديد ، وبما أن الفتيات يبلغن قبل الفتيان ، فانهن يقتحمن الجبهة قبلهم غير مزودات بالسلاح اللازم لخوض المعركة الجنسية ، سلاح الارشاد والتجارب والروية وتمييز العواقب وتجنب الانحراف بتيار العاطفة ، ويزيد الطين بلة أن نماءهن الجسمي غير متناسب مع نمائهن العقلي ، والحس الجنسي يتكون فيهن قبل الذكور ، وتبدأ علاقاتهن الجنسية مع الجنس الآخر قبل الذكور ، وبما أن نضجهن الجسمي يكتمل قبلهم (بسن العشرين) ، كما بينا ، فيكن مستعدات للزواج بحكم العامل الاحيائي والاجتماعي والعرفي قبل الذكور ، ولهذا تكون البنت معرضة في سن الرشد للحب الخيالي Romantic love وقد فرضت عليها طبيعتها والمجتمع والعرف كبت عواطفها فلا تتجرأ أن تبوح بحبها الجنسي ولا أن تصرفه بالسهولة التي يصرفه بها الصبي ، فتعمد من دون وعي الى الاغواء بحركاتها ولبسها ، وتستعيض عن حب دماها في الصغر بحب الأطفال ، وتصير ودودا جدا ، ويعرضها كتمان عواطفها للأمراض العصبية النفسية كالهستريا والخور العصبي والاغراء الجنس الآخر لها ، أضف

الى ذلك العوامل الخارجية كالسينما والروايات والصور الخليعة وغيرها من الأمور التى تصور الحياة حياة جنسية صرفة وتجعلها مبنية على الخداع والكذب والخيانة وتهديم الحياة العائلية ، فاذا زلت قدمها تعرضت للأضرار الصحية والاجتماعية ، فيحتقرها المجتمع وتعيش تعسة منبوذة فاقدة السعادة والأمل ، واذا تزوجت لاتستطيع القيام بالأعباء الزوجية كما يجب متصورة أن الزواج حب ودلال وطعام وشراب ولبس وأنس غير حاسبة للمعارك الزوجية حسابا •

ومما لاشك فيه أن اختلافها عن الذكر جنسا ، وتعرضها لمخاطر الحمل غير الشرعى وما ينتج عنه من المخاطر الاجتماعية ، وعدم نضجها العقلى الكافى فى ابان بلوغها ، كانت من العوامل القوية التى حددت حرية البنت ، وأدت الى الضغط عليها وعدم مساواتها بالصبى ، وسنتطرق الى العوامل الأخرى فيما بعد •

أما الصبى المراهق ، فتكون حالته النفسية أشد توترا من حالة البنت ؛ لأنها بلغت قبله ، وأصبح لها مركز اجتماعى اكبر من مركزه ؛ لأن البنت تصبح مطمح الأنظار أكثر من الصبى ، وخاصة اذا أوتيت حظا من الجمال • وهى تحلم بزواج سعيد ومستقبل باسم ، فتشب غير معتمدة فى شؤون الحياة على نفسها بقدر اعتماد الصبى على نفسه ؛ لأن هدف المرأة الزواج على ما سنزيده توضيحا • وبينا تحلم البنت بالزواج وتفكر فى نصيب صالح ، يكون الصبى قلقا : يفكر فى مصيره ، وفى الحرفة التى يحترفها ، وفى التبعة التى تنتظره ؛ لأنه يشعر أنه سيكون رب البيت المسؤول عنه ، وتأبى شخصيته أن يكون غير ذلك ، ولسنا ندعى أن البنت لاتشعر بهذه التبعة ، ولكن الفروق الطبيعية بينها وبين الصبى والعرف وتقاليد المجتمع فرضت هذه التبعة على الرجل أكثر مما فرضتها على المرأة ، فيشعر المراهق بضغط نفسى ، ويساوره القلق من جراء تفكيره فى نجاحه أو اخفاقه ، ومتى يتزوج ، ومن يختار من الفتيات شريكة لحياته ، أضف الى ذلك الشعور بالحس الجنسى ، والحوافز التى تغذى هذا الحس : كدور السينما ، والقصص ، والروايات ، وأحاديث الناس ، فيصير ينظر الى الشق الثانى غير نظرته الأولى التى كانت نظرة بريئة هى نظرة الرفيق الى الرفيق ، والصديق الى الصديق ، ويتعرض لاغراء العيون النجل ، والوجوه الفتانة ، والقدود الهيف ، فيلجأ الى الاستمناء وارتياد دور البغاء تصريفا للحس الجنسى ، ويتعرض للمساوىء الصحية والاخلاقية والاجتماعية التى تنجم عنها ، ويعرضه انتقاله فجأة من دور الصبا الى دور الرجولية للأمراض العصبية ، كالنيراستينيا والجنون ، وللأمراض الجسدية كالسل الرئوى وأمراض القلب وما أشبه ذلك • وبعد أن كان ولدا يؤمر وينهى ، أصبح قد دبت فيه روح الاستقلال ، فيسير نحو الرجولية

سبعة أدوار في علاقات الصبي والبنت

الطفولة

الصبي والبنت لا يلتذان إلا بنفسيهما



الحداثة المبكرة

يرغبون بمرافقة غيرهم بغض النظر عن الجنس



نحو السنة الثامنة

يفضل الصبيان اللعب مع الصبيان والبنات مع البنات



من ١٠ - ١٢ سنة

يكون الجنسان متضادين



من ١٣ - ١٤ سنة

يلتذ البنات بالصبيان ويحاولن جذبهن ويتكبر الصبيان عليهن





من ١٤ - ١٦ سنة

يلتذ الصبيان بالبنات ويتم منهم يمشون أزواجاً أزواجاً



من ١٦ - ١٧ سنة فما فوق

تصير المرافقة بين الجنسين عامة



بخطا مترجرجة ، ويزيد الطين بلة أن يرى شيئا من روح التحيز من والديه والمجتمع نحو أخته ؟ فانهما يغدقان عليها من الثياب وأدوات الزينة ، ويجعلانها معرضا للأصدقاء والزوار ، ويصدرانها فى المجالس طمعا فى زوج ، فيؤلمه من غير شعور أن يرى أخته محترمة أكثر منه فى المجتمعات ، فى داخل البيت وخارجه ، ويقع كالبنت فى الحب الخيالى ، ولكن المجتمع يبيح له ما لا يبيح للبنت ، ويغامر أنواع المغامرات : ينجح فيها أو يخفق ، ويسعد أو يشقى ، الى أن يكتمل نضجه العقلى ، والصواب والخطأ يكسبانه خبرة ومعرفة فى الأمور أكثر مما يكسبان البنت ، والمجتمع يغتفر له زلاته ، بل يشجعه عليها كما سنبينه •

ويشعر الجنسان فى هذا الدور غير شعورهما الأول ، فيميل بعضهما الى الآخر ، ويلتقيان فى دور العلم وفى المجتمعات والحفلات ودور السينما وحلقات الرقص والمتنزهات ، ويتدربان على أن يكونا زوجا زوجا ، ولكنهما يجدان تحديدا لحريتهما من المسؤولين عنهما ، فيلجآن الى الكذب والخداع ، ويضربان المواعيد ، ويلتقيان خفية بعيدين عن عيون أهلهما ، وهذه الحالات تدعو الأهل والمربين الى ارشاد المراهقين ارشادا صحيحا ، بشرح أخطار الشباب ومزالقه ، ومن أولى بالارشاد من الآباء والأمهات ؟ وكيف يتمكنون من ذلك وهم أجهل من أبنائهم ؟ لايجرؤون أن يتفوهوا ببنت شفة فى هذا الموضوع ، بل يعدون البحث فيه عيبا ومفسدة للأخلاق ، ويعرضون أبناءهم لمزالق الحياة •

وقد درس علماء النفس علاقة البنات والصبيان بعضهم ببعض فى مراحل حياتهم بحسب أعمارهم ، وتوصلوا الى هذه النتائج :

الصبيان والبنات لايفضلون جنسا على آخر فى السنة السابعة والثامنة من العمر الا اذا دربوا على غير ذلك ، ثم تعقب ذلك فترة يميل فيها الصبيان الى الصبيان ، والبنات الى البنات ، فيلعبون ويسمرون : كل جنس على حدة ، وكل فريق يلعب ألعابا تختلف عن ألعاب الفريق الآخر ، فالصبيان يميلون فى السنة الثامنة من العمر الى كرة القدم والأعمال الكشفية وغيرها من الأعمال التى تنطوى على القوة ، ويعير البنون بعضهم بعضا اذا لعبوا مع البنات أكثر مما تعير البنات من تلعب من بنات جنسهن مع الصبيان ، ويهتم الآباء فى هذه السن بالصبيان أكثر من اهتمامهم بالبنات ، فتتولد روح الغيرة والمنافسة ، ويعقب هذه الفترة فترة اللامبالاة بين السنة العاشرة والثانية عشرة ، فيتظاهر الجنسان بالنفور بعضهما من بعض ، ولكن كلما تظاهر أحدهما بالصدود عن الآخر أصبح ميله اليه أشد • وهذه الظاهرة يسميها علماء النفس « بالانعكاس Inversion »

وفى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة تتغير الحالة ، ويشتد ميل الجنسين بعضهما الى بعض ، وتبدأ البنت قبل الصبى باظهار هذا الميل ، ويتظاهر الصبيان بالصدود والكبرياء ، والبنات هن اللاتى يجذبن الصبيان جذبا خفيا بأنواع الاغراء ؛ لأنهن أنضج جنسا من الصبيان ، فينظمن الحفلات والاجتماعات ، وضروب التسلية لبلوغ أهدافهن ، ونرى تغيرا محسا بعد هذه الفترة فى السنة الخامسة عشرة من العمر ، فالبنت التى تستقر على رفيق واحد تسمو بنظر رفيقاتها • وأما الصبى الذى يميل الى فتاة واحدة ، فقد يعيره رفقاؤه ، وأحيانا أبواه ، وتبدأ العاطفة تمثل دورها فى الجنسين بعد هذه السن ، ويسيطر عليهما الحب الخيالى ، فيندفعان فى مزالق الغواية ، ويعرضان أنفسهما لضروب المخاطر الاجتماعية ، ويكون تأثير هذه الفترة فى البنت أكثر من تأثيرها فى الصبى كما بينا ، لأنها أنضج منه جنسا ، والزواج على قاب قوسين منها أو أدنى • فاذا زلقت فالويل لها ، واذا أخفقت فى مغامراتها قضت على مستقبلها وعاشت شقية بائسة • وأما الفتى فلا تؤثر فيه هذه المغامرات تأثيرها فى الفتاة ؛ لأن لديه الوقت الكافى للاختبارات والاستفادة من الصواب والخطأ ، ولا يفضح أمره فى مغامراته كالبنت ،فيسيم سرح اللهو كيف يشاء ، ويدلى دلوه مع الدلاء ، فالبنات يحتجن الى رعاية وارشاد وتحذير من العواقب أكثر من حاجة الصبيان الى ذلك ، والمجتمع غفار للفتى ، ولكنه يحاسب الفتاة حسابا عسيرا • وتعد هذه المغامرات من الذكور ضربا من الرجولية والحيوية ، ويفاخر بها الفتى معتدا بنفسه ، ويبالغ فى مغامراته أشد المبالغة ، ويكذب أحيانا ، ويجعل الحبة قبة ليبرهن على رجوليته ، ويغض الآباء والأمهات النظر عن الصبيان فى هذه الأمور تاركين لهم الحبل على الغارب ، لا بل يشجعونهم عليها ، بينما يحاسبون البنت حسابا عسيرا ، وهل يجوز للآباء أن يتسامحوا مع الأبناء فى علاقاتهم ببنات الناس وهم يستنكرونها من بناتهم ؟ ولو عقلوا لما فعلوا ، فميزان الأخلاق واحد •

خلق المرأة وخلق الرجل :

اختلفت آراء الرجال فى المرأة ، فجعلها قسم منهم ملكا رحيما ، وجعلها غيرهم شيطانا رجيما ، وشبهوها بالشموس والأقمار وبالورد والزهر ، ووصفوها بقلة العقل والثرثرة والجبن والتقلب وافشاء الأسرار وغير ذلك من النعوت المتناقضة ، وجعلوا اصلاحها وفسادها منوطا بالرجل •

ومما لاشك فيه أن الرجال الذين نظروا الى المرأة هذه النظرة السطحية كانوا متحاملين أو جاهلين ، وهى نظرة الضعيف الى القوى والسيد الى المسود ، يراه جميلا فى ساعة الرضا ، وقبيحا فى ساعة الغضب • فهل للمرأة والرجل خلق طبيعى خاص

بكل منهما ؟ مثال ذلك الأمومة ، أهى غريزية فى المرأة أم اكتسابية ؟ وحب السيطرة أهو غريزى فى الرجل أم اكتسابى ؟

الصفات بحسب قوانين الوراثة نوعان : وراثية ، واكتسابية ، فالصفة الوراثية هى التى تكون متأصلة فى الانسان ، أى موجودة فى مورثاته ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، ذكيا أو بليدا ، يرث قابلية النطق ، لكنه لاينطق اذا لم يتعلم النطق ، والحيوانات لا تنطق اذا علمتها ؛ لأن قابلية النطق غير موجودة فى مورثاتها • وأما الصفات المكتسبة فهى التى يكتسبها الانسان من المحيط ولا تكون موجودة فى المورثات ، فالانسان يكون شجاعا أو جبانا ، كريما أو بخيلا ، لطيفا أو فظا ، متكبرا أو متواضعا ، بعامل التربية • فالأخلاق تكون اكتسابية اجمالا ، ولكن الغريزة وراثية ، وفى النساء غرائز متكونة من طبيعة بنيتهن • فالمرأة أضعف من الرجل بهيكلها العظمى ، وعضلاتها ، وسائر تراكيبها الطبيعية ، كما ذكرنا آنفا ، فهذه الأمور غريزية لاغبار عليها •

ولكن هل الأمومة غريزة كالفروق الطبيعية التى ذكرناها • • ؟ وهنا ندخل فى موضوع عويص ، وهو تعريف الغريزة من الناحية الاحيائية ، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا الأساسى لنعالج موضوعا فرعيا ؛ والعلماء مختلفون فى تعريف الغريزة فمنهم من يقول ان الغرائز آخذة فى الاضمحلال فى النوع البشرى ، وصائرة الى الزوال كلما تدرجنا فى سلم الحيوانية ، فالغرائز محدودة فى الانسان ، ومعظم أعماله متولدة عن التعلم ، وان الأمومة ليست غريزية فى المرأة بل اكتسابية ، والام تحمل الولد وتلده وترضعه وتحضنه وتربيه ، فيتولد فيها روح الحنو والعطف عليه ، ولو ولدت امرأة ولدا من دون أن تدرى أنه ولدها فلا تشعر بروح العطف عليه ، أو اذا فصل عنها ورأته بعد زمن فانها تنظر اليه كما تنظر الى ولد آخر ليست لها صلة به • ولكن المرأة مارست الأمومة نحو خمس مئة ألف سنة ، وهو الزمن الذى يقدره العلماء لظهور الانسان على وجه هذا الكوكب ، وهو زمن كاف فى جعل الأمومة كالغريزة فى جنس النساء سواء أكانت هذه الغريزة مخلوقة أم مكتسبة ، فالمرأة منذ فجر التأريخ اختصت بالأمومة ، واختص الرجل بالسعى ، وهذه الحقيقة هى التى سيرت الرجل سيرا خاصا ، والمرأة سيرا خاصا ، فنرى الاختلاف ظاهرا بين الجنسين منذ الطفولة الى آخر الحياة ، فيسلك الصبيان سلوكا خاصا فى ألبستهم وألعابهم وحياتهم الاجتماعية ، وتسلك البنات سلوكا خاصا بهن ، فالبنات يملن الى الألعاب المنزلية كالبيوت والأثاث والدمى ، والصبيان يميلون الى الجنود والمدافع والطائرات ، فأصبح الميل الى هذه الأشياء كالميل الموروث ، وطبعت كلا منهما بطابع خاص به ، وتؤثر افرازات الغدد الجنسية فى كل منهما تأثيرا

خاصاً، ولا صحة للقول الذى يقول : « ان الذكر ميال بطبعه الى الاعتداء والقسوة والخشونة ، والأنثى ميالة بطبعها الى السلام والدعة والحنو » ؛ لأن الذكر يرث نصف صفاته من أمه ونصفا من أبيه ، وكذلك الأنثى ، فاذا كانت صفة الأمومة غريزية ، وجب أن تظهر فى الجنسين ، ولكن تأثير العوامل الاحيائية وافرازات الغدد الصم توجه كلا منهما توجيها خاصا .

وعلماء النفس وعلماء الاجتماع المحدثون متفقون على أن الغرائز أصبحت ضئيلة الأثر فى النوع البشرى ، وقد تغلبت عليها التيارات الاجتماعية والحضارة البشرية ، وسواء أكان الطبع أم التطبع هما اللذان يسيران الشخصية ، فقد اتصف كل من الذكر والأنثى بصفات جعلته يسلك سلوكا يختلف عن سلوك الجنس الآخر ، وسنذكر قسما منها .

العواطف :

من الأمور المسلمة علميا والمعروفة عند الناس أن عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل ، وليس معنى ذلك أنها أكثر رقة ، وانما معناه أنها أقوى فى ساعة الرضا وفى ساعة الغضب ، فتكون المرأة أكثر حنوا ورقة ، وأشد قسوة وفظاظة ، ويؤيد ذلك أن الشعوب البدائية توكل تعذيب الأسرى الى النساء ، وكان أكثر الموكلين بتعذيب المجرمين عند النازيين من النساء أيضا ، وتقسو الأم على أولادها حين تثور طباعها أكثر من الأب .

ويستنتج من دراسة Prof.Lewis M. Terman و Dr. Winifred B. Johnson فى جامعة ستانفورد للفروق النفسية بين الذكور والاناث « أن عاطفة الذكور أكثر اتزانا من عاطفة الاناث » وقال الدكتور جونسن « بالرغم من أن من المحتمل أن تكون عوامل الفروق العاطفية بين الرجل والمرأة اكتسابية بسبب القيود المفروضة على المرأة ، فمما لاشك فيه احتمال وجود عامل طبيعى للفرق بين الجنسين » .

ومما يجب الالتفات اليه مرض وهمى يصيب النساء يسمى الهستريا ، والمعروف عن هذا المرض أنه يصيب النساء على الأغلب ، ولكن الدكتور D. Gellespie ذكر فى دراسته لتأثير الحرب العالمية الثانية فى الحالات العقلية فى أثناء الغارات الجوية على لندن أن الاضطرابات العصبية الوهمية كانت بين الرجال أكثر منها بين النساء فى الأحياء التى أصابها أكبر نصيب من القنابل .

وجاء فى البيان الرسمى الذى أصدرته الحكومة البريطانية فى أيلول من سنة ١٩٤١ م عن الغارات الجوية على لندن ما يأتى :

حقيقة ، ان النساء أكثر عاطفة من الرجال فى القصص الخيالية ، ولكنهن كن دونهم

تأثرا بالعاطفة أثناء الغارات الجوية ، وسبب ذلك قوة حبهن لذويهن التي وقتهن من صدمة التأثير ببروق الحرب ورعودها ، فكن يشتغلن بهدوء أكثر من الرجال ، وكان الرجال يقومون بأعمالهم كما ينبغي ولكنهم كانوا قلقين فأثر ذلك في أعمالهم ، واستفاق النساء من تأثير الصدمات النفسية أسرع من الرجال • ومن المعالجات التي كانت متبعة للخروج من تأثير الصدمة ، قص ماحدث على المتأثرين بها ، فيزول روع الصدمة ، وقد زال عن النســاء قبل الرجال •

ولكننا نستطيع أن نعلل هــذا الفــارق تعليلا معقولا ، لادفاعا عن الرجل بل عن الحقيقة ، فان الشجعان والأشــداء كانوا من الرجال في ساحات القتــال ، ولم يبق الا الشيوخ والعجزة والمرضى • فمن البديهي أن يكونوا أكثر تعرضا للتأثيرات العاطفية من النساء ، مضافا الى ذلك عامل الشعور بالتبعة • فالرجال أكثر تحسسا بها من النساء ، فتساورهم المخاوف والقلق علىذويهم أكثر من النساء • ولقد استشهد قسم منالعلماء علىقوة العاطفة في النســاء بتأثير البنج فيهن • ولكننا اذا تذكرنا أن النســاء أصغر حجما من الرجــال ، لانستغرب ســرعة تأثرهن بالبنج ، ولكننا لانستطيع أن نجردهن من تأثير العــامل النفسي ، وقــدر الاختصــاصيون العــامل الفســيولوجي بـ ٦٥ ٠/٠ ، والنفسي بـ ٣٥ ٠/٠ •

الانتحــار :

من الأدلة المهمة على تأثير العاطفة ، وقد ثبت من الاحصاآت العامة في أميركا أن الانتحارات في الرجال أكثر منهــا في النســاء ، وأن النســاء أقل عاطفة من الرجــال في هذه النــاحيــة •

يحدث في الولايات المتحدة ثمانية عشر ألف انتحار سنويا ، ثلثاها من الذكور ، والثلث الباقي اناث • ولما طغت موجة الانتحار في المانيا النازية في أثناء الحرب العــامة الثانية ، كان أكثر حوادث الانتحار بين الرجال • ويمكننا تعليل ذلك بأن الرجال أكثر تبعة وتعرضا للضغط الجسدي والنفسي من النساء ، ولهذا كانوا ينتحرون لا عن جبن في مكافحة النائبات ، بل كانوا يضحون بأنفسهم في سبيل كراماتهم ، مضــافا الى ذلك أن الرجال أكثر تعرضا للامراض والعوارض وغير ذلك من الأمور التي تجعل الحيــاة لاتطــاق •

الفضيلة والرذيلة :

المفروض أن تكون المرأة أكثر خضوعا للقوانين والأنظمة من الرجل ، وعزا قسم من العلماء هذه السجية الى خلق فطري خاص بالمرأة ، ولكننا اذا بحثناها من الوجهة

الاحيائية نجد تعليلا لها ، وهو أن المرأة أضعف جسدا من الرجل ، فهى مضطرة الى معونته فى أثناء الحمل والولادة ، وبعدهما ، فلا تستطيع الاعتماد على نفسها فى القيام بأودها ، فتكون بطبيعتها أقل مقاومة للقوة من الرجل • وقال قسم من الثقات ان المرأة أكثر حشمة من الرجل بفطرتها ، ولكن لاننسى أن الحشمة تكون على الأكثر منبعثة من الخوف ، والتقيد بالسلوك الحسن • وعدم مخالفة القوانين والأنظمة منشؤه التربية ، وللخوف التأثير الشديد فى ردع الانسان عن مخالفة القواعد الاجتماعية والنواهى الدينية وما أشبه ذلك •

الحسد :

من الصفات العاطفية التى يفوق بها النساء الرجال • وقد رأينا من دراسة الأحداث أن البنات أكثر حسدا من الصبيان ، وتنمى هذه الصفات فى البنات وتستمر فيهن الى الكبر • ويمكننا أن نعلل زيادة صفة الحسد فى النساء على الرجال بأن النساء أقل تمتعا بالحرية من الرجال ، والقيود المفروضة عليهن أثقل من القيود المفروضة على الرجال ، فلا عجب أن يكن أكثر ميلا الى الحسد ، وقاية لأنفسهن من قيود المجتمع ، ولا يعنى ذلك أن الرجال خالون من الحسد ، بل معناه أن صفة الحسد فى النساء أبرز منها فى الرجال •

المظاهر :

المعروف أن النساء أكثر ميلا الى المظاهر الخارجية من الرجال ، فهن أكثر اهتماما باللباس والزينة والعطور وما أشبه ذلك من أنواع حب الظهور • ولكن لاننسى أننا فى عصر يفرض فيه على المرأة تقريبا هذا الضرب من الظهور •

ويظهر الرجال فى مظاهر أخرى كاقتناء السيارات والأسلحة والتحف الثمينة وما أشبه ذلك ، فالمرأة تستجيب الى رغبة الرجل فى مظاهرها ، وأما الرجل فيتمسك بالمظاهر حبا بها •

الثرثرة (كثرة الكلام فى تردد وتخليط) Gossep :

من الأمور المتفق عليها عند الرجال أن الثرثرة طابع من طابع النساء ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن ضيق مجال أعمال المرأة بالقياس الى الرجل ، وحرمانها من الحياة العامة، واضطرارها الى صرف معظم أوقاتها وهى حلس دارها ، تضطرها الى الاهتمام بالأمور الشخصية والأحاديث التى تروح عن النفس ، وتصرف العاطفة • ويرى بعض الثقات أن المرأة هى التى اخترعت اللغة فى الدور الصيدى ، اذ كان الرجال ينصرفون الى الصيد ، ويبقى النساء فى بيوتهن بغير عمل ، فاخترعن الكلام للتفاهم ولتسلية أنفسهن •

الخرافــات :

من الأمور المسلمة أن النساء أكثر انقيادا الى الخرافات من الرجال ، فهن أكثر تطبيقا للخيرة ، وكشف الحظ بفنجان القهوة ، وقراءة الكف والافكار ، ونضروب الطلاسم والسحر والرقى والتعاويذ وما اشبه ذلك • ولكن المجتمع هو المسؤول عن ذلك ، فاكراههن على الزواج ، وطلاقهن بمحض ارادة الرجل ، واباحة الرجال لأنفسهم ما حرموه على المرأة ، وغير ذلك من الأمور ، دفع المرأة الى الاستسلام للأمور الخرافية اكثر من الرجل •

الدين :

قال هافلوك الس الثقة الشهير بالأمور الجنسية : الدين من الصفات الجنسية الثانوية فى النساء ، واذا صح أن منشأ الدين الخوف ، والنساء أضعف من الرجال بصورة عامة ،فلا غرو أن يكن أميل الى الدين من الرجال • ثم عجزهن فى أيام الطمث والحمل والولادة ، والحيلولة دون اعتمادهن على انفسهن فى الحياة الاقتصادية ، يجعلهن أكثر ميلا الى الدين من الرجال حين المرض والخوف ، والكوارث وما أشبه ذلك • ولكن اذا نظرنا الى الحقيقة نرى أن الرجال هم الذين يقومون بالشعائر الدينية عند الشعوب البدائية والمتمدنة ، فالنساء ما زلن ، بحكم العرف ، بعيدات عن القيادة الدينية فى المجتمعات النسوية ، ويجب أن لا تتخذ حضورهن الاجتماعات الدينية فى الكنائس وغيرها أكثر من الرجال دليلا على شدة تدينهن ؟ لأن الناحية الاجتماعية كالتسلية والتحدث ومبادلة الآراء وغيرها ، هى التى تجذبهن الى ارتياد هذه الأمكنة • ان اتجاه النساء الدينى حدث جديد فى تاريخ حضارة البشرية ، فالزعامة الدينية كانت ولا تزال للرجال •

الخــداع :

من الأمور المسلمة عند الرجال أن الخداع بين النساء أكثر شيوعا منه بين الرجال ، وقد وضع قواعد هذه التهمة الايطاليان المتخصصان بعلم الجرائم Lambroso و Ferrero واستندا فى حكمهما أن المرأة أكثر خداعا من الرجل الى الأمور الآتية :

(١) ضعف المرأة الجسدى الذى يجبرها على اللجوء الى الخداع والحيل والالتواء فى التوصل الى غاياتها •

(٢) الطمث ؟ لأن كتمانها اياه يولد فيها روح عدم الصراحة فى أمورها الأخرى فيصير الكتمان خليقة عندها •

(٣) الأدب (الحشمة) : ان خجل المرأة من الصراحة فى الأمور الجنسية يحملها

على الكتمان .

(٤) اجتذاب الرجل ، فان المرأة تتصنع بلبسها وزينتها وسائر مظاهرها الأخرى لاجتذاب الرجل .

ولا حاجة بنا لتفنيد هذه النظريات ، فانها مستوحاة من روح العصر الذى عاش فيه هذان العالمان ، ولا نستطيع مهما انتحلنا من الأسباب أن نلصق تهمة الخداع بالمرأة وحدها ، بل هى سجية عامة فى الجنس البشرى . فاذا كانت المرأة تخدع لماما ، فالرجل يخدع دواما ، وأخلاق الرجل وعدم انصافه المرأة فى أمور كثيرة تلجئها الى الخداع والكذب ، ولا حاجة بنا الى التوسع فى هذا الموضوع ، فكل رجل أعلم بدخيلته ، فالرجل يفرض صدقه بالقوة على المرأة .

البديهة وسرعة الخاطر :

ويعدها الرجال حاسة سادسة فى النساء ، والنساء أقدر من الرجال على حل الألغاز والأحاجى وما أشبه ذلك ؛ لأن المرأة منذ حداثتها تتدرب على الدقة فى النظر الى الأشياء بسبب تأثيرها فى علاقاتها بالناس ، وهى تهتم بالأشخاص المتصلين بها أكثر من الرجل ؛ لأن الرجل يميل الى الأمور المجردة أكثر من المرأة ، والمرأة أقدر من الرجل فى تقدير شخصية الناس بسبب تمرنها على تربية الأولاد وتكرار ملاحظتها لهم فى طعامهم وشرابهم ولباسهم ، فتصبح دقة ملاحظة الأشياء سجية فيها ، ويصدق الشىء نفسه على اناث الحيوانات اللاتى هن أكثر تيقظا وانتباها من الذكور ؛ لأنهن أضعف منهم ، والذكور يعتمدون على قوتهم ، والقوى لا يتحذر بقدر الضعيف ، والبديهة ضرورية للمرأة لوقايتها فى حياتها الاجتماعية .

الحياة الجنسية :

لانعنى بالحياة الجنسية الأمور الجنسية الصرفة التى يتمتع بها الانسان ، بل السلوك الخاص أو مجموع الصفات التى يتصف بها كل جنس ، وهى النشأة ، السلوك ، المراهقة ، الدوافع الجنسية ، وغير ذلك من الأمور .

لقد ذكرنا ، فيما سلف ، الفروق الطبيعية بين الذكر والأنثى وما تولده من الفروق فى وظيفة كل منهما فى الحياة ، ونذكر الآن سلوكهما الاجتماعى . من الحقائق الاحيائية أن نطفة الذكر هى التى تسعى الى نطفة الأنثى قبل عملية التلقيح ؛ لأن نطفة الأنثى لا تتحرك ، بل تجتذبها قناة الرحم من البطن . وللمرأة مبيضان : واحد من كل جانب من جانبى البطن ، وهما متصلان بالرحم برباط خاص ، وفيهما نحو من خمس مئة بيضة ، فتضع المرأة فى الا حوال الطبيعية بالتناوب من كل مبيض

بيضة فى الشهر ، شاءت أم أبت ، وهى لا تتحرك ، بل تجتذبها قناة الرحم الى داخلها كما بينا ، حيث تنتظر نطفة الذكر • وأما الرجل فيخرج ملايين الحيوانات المنوية فى الدفعة الواحدة ، تسبح فى المنى بواسطة ذنبها ، متلمسة طريقها نحو البيضة ، وهى تسير بسرعة ٧٠ مليمترا فى الساعة • ويختلف الرجل عن المرأة فى أنه يستطيع اخراج الحيوانات المنوية متى شاء ومنع خروجها حين لا يشاء • والحيوان المنوى الذى يصل قبل أقرانه ، يدخل البيضة ، ويسد الطريق بوجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تقضى نحبها ، وتبقى هذه الخلية الملحقة فى قناة الرحم نحوا من ثلاثة أيام • والطريف فى هذا الحديث أن البيضة هى التى تغذى الجنين فى هذه الأيام العجاف من الغذاء الذى ادخرته لهذه المجاعة ، وبعد مضى ثلاثة أيام تنتقل البيضة الملقحة الى الرحم حيث تنغرس فيه ، وتستمد غذاءها منه •

تظهر فلسفة التلقيح حقيقتين أساسيتين فى تكوين الانسان ، وهما : أن نطفة الذكر هى المنوط بها الحركة والسعى ، والأنثى لاعداد الغذاء والحضانة ، والحياة لا تتم فى الانسان من دون تعاون هاتين النطفتين •

والظاهرة الثانية فى النساء هى أن حياتهن التناسلية أقصر منها فى الرجال ، اذ ينقطع الحيض فى المرأة بين سن الـ ٤٥ ــ ٥٠ حين تبلغ سن اليأس ، بينما يبقى الرجل مستعدا للتلقيح الى سن الستين فما فوق ، ومن الرجال من نقحوا فى الـ ٩٤ من العمر • ان العزة الالهية شاءت تقصير تناسل المرأة لحفظ حياتها من كثرة الحمل ، والتعرض لمخاطره ، والا مات كثير من النساء اذا استمررن على الولادة الى ما بعد الخمسين •

ذكر العلماء صفات خاصة للمرأة والرجل فى حياتهما الاجتماعية تؤيد الحقائق الاحيائية ، ومن أبرزهم لويس تيرمان الشهير مستنبط امتحان الذكاء ، وقد وضع بالاشتراك مع السيدة كاترين كوكس ميلز من جامعة كاليفورنيا امتحانا للذكورة والأنوثة ، فوضعا سلسلة من الرسوم طلب من الرجال والنساء أن يعرفوا أى شىء تشبه هذه الرسوم ، فرسما رسوما خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء ، وتوصلا بوساطة هذا الامتحان الى النتائج الآتية :

يكون الفرد أميل الى الذكورة اذا كان محبا للمخاطرة ، ميالا الى العمل فى خارج البيت ، محبا للأعمال الفنية ، ميالا للآلات والأشياء الحيلية ، مشغوفا بالعلم والأمور الطبيعية والاختراعات ، ميالا الى الأشغال التجارية ، ويكون ميالا لحد ما الى المدافعة عن النفس والمهاجمة والخشونة والجسارة وعدم التأنق فى اللباس ، والتقيد بالآداب

الاجتماعية وتنميق الكلام . ويكون الفرد أميل الى الأنوثة اذا كان محبا للأمور المنزلية والفن والأدب والموسيقى والبقاء فى داخل المنزل ومواساة العجزة والمنكوبين والأعمال الأدبية ، ويكون الى حد ما شفيقا خجولا حنونا .

الجرائم والجنس :

من الأمور التى يختلف فيها سلوك الجنسين قضية الجرائم ، فالثابت من الاحصاءات المختلفة أن الرجال أكثر ارتكابا للجرائم من النساء ، فالقتل والسرقات والسلب والنهب والسطو والتعدى على الأعراض والسكر ومخالفة القوانين وغيرها من الجرائم، تكاد تكون من محتكرات الرجال ، وهى فى الرجال بصورة عامة أكثر منها فى النساء ، ولا حاجة بنا الى سرد الاحصاءات التى قد تزعج القراء . ومن الجرائم الأخلاقية البارزة فى النساء البغاء ، فان معظمه بين النساء ، ويوجد بغاء فى الرجال فى بعض الأقطار الأوربية وغيرها ، ولكنه قليل جدا بالنسبة الى وجوده بين النساء . وموضوع البغاء مستقل بنفسه لا يسمح لنا الوقت بالدخول فيه .

اللباس :

القصد الأساسى من اللباس وقاية الجسم من الحر والبرد والطوارىء الخارجية ، ومنع الأذى عنه ، واراحته ، وهو مظهر من مظاهر الزينة والاغواء ، كاللباس القصير ، والمزركش والضيق ، ورمز الى مهنة الانسان كالعمامة والقلنسوة ، والأكمام الطويلة ، والمعوزة للطبيب ، والطيلسان (الروب) للمحامين وغيرهم من أصحاب الألقاب العلمية . يرمز قسم من الألبسة الى مهنة الشخص ومركزه الاجتماعى ، واللباس رمز من رموز الفوارق الجنسية الخارجية ، وليست أزياء الرجال التى ترتديها النساء الآن ، كالبنطلون ، وربطة الرقبة ، سوى اعتراف بتقليد المرأة للرجل ، وأن مظهره خير من مظهرها ، وهو اعتراف من النساء بسيادة الرجال ، وبعدهن عن ابتكار أزياء خاصة بهن . واذا درسنا لباس النساء ولباس الرجال ، رأينا أن لباس كل منهما ملائم لتركيبه الجسدى ، وتشبه جنس بالآخر يدل على تفوق الجنس المتشبه به . وقد حرمت بعض الشرائع تزيى النساء بزى الرجال ، وجاء فى الاصحاح الثانى والعشرين ، العدد الخامس من سفر التثنية فى العهد القديم : « لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس ثوب امرأة ؛ لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب الآهى » .

وهناك أمور تقليدية فى لباس الرجل والمرأة ، لا تعرف لها أسباب حقيقية ، منها أن الرجل يضع أزرار ثيابه فى اليمنى من سترته ، والعرى فى الجهة اليسرى ، وتعمل المرأة عكس ذلك ، أى تضع الأزرار فى الجهة اليسرى والعرى فى الجهة

اليمنى ، وقد منع النازيون فى ألمانيا وايطاليا النساء من التزيى بزى الرجال فى أثناء الحرب العالمية الثانية •

والمعروف أن النساء أكثر اهتماما باللباس والزينة من الرجال ، وهذا هو الواقع فى عصرنا الحديث • ولكن اذا رجعنا الى الحقيقة نرى أن الرجال كانوا أكثر من النساء اهتماما باللباس حتى القرن التاسع عشر ، وفى زمن البابليين والآشوريين والمصريين واليونان والرومان وفى القرون الوسطى بأوربة الى القرن التاسع عشر ، كانت الأزياء محصورة بالرجال ، ولا تزال الألبسة التقليدية للرجال ظاهرة حتى الآن فى انكلترة ومصر وتركية • واهتمام النساء بالألبسة مبعثه استجابة النساء الى رغبة الرجال ، وقد غالين أشد المغالاة وخرجن عن حدود الحاجة الى الزينة والاغواء والاسراف ، فالمرأة تصرف معظم أوقاتها بدرس الأزياء والخياطة والتجول فى الأسواق ، لاختيار الأقمشة الصالحة لها أكثر مما تصرفه فى شؤونها المنزلية •

توزيع الأعمال :

ذكرنا آنفا الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل ، وسنبحث الآن فيما اذا كانت هذه الفروق تؤهل كلا منهما لأعمال خاصة ، ونبدأ بأبينا آدم وأمنا حواء • لنفرض أن آدم وحواء كانا متساويين بأعمالهما فى بدء حياتهما ، فلما حملت حواء وجدت نفسها أضعف مما كانت قبلا ، وصارت بالتدريج عاجزة عن الأعمال الشاقة ، ومضطرة الى الراحة والسكينة ، فاضطر آدم أن يقوم وحده بالصيد والقنص ، وحمل الأثقال ، ومكافحة الأعداء من الحيوان ومقاومة العوامل الطبيعية • ولما وضعت حواء ولدا اضطرت الى ارضاع طفلها ورعايته ، وأصبحت قابليتها للأعمال الأخرى محدودة ، ثم حملت ثانية قبل فطام ولدها ، فأفقدها الحمل عن العمل • واستمر آدم يسعى فى مناكب الأرض ليأكل هو وامرأته من رزقها ، فيصطاد الحيوانات ، ويحارب الأعداء من الحيوان وغيره ، ويقوم بغير ذلك من الأمور التى تتطلب قوة جسدية ، فاعتاد هذا الضرب من الأعمال • أما حواء فكانت مضطرة الى البقاء فى الكهف ، والاكتفاء بالأعمال الهينة التى لا تتطلب جهدا جسديا ، كالتقاط الحبوب الموجودة بالقرب منها ، وجمع الأعشاب والبقول وتهيئتها للطعام ، واعداد البيت والثياب ، فصارت متخصصة بها أكثر من آدم ، كما صار آدم متخصصا بالأعمال التى تحتاج الى قوة جسدية ، وقد مضت آلاف السنين ، ويقدر العلماء تاريخ وجود الانسان فى هذا الكوكب بنحو ٥٠٠٫٠٠٠ سنة ، وحواء وآدم يعيشان هذه العيشة ، ويسلك كل منهما سلوكا خاصا فى أعماله ، تدرب عليها آلاف السنين حتى صار متخصصا بها ،

فالولادة والرضاعة عاملان أساسيان فى توزيع الأعمال بين الجنسين ، وهناك عوامل طبيعية أخرى ذكرناها سابقا ، وهى فواق الرجل المرأة قوة ووزنا وحجما ، وسنتطرق الى مستنبطات المدنية الحديثة التى جعلت المرأة تستغنى عن الارضاع والطبخ وادارة البيت حينما نبحث فى المساواة بين الرجل والمرأة ، وقد حذرت دائرة تشغيل النساء فى أمريكا تشغيل المرأة بالأعمال الشاقة كصناعة الأسلحة والتعدين وصناعة المكائن الثقيلة وما أشبه ذلك ، وجاء فى تقرير الدائرة نفسها ما يأتى :

ان قوة المرأة أكثر بقليل من نصف قوة الرجل ، والأعمال الثقيلة تؤثر فى بنية المرأة الطبيعية ، ومن المحتمل أن تحدث عيوبا فيها تؤثر فى ولادتها . وقد يؤدى الوقوف الطويل المستمر الى اضطراب الحيض ، ويعرض المرأة الى ظهور الدوالى ، أو تجمد العروق الدموية فى الساق ، وتتعرض النساء الحبليات اللاتى تحملن أحمالا ثقيلة الى عيوب العمود الفقرى وغيره من أجهزة الجسم ، ويضرب الكثيرون منا المثل بقوة النساء القرويات اللاتى يلدن فى الطريق ويقطعن المشيمة بأيديهن بدون أن يصبن بأذى ، ولكننا نجهل الأخطار التى يتعرضن لها ومقدار العيوب الجسدية والوفيات التى تحدث فيهن .

قال الأستاذ George Murdoch المتخصص بعلم الانسان فى جامعة ييل : تعفى المرأة فى الجماعات البدائية من الأعمال تقريبا حين الولادة ، ولا يوجد فى أية قبيلة امرأة تعود الى أعمالها بعد الولادة حالا .

وبالرغم من مساواة المرأة بالرجل عند السوفييت ، فقد منعوها عن الاشتغال بالأشغال الشاقة ، وقالوا ان الأعمال الشاقة مضرة للمرأة ، ووجد أن ثلاثة أرباع النساء اللاتى يشتغلن بصناعة الفحم والتعدين أصبن باضطراب الحيض .

وقد وجد المتخصصون فى المعامل الانكليزية أن النساء اللاتى اشتغلن فى تجهيز الذخيرة فى هذه المعامل كن يساوين الرجال لحد ما ، ولما زيدت ساعات العمل أصبن بأضرار أكثر من الرجال ، ولما زيدت ساعات العمل من عشر الى اثنتى عشرة ساعة ، زادت اصابات النساء ضعفين ونصفا على الرجال ، فأغمى على كثير منهن ، بينما كانت اصابات الرجال قليلة .

الرياضة البدنية :

من الأمور المسلم بها أن الرجال أقوى من النساء بصورة عامة فى ضروب الألعاب الرياضية وخاصة العنيفة منها ، والاحصاءات كلها تؤيد هذه الحقيقة ، ولم

يسجل للمرأة أى تفوق فى الألعاب الرياضية ، فالفواق فى الركض ، والقفز العالى والعريض ، ورمى الأثقال والجريد وغيرها من الألعاب الرياضية ، كان الرجل المجلى فيها ، وتشذ السباحة عن الألعاب الاخرى ، فان فواق الرجال قليل فيها ، ويعزى ذلك الى أن السباحة تحتاج الى توازن حركات الجسم ، ونصيب المرأة كبير منه ، وقد اشتهرت Even Helene Moody بلعبة (التنس) فأحرزت البطولة فيها ، ولكنها لم تلعب منفردة ، وليس لدينا ما يثبت فواقها على رجل وحدها ، قال William T. Tider أحد كبار اللاعبين : بالرغم من أن النساء ماهرات جدا فى لعبة التنس كالرجال فان عوائقهن الطبيعية ، كتحديد الطول والوزن ، وسرعة نقل القدم ، وبنية أجسامهن ، تحول دون فواقهن على الرجال ، فهل فواق الذكور من هذه الناحية طبيعى أم اكتسابى متولد من التدريب ؟ لقد مر بنا أن بنية الرجل الطبيعية تجعله أقوى وأكثر تحملا للتعب وأسرع من المرأة فى الحركات الطبيعية . قامت لجنة متخصصة فى لندن بدراسة أنواع التعليم الرياضى للبنات Physical Education ، فقررت عدم اعطائهن رياضة عنيفة ، ولم تسمح لهن بالرياضة العنيفة الا لمدة قصيرة ؛ لأنها تضر صحتهن ، وتؤثر فى أجهزتهن التناسلية ، ولكن الحضارة الانسانية جعلت البشر يتخطون الحواجز الطبيعية .

الحرمات :

للحرمات تأثير كبير فى حياة الانسان ، وتكاد تتساوى الأمور الوراثية ، والوراثة الاجتماعية تبارى الوراثة الطبيعية فيرث الناس التقاليد الاجتماعية جيلا عن جيل ، وقد تأثر البشر بالتعاليم الدينية ، وأصبحت عقائدهم راسخة فى نفوسهم ، وقد جاء فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين من العهد القديم فى مخاطبة البارى عز وجل لحواء وآدم « بالوجع تلدين أولادا ، والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك » .

وقال لآدم : « لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها » .

وفى القرآن الكريم : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

وقد أثرت حرمات الطمث تأثيرا كبيرا فى حياة المرأة والاستفادة من الفرص التى تهيأت لها لمساواة الرجل فى الأعمال الشاقة ، فالمرأة لاتجوز لها الصلاة ولا الصيام فى أثناء الطمث ، وحرمت كل الأديان السماوية على المرأة ممارسة الشعائر الدينية فى أثناء الحيض ، وجاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين : « اذا احبلت امرأة وولدت

ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى طمث علتها تكون نجسة ، وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها » .

فنرى من هذه الأقوال وغيرها أن الحرمات الدينية والاجتماعية نحت المرأة عن أعمال الرجل ، ولا نرغب فى أن نخوض فى فلسفة هذه الحرمات ، فمن الممكن أنها استهدفت خير المرأة ، فالطمث والحمل والولادة تؤثر تأثيرا بارزا فى قواها الجسدية . وهناك حرمات اجتماعية مضافة الى الحرمات الدينية حددت أعمالا للرجل وأعمالا للمرأة ، فالرجل الذى يحوك أو يطرز أو يغسل ثيابا أو طفلا يهزأ به الناس ، ويعيب الناس الرجل الذى يعمل أعمال المرأة ، ولا يعيبون المرأة التى تعمل أعمال الرجل . وقد أثرت الحرمات الدينية والاجتماعية فى الجنس البشرى تأثيرا كبيرا ، وجعلت المرأة تختص بأعمال غير أعمال الرجل ، وقد درست لجنة من جامعة « ييل » بارشاد أستاذ علم الانسان فى هذه الجامعة حياة ٢٢٢ قبيلة تمثل قبائل العالم المختلفة ، وتوصلت فى بحثها عن أعمال الرجل والمرأة الى النتائج التى تراها مشروحة فى الرسم .

شريف عبد الله

نسبة توزيع الاعمال بين النساء والرجال في (٢٢٤) قبيلة
من قبائل العالم قام بدراستها جماعة من أساتذة
جامعة " ييل "

نسبة الذكور المئوية	محصورة في الذكور	السائدة في الذكور	مشتركة بين الجنسين	السائدة في الاناث	محصورة في الاناث	نسبة الاناث المئوية
الحرب ١٠٠٪						٠٪
التعدين ١٠٠٪						٠٪
الصيد والقنص ٩٧٪						٣٪
صيد الاسماك ٨٦٪						١٤٪
التجارة ٧٤٪						٢٦٪
الزراعة ٤٨٪						٥٢٪
تحضير النار ٣٠٪ ½						٦٩٪ ½
صناعة الخزف ١٨٪						٨٢٪
صناعة الثياب ١٦٪						٨٤٪
الطبخ ٨٪ ½						٩١٪ ½

الجغرافيا عند المسلمين

والشريف الادريسي(*)

السلام عليكم . أحييكم ، وأشكركم على اجابة دعوة المجمع لسماع محاضرتي في هذا المساء عن (الجغرافيا عند المسلمين ومقام الشريف الادريسي بين الجغرافيين الاسلاميين) : هذه المحاضرة التي اخال أن ما سأورده فيها هو غير بعيد عنكم علمه ، ولعله لايستحق ماكلفكم من جهد الطريق . غير أن ذلك هو جهدي ومبلغ علمي ، لم أظفر بأكثر منه ، وبحسب المقل جهده ، ولن يستطيع امرؤ أن يعطي أكثر مما يملك .

على أنني ـ ان لم أوفق أن أضمن محاضرتي أشياء غير غريبة عنكم ـ أرجو أن لا أحرم التوفيق في شيء واحد ، ذلك هو اثارة (الشعور بالعزة القومية) في أنفسكم ، بما أوجب البحث العلمي أن أعرض له : من صنيع الأجداد العظماء في بناء الحضارة الانسانية ، والمجد الباذخ الذي شادوه لأنفسهم وللعالم في ميادين الحياة ، بما كانوا يتحلون به : من علو الهمم ، وطموح العزائم ، وتعشق المغامرات ، والدؤوب على تذليل الصعاب والعقاب التي تعترضهم في سبيلهم الى امتلاك أعنة السيادة المطلقة وحيازة الشرف الرفيع .

والرجاء في عرض هذه الذكريات العذبة أن تنفع في باب اعتبار الحفدة والأبناء بمحاسن صنيع الأجداد ، وأن تؤدي اثارتها واسماعها للجيل الناشيء الى الانبعاث في سبيل تلك العظمات والخلائق المسلمة من كل عار ومأثم

ولست أذكر الماضين مفتخرا   لكن أقيم بهم ذكرى لمدكر

وبعد ، فانني قد صاحبت (الشريف الادريسي) أكثر من عام في نقل (خارطته)(1) التي نسقها (المستشرق الألماني كونراد ملر) ، وفي تحقيقها برجوعي الى أصول كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) والى كتب أئمة الجغرافيين الاسلاميين . فلما أردت

(*) محاضرة القاها الأستاذ محمد بهجة الأثري مساء ٢٧/٥/١٩٥٠ بدار المجمع العلمي العراقي

(1) وشاركني في نقلها الدكتور جواد علي أمين سر المجمع

أن أهيىء بحثى عنه ، لم أجد بدا من تحديد مقامه العلمى بين الجغرافيين الاسلاميين ، واقتضى ذلك البحث فى الجغرافيا عند المسلمين وأصالتهم فى مقامهم العالى فيها فى الفترة الطويلة بين عهود اليونان وعهود هذه الحضارة الأوربية ، فمضيت فيه ، فاذا نفس الكلام يمتد ويطول ، وأنا أرده الى الاختصار والايجاز مراعاة لوقت المحاضرة ، حتى استطعت أن أركز ، وأسوى منه هذا الكلام الذى ستسمعونه •

أما بحثى فى الشريف الادريسى و « خارطته » ، فلا مندوحة لى من ارجائه الى وقت آخر يتسع له ان شاء الله •

*
**

قضت طبيعة الجزيرة العربية تلك الطبيعة الضنينة القاحلة على سكانها البداة بضنك العيش وشدة العوز والفاقة ، فاستفزهم ماهم فيه من ذلك الى الرحلة والتجوال فى مواسم السنة كلها ، ملحين فى تتبع الغيث ، وانتجاع مواطن الكلأ والماء ؛ فأوغلوا فى بطون الأودية ، وجابوا السباسب والقفار الى منابت الشجر ، مشرقين ومغربين ، متهمين ومنجدين ، سدا لقم حاجاتهم ، وارتيادا لما يقوم بمؤنهم ومراعى ابلهم وسوائمهم •

فأكسبهم ذلك علما واسعا عجيبا بكل بقعة من بقاع وطنهم المتسع الأرجاء ، الممتد من ريف العراق الى أقاصى اليمن وبحر الهند ، ومن البلقاء وبحر القلزم الى بحر عمان ، كما دلت على ذلك أخبارهم ، وزخرت به أشعارهم من أسماء الأماكن والأودية والجبال والبقاع مما لانظير له فى أشعار أمة أخرى •

وقد بلغوا من الاهتداء فى البر والقفر أنهم كانوا يتعرفون أحوال الأمكنة ، من غير دلالة عليها بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية ، بقوة الشامة فقط ، فيستدلون على البقاع ، وهم فى بطون الفلوات ، بسوف ترابها ، أى شمه ؛ ليعلموا أعلى قصد هم أم على غير قصد ، أو يستدلون عليها برائحة بعض النباتات فيها ، أو بحركة حيوان مخصوص ، كما يستدلون بمثل ذلك على وجود الماء فى بطن الأرض • وما برحت هذه الظاهرة مشهودة عند العرب الرحل فى أيامنا على نحو ما تأدى الينا من بينات التأريخ وشواهد الشعر •

ذلك هو شأن سكان الصحراء من العلم بالأمكنة والبقاع •

أما سكان الحواضر والقرى ، كأهل مكة والطائف ويثرب ، فقد تجاوز علمهم بالبلدان الى ماوراء البوادى العربية ، الى الحبشة واليمن والشام والعراق وغيرها مما بلغوا برحلاتهم ، فقد صح أن العرب كانوا على اتصال سياسى بمن حولهم من الأمم

كالفرس والروم ، وأن منهم أناسا أصحاب تجارة كانوا على اتصال اقتصادى بمجاوريهم ، يرحلون اليهم فى تجارتهم ، ويلابسونهم فى شؤون المعاش ، « ويقتنون الأملاك والضياع ، وينزلون البلاد المجاورة كأن تلك البلاد أجزاء متممة لبلادهم على اختلاف بينهم وبين ساكنيها فى الطباع والألسن » ، « واستولت قريش على التجارة فى الجاهلية ترحل فيها رحلتين : رحلة الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم فى أرض الحبشة ، وأخرى نحو الشام وبلاد الروم فى الصيف » ، على نحو ما جاء فى السورة المعروفة : (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) . « والايلاف شىء كان يحمله هاشم لرؤساء القبائل من الربح ، ويجعل لهم متاعا مع متاعه ، ويسوق اليهم ابلا مع ابله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار ، ويكفى قريشا مؤونة الأعداء ، فكان المقيم رابحا ، والمسافر محفوظا » .

ولا أشك فى أن من العرب قبل الاسلام تجارا وملاحين تمرسوا بركوب البحار الى البلاد النائية ، فركبوا البحر الأحمر الى مصر وبلاد الحبشة ، وركبوا بحر عمان والبحر الهندى الى شواطىء فارس وحواشى بلاد الهند ، يصدرون اليها ، ويستوردون منها ، حتى صح لبعض شعرائهم أن يفتخر بكثرة سفن قومه فى البحر فيقول :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا !

ولولا صلتهم هذه بالبحر ، واصطناعهم له فى مرافقهم ، لما سهل على شاعر آخر ، وهو طرفة بن العبد ، أن يصف السفينة فيبدع فى الوصف والتشبيه ، ولا ينسى الى ذلك أن يسمى مكان بنائها وبناءها ، فيقول :

كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من (دد)
عدولية أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المفايل باليد

والخلايا : هى السفن العظام ، واحدتها خلية . وعدولية : منسوبة الى عدولى ، وهى قرية بالبحرين . وابن يامن : كان ملاحا من أهل البحرين .

ومن أجل هذا اكتسب هؤلاء معرفة بالأقطار المجاورة ، وعلما بالمسالك والممالك لاغبار عليه ، على قدر ما انتهت اليه عزائمهم ، ووقفت عنده مصالحهم ؛ وهو ميراث ورثه الخلف من السلف ، وظهرت آثاره فى عهود التدوين كما سيأتى الكلام عليه .

*
**

ولما نجم الاسلام فى العرب ، وكان هدفه أن ينتظم هذه الأرض من مشرقها الى

مغربها ، وكان تحقيق هذا الهدف لايتم الا بأن يحبب اليهم الضرب فى الأرض ، والابعاد فى الرحلة عن الأهل والوطن برا وبحرا ، جهادا فى سبيل الله ، واعلاء لكلمته • • أذكى القرآن العزائم فى معارض مختلفة ، ليحملها على اقتحام أجواز القفار ، وأواذى البحار ؛ ذلك لأن النفوس لاتزكو بالقعود فى الرحال ، والمطالب الجسام لاتنال بالركود على حال من الأحوال ، وانما تزكو النفوس وتصلح بالتنقل والارتحال ، للاطلاع على الغرائب ، والاستطلاع للعجائب ، وكشف الجديد من المشاهد والملامح والصفات ، كما تنال الا راب ، باستسهال الهمم للصعاب والعقاب ، وانبعاث العزائم الى تجشم خطيرات الأمور ، والسعى فى تذليل كل شاق عسير

ألم تعلمى أن الثـواء هو التـوى وأن بيـوت العـاجزين قبـور ؟
وأن خطـيرات المهـالك ضمن لراكبهـا أن الجـزاء خطـير ؟

وآيات القرآن التى أذكت العزائم فى معارضها المختلفة للضرب فى البر وركوب البحر ، ليست بعيدة ممن يستصبحون بأنوار كتاب الله ، ويقبسون أزوادهم الروحية من مثله العليا !

من من المسلمين لايتـذكر آيات الدعوة الى السير فى جوانب الأرض ، ذات الطول والعرض « أو لم يسيروا فى الأرض ؟ » (٣٠ – ٩) • « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور » (٦٧ – ١٥) • « قل : سيروا فى الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (٦ – ١٢) • « أفلم يسيروا فى الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٢٢ – ٤٦) •

ومن من المسلمين لايتذكر آيات الدعوة الى ركوب الجوارى المنشـآت فى البحر كالأعلام ، للانتفاع مما فى البحر من لحم طرى يؤكل ، وحلية تلبس ، وخير يفاد ؛ ومما يؤدى اليه ركوبه من الاتصال بالعالم ، ومعرفة البلاد والعباد ، وعليها يكون قيـام العمران ؟

« الله الذى سخر لكم البحر ، لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشـكرون • وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعـا منـه ، ان فى ذلك لا يات لقوم يتفكرون » (٤٥ – ١١) • « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشـكرون » (١٤ – ١٥) • « ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ، لتبتغـوا من فضله ، انه كان بكم رحيما » (١٧ – ٦٧) • « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام »

• (٢٤ – ٥٥)

ان هذه الدعوة القرآنية الى الانتشار فى العالم المعمور ، بتحبيب الضرب فى الأرض ، وركوب البحار ، قد وافقت من العرب طبيعة مواتية ، واستعدادا موروثا كسبوه من هذا التطواف الدائم فى مواطنهم ، والرحلة الى البلاد المجاورة وغيرها ، على نحو ما وصفت قريبا •

فما ان استجابوا الى الاسلام ، وأنشأوا دولته ، وحركتهم حوافز نشره الى الفتح ، حتى انبعثوا الى أكناف الأرض جهادا فى سبيل الله ، ونشرا لدينه ، فأوغلوا فيها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وركزت جيوشهم الغازية أعلامها الخفاقة شرقا على نهر الجنجس فى الهند وتخوم الصين ، وغربا على نهر اللوار ومعابر الألب • جابوا اليها بطون القفار ، وتوقلوا فى الجبال ، وركبوا متون البحار ، فى تأريخ حافل بالعجائب والمدهشات • واستتبع هذا الفتح الواسع امتزاجا عاما بين الشعوب ، ونشاطا عظيما فى الحياة شمل العالم المعمور كله ، ولم يسبق له مثيل فى التأريخ •

كان العالم نائما فأيقظه العرب بترنيمة التوحيد ، ونوروا بصيرته بالاسلام ، وبصره بنور الحياة • هدوه ، وآخوه ، وهذبوه ، وعلموه الحق والعدل والمساواة ، وما رأينا قبلهم ولا بعدهم أمة فاتحة جعلت أمرها وأمر الشعوب المفتوحة شيئا واحدا •

لقد لابس العرب ، بعد الفتح الاسلامى ، أمم الأرض بالمصاهرة والمتاجرة والحكم وجميع ضروب التعاون المطلق فى كل جانب من جوانب الحياة ، وما كان هذا نصيب أمة أخرى من قبلهم ولا من بعدهم الى يوم الناس هذا •

فلا عجب ان رأينا الأمن فى عهودهم الراقية الزاهية قد عم ، حتى شاهد البر والبحر فى كل جهة من جهات العالم قوافل التجار ذاهبة آئبة بين الشرق والغرب ، وهى تحمل حاصلات الأمم ومصنوعاتها من قطر الى قطر طوال مواسم السنين ••• وجموع الحجاج من أقاصى الأندلس الى حواشى الصين ، وهى تجيش بالحركة والنقلة فى طول البلاد وعرضها ، لتلتقى فى عراص البلد الحرام حول الكعبة على وحدة العقيدة ووحدة الهدف ، فى ظلال الأخوة الاسلامية العامة ••• ورواد العلم ، وهم كالجيوش عدا ، يرحلون من بلادهم فى كل ناحية من الانبراطورية الاسلامية الى مراكز النشاط العلمى فيها كمكة والقاهرة وقرطبة ودمشق وبغداد وكبريات حواضر ماوراء النهر ، للتأدب والتعلم والتفقه والأخذ من أفواه العلماء ••• والبرد السلمية والبرد الحربية ، وهى تربط أجزاء الانبراطورية العظمى بحمل الرسائل والأخبار من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق برا وبحرا ، فى أوقات معينة ، وأنظمة دقيقة ، وسرعة عجيبة يسروها

بما أوجدوا من محطات للبريد تسمى السكك وهى مزودة بالخيل والراكبين على مسافات معينة ، كل ثلاثة أميال أو فرسخين ، بل كان بين المغرب والمشرق شبه تبادل دولى فى البريد ، فكان بريد الترك يصل الى برسجان الأعلى وهو حد الصين ، وكان بريد آسية الصغرى يواصل الرحلة الى القسطنطينية •

وهذا ونحوه مما لم نذكر من أسباب النشاط والحركة والاتصال ، قد أدى الى اتساع معارف المسلمين بالممالك والمسالك اتساعا لم تتيسر مثله لليونان ولا للرومان ولا للفينيقيين ، وكانت هذه الأمم قبل العرب والاسلام أقدم تجار العالم ، وأكثرهم أسفارا ، وأغزرهم علما بالبلاد والمسالك ، ولكنها لم يتح لها ما أتيح للمسلمين : من امتداد النفوذ والانتشار فى أقطار المسكونة ، ووسائل الاختلاط التى أزالت الفوارق العنصرية أو كادت ، وأقامت مقامها وحدة العقيدة والاخاء الروحى أدت الى امتزاج الدماء •

على أن امتداد المسلمين هذا الامتداد الواسع فى العالم ، قد أثار فى علمائهم وروادهم ورحاليهم الرغبة الشديدة فى الازدياد من التوسع فى المعرفة ، والطموح الى كشف المجهول والتفكير فيه والمغامرات من أجله •

*
* *

ولنعرض الا ن بضرب من الايجاز لهذه النواحى الخطيرة يكشف بعض الشىء عن مبلغ أصالة هذا العلم عند المسلمين ، وقيام ماكتبوه فيه على تأملاتهم واختباراتهم ورحلاتهم ودراساتهم العملية فى تتبع أحوال الأقاليم والأمصار ، وهى الينبوع العظيم الذى استفاض معينه على أقلامهم فى التصوير الدقيق ، والوصف التشخيصى الممتاز للبلدان والمسالك ، وطبائع الشعوب ، وأحوال العالم على عهدهم الميمون :

كان اتساع حدود الانبراطورية الاسلامية العظمى ، وانتشار الدين الاسلامى والثقافة العربية الخالصة فيها ، من أكبر الدواعى الى نشاط هذه الرحلات والأسفار ، والدراسات العملية ، وامتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار الى الأمصار ، وامتداد مطارح أنظارهم الى الآفاق البعيدة • وقد شمل هذا النشاط الخلفاء والملوك والأمراء ، فسما بهم عن أن يكونوا أحلاس القصور وقرناء الدعة فى ظلال الترف ونضرة النعيم ، وحملهم على قيادة الجيوش والسير فى البلاد وركوب الحزون والوهاد ، كالذى رأيناه من سيرة الرشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم من الخلفاء العباسيين ومن سير كثير من الأمراء الأمويين من قبلهم ، حتى صار الشعراء يحلولهم أن يمدحوهم بذلك كما قال بعضهم يمدح المعتصم بالله العباسى :

تناولت أطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تبتغى أثر الخضر !

وبهذه النزعة المغامرة الجبارة تعشق رجال الاسلام ، فى مختلف العهود ، الرحلة الى أطراف الدنيا ، وسارت جيوشهم الجرارة الى البلاد ، واخترقت قوافلهم التجارية أنحاء المعمورة برا وبحرا الى الصين شرقا ، والى بلاد الصقالبة أى الروسية حتى شواطىء البلطيق شمالا ، والى ساحل افريقية الشرقى الى مدغشقر جنوبا ، والى أرضى السودان الشاسعة حتى شواطىء الأقيانوس الأتلنتيكى غربا • ونفذت بعوثهم ورحالوهم الى أبعد ما تسمو اليه الهمم من مجاهل الأرض ، لكشفها والاطلاع على أحوالها ، وهو أمر لم يتهيأ لغيرهم من الشعوب الفاتحة من قبل •

توغلوا فى افريقيــة ، ونفــذوا الى مجاهلها ، وشققوا قلب الصحراء فعبروها الى السودان وغيرها ، ولم يجتز الرومان حد الصحراء الشمالى • وكانت رحلتهم الأولى الى هذه القارة العظيمة فى القرن الأول للهجرة رحلة الفتح ، فاستولوا على مصر وبرقة وليبية وطرابلس وتونس والقيروان ، وتوسعوا من بعــد فى الفتوحات حتى امتلكوا كل شواطئها الشمالية والشرقية والغربية ، وتوغلو افى مجاهلها حوالى النيل والنيجر والكونغو والزونو وكفروريا (الكفرة) • وكان عرب عمان وحضرموت والشحر والبحرين أول من عرف طريق الهند من عهد سحيق ؛ وفى بدء الفتوحات الاسلامية اجتازت مراكبهم سواحل افريقية كلها ، وملكوا بلاد الصومال وجوبع وممبسة وزنجبار وموزنبيق وجزائر الكومور ، ولم تزل بقــايا العرب فى جزائر مدغشقر وفيليبين ، وأسسوا فيها الممالك ، وأقاموا الحصون والقلاع • وكانت بلاد مليندة وممبسة ومقــدشو وثبة وسفالة وكلوا وبمبا وزنجبار وغيرها ، ممالك مستقلة زاهية عامرة ؛ وكان سلاطينها ، ذوى جاه وسطوة وصولة • ووسعــوا تجارتهم فى تلك البلاد ، فاتجروا بالذهب وريش النعــام والعــاج والبهارات والطيوب • وحقيقة الأمر أنه كان للعرب تجارة واسعة فى العصور الخالية فى افريقية كلها ، كما كان لهم فيها الملك والسلطان • وقد تيسر لهم من ذلك فيها ما لم يتيسر لغيرهم من الأمم • وانما ظل الأوربيون حتى القرن الثامن عشر عند سواحلها ، لاتطال أعناقهم الى ما وراءها ، حتى قدر لهم أن يقتحموها ، وليس من موضوعنا أن نعرض لتأريخ ما سى ضياع هــذا الملك العظيم من يد العرب ، وكيفية استيلاء البرتغاليين عليه ، فلنضرب صفحا عنــه •

وتوغل المسلمون فى القارة الأسيــوية الى الصين ، فوطئوا أرضهــا ، وكانت فيها تجارات واسعة وجوال عربيــة عظيمة ، وكان الرومان قبلهم يتخيلون وجودها تخيــلا ، ولا يعرفون من أمرها شيئا •

ويؤخذ من أقوال المؤرخ الصينى « جين يون » (Chén Yüan) الأستاذ فى جامعة بكينغ (Peiking) أن أول وفد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأن تجار المسلمين ـ كما يقول المؤرخ الصينى الآخر « فواين جانغ » (Fu yéen Chang) ـ كانوا يقبضون على ناصية التجارة الدولية فى الشرق والغرب من أوائل القرن الثامن الى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، يتجرون بمتاجرهم من بحر عمان ، ويعبرون المحيط الهندى حتى يبلغوا مرافىء الصين التجارية « كانتون » حاضرة ولاية « كونغ تونغ » (Kwangtung) و « تسون جو » (Tsuan Chao) ميناء ولاية « فوكين » (Fukien) و « يانغ جو » (Yang Chao) ميناء ولاية « كيانغ سو » (Kiangsu) و « هانغ جو » (Hang Chao) و « منغ جو » (Ming Chao) ميناء « جيكيانغ » (Chekiang) .

وقد وصل الاسلام الى الصين من البر ومن البحر ، والآثار الاسلامية فى « كانتون » و « نسون جو » و « هانغ جو » تدل دلالة واضحة على أنه وصل اليها بحرا من طريق الهند . وتدل كثرة المسلمين فى الصين الشمالية الغربية أيضا دلالة قاطعة على أنه وصل اليها برا من طريق ما وراء النهر ، والوصول الأول أقدم عهدا على ما يرى الكتاب الصينيون .

وكان تجار المسلمين وأصحاب الرحلات يسيرون الى الصين فى البحر ، فى رحل محفوفة بالأخطار ، فيتجهون بحذاء ساحل الهند ، أو يتجهون من مسقط الى ميناء كولام « كيلون الحالية » رأسا ، وذلك فى نحو شهر ، ثم يواصلون سيرهم جاعلين سرنديب الى شمالهم ، ويقصدون جزائر نيكوبار ، ومن ثم الى مدينة ركدا فى ملقا ، وهى على مسيرة شهرين من كيلون ، ومن هناك يقصدون جاوة وجزيرة ماهيت فى جزائر سندا ، ثم يسيرون خمسة عشر يوما حتى يصلوا الى كمبوديا ، ومنها الى كوشين شين والى الصين . وكان المسافر اذا وصل الى الصين عد ذلك عجيبا . أما رجوعه الى بلاده ، فكان يعد كالمستحيل . فلا عجب أن نسمع أن الرجل كان يرتقى الى أعلى السارية ، فاذا رأى أول علامات أرض الوطن ، هتف : « رحم الله كل من قال : الله أكبر » ، فعند ذلك يجيبه جميع من فى المركب هاتفين « الله أكبر ! » ويهنىء بعضهم بعضا ، ويبكون لما يكون قد هجم عليهم من السرور . ولكن العرب مع هذا الذى يرون ويسمعون من المخاطر ، كانوا لاينثنون عن اقتحام لجج البحار الى الصين ، فكانت رحلاتهم التجارية ذاهبة اليها آئبة منها ، وكان كثير من تجار المسلمين زاروا قصر انبراطور الصين فى القرن العاشر للميلاد ، واستقبلوا هناك استقبالا مملوءا بالمودة .

ومن هذه الصلات التى وجدت بين العرب والصينيين ، عرف العرب من الصينيين استخدام الحك ، وهو الابرة المغنطيسية أو البوصلة (Bussola) ، وخاصيتها أن يتجه طرفاها الى الشمال والى الجنوب • والمرجح الآن أن العرب قد أتحفوا العالم الأوربى بهذه الآلة النافعة ، فأخذها الافرنج عنهم فى عهد الحملة الصليبية الثانية •

وكان أهم رحلات الرحالين المسلمين الى الصين بعثة الخليفة العباسى الواثق بالله الى سد الاسكندر المشهور فى الثلث الأول من القرن الثالث الهجرى ، وكانت تتألف من خمسين رجلا ، ويرأسها سلام الترجمان • وقد سارت من « سر من رأى » متجهة نحو ارمينية فبلاد السرير والخزر والأرض المنتنة ، فاستغرقت رحلتها من خروجها الى رجوعها ثمانيــة عشر شهرا •

ورحلة ابن وهب القرشى فى سنة ٢٥٦ ، وهو من ولد هبار بن الأسود ، وكان من أرباب الثراء والجــاه فى العراق •

ورحلة سليمان السيرافى ، وتعد من أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية فى المحيط الهندى وبحر الصــين فى القرن التاسع الميــلادى ، وربما كانت الأثر العربى الوحيد الذى يتحدث عن سواحل البحر الشرقى الكبير والطريق الملاحى اليها استنادا الى الخبرة الشخصية • وقد دون أخبار رحلته أبو زيد البلخى ، وزاد عليها ما نقله عن غيره وحدثه به السياح الذين احتلوا سواحل الصين •

ورحلة أبى دلف مسعر بن مهلهل الخزرجى ، وكان شاعرا أديبا رحالة ، اتصل بالأمير نصر بن أحمد السامانى ، وأوفــده هذا الأمير الى الصين حول سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) مع بعثة كان أحــد الأمراء الصينيين أوفدها الى البلاط السامانى ، ليخطب ابنة أمير بخارى • وقــد زار أبو دلف الهند وآخر مرفأ كانت تصل اليه السفن الاسلامية فى الصــين •

وأهم هذه الرحلات ، ولعلها خاتمتها أيضا ، رحلة القاضى محمد بن ابراهيم المشهور بابن بطوطة الطنجى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وهو أعظم الرحالين المسلمين قاطبة ، وأكثرهم طوافا فى الآفاق ، وأوفرهم نشاطا واستيعابا لأحوال الأمصار ، وما كتبه فى رحلته (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) عن الصين والهند والروسية والسودان ومصر وفلسطين والعراق والحجاز ونجد وفارس وغيرها ، يعــد غاية فى النفاسة والفائدة والامتاع • وقد قدرت المسافات التى قطعها فى أسفاره ، فى ثلاثين عاما ، بخمسة وسبعين ألف ميل • وهي مسافة لا يظن أن رحالة غيره قطعها قبل استخدام البخار فى وسائل السفر •

أما أوربة ، فقد عرف العرب معظم أصقاعها معرفة تامة ، وأقاموا لهم فيها ملكا امتد بقاء بعضه ثمان مئة عام • اقتحموها فى أواخر القرن الأول للهجرة من جنوبها الغربى ، فاستولوا على بلاد الأندلس ، ثم اخترقوا جبال البرانس (البرانة) فنفذوا الى فرنسة ، واستصفوا مدن ساحلها الغربى ؛ ثم أوغلوا فى الداخل فبلغوا نهر اللوار ، واحتلوا تور وبواتييه ومقاطعة فرانش كونتى فى شرق فرنسة ، وبقى جانب كبير منها ميدانا لجيوشهم زمنا طويلا ؛ ثم تجاوزوا منها الى سافواى وبييمونت ومونتفرات وسويسرة ، واحتلوا أمنع الحصون من قلب أوربة ، وذلك من خليج سان تروبيس الى بحيرة كونستانزه ، ومن نهر الرون وجبل جورا الى سهول جبل فرات ولماردية • وأبعدوا المغار فى جبال الألب ، وخضعت لهم معابرها على بيرانجة ، وفتحوا مرسيلية وجميع الساحل الى جنوة ، وغزوا رومة وصعدوا فى نهر الطير ، واستولوا على جزر البحر المتوسط : اقريطش وقبرس ورودس وصقلية ومالطة وغيرها ، وطرقوا أبواب القسطنطينية ، فى تأريخ حافل لا تفى به الأجلاد •

وهكذا عرف العرب هذه القارة العظيمة معرفة تجربة واختبار ، وقد استقرت أقدامهم فى أقاليمها مددا تختلف طولا وقصرا ، واطمأنوا الى العيش فى قلبها وأطرافها الغربية والجنوبية ، وتزوجوا من أجمل الفتيات فيها ، وحرثوا وزرعوا ، وصارت لهم فيها علاقات سياسية وعلاقات أخرى اقتصادية وتجارية خطيرة بالروسية والمجر وألمانية وفنلندة والسويد والنرويج وأيسلندة والجزر البريطانية ، وسارت سفائنهم التجارية الى سواحل بحر البلطيق وشواطىء المحيط الأطلسى • وتشير كتب الرحلات الى تردد التجار المسلمين الى جنوبى الروسية ، والى وصولهم الى أوربة الوسطى : يحملون السلع بين الأسواق المختلفة ، ويقومون بالرحلات الطويلة فى هذا الشأن • وبحسبنا أن نشير الى الكنوز الوافرة من النقود الاسلامية التى عثر عليها فى الروسية وفنلندة والسويد والنرويج وسويسرة وأيسلندة والجزر البريطانية ، وهى ترجع الى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الخامس للهجرة •

وقد دعا ايفاد بعض أمراء المسلمين الرسل والسفراء ، الى رحلات طريفة الى الأصقاع الأوربية التى لم تطأها جيوش المسلمين • ومن ذلك ، البعثة البغدادية الى الفولجا فى الروسية ، فى مطلع القرن الرابع الهجرى ، وهى بعثة المقتدر بالله العباسى الى ألمس بن شلكى بلطوار ملك الصقالبة ، وقد سأله هذا الملك أن يبعث اليه من يفقهه فى الدين ، ويعرفه شعائر الاسلام ، ويبنى له مسجدا ، وينصب له منبرا ، ليقيم عليه الدعوة فى جميع بلده وأقطار مملكته ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له • فأنفذ

اليه بعثة كان فيها أحمد بن فضلان ، وانفصلت البعثة من بغداد لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩ هـ (٩٦١ م) متجهة الى بخارى فخوارزم فبلاد البلغار حيث وصلت لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠ هـ . والبلغار تطلق عند العرب على بلاد الصقالبة ، وهم الروس ، وعلى الشعب نفسه ، وعلى عاصمتهم التى كانت تقع شرقى نهر الفولجا المسمى عند الجغرافيين الاسلاميين بـ (اتل) . وقد ضمن ابن فضلان رحلته هذه صورة رائعة لهذا الشعب وحضارته وعاداته وتجاراته ، وعرض للظواهر الطبيعية فى بلاده ، كقصر مابين مغيب الشمس ومطلعها هناك ، وتعذر تحديد أوقات الصلاة ، فكتب يقول ، وقد صلى مغرب أول ليلة باتها فى العاصمة : « ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتى لنتحدث ، فتحدثنا بمقدار نصف ساعة ونحن ننتظر أذان العشاء ، فاذا بالأذان ، فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر . فقلت للمؤذن : أى شيء أذنت ؟ قال : الفجر . قلت : فعشاء الأخيرة ؟ قال : نصليها مع المغرب . قلت : فالليل ؟ قال : كما ترى ، وقد كان أقصر من هذا ، وقد أخذ الا ن فى الطول . وذكر أنه منذ شهر ماينام الليل ، خوفا من أن تفوته صلاة الصبح ..... » .

وقد زار بلاد البلغار ، بعد ابن فضلان ، رحالون وعلماء من المسلمين ، منهم عبدالله أبو حامد الأندلسى الغرناطى صاحب « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » ، وقد زار بلاد البلغار سنة ٥٣٠ هـ وصحبه قاضيها يعقوب بن النعمان ، وذكر أن هذا القاضى ألف كتابا فى تاريخها .

وأهم الرحالين المسلمين الذين ساحوا فى بلاد الروسية ، ابن بطوطة ، فقد أبحر من ثغر صنوب شمالى آسية الصغرى الى شبه جزيرة القرم ، وغادرها الى أزاق ، ومنها الى القوقاز حيث اتصل بالسلطان محمد أوزبك خان ، فأعانه بدليل أوفده معه ليوصله الى مدينة بلغار ، فلما بلغها أراد أن يجاوزها الى الشمال لزيارة أرض الظلمة (أى سيبيريا وشمالى الروسية) ، وبينها وبين مدينة بلغار أربعون يوما ، ولكنه أضرب عن ذلك ، وعلل عدوله بعظم المؤونة وقلة الجدوى ، وقال : « ان السفر اليها لايكون الا فى عجلات صغار تجرها كلاب كبار ، فان تلك المفازة فيها الجليد ، فلا تثبت قدم الآدمى ولا حافر الدابة فيها ... » ثم عاد الى أوزبك خان فى القوقاز ، وأتيح له أن يغادره الى القسطنطينية فى رفقة الخاتون بيلون زوجة هذا السلطان .

ومن رحلات المسلمين الى شمالى أوربة ، السفارة الأندلسية نحو سنة ٣٦٢ هـ الى أوتو الأكبر امبراطور الجرمان ، التى يرى بعض الباحثين أن من المحتمل أن بعض أعضائها كانوا مصدر ماكتبه زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه « آثار البلاد وأخبار

العباد ، عن بعض البلاد الألمانية .

وقد ذكر القزوينى فى هذا الكتاب بعض البلاد الفرنسية والألمانية والهولندية ، مثل ايطرخت Utrecht وأبولدة Fulda ومغانجة Mainiz وشلشويق Schleswig ، والمعروف عنه أنه اتصل بكثير من الرحالين ، وقرأ كتبهم ، وأفاد من مشاهداتهم ، كالللتانى والطرطوشى اللذين أتيح لهما رؤية بعض المدن فى فرنسة وأوربة الوسطى .

ويعد (الادريسى) أهم من عرف أوربة الغربية والشمالية من الجغرافيين الاسلاميين ، وقد عنى الأخوان الفنلنديان تال غرين ـ توليو ، و آ . م . تال غرين بتعيين كل ما أتى به فى « خارطته » من أسماء وطنهما وبيان أهميتها ، ورسماها فى « خارطة » فنلندة العصرية بغاية الاتقان ، وألفا من ذلك رسالة فى ١٥٤ صفحة نشراها باسم :
Studia Orientalita III. Idrisi: La Finlande et les autres Pays Baltiques orientaux (١)

ولم تقف همم رواد المسلمين عند هذا الحد من ارتياد المعمورة حسب ، بل تجاوزوه الى البحث عن عوالم جديدة ، وفكروا فيما عسى أن يكون فى المحيط الأتلنتيكى أو وراءه من مجاهل الأرض . وكان العرب قد اتخذوا الأساطيل فيه للدفاع عن ملكهم فى الأندلس والمغرب ، ومارس فتيانهم ورجالهم البحار ، وألفوا أهوالها ، ثم خرجوا من حيز هذا التفكير الى حيز التنفيذ ، وحاولوا التوغل فى الأتلنتيك . ومما يشهد بدلك هذا الحديث الرائع الذى رواه (الادريسى)(٢) عن الفتية الثمانية المغررين أو المغربين ، من مدينة لشبونة عاصمة البرتغال ، كلهم أبناء عم ، اتفقوا حوالى القرن الرابع الهجرى على القيام فى الأتلنتيك بمغامرة جريئة « ليعرفوا ما فيه ، والى أين انتهاؤه ، فأنشأوا مركبا حمالا ، وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر . ثم دخلوا البحر فى أول طاروس(٣) الريح الشرقية ، فجروا بها نحوا من أحد عشر يوما ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش(٤) قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم فى اليد الأخرى ، وجروا مع البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ولا ناظر اليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا بها عين ماء

(١) يوحنا آهتيتن كارسيكو

(٢) « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ورقة ١٩٢ و ١٩٣ من نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة عن نسخة « باريس » .

(٣) طاروس الريح : هبوبها .

(٤) التروش : الصخور التى لايكاد يسترها الماء .

جارية وشجرة تين برى عليها ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لايقدر أحد على أكلها ، فأخذوا من جلودها ، وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما ، الى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها الى عمارة وحرث ، فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مركبهم الى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها فى دار ، فرأوا فيها رجالا شقرا زعرا ، شعور رؤوسهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام . ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، ثم سألهم عن حالهم ، وفيم جاؤوا ، وأين بلدهم ؟ فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ؛ ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ، ضحك ، وقال للترجمان : « أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا فى عرضه شهرا ، الى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى . » ثم أمر الملك الترجمان أن يعد القوم خيرا ، وأن يحسن ظنهم بالملك . ففعل . ثم انصرفوا الى موضع حبسهم الى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم فى البحر برهة من الدهر . قال القوم : « قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر . فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس ، فصحنا بجملتنا ، فأقبل القوم الينا ، فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا بربرا ، فقال لنا أحدهم : كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا نعلم . فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : وأسفى ! فسمى المكان الى اليوم « أسفى » . » وهو « المرسى الذى فى أقصى المغرب » على قول الادريسى .

وواضح من سياق الحديث أن هؤلاء قد استطاعوا العودة الى لشبونة ، وحدثوا الناس بأخبار مغامرتهم . وقد شهر خبرهم واستفاض على الألسنة ، وكانت رحلتهم من أجل كشف العوالم المجهولة فى الأتلنتيك مثار الاعجاب ، فما لبث أهل وطنهم أن نعتوهم بالمغررين أو المغربين ، وأطلقوا هذا النعت على الشارع الذى كانوا يسكنونه ، اعترافا بفضلهم ، وتمجيدا لذكراهم . قال الادريسى : « ولهم بمدينة لشبونة بموضع

بمقربة الحمة درب منسوب اليهم يعرف بدرب المغررين الى آخر الأبد » .

وقد ظلت فكرة كشف ما وراء الأتلنتيك تساور أذهان علماء المسلمين بعد ذلك ، فتخيلوا فى بحوثهم العلمية وجود أمريكا قبل كشف كرستوف كولمب لها بقرن ونصف قرن ، وقال أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى[1] : « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ، منكشفا من الجهة الأخرى . واذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى » .

فـ - للاصفهانى وهو بمصر - كما قال بعض الباحثين[2] تعليقا على هذا الاستدلال العقلى الناضج - فضل السبق على كرستوف كولمب وهو بالأندلس ؛ لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللأصفهانى فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولمب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفى أبو الثناء فى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) ، وأما كولمب فقد اجتهد فى اقناع فرديناند وايزابلا صاحبىْ الأندلس بصدق نظريته فى سنة ١٤٩٢ م (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) » .

على أن من علماء أوربة من رجع فضل كشف كولمب لأمريكا الى عاملين عربيين : ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب ، وعقول العرب وموادهم ورجالهم . فقال جوتيه[3] : « من دار حول افريقية ؟ فاسكودى غاما . ومن كشف أمريكا ؟ كرستوف كولمب . ومن السهل أن يدرك أن هذين الكشفين اللذين فاقا جميع ما تقدمهما ، قد تما على أيدى بحارة من العرب ، وكان تحقيقهما متعذرا بدون ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب . وتم هذان الكشفان العظيمان بعقول العرب وموادهم ورجالهم تحت امرة النصارى » .

وبعد ، فان الاسترسال فى تفاصيل الدراسات العملية التى قام بها رواد المسلمين وجغرافيوهم يخرج بى ، اذا أرته ، الى مؤلف ضخم . وأنا انما أردت توضيح ملامح الأصالة فى معارفهم الجغرافية بما اكتسبوه بالاضطرار ، وأن ماكتبوه فى جغرافيا بلادهم أو جغرافيا العالم - منذ البداية بالتدوين - كان كله من دراستهم العملية ، ومن مشاهداتهم رأى العين فى أسفارهم البرية والبحرية فى آماد طوال ، لم يسبقهم أحد الى وصفها ، وقلما نقلوا من غيرهم أو أفادوا فى عهد الترجمة شيئا ذا غناء فى هذا الباب كما سأزيده توضيحا وتدليلا .

(١) نقله العمرى فى مسالك الأبصار (ج ١) . (٢) أحمد زكى باشا
(٣) نقله صاحب الاسلام والحضارة العربية (٢١١/٢) .

قال ملطبرون : « ان المسلمين جازوا حدود الأرض المعروفة ، وتوغلوا فى آسية وافريقية ، وان الخلفاء فى صدر الاسلام أمروا جيوشهم وعمالهم أن يرسموا خطط البلاد التى افتتحوها واستولوا عليها » .

*
**

كان اتساع المسلمين فى تدوين جغرافيا العالم يضارع اتساعهم فى الفتوحات ، ويربى عليه كما سمعتم قريبا . فكأن عظمة التأليف فى هذا العلم ، التى انفردوا بها بين أمم الحضارات الغابرة ، هى من لوازم عظمة الفتوحات وعظمة الأمة فى السلطان واستبحارها فى العمران .

فلما زايلتهم تلك العظمة بالانقسامات والحروب والفتن وانتشار الجهل والخراب ، وأضاعوا ملكهم ، وشمل الخراب أوطانهم وديارهم ، وعادوا الى الصحراء وحواشى الجزيرة ، وقبعوا فى زوايا الحواضر والقرى : يسومهم الاستبداد سوء العذاب .... تضاءل عندهم هذا العلم كما تضاءل شأن غيره من العلوم والفنون والآداب ، ولم تبق الداعية اليه متوافرة كما كانت أزمان عزهم وسلطانهم وعظمتهم ، الا ما كان يسلكه أفراد من علمائهم فى التأليف من طرق الجمع والنقل عن السابقين ، وقلما أتوا بشىء جديد ، خلا ما جد فى كتب الرحلات من أوصاف .

وهكذا عظم شأن هذا العلم حينا ، وصغر حينا آخر ، وذلك بمقدار ما كان يساور من الهمم قوة واقتدارا ، أو قوة وفتورا ، وقديما قال شاعر العرب : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم ! » .

بدأ العرب بوضع تقويم البلدان قبل أن يبدأوا بترجمة كتب اليونان ، اذ كانت الداعية اليها متوافرة ، وعلمهم بالممالك والمسالك كانوا قد حذقوه بالأسفار ، وأنفدوا أعمارهم فى تحصيله بالدرس والاختبار . فوضع أئمة الأدب واللغة ورواد الأخبار والأشعار تصانيف فيه ضمنوها ذكر البوادى والقفار والمنازل والمناهل والجبال والأماكن العربية الواردة فى أشعار العرب وأخبارهم . ولا شك فى أن هذا الضرب من كتب تقويم البلدان عربى خالص ، تفردوا بوضعه ، وتنزه من شوائب الاحتذاء والاقتباس ؛ لأنهم انما وصفوا فيها مواطن هم أهلها ، وعينوا مواضع هم روادها ، و « أهل مكة أدرى بشعابها ! » .

ومن أقدم من انتصبوا للتأليف فى تقويم البلدان العربية من علماء العرب ، النضر بن شميل من أئمة اللغة والنحو والأدب ، أقام فى البادية ، وأخذ عن فصحاء

العرب كأبى خيرة الأعرابى وأبى الدقيش وغيرهما • ألف كتاب الصفات فى خمسة أجزاء ضمنها أشياء مختلفة ، وقصر جزءا منها على « الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب » ، وهو فيما يلوح لى باللغة أشبه ، ولكن عده بعض الباحثين من كتب تقويم البلدان ، وقال : « انه موجود فى بعض المكتبات العربية » ، فلعله رآه وقرأه فقال فى وصفه ما قال •

ومنهم هشام بن محمد الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ) • ألف كتاب البلدان الكبير ، وكتاب البلدان الصغير ، وكتاب الأقاليم ، وكتاب الأنهار •

وعبدالملك بن قريب الأصمعى (المتوفى سنة ٢١٤ هـ) • ألف كتاب جزيرة العرب ، وذكر ياقوت فى مقدمة معجم البلدان[١] : أنه « ظفر بكتابه رواية لابن دريد عن عبدالرحمان عن عمه » ، ولم يسمه ، ولكنه سلكه فى الكتب التى قصد فيها ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية • وكان الأصمعى من حفاظ اللغة والأدب • عاصر الرشيد ، وقدم بغداد فى أيامه مع أبى عبيدة ، ثم عاد الى البصرة • ولما تولى المأمون ، استقدمه اليه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ، فيجيب عنها •

وجاء بعد هؤلاء كثيرون سلكوا مسلكهم فى التأليف كأبى عبيدة السكونى ، والحسن بن أحمد الهمدانى فى كتاب جزيرة العرب ، وأبى الأشعث الكندى فى جبال تهامة ، وأبى سعيد السيرافى ، وله كتاب فى جزيرة العرب ، وأبى محمد الأسود الغندجانى وله كتاب مياه العرب ، وأبى زياد الكلابى ، ومحمد بن ادريس بن أبى حفصة وله كتاب مناهل العرب ، وأبى على الحسن بن عبدالله المعروف بلغدة وله كتاب فى ديار الجزيرة العربية ومناهلها ومعادنها ، وهو فى غاية الافادة والامتاع ، ومنه نسخة مخطوطة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى • وهؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر ، كلهم أو أكثرهم عولوا فى كتبهم على المشاهدة لا الرواية أو النقل •

ونستطيع أن نسمى ماكتبوه فى هذا الباب بالجغرافيا الخاصة ، لأنه اختص ببقاع معينة ، هى بقاع الجزيرة العربية : باديتها وحاضرتها •

ثم خطا التأليف الجغرافى عند المسلمين خطوته العالمية ، فطفق الجغرافيون فى القرن الثالث الهجرى وما بعده يؤلفون فى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء انبراطوريتهم وما يجاورها من الأقاليم وصفا علميا منظما قائما على المشاهدة والدراسة العملية ،

---

(١) معجم البلدان (٨/١)

فعينوا حدود الأرض وتقاسيم الممالك ، ووصفوا البلدان وملامحها الخاصة والمسالك والجبال والبحار والأنهار والمعادن والآثار ، وضبطوا المسافات بين الأمصار بحساب الأميال ضبطا دقيقا كل الدقة ، وأحصوا مقادير الجبايات ومبالغ الخراج ، ودونوا الى جانب ذلك أخبار الفتح ، وشرحوا أحوال الشعوب والأجناس وأكلهم وشربهم ولباسهم وتجاراتهم وصادراتهم ووارداتهم وما يمتاز به كل شعب من الخصائص النفسية والبدنية والاجتماعية والعلمية والأدبية ، الى غير ذلك مما أوفوا به على الغاية من الاستقصاء والاستيعاب والتحقيق والتدقيق ، واشتملت مؤلفاتهم على وثائق عظيمة الشأن فى تاريخ الانسانية وحقائق بليغة الأثر فى نماء ضروب المعرفة لا مندوحة لكل باحث ـ فى التأريخ التجارى أو التأريخ الاقتصادى أو نظام السياسة والحكم فى الشعوب الاسلامية والأمم التى اتصلت بها ـ من الوقوف عليها والاستنارة بها ؛ والا كانت بحوثهم خالية الوفاض ، بادية الانفاض ، تعوزها المادة والحيوية والقوة •

كان عمل هؤلاء المؤلفين فى الجغرافيا العامة امتدادا لعمل المؤلفين فى الجغرافيا الخاصة الذين مهدوا السبيل فى التأليف الجغرافى عند المسلمين ابتداء وابتداعا ،لا نقلا ولا محاكاة لأمة من الأمم •

وقد قضى بهذا الامتداد اتساع رقعة الانبراطورية الاسلامية ، ووجوب حمايتها ، وما يتعين على الدولة من احصاء جباياتها وخراجها ، وتيسير طرق البريد ، وتحديد المسالك وأبعادها وجهاتها للسفارة والتجارة والجيوش • فلم يكن بد لعلماء الملة من التأليف فى هذا الباب ، والتوسع فيه مسايرة للحاجة ، وهو عمل لا يتيسر امتلاك ناصيته الا بالرحلات والكشف والدراسات العملية ؛ لذلك كان الجغرافيون الذين نبغوا فى القرنين الثالث والرابع للهجرة وفى قرون أخرى أيضا ، كلهم ممن تمرسوا بالأسفار ، وركبوا البحار وجابوا الأقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، أمثال أبى القاسم بن أحمد بن خرداذبه مؤلف كتاب الممالك والمسالك ، وأحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى مؤلف كتاب البلدان ، وأبى اسحاق الاصطخرى الكرخى مؤلف كتاب الأقاليم ، وأبى القاسم محمد بن حوقل البغدادى مؤلف كتاب صورة الأرض أو المسالك والممالك ، وأبى عبدالله محمد بن البشارى المقدسى مؤلف أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، وعلى بن الحسين بن على المسعودى من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابى الجليل مؤلف أخبار الزمان ومروج الذهب والأوسط والتنبيه والاشراف ، وغيرهم •

ثم من جاء بعدهم فى القرون التالية واعتمدوا فى تاليفهم الجغرافية على منهلين : كتب من سبقهم ممن ذكرنا ولم نذكر ، وأسفارهم ودراساتهم العملية ، وهم كالشريف

محمد بن محمد الادريسي مؤلف « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى فزع اليه روجر الثانى النورمندى ملك صقلية وجنوبى ايطالية لرسم « الخارطة » العالمية وتدوين شروحها ، وسنخصه ببحث مستفيض ، وعلى بن أبى بكر بن على الهروى الموصلى الذى قال عنه ابن خلكان : « لم يترك برا وبحرا ولا سهلا ولا جبلا من الأماكن التى يمكن قصدها ورؤيتها الا رآه ، ولم يصل الى موضع الا كتب خطه فى حائطه ، وقد سار ذكره بذلك حتى عرف باسم الهروى السائح » ، وهو مؤلف كتاب « منازل الأرض ذات الطول والعرض » ؛ وياقوت الحموى البغدادى المؤلف الجغرافى العظيم الذى يأتى فى مقدمة كتبه كتابه الرائع معجم البلدان ، الممتاز بترتيبه على حروف الهجاء وبدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافيا والتأريخ والعلم والأدب ، وقد حاز هذا الكتاب اعجاب كبار المستشرقين حتى قال فيه المستشرق الفرنسى المشهور « كارا دى فو » (Carra de Vaue) فى كتابه[1] (Le Penseurs L'Islam) : « انه من المؤلفات التى يحق للاسلام أن يفخر بها كل الفخر » . وضع ياقوت معجمه الجغرافى العظيم هذا ، ولم يكن للجغرافيين الأوربيين معجم جغرافى على نمطه ، انما كان أول مصنف لهم من نوعه فى منتصف المئة السادسة عشرة ، وضعه أورتليوس البلجى ، وطبعه فى أنورس سنة ١٥٧٨ م ، وكان ياقوت فرغ من معجمه فى سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) .

الى غير هؤلاء العظماء الذين ألفوا فى الجغرافيا العامة ، وتوافر النص على أن ما كتبوه فى هذا الباب هو من مشاهداتهم ، أو من مشاهداتهم ومن النقل عمن سبقوهم معا .

*
* *

بعد هذه الافاضة فيما قدمت لكم من مجهود الجغرافيين الاسلاميين الضخم العظيم فى الدراسات الجغرافية العملية فى عصور عدة ، أستطيع أن أقرر جازما فى غير تردد أن الجغرافيا عند المسلمين انما هى من صنع أنفسهم ، ووليدة بحوثهم ، ونتاج نهضتهم السياسية الاجتماعية العمرانية العالمية ، وأنهم لم يكونوا فيها حميلة على الرومان أو اليونان أو السريان كما أقرته التعاليم المريضة فى أذهان من لا سبيل لهم الى التعمق والتأمل فى تراث العرب ومدنية الاسلام : من نشأ هذه الأزمان ، الذين حيل بينهم وبين ما يجب أن يفقهوه من عبقريات قومهم فى مختلف الشؤون ، ثم ملئت أذهانهم عنهم ، ملأها « موتورو الشعوب وتجار العقائد ووراث الأحقاد » ، بكل زور من القول ، وبهتان من

(١) ١٩/٢ .

التلفيق ، وضلال من الأحكام .

نعم ، لقد ترجم المسلمون فى عصر المأمون من اليونانية كتب أفلاطن وفيثاغورس وبطلميوس فى الجغرافيا والعمران ، واطلع علماؤهم على هذه الكتب ، واتصلوا بآرائهم فيها وفى المجسطى وغيرهما ، ولكن ما انتهى اليهم من هذه الكتب اليونانية كان لا يطابق أكثر ما فيها ما كانت عليه الدنيا فى أيامهم ، اذ كانت معالم البلدان وأحوال الناس خاضعة للتغير والتبدل كلما تطاولت عليها العهود ، فلم يعتمدوها لانبهام أمرها عليهم ، وقد قال ياقوت ، وهو أعظم جغرافى اسلامى اعتمد على رحلاته ودراساته : « ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التى ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وعدمت (فائدتها) لتطاول الزمان فلا تعرف . » وقال يوحنا آهتيتن كارسيكو الفنلندى ، وهو يوازن بين خارطة بطلميوس وخارطة الادريسى ، وبينهما ألف عام : « وقعت قبل هذه الخارطة بألف سنة محاولة وضع خارطة عامة باللغة اليونانية للأرضين المعروفة فى تلك العصور ، وقد رسمها بطلميوس بمصر ، الا أن خارطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية ؛ لأنه ذكر فى خارطته نحو ثمانية آلاف من أسامى الأمكنة ، والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر فى خارطته . أما هذه « الخارطة » (خارطة الادريسى) ، فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم فى خواطرنا العصرية ، وهى معلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعد هذه الخارطة خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ ! » .

ومعنى هذا أن الجغرافيين الاسلاميين قد بدأوا عهدا جديدا لتدوين علم الجغرافيا العامة بما كتبوه فى هذا الشأن وحققوه ، ولا يزال ما تركوه من التراث الضخم فى مكان الاحترام والتقدير والاستفادة . وبحسبهم ذلك فخرا ، تعلو به الجباه ، ويدعو هذه الأجيال الناشئة الى استئناف سيرتهم العلمية العملية وتجديدها .

وقد قال أدورد ستيفنصن الأميركى : « بينما كانت المسيحية قانعة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد منحطة ، كانت الشعوب العربية تنمى معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية الفلكية ، وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية ، ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرح أبحاثهم المستقل الخاص بهم » .

وأقول : ما أشار اليه أدورد ستيفنصن « من عمل العرب الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية » ، لم يكن فى غير الشكل الذى أخذه بعض الجغرافيين الاسلاميين فى القرن الثالث ، اذ سلكوا فى تآليفهم قريبا من طريقة بطلميوس فى تقسيم العالم الى سبعة أقاليم تتضمن ذكر البلاد ، وتعيين مسافة الطرق والمسالك ، كما فعل ابن خرداذبه ومن حذا

حذوه . أما الجوهر الذى احتوته كتبهم ، فكان عربيا اسلاميا محضا كما قدمت البراهين عليه ، وأثبت أن كل ما كتبوه كان من مشاهداتهم واختباراتهم وتحقيقاتهم فى الرحلات العظيمة التى اضطلعوا بأعبائها جيلا بعد جيل ، فأربوا على ما عرفه غيرهم من قبل ، وأتوا بالجديد الطريف ، وصححوا مغالط اليونان ، حتى استوى لهم من ذلك كله علم مستقل خاص بهم منفرد بأصوله وخصائصه وملامحه المنسجمة مع الحياة التى عاصروها والآفاق الواسعة التى انبسطت لهم من العالم وارتادوها وكشفوها فى كل ناحية وكل زمان .

على أن البحاثة ستيفنصن الأميركى يرى أن « اليونان وضعوا علما نوصف الكون مبنيا على التخيل مثل الشعوب التى سبقتهم . » وقد سما الجغرافيون الاسلاميون على ذلك ، وأمعنوا فى الحقائق وفى المغامرات من أجل كشف المجهول .

وقد أجمع الباحثون والمحققون على أن بطلميوس الذى وصل كتابه الى يد العرب ، انما انتحل فى كتابه ـ كما اعترف هو نفسه ـ جغرافيا مارينوس الصورى من أهل القرن الثانى قبل المسيح ، وأن غاية ما فعله مارينوس أنه نقل من كتب السلف فى علم الجغرافيا ، وجمع أخبارا نقلها عن البحارة وأهل الرحلات ، فألف منها كتابا فى الجغرافيا أضاف اليه خوارط رسم فيها خطوط الطول والعرض ، ويقال : ان غاية ما فعله بطلميوس تنقيح هذا الكتاب ، وقد أخطأ فى التنقيح قدر ما أصاب .

وقد سمعتم ما قدمت من رأى آهتيتن كارسيكو الفنلندى فى انعدام الفائدة من خارطة بطلميوس لعجز أهل العلم عن تعيين أقل قليل مما ذكر فيها ، بخلاف خارطة الجغرافى الاسلامى الادريسى التى اعتدها خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

*
* *

ذلكم تراث الجغرافيين اليونان ، وهذا تراث الجغرافيين الاسلاميين . وبحسب المنصف أن يصدر فى ضوء ما قدمت حكمه ، كما أصدر كارسيكو فى موازنته بين بطلميوس والادريسى ، وهما يمثلان طرفين أو أمتين عنيتا بهذا الشأن ، فقضى على تراث اليونان بالعقم ، وعلى تراث المسلمين بالخلود . واذا شاء أصحاب التعاليم المريضة أن يتغافلوا عن هذه البينات والدلائل ليتهمونى بالتحيز والعصبية ، فلن يستطيعوا أن يتهموا بهما « جوتيه » و « ستيفنصن » و « كارسيكو » وغيرهم من المستشرقين المحققين .

محمد بهجة الأثري

معركة أجنادين

متى وقعت ؟

وأين وقعت ؟(*)

كنا أشرنا فى مقالنا فى « المجلة العسكرية » عن قيادة خالد بن الوليد فى حروب الردة ، الى ما يعانيه الباحث من مشقة وصعوبة فى تمحيص الوقائع التى حدثت فى فتوحات صدر الاسلام ، وذكرنا باختصار الغموض الوارد فى كتب التأريخ الباحثة عن تلك الفتوحات سـواء أكان فى تثبيت تأريخ الوقائع أم فى تعيـين مكان وقوعها أم فى كيفية وقوعها • ومما يدل على هذا الغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عن (معركة أجنادين) • ويتضح لمن يقرأ كتب التأريخ أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على تأريخ وقوع معركة أجنادين ؛ فالبلاذرى واليعقوبى مثلا ذكرا أنها وقعت سنة ١٣ هـ ، على حين ذكرها الطبرى فى حوادث سنة ١٥ هـ • واستند ابن الأثير الى ما ذكره الطبرى ، فجعلها من وقائع السنة المذكورة • أما ابن خلدون فقد ذكر أنها وقعت فى سنة خمس عشرة الهجرية • وأما ابن عساكر الدمشقى فيستند الى رواية شيخه أبى القاسم ابن السمرقندى التى تنتهى الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى ، ويجعل معركة أجنادين من وقائع سنة ١٣ هـ •

والغريب فى الأمر أن الطبرى وابن الأثير أشـارا الى وقـوع الحـادثة ضمن وقائع السنة الثالثة عشرة الهجرية والسنة الخامسة عشرة الهجرية •

وللتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنـادين خطورة من حيث تفنيـدها للروايات الزاعمة أن أول عمل قـام به « عمر » بعد استخلافه عزله لخالد بن الوليد ، ونصبه

(*) لقد اعتمدنا فى كتابة مقالنا هذا على البحوث القيمة التى نشرها المستشرق الطليانى « لئونه كيتانى Leone Caetani فى كتابه « حـوليـات الاسـلام Annali Dell, Islam » (الجزء الأول من المجلد الثالث ، من الصفحة ١٣ الى الصفحة ٧٣)

أورد كيتاني فى بحوثه تلك جميع الروايات الاسلامية والأجنبية الباحثة عن « معركة أجنادين » ، ومحصها ووازن بينها ، واستنبط منها نتائج رائعة دلت على براعته فى تمحيص وقائع التأريخ الاسلامي فى منتصف القرن الهجرى الأول •

أبا عبيدة بن الجراح محله قائدا عاما على الجيوش العربية فى بلاد الشام . والواقع أنه ان ثبت أن المعركة وقعت سنة ١٣ الهجرية ، وهى السنة التى تولى فيها عمر الخلافة ، فتصبح الروايات الذاكرة لعزل عمر لخالد حين استخلافه لأبى بكر غير صحيحة ؛ لأن الروايات كادت تجمع على أن عمر عزل خالدا قبيل معركة اليرموك التى ان ثبت أن معركة أجنادين جرت فى سنة ١٣ هـ ، فينبغى أن تكون وقعت (معركة اليرموك) فى سنة ١٥ هـ ؛ لأنه لايصح أن تقع المعركتان فى وقت واحد ، وهما على ما يظهر وقعتان حاسمتان .

ان للتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة تتعلق بعزل خالد بن الوليد . فان وقع العزل قبل معركة اليرموك فانه يكون عمر قد أجل عزل خالد الى سنة ١٥ هـ ، على الرغم من أنه كان ينتقد أعماله فى خلافة أبى بكر ، وحاول كثيرا أن يحمله على عزله . وهو مما يدل على كياسة عمر وبعد نظره كما فصلنا خبره فى كتابنا (حكومة عمر)[١] .

متى وقعت معركة أجنادين ؟

ولأجل أن نعرف اليوم الذى وقعت فيه معركة أجنادين ينبغى لنا أن نمحص الروايات الذاكرة لها ، ونوازن بين الروايات التى زعمت أن المعركة جرت سنة ١٥ هـ ، والروايات الأخرى التى ذكرت أنها نشبت فى سنة ١٣ هـ . ومن الطبيعى أننا سنفضل روايات الاخباريين القدماء على الروايات المتأخرة .

ومن الحقيقة أن أصحاب الروايات القديمة ، منهم من عاشوا فى نهاية القرن الهجرى الأول ، ومنهم من عاشوا فى القرن الهجرى الثانى ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا رواياتهم بعد وقوع المعركة بأكثر من نصف قرن ، فى أقل تقدير ، فانهم لم يشهدوا الوقائع ، وانما رووها عمن تقدمهم من الرواة اسنادا ، حتى تنتهى الرواية بمن شهد الوقعة ، أو سمعها ممن شهدها . فالغموض الذى نشاهده فى حوادث فتوحات صدر الاسلام ، والاختلاف فى تأريخ وقوعها ، وكيفية وقوعها ، ناشىء من أن الأخباريين الذين سجلوا أخبار الفتوح ، لم يشهدوا الوقائع ؛ وانما ثبتوها بعد حدوثها بمدة غير قليلة . وفى الأمر غموض آخر ناشىء من الأخطاء التى ارتكبها النساخ ، كاهمالهم لنقطة ، أو وضعهم نقطة فى غير محلها . ولا يخفى ما لهذا الاهمال من تأثير سىء فى صحة الأعلام . أما الروايات التى شرحت معركة أجنادين ، فقد ورد ذكرها

(١) قررت لجنة الترجمة والتاليف والنشر المصرية طبعه بنفقتها ، ولما يتم طبعه .

فى أقدم كتب الفتوح ، وهى : كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، وتأريخ ابن واضح اليعقوبى ، وتأريخ الطبرى • أما الكتب التأريخية الأخرى التى نشرت من بعد ، فهى اما كررت ما جاء فى الكتب المتقدمة بلا اسناد ، واما استندت الى روايات أخرى بالاسناد روى أكثرها الأخباريون الذين جاء ذكرهم فى الكتب المتقدمة المذكورة •

ولا بد من تفضيل رواية على رواية أخرى ، فالروايات المدنية مثلا تفضل على الروايات العراقية حين البحث فى وقائع فتوح الشام ؛ لأن أهل الحجاز شاركوا فيها ؛ ولهذا كان من الطبيعى أن تفضل روايات ابن اسحق والواقدى على روايات سيف بن عمر مثلا •

والا ن فلنبدأ بذكر الروايات العربية مقدمين الأخباريين على حسب تأريخ وفياتهم :

(١) روايات محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ • جاءت هذه الروايات فى كتاب الطبرى فى وقائع السنة ١٣ الهجرية عند ذكره سفر خالد بن الوليد الى الشام •• مدداً لمن فيها من المسلمين ، ونذكرها كما يلى : « ثم سار (خالد) حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من مدائن الشام ••• » الى أن يقول : « ثم ساروا جميعا الى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم ، فانكشفوا عن جلق أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل ••• » •

وبعد أن ذكر ابن اسحاق وقوع المعركة ، قال : « قالوا : وكانت أجنادين فى سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ••• »[١] •

(٢) رواية سيف بن عمر • توفى سيف بن عمر سنة ١٨٠ هـ ، وهو من قبيلة بنى أسد ، وأسد لم تشارك فى فتوح الشام • وتميزت روايته بالاسهاب والمبالغة • وقد اعتمد الطبرى على كثير من رواياته بالرغم من أنه لم يكن له رأى حسن فيه ، وتعد رواياته أقل وثاقة من روايات أهل المدينة فيما يتعلق بفتوح الشام • والرواية التى وردت فى تأريخ الطبرى فى حوادث سنة ١٥ هـ بعنوان فتح بيسان ووقعة أجنادين ، تختلف كثيرا عن الروايات التى ذكرها رواة المدينة لتلك المعركة • وقد يظن القارىء أنها معركة أخرى جرت فى أجنادين ، وهذا غير واقع • نذكر الرواية كما يأتى : « ولما توجه علقمة الى غزة ، وتوجه معاوية بن أبى سفيان الى قيسارية ، صمد عمرو بن العاص الى الأرطبون ، ومر

(١) تأريخ الطبرى (٢/ ٦١ و ٦١١) • طبع القاهرة ، سنة ١٩٣٩ م

بازائه ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته .... فخرج عمرو بن العاص حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطبون .. »[١] .
ومن الغريب أن سيف بن عمر أسهب في ذكر المعركة ، وزعم أن عمرو بن العاص اجتمع بقائد الروم أرطبون ، وجرى بينهما حديث خدع به عمرو أرطبون ، ولكنه لم يذكر تاريخ وقوع المعركة ، مع أن الرواة الآخرين ـ على اختصارهم للحوادث ـ ذكروا تاريخ المعركة بيومها ووقتها .

(٣) رواية الواقدي ، وهو من رواة المدينة الثقات ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . ووردت هذه الرواية في تاريخ ابن عساكر كما يأتي : « وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق »[٢] .

وذكر ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته في ترجمة عمرو بن سعيد أن عمرا قتل في يوم أجنادين في خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص .

(٤) رواية علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . ذكر الطبري روايته في وقائع سنة ١٣ هـ ، ونذكرها كما يأتي :

« قال المدائني : وأتى خالد دمشق ، فجمع له صاحب بصرى ... » الى أن قال : « فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ... »[١] .

(٥) ما ذكره البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ في كتابه فتوح البلدان . ذكر البلاذري أن معركة أجنادين وقعت في سنة ١٣ هـ ، وكتب خبرها في كتابه بعنوان يوم أجنادين ، وقال : « ويقال أجنادين الأولى بكسر الدال والثانية بفتحها ... » الى أن قال : « ثم كانت وقعة أجنادين ، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف ، سرب هرقل أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ... » .

وبعد أن ذكر خبر المعركة ومن استشهد فيها من الصحابة ، قال : « وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه .. »[٤] .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١٠) .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (١/ ١٤٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٦١١)
(٤) فتوح البلدان (١٢٠ و ١٢١) ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٦) ما ذكره ابن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ في كتابه تأريخ اليعقوبي ، قال : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد ، بعد وصوله من الشام الى العراق ، صار الى غوطة دمشق ... وصار الى حوران ، فقصد مدينة بصرى ، فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم . ثم صار الى أجنادين ، وبها جمع الروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة . وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة »[١] .

يظهر من هذه الروايات القديمة التي ذكرناها عن معركة أجنادين أن جميع الرواة اتفقوا على أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، ما عدا سيف بن عمر ، فقد ذكر أنها وقعت سنة ١٥ هـ .

(٧) جاء في كتاب الغزوات لأبي القاسم عبدالرحمان بن محمد الأنصاري المرسي الملقب بابن حبيش ، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ : أن أبا بكر توفي لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة ، ليلة الثلاثاء ، أي بعد أجنادين بأربعة وعشرين يوما ... » . والخبر هذا يؤيد أن المعركة وقعت في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ[٢] .

(٨) تراجم ابن عبدالبر النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتاب الاستيعاب . جاء في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص ما يأتي :

« وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه بأجنادين سنة ١٣ الهجرية ، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السيرة ... » .

وقال في ترجمة أبان بن سعيد بن العاص : « وكانت اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ في خلافة عمر . وكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ قبل وفاة أبي بكر بدون شهر »[٣] .

(٩) تأريخ ابن عساكر : وردت رواية في هذا الكتاب لأبي القاسم ابن السمرقندي بإسناده الى أبي حذيفة اسحاق بن بشر القرشي مؤداها أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية وقت صلاة الظهر .

وفي رواية للزهري أن أجنادين وفحلا وقعتا سنة ١٣ الهجرية . وأما أجنادين ، فكانت في جمادى الأولى . وأما فحل ، ففي ذي القعدة .

(١) تأريخ اليعقوبي (ص ١١٢) طبع النجف .

(٢) لم نطلع على هذا الكتاب ، وذكرنا الرواية نقلا عن كتاب كيتاني ، والكتاب يبحث في أخبار الفتوح من سنة ١١ الى سنة ٣٥ هـ وهو مخطوط في خزانة كتب برلين الملكية .

(٣) الاستيعاب (٣٧/١) و (٤٢٩/٢) .

ومع هذا الوضوح فى الروايتين اعتمد ابن عساكر فى شرح حوادث المعركة على رواية سيف بن عمر ، فقدم اليرموك على أجنادين[١] .

(١٠) جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن أبا بكر بعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام ، فكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، ونصر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر با خر رمق . وفيها كانت وقعة مرج الصفر »[٢] .

(١١) ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان فى مادة أجنادين : أن أبا اسحاق ابن بشر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ روى أن وقعة أجنادين كانت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر .

(١٢) أما ابن خلدون ، فيظهر أنه تأثر بروايات سيف بن عمر ، ووصف المعركة كما جاء فى تاريخ الطبرى برواية سيف فقال : « تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[٣] . ولكنه حينما وصف وقائع اليرموك فى الصفحة (٨٥) قال : « وكانت وقعة اليرموك فى رجب بعد أجنادين » .

(١٣) ذكر الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تأريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، وقعة أجنادين فى حوادث سنة ١٣ الهجرية . قال : « وقال ابن اسحاق : ثم ساروا جميعا قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين جرش ، والأمراء كل على جنده . وقيل : ان عمرا كان عليهم جميعا ، وعلى الروم القيقلان ، فقتل ، وانهزم المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . وقال الواقدى : ان الثبت عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وبشر بها أبو بكر »[٤] .

(١٤) قال ابن كثير ، بعد أن ذكر أن وقعة اليرموك فى سنة ١٣ قبل فتح دمشق استنادا الى رواية سيف بن عمر وبتأييد الطبرى : « وأما الحافظ ابن عساكر ، فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر ، أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . ثم قال : « وقال محمد بن اسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط : قال ابن الكلبى : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة ، فلم يتابع عليه[٥] » .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر . (٢) تأريخ الخلفاء (٥٢) .
(٣) تأريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .
(٤) تأريخ الذهبى (١/٣٧٥) طبع القاهرة
(٥) تأريخ ابن كثير (م ٧ ص ٤) .

(١٥) جاء في تأريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ، وهو من المتأخرين : « ان الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت » . ثم روى عن سهل بن سعد أنه قال : « وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشام ، وكانت سنة ١٣ هـ في جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه »[١] .

المصادر الرومية واللاتينية والسريانية[٢]

وردت أخبار الفتوح الأولى في المصادر الرومية واللاتينية والسريانية غامضة ، فهي فيها عبارة عن اشارات وتلميحات قد يصعب استنباط الحقيقة منها ، وفيها نتف وردت هنا وهناك ، من غير ذكر لأسماء المواقع . ومع ذلك يستطيع الباحث المنقب أن يستخرج منها معلومات تساعده على استقصاء أخبار الفتوح الأولى .

ومن المصادر الرومية كتاب تئوفانس المتوفى سنة ٨١٩ م ، أي في حدود سنة ٢٠٠ هـ . وقد ذكر هذا المؤرخ أن أبا بكر بعث سنة ٦٣٤ م (سنة ١٣ هـ .) أربعة قادة (وكان معهم العرب الذين سخطوا على هرقليوس ؟ لأنه قطع عنهم الاتاوة) يدلونهم ، ففتح أولئك القادة (La Héra) وجميع بلاد غزة ، فتقدم نحوهم على عجل سرجيوس حاكم قيسارية على رأس قوة صغيرة ، ولكن قوته هذه المؤلفة من ثلاث مئة رجل كسرت شر كسرة ، وقتل سرجيوس في أول المعركة ، فرجع العرب بالغنائم والأسرى بعد هذا الانتصار الباهر .

ويشير تئوفانس الى وقعة سماها « دثيمس » أو « دثيما » ، وينبغي أن تكون وقعة الدثينة أو داثن التي ذكرها الرواة المسلمون ، ووقعت بين الروم وأبي أمامة القضاعي الذي بعثه يزيد بن أبي سفيان . ذكر دي غويه الذي اقتبسنا هذا الخبر من كتابه (مذكرة عن فتح سورية)[٣] ، أن سرجيوس لم يقتل في هذه المعركة ، كما يظهر من كتاب صفرنيوس بطريرك القدس المرسل الى سرجيوس . وقد سمي صفرنيوس بطريركا سنة ٦٣٤ م . ويضيف دي غويه أنه لا يستطيع أن يتبين موقع (Héra) التي أشار اليها تئوفانس ، ويلوح له أن المؤرخ المذكور خلط وقائع العراق بوقائع جنوبي فلسطين — وهو مؤرخ بيزنطي ربما لاتهمه وقائع العراق . وعلى كل حال ينبغي

(١) تأريخ الخميس (٢/٢٣٤)

(٢) أشار كيتاني في بحثه عن معركة أجنادين الى هذه المصادر ، وذكرها المستشرق الهولندي دي غويه في مذكرته عن فتح سورية

(٣) (ص ٣٤) De Goje : Mémoire sur la Conepuéte De La Syrie

أن تكون (هـيره) الواردة في كتابه هي (الحـيرة) التي افتتحها خالد بن الوليـد سنة ١٢ هـ .

أما المؤرخ الأرمني سبيؤس ، فقد ذكر « أن العرب عسكروا في رهابوث موآب في بلاد سبط روبن ، على حين عسكر جيش الروم في (العربيـة) . هـاجم العرب الروم بغتة ، فكسروهم وقتلوا منهم عددا كبيرا بعد ما هزموا ثيودوس أخا الانبراطور ، ثم رجعوا الى العربية » . يشير دي غويه الى أن العربية الأولى التي عسكر فيها الروم هي العربة ، أو وادي العربة . أما العربية الثانية التي تسحب اليها العرب ، فينبغي أن تكون البلاد العربيـة . ويظهر مما ذكره المؤرخ الأرمني أنه خلط بين قتال وادي العربة أو الدثينة وبين معركة أجنادين [١] .

ثم يأتي نيسوفورس بطريرك القسطنطينية (وهو معـاصر لتؤفانس . مات سنة ٨٢٩ م) ، فقد ذكر هذا المؤلف « أن العرب استولوا على بلاد انطاكية ؟ بعد الاحتفال الذي جرى لهرقل ببضع سنوات بمناسبة عودته اليها من حرب الفرس فاتحا . ثم أشار نيوسفورس ، في الصدد هذه الحوادث ، الى قتل سرجيوس قائد غزة بعد أن ذهب على رأس قوته ليحول دون توغـل العرب في جنـوبي فلسطين . وهـو الذي ذكر بعض مؤرخي العرب أنه قتـل في معركة الداثن ... » ثم ذكر أن هرقل غضب على أخيـه تئودور وجعل بدله قائدا آخر يدعى تئودور وجعله (تريثوريوس Trithurins) وناط به قيادة الشرق ، وأوصاه بألا ينشب المعركة مع الشرقيين (العرب) . ولكن العرب رتبوا كمينا ، وأفرزوا قوة صغيرة لمناوشة الروم ، وحملوهم على التقدم شيئا فشيئا حتى أوقعـوهم في الكمين ، فهجموا عليهم من جهتين ، وقتلوا عـددا كبيرا من جنود الروم وقادتهم ... » [٢] .

يصعب الحصـول على فكرة واضحـة مما كتبه نيسوفورس ، ولعل القتال الذي يشير اليه وقتل فيه خلق كثير من الروم هو القتال الذي وقع في يوم اليرموك ؟ لأن هرقل سخط على أخيه وأبعده عن سورية بعد حدثة (أجنادين) كما يتضح مما جاء في كتب التأريخ .

أمـا المؤرخ السـرياني ميخـائيـل ، فذكر أن عمر تولى الخـلافـة بعـد أبي بكر ، وأرسل جيشا الى العربية (أي المقاطعـة الرومانية التي تدعى العربيـة ، وهي شرقي الأردن) ففتح العرب مدينة بصرى ، وخربوا عدة مدن . وقد وقع ذلك في

(١) دي غويه : مذكرته عن فتح سورية (ص ٣٥) .
(٢) كيتاني : (م ٣ ج ١/٢٦٥) .

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[١] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم في عربة الدئينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بني اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطريرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، لسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الا له ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل لخوفنا من سيف البدو ... » .

وفي موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن ارادة الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فستنقضي عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، وننصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، وسنتأمل العجائب التي تحتويها ... » .

وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بني هاجر الأشرار هي الآن شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

(١) كيتاني : (م ٣ ج ٦٧/١)

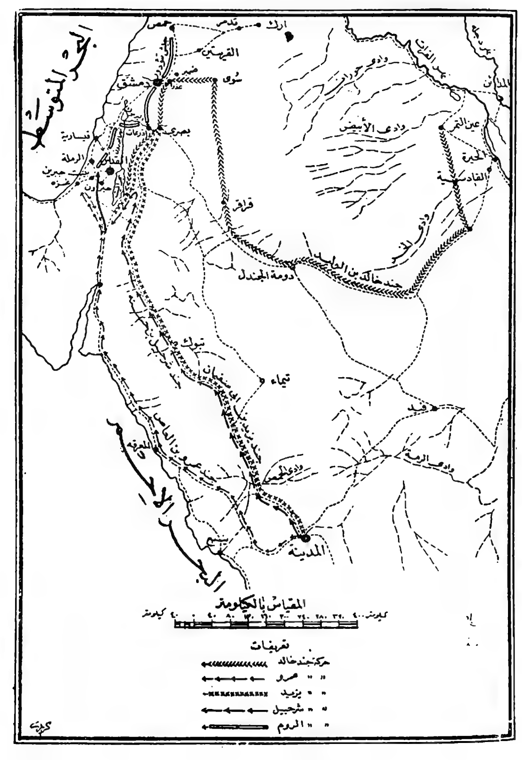
تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق في المسير . أما الروايات التي تزعم أن الجيوش تحركت في وقت واحد ، فلا يؤبه لهـا ، وكذلك الروايات التي تجعل أبا عبيـدة بن الجراح الأمير الرابع ، هي على ما ظهر لنا ضعيفة . أما أن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت . وجاء في أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبي سفيان . وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا في تيماء ، أي عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام . وذكر ابن الأثير في تأريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق [١] .

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؟ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذي كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان مكلفين جمع الصدقات . ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينتهز الروم الحرب الداخلية في بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة في الانتصار للمرتدين .

وليس من شك في أن أبا بكر فكر في ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة . وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأي الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف في المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ فهذا يجوز أن يكون أبو بكر قـدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم في الشام . ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأي عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبي سفيان في محله .

وفي رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التي عقد لها هو جيش يزيد بن أبي سفيان ، وكان هدفه البلقـاء ، وطريقه طريق تبوك . ولعل عمرو بن العـاص كان على رأس الجيش الثاني الذي سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبي فلسطين . أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذي يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبي سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات . وفي التواريخ روايات تروى

(١) تأريخ ابن الأثير (٢/١٥٤) .


البحر المتوسط
حمص
تدمر
ارك
القريتين
دمشق
سوى
عذرا
بصرى
أذرعات
قيسارية
الرملة
القدس
غزة
قراقر
وادي حوران
نهر الفرات
المدائن
وادي الأبيض
عين التمر
الحيرة
القادسية
وادي الخر
جند خالد بن الوليد
دومة الجندل
تبوك
تيماء
فيد
وادي الحمض
وادي الرمة
عمرو بن العاص
المدينة
البحر الأحمر
المقياس بالكيلومتر
تعريفات
حركة جند خالد
" " عمرو
" " يزيد
" " شرحبيل
" " الروم

خارطة ١ ص (٧٩)

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[١] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم في عربة الدثينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بني اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطاربرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، لسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الا له ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل لخوفنا من سيف البدو ... » .

وفي موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن اراده الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فستقصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، وسنتأمل العجائب التي تحتويها ... » .

وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بني هاجر الأشرار هي الان شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

(١) كيتاني : (م ٣ ج ٦٧/١)

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق في المسير • أما الروايات التي تزعم أن الجيوش تحركت في وقت واحد ، فلا يؤبه لهـا ، وكذلك الروايات التي تجعل أبا عبيـدة بن الجراح الأمير الرابع ، هي على ما ظهر لنا ضعيفة • أما أن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت • وجاء في أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبي سفيان • وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا في تيماء ، أي عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام • وذكر ابن الأثير في تأريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق (١) •

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؟ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذي كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان مكلفين جمع الصدقات • ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينهز الروم الحرب الداخلية في بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة في الانتصار للمرتدين •

وليس من شك في أن أبا بكر فكر في ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة • وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأي الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف في المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ لهذا يجوز أن يكون أبو بكر قـدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم في الشام • ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأي عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبي سفيان في محله •

وفي رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التي عقد لها هو جيش يزيد بن أبي سفيان ، وكان هدفه البلقـاء ، وطريقه طريق تبوك • ولعل عمرو بن العـاص كان على رأس الجيش الثاني الذي سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبي فلسطين • أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذي يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبي سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات • وفي التواريخ روايات تروى

---

(١) تأريخ ابن الأثير (١٥٤/٢) •

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذرى أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »[1] • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيدة في معركة اليرموك ، ولم تشر الى وجوده في معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبي سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجرى الآن في الجيوش التى تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة بها ، ففي الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع في منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء في هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذى تجرى الحركات في كورته •

والآن ، فلنبحث في الطريقة المثلى التى ينبغى أن تسلكها هذه الجيوش حين توغلها في بلاد الشام •فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسعى في زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتى اليها منها ، ولأنها سوف تلتجىء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التى ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهذا نجزم بأن البلقاء كانت هدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش في طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات في وصف معركة أجنادين والتي حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية في بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث في المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبي سفيان ، ويستنجد بأبي بكر . تقدمت قواته في بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب في نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت في غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفي هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقي دمشق ، فأغار على الغسانيين في عيد فصحهم في مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة تيودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد أبي عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التي جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبي سفيان في جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة في أجنادين ، فكسر الروم في المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا في بيسان أولا ، وفي فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب في هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية في منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التي أنجدتها حامية دمشق ، في مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشـام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشـام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذرى أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »[١] • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيـدة فى معركة اليرموك ، ولم تشـر الى وجوده فى معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنـا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحـد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبي سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجرى الا ن فى الجيوش التى تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد فى مناطق خاصة بها ، ففى الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع فى منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء فى هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذى تجرى الحركات فى كورته •

والا ن ، فلنبحث فى الطريقـة المثلى التى ينبغى أن تسلكها هـذه الجيوش حين توغلها فى بلاد الشام •فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسعى فى زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتى اليها منها ، ولأنها سوف تلتجىء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التى ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهـذا نجزم بأن البلقاء كانت هـدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش فى طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

---

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات فى وصف معركة أجنادين والتى حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية فى بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث فى المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبى سفيان ، ويستنجد بأبى بكر . تقدمت قواته فى بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب فى نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت فى غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفى هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقى دمشق ، فأغار على الغسانيين فى عيد فصحهم فى مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة تئودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التى جعلت فتح بصرى على يد أبى عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التى جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبى سفيان فى جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة فى أجنادين ، فكسر الروم فى المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا فى بيسان أولا ، وفى فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب فى هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية فى منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التى أنجدتها حامية دمشق ، فى مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

فحاصروها . ولعل هـذا الحصار هو الحصار الأول لمدينة دمشق . أما الثـانى ، فهو الحصار الذى وقع بعد معركة اليرموك .

هكذا يتضح لنا من مجرى الحركات على هذه الصورة أن الجيوش العربية فى قتالها للروم كانت تحرص دائما على أن تكون خطوط اتصالاتهـ وراء ظهرها ، ولم تتقـدم من فلسطين الى دمشق الا بعد أن طردت الروم منها . ولم تلاق كبير عناء فى حصارها الأول لدمشق . وبعد أن تم لها فتح هذه المدينة ، توجهت نحو حمص من غير مقاومة تذكر . والروايات التى تشير الى وقوع قتال بين دمشق وحمص فى أثناء حصار دمشق ، لعلها تشير الى محاولات رومية مخفقة استهدفت فك الحصار عن دمشق . ولم يك فى استطاعة هرقل تجهيز جيش آخر بسرعة ، وقد نهكت حروب الفرس قواته ، وربكت خزانة الدولة ، وكان هذا الارتباك من الأسباب التى سهلت فتح العرب لبلاد الشام ، كما أشـار اليه المؤرخ البيزنطى تئوفانس مبينا أن عدم أعطيات المرتزقـة العرب جعل هؤلاء ينفرون من الروم ، وحملهم على مساعدة المسلمين . لهذا لم يستطع هرقل تجهيز جيش آخر الا سنة خمس عشرة الهجرية ، وذلك بجلب قوات من ارمينية ، والاستفادة من العرب المتنصرة بعد أن أكثر الأعطيات .

ومما يؤيد وقوع معركة أجنـادين قبل اليرموك أن الروايات العربيـة لم تذكر استرداد الجيوش الرومانية للمدن التى افتتحها العرب فى زحفها من حمص الى دمشق ، ففلسطين ، لمقابلة العرب فى أجنادين ، كمدن بصرى وبيسان وفحل وغيرها ، مما يدل على أن معركة سنة خمس عشرة الهجرية وقعت عند اليرموك ، لا فى أجنادين .

يوم المعركة

تكاد الروايات تتفق على أن معركة أجنـادين وقعت فى شـهر جمادى الأولى ، ولكنهـا اختلفت فى يوم المعركة ، فذكر ابن اسحاق أن المعركة كانت لليلتين بقيتـا من جمادى الأولى ، وقال الواقدى : واليقين عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وأيد ابن سعد فى طبقاته هذه الرواية ؛ اذ ذكر أن عمرو بن سعيد قتل فى يوم أجنادين فى جمادى الأولى . أما المدائنى ، فذكر أن المعركة وقعت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وقال البلاذرى : ان المعركة وقعت يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ، ويقال : لليلتين بقيتا منه . ويؤكد اليعقوبى رواية ابن اسحاق والمدائنى بقوله : « وقعة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتـا من جمادى الأولى » . وأورد ابن حبيش أن أبا بكر توفى بعـد أجنادين

بأربعة وعشرين يوما . وهذا يؤيد روايتي ابن اسحاق والمدائني . أما ابن عبدالبر ، فكرر ما ذكره اليعقوبي بقوله : ان أجنادين كانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بدون شهر . وذكر الزهري أنها وقعت في جمادى الأولى . وروى أبو حذيفة اسحاق بن بشر أنها وقعت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى . وقال السيوطي : ان الوقعة كانت في جمادى الأولى . وجاء في تاريخ الخميس أن الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت ، ثم يشير الى رواية تذكر أن المعركة وقعت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وذكر ابن خلدون أن معركة أجنادين وقعت في منتصف جمادى الأولى .

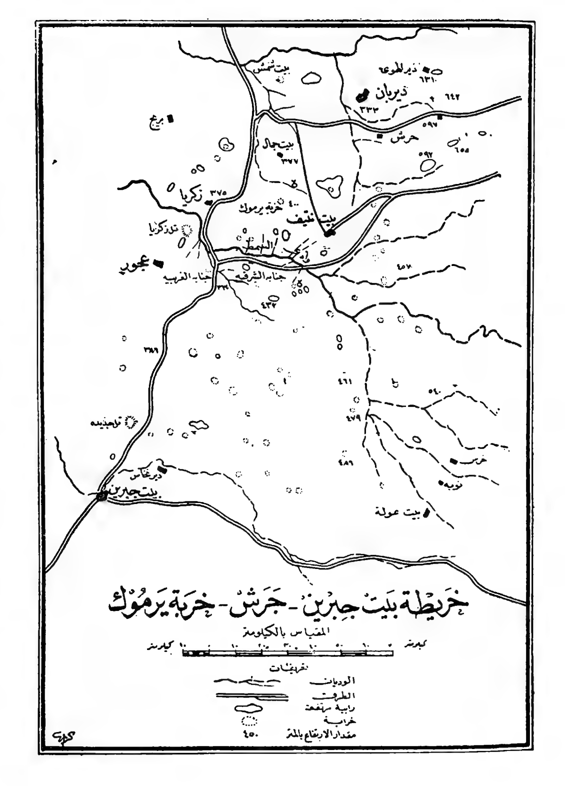
يظهر من هذه الروايات أن ابن اسحاق والمدائني واليعقوبي وابن حبيش متفقون على تاريخ وقوع المعركة ، ويقول المدائني واليعقوبي : انها وقعت يوم السبت . وفي الحقيقة أن تاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية يصادف يوم السبت . أما البلاذري ، فذكر ثلاثة تواريخ ، وجعل يوم الاثنين يصادف ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، مع أن يوم الأربعاء يصادف هذا التاريخ ، وتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الأربعاء كذلك . أما تاريخ ٢٨ جمادى الآخرة فيصادف يوم الاثنين . ولعل البلاذري غير أسماء الشهور ؛ لأن تاريخ ١٨ جمادى الآخرة وتاريخ ٢ جمادى الأولى وتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الاثنين . ولعل التاريخ الصحيح فيما كتبه البلاذري ٢٨ جمادى الأولى ، لا ٢٨ جمادى الآخرة ، وهو يتفق مع رواية ابن اسحاق واليعقوبي والمدائني .

فيتضح من كل ذلك أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية ، أي في ٣٠ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية .

أين وقعت المعركة ؟

راجع الخارطة (٢)

واذا كان في معرفة التاريخ الذي وقعت فيه المعركة بعض المشقة ، فان معرفة المحل الذي جرت فيه المعركة أشق . لقد جرت أكثر معارك الفتوح الأولى في أماكن معلومة لم يطرأ عليها تبدل ما ، أو أنها ظلت مدة غير قصيرة من الزمن كذلك . وقد حدث بعض التحريف في الأسماء سببه الخطأ في النسخ ، كالياقوصة والفاقوصة والواقوصة ، من السهل تمييز الصحيح منها بمعرفة اسم المحل كما يذكره أهله . والغريب أن بعض المؤرخين لم ينتبهوا الى خطأ النسخ ؛ لهذا راحوا يفسرون معنى الاسم المكتوب خطأ ، ويحاولون أن يجدوا صلة بين ذلك الاسم المغلوط فيه وما وقع في الحادثة ، فقالوا : سميت بالواقوصة ،



خريطة بيت جبرين - جرش - خربة يرموك
المقياس بالكيلومتر
تعريفات
الوديان
الطرق
رابية مرتفعة
خرابة
مقدار الارتفاع بالمتر

خارطة ٢ (ص ٨٧)

لأن الروم وقصت أعناقهم حين سقوطهم في انهاوية ، على حين أن اسم القرية التي جرت فيها آخر صفحة من صفحات معركة اليرموك هي الياقوصة ، وما تزال موجودة ، لا الواقوصة كما كتبها المستنسخون خطأ • وكتب البلدان العربية مشحونة بتعليل تسمية الأعلام الجغرافية ورجع التسمية الى أصل عربي ، مع أن الأعلام المذكورة أسماء أجنبية ارامية أو فارسية لا صلة لها بالعربية •

جرت معركة اليرموك قرب نهر اليرموك ، واسم الجابية ما يزال يطلق على الرابية قرب قرية نوى ، كما أن مرج راهط الذي جرى فيه قتال بين خالد بن الوليد والغسانيين أطلق عليه بعد ذلك اسم عذراء ، ولعله مرج عذراء ، كما أشار الى ذلك ابن عساكر • وقرية عذراء أو عدرا ، ما تزال موجودة ، واقعة شرقي دمشق على طريق ضمير • واسم الغمر ما يزال في خارطة فلسطين في وادي العربة قريبا في ملتقاه بالبحر الميت • أما المدن الأخرى التي حوصرت وفتحت كبصرى وقيسارية ، والتي وقع فيها القتال كبيسان وفحل ، فأعلام واضحة • ولكن أجنادين ومرج الصفر ليسا من الأسماء التي لها أماكن معلومة • ولا شك في أن مكانهما كان معلوما لدى من شهد وقائعهما أو من ذكر خبرهما من الأخباريين الأولين • لهذا اكتفى المؤرخون بذكر اسمهما كما ورد في الروايات من دون أن يتثبتوا من محلهما •

وقد اختلف أصحاب المعجمات في اسم أجنادين ، فذكرها بعضهم بكسر الدال ، وآخرون بفتح الدال على صيغة التثنية • وكان محل أجنادين معلوما في القرن الثاني الهجري ، فان المسعودي ذكر أن ناتل بن قيس قتل في أجنادين في فلسطين في عهد عبدالملك [1] •

ونذكر الآن تعريف الرواة والمؤرخين لموقع أجنادين ، وسنرى أنهم لم يتفقوا على المحل ، فقال بعضهم : انه في جنوب دمشق ، وقال آخرون : انه في الأردن • والذين قالوا انه في فلسطين اختلفوا في تعريفه • والروايات هي :

١ ـ قال ابن اسحاق : ان أجنادين بين اللد والرملة وبين جبرين[2] •

٢ ـ وقال أبو حذيفة اسحاق بن بشر : ان أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين[3] •

٣ ـ ذكر عبدالله البكري في كتابه معجم ما استعجم أن أجنادين على لفظ التثنية

---

(١) مروج الذهب ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ ، (٣/ ٤٢)

(٢) الطبري (٢/ ٦١٠) • (٣) معجم البلدان : مادة (أجنادين)

كأنه تثنية أجناد : موضع من بلاد الأردن بالشام ، وقيل : بل بأرض فلسطين بين الرملة وجبرون .

٤ - وقال النويري : ان أجنادين من فلسطين بين بيت جبرين واليرموك .

٥ - جاء في تاج العروس شرح القاموس : أن أجنادين موضع مشهور بالقرب من دمشق الشام كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين .

٦ - جاء في كتاب المؤتلف والمختلف لأبي زكريا يحيى النووي : قال بعضهم : أجنادين محل مشهور في الشام بالقرب من دمشق .

٧ - جاء في تاريخ الاسلام للذهبي استنادا الى رواية ابن اسحاق أن أجنادين بين الرملة وجرش[١] .

٨ - ذكر ابن خلدون أن أجنادين وراء الرملة شرقا[٢] .

٩ - جاء في الاستيعاب عن الحسين بن عثمان الزيادي أن أجنادين في فلسطين بين أبيال جبرين أو جبرون والرملة[٣] .

١٠ - في لسان العرب لابن منظور : ويوم أجنادين معروف كان بالشام أيام عمر ، وهو موضع مشهور من نواحي دمشق ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم .

هذا ملخص المعلومات عن موقع أجنادين ، ويتضح منه أن المؤرخين المسلمين لم يتحملوا عناء البحث في تثبيت موقع أجنادين . واذا كان للمؤرخين القدماء ، كالبلاذري والطبري واليعقوبي ، عذر في ذلك ؛ لأنهم كانوا مقتنعين بأن المحل معروف لدى القراء ، ليس من حاجة الى تعريفه ، فليس لمن بعدهم هذا العذر ، ولاسيما أن الروايات التي استندوا اليها اختلفت كثيرا في تعريف المحل ، وكان ينبغي لهم أن يقارنوا بين هذه الروايات ، ويتحققوا من محل أجنادين ، ويذكروا الرأي الذي توصلوا اليه ، بينما نراهم يكررون قول من سبقهم . والأغرب أنهم ذكروا الاختلاف كقولهم : « وقيل ان أجنادين في فلسطين ، أو الأردن ، أو الشام » .

وسلك أكثر مؤرخي الغرب أيضا الطريقة نفسها ، فكوسن دي برسفال ذكر في كتابه تاريخ العرب أن أجنـادين واقعـة غربي القدس مسافة ١٥ - ٢٠ ميلا[٤] .

(١) المجلد الأول (٣٧٥) .
(٢) المجلد الثـاني (٨٥) .
(٣) الاستيعاب (٥١٩) .
(٤) انظر الى هامش (ص /٤٤٨) من المجلد الثالث :
Histoire Des Arabes: Coussin De Perceval

وذكر في (م ٣/٤٩٩) ، بعد أن قدم معركة اليرموك على معركة أجنادين ، أن أجنادين قرية في غربي القدس بين الرملة وبيت جبرين .

أما المستشرق الانجليزي موير Muir ، فقال في كتابه « الخلافة : قيامها وأفولها وسقوطها »[1] « ان الخصمين (العرب والروم) تقاتلا في ميدان أجنادين المشؤوم بين الرملة وبيت جبرين يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية (٣١ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية) . يجوز اعتبار هذا التأريخ صحيحا . أما موقع أجنادين فقد اختلفت فيه الآراء ، فقيل انه في شرقي الأردن ، وقيل : انه اسم لجون (مجدو) محرفا من كلمة (لجيونوم Legionum) اللاتينية ؛ لأن أجنادين مشتقة من كلمة جند (الجيش) العربية . والفرضية الأخيرة هذه تدل على أن جنوبي فلسطين كان قد فتح قبلا ، وأن المتحاربين كانوا يتقاتلون وقتئذ في فلسطين الوسطى التي سميت فيما بعد جند الأردن . والاعتراض الرئيس الذي يوجه ضد الفرضية الأولى ترك الروم لأعدائهم أرضا واسعة ودفاعهم عن مناطق بعيدة سكن أغلبها البدو ، بينما كان ينبغي أن يحموا أخطر ناحية من نواحي الانبراطورية (أي فلسطين) » .

وقال دي غويه في كتابه « مذكرة عن فتح سورية » : « ان عدم وجود اسم أجنادين في خارطة فلسطين ، ووروده على شكل تثنية جمع جند (أجناد ـ أجنادين) ، جعل (هانبرج ـ Haneberg) يشك أن تكون أجنادين الترجمة العربية لكلمة (لجيو ـ Legio) أي (مجدو) القديمة . لقد ذكر جغرافيو العرب هذا المحل باسم (لجون ـ لجيونوم ـ Legionum) ، ولا ينكر أهمية هذا المحل في مدخل مرج بني عامر (سهل أزدريون) الذي كان له شأن في تأريخ فلسطين العسكري »[2] .

وقال كيتاني : « ان هانبرج أخطأ في اعتماده على مصدره الوحيد كتاب فتوح الشام المنسوب الى أبي اسماعيل الأزدي بجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك ، ولم يشأ أن يلتفت الى مصادر أخرى ، ولم يرغب في ذلك . لقد فتش عن أجنادين في أطراف دمشق ، ولهذا ظن أن معركة أجنادين وقعت في أثناء حصار دمشق ، وافترض أن أجنادين تثنية جمع جند أي (جيش ، معسكر) ، ولاح له أنها تذكرة لاسم (Legio) الحصن الروماني الشهير الذي ذكره أوسيبيوس ، ويسمى الآن لجون . ويحتمل أن تكون مجدو القديمة قرب سهل مرج بني عامر في فلسطين الشمالية ولكنه استند فيما بعد الى

---

(١) The Caliphate : Rire, decline and fall. الطبعة الأخيرة ، (ص ٧٠)

(٢) Mémoire sur La Conquete De Syrie (ص ٥٤)

أسباب أخرى ، واستنتج منها أن موقع أجنـادين يجب أن يكون فى شرقى الأردن ، ملاحظا أنه يشبه كثيرا كلمة (مخنايم) الواردة فى الكتاب المقدس التى تعنى جند ـ جندين ، أى معسكرين . ولما لم يتمكن من تثبيت المحل ظن أن موقع أجنادين يجب أن يكون بين حمص وبصرى ، خلافا للمصدر الذى اعتمد عليه[١] .

وذكر كيتانى فى هامش الصفحة الـ (٣٣) أن برنيتســة Pernice يرى أن معركة أجنـادين هى المعركة التى سـماها المؤرخ الأرمنى سبؤس معركة (ربوث موآب)[٢] . فأجنادين هى ربوث موآب . وبذلك تجنب جميع الدلائل الواردة فى المصادر العربية ، واعتمد على سبؤس وحده برغم انتقاده للغلطات والارتباكات الكثيرة فى كتابه . ويستند برنيتسه فى رأيه هذا الى ما زعمه هانبرج من أن أجنادين واقعة فى شرقى الأردن ، بينما لايوجد مصدر عربى وضع أجنادين فى شرقى الأردن . والذى أوقع برنيتسه فى هذا الخطأ الفاحش قول سبؤس : ان المعركة وقعت فى بلاد العرب ، بينما كلمة Arabia الواردة فى نصه لاتعنى بلاد العرب ، انما تعنى (العربة) التى ذكرها مؤرخو العرب حيث جرى فيها قتال بين الروم والعرب . لقد خلط سبؤس بين معركة العربة ومعركة أجنادين » .

ثم أشار كيتانى الى استنتاجات (فون سيتزن Von Seetzen) [٣] الذى ارتأى أن أجنادين شمال شرقى دمشق ، لوجود محل يشبه أجنادين لفظا يسمى جادين ، أو جيادين . ولكنه بعد أن علم أن الاسم الحقيقى هو (جب عدين) أخذ يفتش عنه شرقى جبل حوران ، أى على حدود البادية .

أما (وايل ـ Weil) ، فانه ـ بالرغم من استناده الى المصادر العربية المختلفة ـ أشار فى كتابه تأريخ الخلفاء الى أن موقع أجنادين ينبغى أن يكون شمال شرقى الرملة فى اتجاه الأردن .

وكذلك اكتفى مولر بما ذكره المؤرخون العرب .

ولنعد الآن الى ماجاء فى المصادر العربية ونوازن بينها ، لنتوصل الى الحقيقة فى تثبت موقع أجنادين . واذا أهملنا الروايات التى تجعل أجنادين فى الشام والأردن ، وقد رواها البكرى والنووى والزبيدى صاحب تاج العروس ، نرى أن الروايات الأخرى

(١) الجزء الأول : Annali Dell, Islam س (٣/٢٧) .

(٢) Angelo Pernce مؤلف كتاب الانبراطور هرقليوش ، طبع فلورنسة سنة ١٩٠٥ . Raboth Moab قرية ربه الواقعة شمال الكرك شرقى البحر الميت .

(٣) حوليات الاسلام ، الجزء نفسه (ص ٢٧) .

تتفق على أن أجنادين فى فلسطين قريبة من الرملة ، كما جاء فى رواية ابن اسحاق وابن حذيفة ورواية البكرى الثانية وابن خلدون • أما رواية النويرى ، فقد جعلت أجنادين بين بيت جبرين واليرموك ، وبذلك قاربت الروايات الأخرى • وأما رواية الزيادى فى الاستيعاب فتجعلها بين أبيال جبرين وحبرون • واذ ليس هنالك موضع باسم أبيال جبرين فى فلسطين، ولا سيما فى جوار حبرون ، فلابد أن تكون كلمة أبيال قد حرفت بالنسخ من أبيات أو بيت ، فيكون الصحيح بين بيت جبرين وحبرون ، أى مدينة الخليل التى كانت تسمى قديما باسم حبرون ، وجاء ذكرها فى معجم البلدان لياقوت • ولعل كلمة جبرون الواردة فى رواية البكرى الثانية ، محرفة من اسم حبرون •

هكذا يتضح لنا أن الروايات كادت تتفق على أن أجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين ، أضف الى ذلك روايتين جعلتاه بين الرملة وحبرون ، فينبغى لنا اذن أن نفتش عن هذا الموقع فى مثلث رؤوسه الرملة وبيت جبرين وحبرون • على أن رواية ابن اسحاق التى ذكرها الذهبى تلقى بعض الضوء على كشف الموقع ، وقد جاء فى هذه الرواية أن أجنادين بين الرملة وجرش • ومن الطبيعى ألا تكون جرش هذه قصبة جرش الواقعة شرقى الأردن ، لأنه لايعقل أن تكون القصبة المذكورة أداة تعريف ، أولا لأنها بعيدة كثيرا عن الرملة ، ثانيا لوجود مواقع أخرى مشهورة كالقدس ونهر الأردن •• فلا بد أن تكون جرش الواردة فى الرواية موقعا آخر قريبا من الرملة • واذا نظرنا الى خوارط فلسطين القديمة ، ولاسيما الخوارط الحديثة أخص منها بالذكر (خارطة فلسطين مقياس واحد على مئة ألف المطبوعة فى دائرة مساحة حكومة فلسطين السابقة) نجد قرية تسمى « جرش » بين لطرون وبيت نتيف ، أى جنوبى شرقى الرملة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا • ولا يستبعد أن الرواية تشير الى هذه القرية بحيث يصح أن تكون واسطة تعريف لموقع أجنادين • وجاء فى رواية النويرى أن أجنادين بين بيت جبريل واليرموك • أما كلمة جبريل فمحرفة من جبرين • وأما اليرموك ، فلا يمكن أن يكون نهر اليرموك ؛ لأنه بعيد جدا عن بيت جبرين ، ولأنه توجد مواقع شهيرة كنابلس وجنين وبيسان بل حتى طبرية ، بين نهر اليرموك وبيت جبرين • لهذا يجوز أن يكون اليرموك هذا اسما لموضع يسمى « يرموك » قريبا من الرملة • وفى هذا الصدد أيضا تساعدنا فى البحث خوارط فلسطين القديمة والحديثة ، لأنه توجد خربة فى شمال بيت نتيف تدعى يرموك أو يرموث ، وهي واقعة الى جنوب غربى جرش على مسافة خمسة كيلومترات ، والى

شمال غربي بيت جبرين على مسافة خمسة عشر كيلومترا • وسنرى فيما توصل اليه دى جويه ، والمستشرق الروسى مدنيكوف ، أن وجود هذا الموضع بالقرب من أجنادين أدى الى ارتباك المؤرخين القدماء في خلط معركة أجنادين بمعركة اليرموك • « ويرموك » هذا ، موقع قديم ، ورد ذكره فى سفر يشوع فى العهد القديم باسم يرموث كما جاء فى الاصحاح العاشر ، الآية الرابعة : « فأرسل ادوين • صادق ملك أورشليم الى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث » • والاصحاح الخامس عشر ، الآية (٣٥) : « وزانوح وعين جنيم وتفوح وعينام ويرموث » ، والاصحاح الواحد والعشرين ، الآية (٢٩) : « ويرموث ومسرحها » • ومن السهل قلب يرموث الى يرموك فى الاستنساخ • ويجوز أن اسم يرموث انقلب الى يرموك مع الزمن ، فكانت القرية فى زمن الفتح تسمى اليرموك •

وذكر كيتانى فى الهامش من الصفحة (٢٩) من الجزء الأول من المجلد الثالث لكتابه الآنف الذكر أن الأستاذ (نلينو) لفت نظره الى أن فى بعض الخوارط الحديثة جاء اسم خربة يرموق بالقاف بدلا من يرموك بالكاف •

واذا صح هذا الاستنتاج ، أى أن جرش الواردة فى رواية ابن اسحاق هى قرية جرش الواقعة الى جنوبى النطرون ، وأن يرموك الواردة فى رواية النويرى هى خربة يرموث الواقعة الى شمالى بيت تيتف ، وجب أن نبحث عن موقع أجنادين فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين •

والآن نذكر ما توصل اليه دى جويه من بحث مستفيض فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » • والحق انه أول من بحث بتدقيق وانعام نظر فى موقع أجنادين ، ففند الروايات ووازن بينها ، واستند الى مجرى الحوادث ، معتمدا على أصح الروايات وأوثقها سواء أكانت اسلامية أم أجنبية ، وانتهى من بحثه الى تثبيت المنطقة التى ينبغى أن يقع فيها موقع أجنادين •

قال دى جويه : « ان هناك ثلاثة افتراضات يجب أن نختار أحداها[1] •

الفرضية الأولى : تفترض أن أجنادين فى ضفة الأردن الشرقية • ومن الداعين اليها هانبرج • وقد حاول أن يجعل أجنادين فى شرقى حوران ، واستند فى محاولته الى كتاب فتوح الشام الذى طبعه Lees فى كلكتة المنسوب خطأ الى الواقدى • واذا صح زعم هانبرج وجب أن تنشب المعركة على حدود سورية الشرقية ، وفى هذه

(١) مذكرة عن فتح سورية ص (٥٢ و ٥٣)

الحالة تصبح خطة العرب الحربية ، وكذلك خطة الروم غير مفهومة ؟ لأن الحدود المذكورة كانت دائما معرضة للغارات البدوية . وقد ناط الروم أمر الدفاع عنها بالعرب القاطنين فيها ؟ فضلا عن أن أهلها ، وهم سكان حوران والبلقاء ، كانوا يميلون الى العرب ؟ لهذا كيف يفترض أن الروم يرسلون خيرة جنودهم للدفاع عنها ، ويتركون فلسطين مفتوحة بوجه العرب وهم يعلمون أن العرب فى حربهم هذه يستهدفون فتح البلاد وامتلاكها لا غزوها ؟ والعرب يفضلون ارسال قواتهم اليها ، بدلا من أن يحشدوها فى حوران والبلقاء ؟ لأنهم يعلمون أن فتح فلسطين يجعل تلك البلاد فى قبضة يدهم بلا قتال .

أما الفرضية الثانية ، فتفترض أن أجنادين فى عمالة الأردن ، وهى شمال فلسطين . وكان سبب ذلك أن خوارط فلسطين لا تذكر اسم أجنادين . ومن المتحمسين لهذه الفرضية هانبرج أيضا ، وافترض ، كما قلنا من قبل ، أن أجنادين تثنية أجناد ، جمع جند ، وهى ترجمة Legio اللاتينية التى تعنى الجند ، أى مجدو القديمة .

وقال دى جويه : ان رواية البلاذرى قد تؤيد هذه الفرضية ، اذ ذكر البلاذرى : « أن أول الناس الذى حاصر قيسارية عمرو بن العاص . نزل فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فاذا كان للمسلمين اجتماع فى أمر عدوهم ، سار اليهم ، فشهد أجنادين »[١] .

يظهر من ذلك أن عمرو بن العاص ذهب من قيسارية الى أجنادين ، فتكون أجنادين وقتئذ من عمالة الأردن ، أى فى شمال فلسطين . واذا صحت هذه الفرضية ، فينبغى التفتيش عن غمر العربة فى شمالى فلسطين بدلا من جنوبها ؟ لأن أكثر الروايات تؤيد انتصار عمرو بن العاص فى غمر العربات قبل مجىء خالد وذهابه منها الى أجنادين ، بينما يقع غمر العربة فى غور فلسطين قريبا من ملتقى البحر الميت بوادى العربة . أضف الى ذلك أن فتح أجنادين مهد لسقوط غزة ، لا سقوط قيسارية .

وأما الفرضية الثالثة : فهى التى توافق رواية ابن اسحاق التى جعلت أجنادين بين الرملة وبيت جبرين . وهى تتفق تمام الاتفاق مع سير الحركات فى جنوبى فلسطين قبل نشوب معركة أجنادين . وقد أشرنا من قبل الى مجرى الحركات فيها وكيف أنها انتهت الى اجتماع الجيوش العربية فى أجنادين . وذكر دى جويه اجتماع الروم فى ثنية جلق كما جاء فى رواية سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى جعل مسيره نحو

(١) فتوح البلدان (١٤٦) .

أجنادين . وقال سيف بن عمر : « وأرسل هرقل الى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفا ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة فى ثنية جلق بأعلى فلسطين » . وقد حاول دى جويه أن يفتش عن موقع جلق فى شمالى فلسطين شمال الخط الذى يصل بيسان بقيسارية ، وقال : انه من المشكوك فيه أن يكون فى هذه المنطقة ، ثم ذكر الرواية التى تجعل جلق فى قرب دمشق كما جاء فى شعر حسان ابن ثابت :

لله در عصــابــة نادمتهــم يوما بجلق فى الزمــان الأول

وأراد أن يجعل جنين محرفة من كلمة جلق ، وجنين واقعة – كما نعلم – شمالى نابلس ، فى المنطقة الجبلية التى تسيطر على مرج بنى عامر . وقال : ينبغى أن تكون ثنية جلق هنا . وذكر ان هذا التحريف أمر طبيعى لدى النساخ(١) .

وقال دى جويه : ومما يؤيد أن أجنادين فى جنوبى فلسطين شعر زياد بن حنظلة :

ونحن تركنــا أرطبــون مطــيرا الى المسجد الاقصى ، وفيه حسور

عشيــة أجنــادين لمــا تتــابعــوا وقــامت عليهم بالعــراء نســور

وأرطبون هذا : قائد الروم فى أجنادين . ولأجل أن تنسحب فلول الروم بعد المعركة الى القدس « المسجد الأقصى » ، ينبغى أن يكون ميدان القتال واقعا غربى المدينة ، أو الى جنوبى غربيها ، أى فى جنوب فلسطين لا فى شمالها . والبيت هذا يؤيد ما ذكره أوطيخيوس أن عمرو بن العاص دخل كورة غزة بعد مجيئه من المدينة . ولما رأى أن قواته لاتكفى لفتح المدينة ، كتب الى أبى بكر ، وطلب اليه ارسال النجدة ، فأمر أبو بكر خالدا بالذهاب الى الشام . ولما انضم هذا القائد الى عمرو ، حاصر مدينة غزة ، وبعد مفاوضات مخفقة جابه فى أثنائها خطرا كبيرا لم يتخلص منه الا بفراسة

---

(١) لم ينتبه دى جويه الى أن جلق قد تكون محرفة من جلين ، وهى قرية واقعة جنوبى تل الجابية على بعد عشرين كيلومترا يمر بها طريق (دمشق – أذرعات) ، ويهبط منها الى أعالى وادى اليرموك مجتازا عقبة أوثنية . ولابد أن جيش تذارق قد نزل بالجابية مترقبا أخبار جيوش المسلمين وقدم صاحب الساقة الى قرية جلين أو جلق ، ولما تأكد أن المسلمين يحتشدون فى الجنوب بغية الدخول فى فلسطين ، ترك الجابية واجتاز نهر الأردن ، ودخل شمالى فلسطين فانضمت اليه قوات من قيسارية ، ثم تقدم نحو أجنادين ويظهر من رواية سيف بن عمر أن صاحب ساقة تذارق نزل بجلين ، أو جلق ، لمراقبة قوات المسلمين فى البلقاء ، وحماية القسم الأكبر من جيش الروم حين اعتزامه المسير نحو فلسطين وبنظرنا أن هـذا الاستنتاج يوافق مجرى الحركات العسكرية . ولما كان الاسم ورد فى بيت حسان بن ثابت « جلق » لا « جلين » فلا يستبعد أن يكون بمرور الايام تغير الى جلين .

مولاه وردان ، وقعت معركة فى أجنادين منى الروم فيها بهزيمة نكراء ، والتجأت فلولهم الى القدس وقيسارية .

ويشير دى جويه بعد ذلك الى رواية سعيد بن عبدالعزيز التنوخى نقلا عن البلاذرى[1] جاء فيها : أن المسلمين اجتمعوا عند قدوم خالد على بصرى ، ففتحوها صلحا ، وانبثوا فى أرض حوران جميعا ، ثم مضوا الى فلسطين والأردن . ثم قال دى جويه : « اذا كان هدف المسلمين غزة وفلسطين ، فيتوقع أن تنشب المعركة أيضا فى فلسطين . ويؤيد ذلك شعر زياد بن حنظلة من جهة ، وما ذكره أوطيخيوس من جهة أخرى » . ثم أشار الى الارتباك الذى أوقع مؤرخى المسلمين فى الخلط بين معركة اليرموك ومعركة أجنادين ، وتقديمهم الواحدة على الأخرى ، الى أن قال : « ان سيفا (سيف بن عمر) جعل معركة (اليرموك ـ الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التى وقعت فى سورية ، بدلا من معركة أجنادين ، استنادا الى روايات قديمة مازلنا نرى آثارها لدى البلاذرى والمدائنى ، بالرغم من أنهما قدما معركة أجنادين على معركة اليرموك سنتين ؟ لأنهما يتحدثان عن مناوشة جرت فى الياقوصة بعد معركة أجنادين بمدة قصيرة » .

نذكر رواية البلاذرى التى ذكرها دى جويه آنفا : قال البلاذرى : « قالوا ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة ، والياقوصة واد فمه الفوارة ، فلقيهم المسلمون هناك »[2] .

ثم يقول دى جويه : « وقعت معركة الياقوصة فى المكان الذى ينصب فيه وادى الياقوصة فى وادى اليرموك . وكان من أمر ذلك أن المعركة سميت تارة باسم النهر ، وتارة أخرى باسم الوادى . لقد وجد هذان الاخباريان فى بعض الروايات التى استندا اليها خبر معركة الياقوصة . ولأجل أن يحافظا على تأريخ وقائعهما من جهة ، ويظلا متمسكين الى حد ما بتلك الروايات من جهة أخرى ، سوغا لأنفسهما ـ بتمحيص غريب بعض الغرابة ـ أن يجعلا من معركة واحدة معركتين ، وأن يسميا كلا منهما بأحد الاسمين الواردين فى الروايات المذكورة . وفضلا عن أنه يستبعد جدا أن ينشب قتال مرتين فى محل واحد ، فانه يستحيل جغرافيا وقوع المعركة فى الياقوصة بين معركة أجنادين ومعركة فحل . أضف الى ذلك انه ليس هنالك سبب ما يؤيد افتراض وجود نهرين أو واديين بالاسم نفسه .

ويظهر من ذلك أن الرواية التى تشير الى أن معركة اليرموك وقعت هنا ، هى

(١) فتوح البلدان (١٣٢) (٢) فتوح البلدان : (١٢١)

رواية قديمة جدا ، فلا يصح أن تعد محض تلفيق ابتدعه سيف • ولكى ترى كيف نشأت تلك الرواية ، أذكر ما تراءى لى فى هذا الصدد فأقول : جعل ابن اسحاق موقع أجنادين بين الرملة وبيت جبرين • أما البكرى ، فقد جعله بين الرملة وحبرون (جبرون) • ويوجد موقع يرموث القديم قرب هذين الموقعين ، وهو موقع كان يسمى فى عهد أوسيوس وجيروم (يرموثا) حيث عده (روبنصن) الموقع الذى نشبت فيه معركة اليرموك (١) •

ثم ون دى جويه : « اذا قبلنا أن أجنادين واقع قرب يرموث ، أعطنا الدم فورا عن الغموض الذى أحاط بالأمر • هكذا يتضح لنا كيف أن معركة أجنادين لتختلط ، أو كادت تختلط بمعركة اليرموك • فيتجلى لنا لماذا ذكر أحد المؤرخين أن البطل الفلانى استشهد فى معركة اليرموك ، بينما قال مؤرخ آخر ان ذلك البطل استشهد فى أجنادين » •

وبعد أن أشار دى جويه الى ما أورده البلاذرى من أسماء بعض الصحابة المعروفين الذين قتلوا فى أجنادين ، أورد قول البلاذرى : « ويقال انهم قتلوا فى اليرموك » • وبنظر دى جويه ان استبدال يرموك بيرموث ، كان من أهم الأسباب التى أدت الى الارتباك الغريب فى تأريخ وقائع فتوح الشام (٢) •

ويستدل مما سبق على أن الساحة التى جرت فيها معركة أجنادين ينبغى أن تكون فى المثلث الذى يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين ، وألا تكون بعيدة عن خربة يرموك • ومما يلفت النظر أن الخوارط القديمة والحديثة التى ذكرت قرية جرش وخربة يرموث - ويرجع عهد هذا المكان الى قبل عهد يشوع - لم تشر الى أجنادين •

ترى أأطلق العرب كلمة أجنادين على يوم من أيامهم جرى فيه القتال بينهم وبين الروم ، جريا على عادتهم فى الجاهلية فى تسمية الأيام أم هى كلمة محرفة من عمل النساخ ؟ • وقد تراءى لدى جويه هذا الظن فى كتابه ، فقال : « كنت أرى قبلا أنه من الخطأ أن أجنادين اسم جنس صيغ من تثنية جمع جند ، مضاف الى وقعة أو يوم انطباقا على قاعدة جمع الجموع فى اللغة العبرية كخماتيم (الجدار المضاعف) وكما هو شائع فى اللغة العربية • فيوم أجنادين قد يعنى وقتئذ المعركة التى جرت بالجيشين المجتمعين ، جيش الشام وجيش العراق ، الا أن هذا الظن خطأ ؛ لأن أجنادين فى

(١) مذكرة عن فتح سورية (٥٨ و ٥٩) •
(٢) مذكرة عن فتح سورية (٦٠) •

هذه الحالة لايمكن أن تستغنى عن حرف التعريف (يريد أن يقول يوم الأجنادين) ، أضف الى ذلك أن كلمة أجنادين أو أجنادين لم ترد بشكل اسم خاص فى شعر زياد ابن حنظلة وفى شعر كثير ـ كما ذكره ياقوت والبكرى[١] فحسب • ولكن ذكرها المسعودى فى كتابه مروج الذهب حينما يقول : ان ناتل بن قيس قتل فى وقعة أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك »[٢] •

يعتقد كيتانى أن المستشرق الروسى ميدنيكوف هو أول من كشف السبب الذى وضع اسم أجنادين ، وخلاصة ما ذكره كيتانى من كشف ميدنيكوف هى : أن ميدنيكوف استند فى بحثه الى ما توصل اليه دى جويه من أن المعركة ينبغى أن تجرى قرب خربة يرموث أو يرموك ، واستشهد بخارطة دليل فلسطين لبيديكر ، وقال ان الخربة تقع فى جوار ملتقى الطرق الممتدة بين غزة وبيت جبرين وبين بيت جبرين والقدس وبين بيت جبرين واللطرون والرملة • ويمتد وادى السمط فى جنوبى الخربة ، وهو يؤلف خط دفاع بين المعسكر العربى والمعسكر الرومى ؟ لأن الروم بواسطة هذا الخط الدفاعى يحتفظون بخطوط مواصلاتهم سواء بالقدس أو باللد أو بقيسارية التى كانت من أهم المراكز العسكرية فى فلسطين •

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم وعسكر الروم فى شمال الوادى قرب خربة يرموك • وفى جنوب الوادى موقعان وهما الجنابة الغربية والجنابة الشرقية ، والطريق يمر من بينهما ، وارتفاع الأولى (٩٥٠) قدما ، وارتفاع الثانية (١٢٤٥) قدما • أما ارتفاع خربة يرموك فهو (١٤٦٥) قدما • وقد عسكر الروم فى هذا الموقع المسيطر المشرف على وادى السمط ، فجعلوا خط الاتصال بالقدس وبقيسارية على جانبيهم •

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم سموا المعركة بمعركة الجنابتين ، كما استعملوا كلمة الأبانين فى تسمية الجبلين الواقعين فى نجد ، وكما سموا الأشمونين فى مصر للدلالة على تثنية أشمون • ويضيف كيتانى قائلا : « لهذا توصل ميدنيكوف الى افتراض موفق عبقرى بافتراضه أن اسم أجنادين يمكن أن يكون من خطأ النساخ الذين وجدوا كلمة الجنابتين بغير علامات • ولما كانوا يجهلون محل هذين الموقعين ، قلبوا الكلمة الى أجنادين • وهذا ارتباك تسهل معرفته

(١) شعر كثير المذكور فى كتاب معجم ما استعجم للبكرى هو :

فالا تكن بالشام دارى مقيمة — فان بأجنادين كنى ومسكنى

(٢) مذكرة عن فتح سورية : (ص ٥٩ و ٦)

اذا ما كتبت الكلمات بحروف من غير علامات » (١) •

ثم قال كيتاني ما يلي : « اذا صح أن أجنادين تحريف الجنابتين ، لزمنا ـ خلافا لدى جويه ـ أن نفضل كتابة أجنادين (بفتح الدال) على أجنادين (بكسر الدال) (٢) •

وأخيرا يلخص كيتاني بحثه المسهب عن موقع أجنادين ، فيقول : « انه قد جمع كل المواد المتعلقة بالقضية ، وقد يتجلى للدارس الأمور الآتية التي لا يسعه أن يبدي في شأنها انتقادا ما :

(١) أن اسم أجنادين غير قياسي ، ولا بد أن يكون محرفا ، كما حرف النساخ كلمة يقوصة الى واقوصة •

(٢) أن معلومات المصادر كلها ، باتفاق أكثرية المطلعين الموثوق بهم ، تجعل معركة أجنادين في جوار خربة يرموك وبيت جبرين •

(٣) يوجد في طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابة ، تثنى بالجنابتين ، واذا ما كتبت هذه التثنية بغير علامات أشبهت كثيرا كلمة أجنادين •

ثم يقول : لكل امرىء أن يختار النتائج التي يفضلها • واذا كان افتراض ميدنيكوف خاطئا ، فان ذلك لن يضعف قيمة النتيجتين الأخريين » •

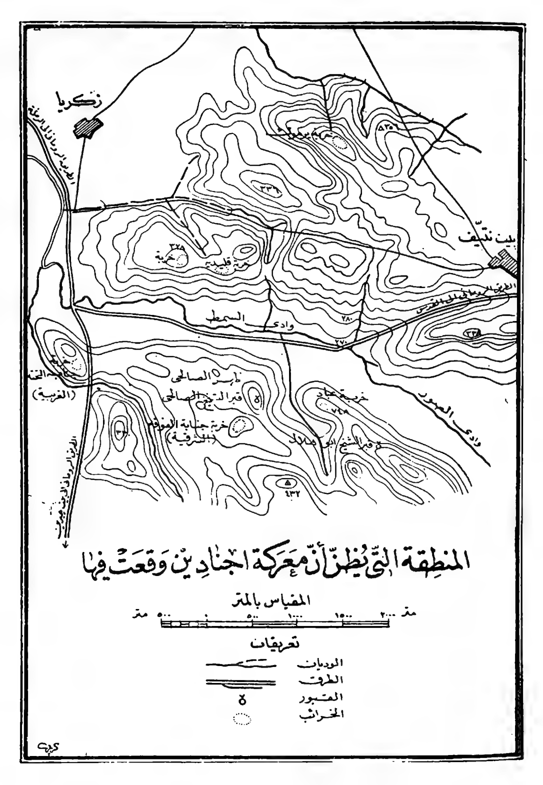
وصف طبغرافي للأرض التي نظن أن المعركة وقعت فيها

(راجع الخارطة ٣)

ولما أنهى دي جويه بحثه التأريخي والجغرافي الثمين عن معركة أجنادين ، قال : ان درس حالة الأرض في جوار خربة يرموك يميط اللثام عن الموضع الذي جرت المعركة فيه ، ويكشف عن كلمة أجنادين أهي استنساخ عربي للاسم الرومي القديم (اجنابتون) أم هي ترجمة (٢) •

وذكر كيتاني أن مشاهدة الأرض وتدقيقها توصلان الباحث الى التأكد منها هل كانت صالحة لنشوب معركة فيها ؟ وقال : انه فكر مرات أن يذهب لمشاهدة الأرض ، ثم حاول ذلك ولكنه لم يوفق ، لهذا رجا من المستشرق جوزيف هورويج الذي زار الشرق سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م ، أن يدرس حالة الأرض ، فشاهد هذا المستشرق الأرض سنة ١٩٠٦ م ، ودرسها ، وأخذ تصويرها ، ثم كتب الى كيتاني يقول : ان نظرة يلقيها

(١) هامش (ص ٣٣) •
(٢) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (ص ٣٣) •



زكريا
بيت نتيف
وادي السمط
خربة قليدية
ظهر الصالحي
قبر الشيخ الصالحي
خربة عباد
خربة جنابة الفوقة (الشرقية)
جنابة التحتا (الغربية)
وادي الصبور
المنطقة التي يظن أن معركة اجنادين وقعت فيها
المقياس بالمتر
تعريفات
الوديان
الطرق
القبور
الخرائب

خارطة ٣ (ص ٩٩)

المرء على الأرض تجعله يقتنع كل الاقتناع أنها صالحة جدا من الوجهة الطبغرافية والعسكرية لنشوب معركة فيها ، وبذلك أيد ما وصل اليه دى جويه وما استنتجه ميدنيكوف • فأبدى كيتانى بعض الملحوظات العسكرية ، وتساءل : هل حالة الأرض مساعدة لنشوب معركة كبيرة فيها ؟ ويجيب أن ما وصفه هورويج وما جاء فى الصور وما رسم فى الخارطة يؤيد ذلك • فحالة الأرض تصلح لحركة قوات كبيرة فيها ، وهى متموجة غير وعرة ، تتحرك الخيالة فيها بسهولة • ويمر وادى السمط من المثلث الذى تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية ، ويجرى موازيا لها • وهو عريض تسيطر عليه خربة يرموك ، رأس المثلث ، فى محل مركزى فى وسط الطرق • والأرض بين الخربة والوادى متموجة ومسورة بأدغال ، والآثار الباقية تدل أنها كانت مسكونة فيما مضى • وخربة يرموك واقعة فوق رابية على جانب المرتفع • وتمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادى ، وتتخللها تلول صغيرة • ويمكن الجزم أن الروم احتلوا هذه الهضبة المسيطرة على وادى السمط الممتد من الشرق الى الغرب • والموضع قوى ، يستر خطى المواصلات فى جانبيه •

وفى الضفة الجنوبية للوادى يمتد خط مؤلف من رواب تقوم أنقاض الجنابتين فى جانبيه • والجنابة الغربية أقل ارتفاعا من الجنابة الشرقية ، وهى واقعة على هضبة واسعة ، الحد الغربى لوادى السمط • واذ أن الروم أتوا من الشمال ، والعرب تقدموا من الجنوب ، فيقتضى أن يكون خط الروابى المرتفع بين الجنابتين الموضع الذى احتله العرب قبيل المعركة ؛ لأنه يسهل الدفاع عنه ضد الروم من جهة ، ويصلح من جهة أخرى للهجوم على موضع الروم •

ثم يقول كيتانى : اذا كانت هذه الاستنتاجات صحيحة ، يستنبط منها أن انتصار العرب طور الحركات الحربية من الجنابتين نحو الشمال الى وسط الوادى ، ثم امتدت حتى موقع يرموك (١) •

النتيجة

أثبتنا فيما سبق كل ما قيل عن أجنادين ، ووازنا بين الروايات ، وانتهينا من بحثنا الى أن معركة أجنادين وقعت بين الرملة وبيت جبرين قرب خربة يرموك ، ورأينا أن دى جويه وكيتانى بحثا الموضوع بعناية ودراية ، وأن المستشرق الروسى ميدنيكوف أيد رأى دى جويه ، وزعم أنه كشف سبب تسمية العرب للمعركة بأجنادين • وقد أيده

(١) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (٣٤ ، ٣٨)

كيتاني في زعمه هذا الى حد ما •

أما أن المعركة وقعت في فلسطين ، فلا شك في ذلك ، ونقصد بفلسطين هذه القسم الجنوبي من فلسطين ، أي القسم الواقع جنوبي خط يوصل القدس بقيسارية ؛ لأن العرب سموا البلاد الواقعة شمالي هذا الخط بالأردن • فطبرية وبيسان ونابلس وقيسارية وعكا من الأردن ، وغزة وعسقلان وبيت جبرين وحبرون واللد والرملة من فلسطين • والذي يفهم من الروايات العربية المتضاربة والأخبار الرومية والسريانية ، ولاسيما ما كتبه أوطيخيوس ، أن عمرو بن العاص دخل فلسطين من الجنوب ، وتقدم في كورة غزة ، ونشب قتال بينه وبين بطريق غزة • ولما تأكد أن الروم أقوياء تسحب الى الغمر في غور العربة ، وطلب النجدة من أبي بكر • أما الروم ، فلما بلغهم أن العرب توغلوا في جنوبي فلسطين ، وأنهم يستهدفون الفتح لا الغارة ، اهتموا للأمر • ولابد أن بطريرك القدس استنجد بهرقل ، فبعث هذا أخاه تئودور على رأس قوة على أن تنضم اليه بعض الحاميات المرابطة في أنحاء فلسطين •• فسار هذا بجيشه من حمص حيث كان هرقل ، وأرسل من يسوق قوته حتى نزل صاحب الساقة بثنية جلق • وهذا الموقع هو ــ كما ذكرنا آنفا ــ في جنوبي الجابية على طريق (دمشق ــ اذرعات) • ولعل صاحب الساقة كلف مراقبة قوات يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة في شرقي الأردن • ثم أتى خالد بن الوليد بجنده من العراق ، واجتمع بتلك القوات ، وبعد فتحه بصرى تقدم نحو الجنوب على رأس القوات المذكورة ، والتقى بجند عمرو بن العاص في الغمر •

ولا يستبعد أن جيش الروم مكث مدة من الزمن قرب الجابية يراقب حركة جيش خالد • ولما علم أن خالدا سار نحو الجنوب ، ترك الجيش الرومي الجابية هدفه فلسطين ، فاجتاز الأردن ، وتقدم الى وسط فلسطين • وكان هدفه الأول حماية القدس وبيت لحم ، فوصل الى الخط الذي يوصل القدس بالرملة ، وارتأى قائده الوقوف في أطراف خربة يرموك شمال وادي السمط ، وبذلك يكون قد اختار موضعا مركزيا لسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا التقدم نحو القدس أو نحو قيسارية قاعدة البلاد • وفي هذا الموضع تلتقي الطرق الرومانية القديمة • ولما رأى قائد الجيش الرومي صلاح هذا الموضع للدفاع والهجوم ، عسكر في الهضبة الممتدة جنوبا نحو وادي السمط جعلا طريق القدس على جانبه الأيسر ، وطريق (الرملة ــ قيسارية) على يمينه - وبذلك يكون قد اختار « موضعا جنبيا » كما يعبر عنه في المصطلحات العسكرية ؛ لأنه يسد جميع الطرق القادمة من الجنوب ، ويضطر العدو الى مهاجمته ،

ولا يمكن للقوات العربية أن تترك الجيش الرومى على جانبها ، وتتقدم نحو القدس أو قيسارية •

ويلوح لنا أن الجيش الرومى سبق القوات العربية فى احتلاله هذا الموضع ؛ لأن الطريق بين الجابية وخربة يرموك أقصر كثيرا من الطريق التى قطعها خالد ، مجتازا شرق الأردن من الشمال الى الجنوب ، حتى وصل الى الغور فى جنوبى البحر الميت ، واجتمع بجند عمرو بن العاص فى وادى العربة • ثم سارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقى ، فتجنبت المدن الحصينة كحبرون وغزة وغيرها ؛ لأن الروايات لم تسهب فى فتح مدن فلسطين قبل معركة أجنادين • أما ما ورد من أخبار فتوح بعض المدن قبل أجنادين ، فلا بد أنها تخص فتوحات وقعت بعد الانتصار • وأخيرا تقدمت القوات العربية شمالا ، ولما وصلت جنوب وادى الصمت ، عسكرت فى الهضبة الجنوبية ، وجعلت الوادى ستارا لها • ولعل القادة العرب قد استخبروا من أهل البلاد عن حركة الجيش الرومى ، وعلموا أنه يعسكر فى الشمال ، وتؤيد ذلك رواية الطبرى ، اذ قال : « فخرج (عمرو بن العاص) حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم فى حصونهم وخنادقهم »[1] •

ان من ينظر الى خارطة فلسطين (مقياس ١/٠٠٠،٠٠٠) ، وكذلك الخارطة المفصلة (مقياس ١/٢٠٠٠٠) ، ويدرس حالة الأرض وأوصافها الطبغرافية على طرفى وادى الصمت ، يتبين له صلاح تلك الأرض للقتال فى الدفاع وفى الهجوم على حد سواء •

الى هنا يستمر البحث منسجما أقرب ما يكون الى الواقع ، ومنطبقا على المقتضيات العسكرية • انما الذى لايدعو الى الاطمئنان زعم ميدنيكوف أن أجنادين محرفة من الجنابتين ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) اذا صح هذا التعريف ، يكون قد وقع فى زمن متقدم جدا ؛ لأن كلمة أجنادين وردت فى جميع المصادر العربية القديمة بلا استثناء ، ولاسيما رواية اليعقوبى الباحثة عن مقتل نائل فى زمن عبدالملك ، فانها تشير الى أجنادين نفسها •

(٢) ينبغى أن تكون قريتا الجنابة الشرقية والجنابة الغربية موجودتين فى زمن الفتوح ، والواقع أن كلمة جنابة عربية ولا يوجد فى المعجمات الجغرافية القديمة موقع جنابة فى فلسطين ما عدا الجنابة الواقعة فى بلاد فارس كما ذكرها ياقوت فى معجمه قائلا : بلدة صغيرة من سواحل فارس •

(٣) لا نظن أن القرى العربية قد انتشرت كثيرا فى فلسطين فى زمن الفتوح •

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/١٠١)

ويلوح لنا أن القريتين المذكورتين أقيمتا بعد الفتح حينما استوطن العرب فلسطين .

لهذا لا نتفق مع ميدنيكوف وكيتانى على أن كلمة أجنادين محرفة من الجنابتين . ويتراءى لنا أن الاستدلال الأقرب الى الواقع ما ارتآه دى جويه من أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، بالرغم من أنه عدل عن رأيه هذا مستندا الى أنه كان ينبغي أن يسبق الاسم حرف تعريف ، كقولك يوم الأجنادين ، أو وقعة الأجنادين ؛ ولأن اليعقوبى أشار الى مقتل ناتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك ، مما يدل على أن هذا الموقع كان موجودا فى فلسطين فى ذلك العهد .

وبالرغم من صدوف دى جويه عن هذا الرأى يلوح لنا أن أجنادين اسم جنس مضـاف الى يوم أو وقعـة ، وسببه أن المعركة وقعت لأول مرة بين العرب والروم ، واشترك فيها من جانب العرب أربعة أجناد : أى جند خالد ، وجند عمرو بن العاص ، وجنـد يزيد بن أبى سفيان ، وجنـد شرحبيل بن حسنة . واذا كانت العرب اشتركت بأجنادها ، فقد ظهر للعرب أن الروم أيضا اشتركت بأجنادها : أى جند قيسارية ، وجند غزة ، والجند الذى جهزه هرقل بقيادة أخيه تئودور . ولا شك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل . والروايات العربية مجمعة على أن الجيش العربى كانت عدته أربعة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا . واشتركت الروم بخيلها ورجلها وبطارقتها وقسيسيها .

وقـد سبق أن سمى العرب بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محل ، انما تدل على سبب القتـال أو وصف القتال ، أو ما وقع فيه من حـالات ، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الزويريين ويوم الشقيقـة ويوم الصفقـة وحرب حاطب . وكذلك فعلوا فى عهـد الفتوح ، ففى القادسية مثلا سموا معاركها بيوم أرماث ويوم أغواث ويوم عماس ويوم الهرير ، وسموا المعركة التى وقعت بأطراف البصرة بين على والزبير وطلحـة بوقعة الجمل . وهنـاك معركة بحرية سميت بذات الصوارى . وأطلقوا على اسـم المعركة التى وقعت بين عبـدالرحـمان الغـافقى والافرنج معركة بلاط الشـهداء .

والسبب الذى ساق دى جويه الى العدول عن رأيه لايؤيه له ؛ لأنه متى أصبحت كلمة أجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النسـاخ أهملوا كتابة حرف التعريف . وكذلك وجود موضع يدعى بأجنادين فى فلسطين فى زمن عبدالملك ، لا يكون نافيا للاستدلال على كلمة أجنادين . وما دامت المعركة سميت بمعركة الأجنادين ، فلا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه .

طه الهاشمى

تواريخ مصرية أغفال وتعريف بمؤلفيها

١ ـ شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب

فى المتحفة البريطانية بلندن نسخة من تأريخ موسوم بشفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب رقمها « ٧٣١١ » فى الفهرست العتيق ، ومخرمة مقدار ورقة واحدة كان اسم مؤلف التأريخ مكتوبا فيها فذهب معها ، وقد صورت الجامعة المصرية نسخة من هذا الكتاب ، لتحفظ فى خزائنها ، ولبعض أدباء مصر نقل منها فى ترجمة شرف‌الدين ابن عنين الشاعر ، قال هذا الدكتور المؤرخ فى أول استشهاده بهذا الكتاب : « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ... وهو مخطوط مجهول المؤلف ، منه صور شمسية فى مكتبة جامعة فؤاد الأول »[١] .

ونسخة الأصل التى أشرنا اليها مكتوب عليها بخط أحدث من خطها الأصلى « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » مرتين ، وعدة ورقها « ١٣١ » ورقة ، ولعلها نسخة المؤلف عينها بالنظر الى تأريخ الخط ، والمقدمة تدل على أن المؤلف أهدى كتابه الى أحد الملوك ، وابتدأ الكتابة بمدحه ، والثناء الحسن عليه وعلى أهله ، والباقى من ذلك كما جاء فى أول الورقة الثانية :

« سلفه الطاهر وأبنائه ، ويجمع له منهم الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والبادى والحاضر ، وذلك جهد المقل ، ومن بذل جهده فقد أوجب حمده ، وجاء فى الصحيح : صدقة درهم سبقت مئة ألف درهم . وما ذلك الا لهذا المعنى ، فجمعت لحضرته العلية المقام ، ورتبته المولية الانعام على الدوام ، كتابا يزداد به ذكره على مرور الأيام جدة ، ويذكر بمحاسن الأهل عند الوحدة ، (كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لهرم بن سنان[٢] : ما أعطى أبوك زهير على قصيدته اللامية ؟

---

(١) جمال الدين الشيال فى مجلة الثقافة (ج ٢٥٤/ص ١٩ ، سنة ١٩٤٣) .

(٢) هذا وهم ، والصحيح أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان ، وفى الأغانى (٣٠٤/١) من طبعة دار الكتب : أن عمر قال لبعض ولد هرم : أنشدنى بعض مدح زهير أباك . فأنشده ، فقال عمر : ان كان ليحسن فيكم القول قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء فقال : ذهب ما أعطيتموه ، وبقى ما أعطاكم وهذا أشبه بأسلوب ذلك العصر مما نقله هذا المؤرخ

قال : بقايا وآثارا وأشياء أفناها الدهر • قال عمر : لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر ، وفى رواية : أعطاه كذا وكذا وأشياء أنسيتها • فقال : ما أعطاكموه لا ينسى) فى مآثر بيته الذى رفع على أحسن عماد ، ومناقب أهله الأجواد الأمجاد ، سلاطين الاسلام ، وأعيان الأعلام ، وزين الزمان ، وفخر الأوان ، الذين هم ـ كما قال بعضهم :

عاشوا كراما وماتوا كراما وعاش فى فضلهم الكرام
خلت الأسرة والمنابر منهم فعليهم حتى الممات سلام

وختمته بذكر مناقبه التى هى واسطة[1] هذا النظام ، ومحاسنه الشريفة التى هى مسك الختام • وقد أردفه المملوك ، بذكر السادة الملوك ، أولاد المقام الأشرف الذين هم عين الأعيان ، ونخبة الزمان ، والنجوم الزواهر ، والبحور الزواخر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

اللهم ! شد عضده وساعده ، وكن فى الحوادث معاضده ومساعده • وسميته « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، على أننى لا ألتزم استيعاب الأخبار ، ولا ذكر جميع الآثار ، لكن نبهنا بما ذكر على ما لم يذكر ؟ فان عجائب البحر لا تحصى ولا تحصر ، فان وقع من خاطره الكريم فى حيز القبول ، فهو غاية المقصود ومنتهى السول ، والا

فغايتى أن ألوم حظى وحظى الحائط القصير

والمسؤول من احسان الواقف عليه ، والواصل اليه ، أن يغفر الزلل ويسمح ، الخطأ ويصفح ؟ فانى معترف بالتقصير ، معتذر الى حضرة من اليه هذا الكتاب يصير ، متمثل بقول العالم الكبير :

وان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وبالله أعتضد فيما أعتمد ، وأعتصم عما يصم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ومن هنا نشرع فيما نحن بصدده ، والله الموفق والمعين والمسهل للاتمام » •

وقد صرح باسم والد الملك المذكور فى الورقة « ١٢٦ » قال : « ومنهم الملك العادل ، السلطان الأعظم ، الملك الاكرم ، العالم العامل ، المجاهد المرابط ، السيد الأجل ، مجمع الفضائل ، معدن الفواضل ، محط رحال الأفاضل ، الملك السعيد الشهيد العادل ، أبو المفاخر سليمان فخر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين •••

(١) بين واسطة وهذا كلمة مضروب عليها بالقلم •

ابن الملك العادل شهاب الدين غازى ابن الملك العادل مجيرالدين محمد بن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى ، وقيل : محمد بن الموحد تقى الدين عبدالله ابن المعظم غياث الدين » ١٢٧[١] . استدللنا على ذلك بقوله فى الورقة « ٩ » : « وأحسن من ذلك كله قول المقام العادلى ــ تغمده الله برحمته ــ والد الملك الأشرف ، من جمع باسمه هذا الكتاب ــ خلد الله ملكه » .

وقد توفى الملك العادل سنة ٨٢٧ هـ ، قال ابن العماد الحنبلى فى وفيات هذه السنة : « وفيها الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الملك الكامل غازى ابن محمد أبى بكر بن شادى صاحب حصن كيفا وابن صاحبه ، تسلطن فى الحصن بعد موت أبيه ، وحسنت أيامه . وكان مشكور السيرة ، محبا للرعية ، مع الفضيلة التامة ، والذكاء ، والمشاركة الحسنة . وله نثر وديوان شعر لطيف ... واستمر فى مملكة الحصن الى أن توفى ، وأقيم بعده ولده الملك الأشرف أحمد المقتول بيد أعوان قرا ايلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة »[٢] .

وذكره قبله الحافظ شهاب الدين ابن حجر ، قال فى وفيات سنة ٨٢٧ هـ : « سليمان ابن الملك العادل ... ابن أيوب ، أقعد ملوك أهل الأرض فى مملكة حصن كيفا ... واستقر بعده فى مملكة الحصن ولده الملك الأشرف أحمد بن سليمان ، ثم قتل أحمد فى سنة ست وثلاثين واستقر فى مملكته ولده عزالدين الفضل ... »[٣] .

وجاء فى وفيات سنة ٨٣٦ هـ من الشذرات : « وفيها الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان الأيوبى صاحب حصن كيفا ، قال ابن حجر : كان دينا فاضلا ، له شعر حسن ، وقفت على ديوانه وهو يشتمل على نوائح فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك . وكان جوادا ، محبا فى العلماء (كذا) . خرج فى عسكره لملاقاة السلطان[٤] على حصار آمد ، فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح ، فوقع به فريق من التركمان ، فأوقعوا به على غرة فقتل ، ووصل بقية أصحابه وولده خليل ، فقرر ولده فى مملكة أبيه ولقب بالصالح »[٥] .

---

(١) هنا نقصان .

(٢) شذرات الذهب (١٧٨/٧)

(٣) أصول التأريخ والأدب (٩٦/١٢) نقلا من الجزء الثانى من « أنباء الغمر بانباء العمر » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ١٦٠٢ » و « ١٣٩ » .

(٤) هو أبو النصر برسباى بن عبدالله الدقماقى الملقب بالملك الأشرف المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

(٥) الشذرات (٢١٦/٧) .

فهذا الكتاب أهداه مؤلفه الى الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل غازى الأيوبى المذكور ، ولم نجد فى الكتاب تأريخا يتجاوز عهد هذا الملك فى النزول ، وآخر سنة ذكرها فى الكتاب هى سنة ٨٢٤ هـ ، وقال فى الورقة « ١٠٦ » يذكر تشابه حادثتين : « قال جامعه الفقير : وكذا جرى فى مصر سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، استهلت والسلطنة للمؤيد شيخ ، ثم توفى رابع ذى الحجة ، وولى ابنه الصالح » . وجاء فى آخر النسخة فى « و ١٣١ » : « هذا كتاب ملكه أفقر العباد ملا مصطفى بن ياسين أفندى نائب بغداد » .

مؤلف الكتاب وأسلوبه

ان نقصان الكتاب ورقة واحدة من أوله ، منع مفهرس كتب المتحفة البريطانية من معرفة المؤلف ، ولولا بقاء تصريح المؤلف باسم كتابه فى المقدمة لضاع اسم الكتاب أيضا ، واعتراه الابهام من جهة التأليف والمؤلف ، الا أن الذى يسر لنا معرفة الكتاب هو ثبوت اسمه كما أشرنا اليه ، واشارة شمس الدين السخاوى اليه فى ذيل تأريخ قضاة مصر الذى لابن حجر العسقلانى الموسوم - أعنى الذيل - بغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاة ، فقد ذكر فى ترجمة « عزالدين أبى البركات أحمد بن ابراهيم بن نصرالله الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى القاضى الحنبلى القادرى » أن من تآليفه « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب »[1] .

ومختصر ترجمة القاضى عزالدين الكنانى أنه ولد فى سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمانمائة بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فى مدة رضاعه ، وحفظ القرآن وجود قراءته على أحد الشيوخ ، وحفظ مختصر المزنى[2] حفظا تاما ، وتفقه ودرس العربية ، وقرأ القرآن بالقراءات والتفسير والمعانى والبيان ، فضلا عن سماعه الحديث وتعلمه الفرائض والأصلين والحكمة والمنطق . ومن أعلام الشيوخ الذين درس عليهم شهاب الدين ابن حجر ، وعز الدين عبدالسلام البغدادى . ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر ، وناب عن قاضى الحنابلة وهو ابن سبع عشرة سنة ، واستنابه أحد شيوخه فى التدريس بالمدرسة الجمالية والحسينية ومدرسة أم السلطان ، وباشر تداريس أخرى والخطابة فى جامع الملك بالحسينية والتحديث

(١) أصول التأريخ والأدب (٢١٥/١٧) نقلا من الكتاب المذكور ، « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٥٠ ورقة ٧ » .

(٢) مختصر المزنى فى فروع المذهب الشافعى للامام اسماعيل بن يحيى المزنى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

بأحد الجوامع • وكان لا يتردد الى أحد من بنى الدنيا الا لافادة علم ، ولا زاحم أحدا على سعى فى وظيفة أو راتب • وسافر الى عدة بلاد : زار بيت القدس والخليل ، ودخل الرملة والشـام ، وحج غير مرة ، وأكثر من الجمع والتصنيف والانتقـاء والتأليف حتى لقد صنف فى أكثر الفنون نثرا أو نظما ، وبعد صيته ، وصارت داره مجمعا لكثير من الفضلاء • ثم ولى قضاء الحنابلة مع التداريس المضافة الى القضاء • وكان متواضعا ، مستأنسا بأصحابه وسائر من يتردد اليه ، عفيفا شهما كثير المحاسن ، أنشـأ مدرسة ومسجدا وسبيلا « سقاية » وصهريجا وغير ذلك من القربات • وكانت داره أيضا مألفـا لطائفة من الأرامل ونحوهن • قال السخاوى : « ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك » يعنى احاطته بالعلوم • ثم قال : « وما علمت من أستأنس به بعده »[(١)] • وذكر أن له فى التأريخ « طبقات الحنابلة الكبرى »[(٢)] فى أربعة عشر مجلدا ، والوسطى فى ثلاثة ، والصغرى فى مجلد • وهى على أسلوبين : على الحروف ، وعلى السنـين • وذكر له « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » وقال :« أهداه لصاحب الحصن » يعنى الملك الأشرف بن الملك العادل كما أسلفناه من الكلام ، و « النشر فى التأريخ » فى واحد وأربعين جزءا ، جرد فيه كثيرا من التراجم التى أودعهـا السخاوى تأريخـه الحـافل ـ هكذا قال ـ وعمل كل مئة من التـأريخ فى تصنيفين : على الحروف والسنين • أمـا (المئة) الثامنة فاختصر فيها « الدرر الكامنة » لابن حجر مع زيادات يسيرة جدا ، وأما التاسعة فاستمد فيها من انباء الغمر لابن حجر أيضـا ومن معجمـه وتعـاليقـه ، وما عداهما فقد استمد فيه من تأريخ الاسلام للذهبى ولم يخرج عنه الا فى النادر ، ولم يعن بالحوادث ولا بالوفيات على طريقـة المؤرخين مع اشتهاره بالتأريخ عند كل أحد ، قال السخاوى : « بل أكثر ما يوجد بخطه عن المتأخرين فمما طالعه منى • وله فى فن الأدب كتاب فى المنامات المنظومة ، مرتب على حروف المعجم فى مجلد سماه تنبيه الأخيار فيما قيل فى المنام من الأشعار »[(٣)] • وقال نور الدين على بن داود الخطيب الجوهرى الحنفى : « ولازم شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى بداية أمره كثيرا ، وانتفع به فى أشياء منها كتابه الذى صنفه فى الأشعار التى سمعت فى المنامات • وقد

(١) انضو اللامع (٢٠٥/١) وما يليها

(٢) لم يذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون •

(٣) أصول التـأريخ والأدب (٢١٥/١٧) نقـلا من بغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاء المذكور سابقا •

شهد له شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر بعد موت المحب [١] أنه عالم الحنابلة ، وعظمه في عدة مواضع من مصنفاته منهم (كذا) « رفع الاصر عن قضاة مصر » . وكذا عظمه الشيخ شمس الدين السخاوي الحافظ المحدث في الذيل الذي صنعه على رفع الاصر بترجمة عظيمة تبلغ كراسة في كامل الشامي ... فمن أراد الوقوف عليها يراها »[٢]

وجاء في الشذرات أنه « له من التصانيف مختصر المحرر في الفقه وتصحيحه ونظمه ، ومنظومات متعددة في علوم عديدة فقها ونحوا وأصولا وتصريفا وبيانا وبديعا وحسابا وغير ذلك . وله من غير النظم « توضيح الألفية » وشروحها وشروح غالب هذه المنظومات وتوضيحاتها الى غير ذلك من التواريخ والمجاميع ، واختصر تصحيح الخلاف المطلق في المقنع للشيخ شمس الدين بن عبدالقادر النابلسي ، وكان ينظم الشعر الحسن »[٣] .

وقال نور الدين الجوهري : « وكان رحمه الله يودني ويميل الي ، ووقف على جزء من تأريخي الكبير في فضائل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وكتب لي عليه كتابة جيدة . والتأريخ الذي وقف عليه « نزهة النفوس والابدان في تواريخ الأزمان » ابتدأت فيه من آدم – عليه السلام – الى الآن »[٤] . وقال السخاوي : « ولما مات المحب [٥] البغدادي تكلم غالب الأعيان معه في الاستقرار في وظيفته في القضاء ، فامتنع أشد امتناع »[٦] .

وذكر هو في شفاء القلوب أن له أيضا « تسلية المصاب بفقد الأحباب » قال في تشابه الحوادث : « ومثله ما جرى لي ، وهو أني صنفت كتابا سميته تسلية المصاب بفقد الأحباب ، فما تم حتى جاء الطاعون فرق لنا شملا » . وذكر مقطعات من شعره قال في الورقة « ١٢٩ » يمدح الأشرف : « وجامعه الفقير يقول ، ويسأل القبول :

له قلم يزجي نداه ويتقي   فيوصل أرزاقا ويقطع أوصالا
ويفعل فعل البحر في حالة الرضا   ويفعل فعل السيف ان غيظ أوصالا

(١) أراد محب الدين أبا الفضل أحمد بن نصرالله البغدادي قاضي قضاة الحنابلة المشهور (٧٦٥ – ٨٤٤ هـ) له ترجمة في رفع الاصر عن قضاة مصر وأنباء الغمر بأنباء العمر والضوء اللامع والشذرات وغيرها كالنجوم الزاهرة .

(٢) أصول التأريخ والأدب (٣/١٢٣) نقلا من انباء الهصر بأنباء العمر لنور الدين علي بن داود الخطيب الجوهري الحنفي ، نسخة باريس « ١٧٩١ ورقة ١٣٤ » .

(٣) الشذرات (٧/٣٢١ – ٢)

(٤) المرجع المذكور في الرقم ٣ .

(٥) المرجع المذكور في الرقم ١ .

(٦) انظر الحاشية رقم (١) .

ومن أشعاره التي ذكرها :

يلقـاك منفـردا من فـرط هيبتـه كأنـه واحـد في عسـكر لجب

ومن نظمه أيضا قوله :

مـا بـال قلبـك لا يـرق فيعطف يـومـا على وأنت غصن أهيـف ؟
لما سننت الهجر في سنن الهوى حرمت نـومى جهـد مـا أتكـلف
كيف السلو ورمح قـدك عـادل يبدى صـوارم ناظـر لا ينصف ؟
أم كيـف أتركه وفـوق أسـهما من قوس حاجبه الذى هو مشـرف
مالى وحقك فى هواه منصفا (كذا) الا الذى يدعى الملك الأشرف[1] (كذا)

الى آخر الأبيات الباردة النفس الملحون فيها ، مما لا طائل فيه .

ذكر المؤرخون المقدم ذكرهم أنه توفى ليلة السبت حادى عشر جمادى الأولى من سنة « ٨٧٦ » هـ ، وصلى عليه السلطان قايتباى والقضاة وأركان الدولة ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن فى الصحراء من القاهرة .

وكتابه « شفاء القلوب » من التواريخ المختصرة ، اعتمد فيه على الوفيات والمرآة وغيرهما ، وقد جعله على الطبقات أى البطون ، قال تحت « قاعدة الكتاب » : « أذكر أولا أصل البيت الأيوبى ، وهم منتسبون الى أيوب بن شادى بن مروان ــ كما نذكره فى محله ــ ثم نتبعه بذكر التراجم على الطبقات . فالطبقة الأولى أولاد شادى ، والثانية أولاد أولاده ، والثالثة أولاد أولاد أولاده ، وكذا الى آخر الكتاب ؛ وأقدم من الاخوة وأسبقهم (كذا) موتا ، ثم أتبعهم بمن لم أعلم وفاته ، ثم أتبعهم بأخواتهم النساء كذلك ، ثم أذكر أولادهم فى الطبقة التى تلى طبقتهم على حسب ترتيب أصولهم ، وكذا الى آخر الطبقات » .

قال فى الورقة « ٣ » : « ويقال : ان مروان من أولاد الخلفاء الأموية ، وادعى ذلك اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وأنكره عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسى[2] أن شادى كان مملوكا لبهروز الخادم ، وهو غلط ، ما كان مملوكا قط ، وانما هو من

(١) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .

(٢) هو الشيخ الأديب المؤرخ الكبير أبو عبدالله محمد بن أبى العباس القادسى ــ قادسية سامراء ــ الكتبى ، سمع الحديث واعتنى بالتواريخ وغيرها ، وألف الذيل على المنتظم لابن الجوزى وتاريخ الوزراء وله تآليف أخرى وهو مرجع جماعة من المؤرخين كسبط ابن الجوزى وأبى شامة وغيرهما ، توفى فى جمادى الآخرة سنة « ٦٣٢ » ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب ــ على ما ذكره المنذرى فى « التكملة لوفيات النقلة » ــ وقد ذكره ابن خلكان فى ترجمة ابن هبيرة وياقوت فى المشترك .

الأكراد الروادية ، وهى بطن من الهذبانية ، من دوين فى آخر أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج » .

والكتاب مختصر ، جمع فيه مؤلفه كثيرا مما تفرق فى الكتب . وكان تأليفه فى أيام شبيبته ، وترك فيه بياضا لما لم يصل اليه علمه ، أو لما يجوز أن يضاف اليه .

٢ ـ تأريخ الأمير يشبك الظاهرى

سماه جرجى زيدان « رحلة الأمير يشبك الظاهرى فى آسيا الصغرى وما وراءها من سنة ٨٧٥ ـ ٨٧٧ » . قال : « ليس عليها اسم مؤلفها ، ولكن يؤخذ من مطالعتها أن المؤلف كان قاضيا للعسكر ، وانتدبه الأمير يشبك فى مهمات سياسية ، وأنه كان رفيقا للأمير فى رحلته : تبدأ الرحلة من القاهرة الى العريش فالحرمين فالشام فحلب فقنسرين الى آسيا الصغرى فتبريز وغيرها . ثم عاد الى مصر ، وقد دون ما لاقاه هذا الأمير من الحفاوة أو المقاومة والمحاربة هو وحاشيته الكبيرة ، ويتخلل ذلك فوائد تاريخية وسياسية وذكر بعض الأدوات الحربية كالمكحلة [١] لرمى الحجارة وكيفية استخدامها ، ومخابرات سياسية مع سلاطين آل عثمان . منها نسخة فى المكتبة الخديوية من جملة كتب زكى باشا فى ١٣٩ ص »اهـ[٢] .

وسماها شمس الدين السخاوى ـ كما يأتى ـ « سفرة سوار » ، لأن يشبك حاصر الأمير سوارا .

وجاء فى الجزء الخامس من فهرست دار الكتب المصرية (ص ٧٦) وملحقه (ص ٤٧) : أن الكتاب هو « تأريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة الى آسيا الصغرى . وهو المقر السيفى الأمير يشبك بن مهدى الظاهرى ثم الأشرف أحد ملوك الأتراك بالديار المصرية[٣] وفى لوحة (٧٧) ما يفيد أن مؤلفه أحد تلامذة الحافظ ابن حجر العسقلانى .

أوله : الحمد لله الذى نصر عباده المؤمنين الخ . وهو يتضمن تأريخ الأمير ورحلته التى تبتدئ من القاهرة فى يوم الاثنين العاشر من شهر شوال سنة ٨٧٥ هـ الى آسيا الصغرى وغيرها ، وترجمته وسيرته وأعماله ، نسخة فى مجلد مأخوذة بالتصوير الشمسى

(١) يعنى « المدفع » فى طوره الأول .

(٢) تأريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٢١) طبعة سنة ١٩١٣ م .

(٣) كذا ورد فى تعريف المفهرس ، وليس بصواب ، فانه كان اميرا كبيرا ولم يكن ملكا ولو صغيرا . وسيأتى النقل من الكتاب بأنه كان أميرا فى قول المؤلف : « ولم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله » .

عن النسخة الأصلية في شهر رمضان سنة ١٣٢٧ عني بنسخها أحمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار سابقا ، والمحفوظة بالمكتبة السلطانية بالقسطنطينية ، وبها خرم من لوحة (١١٦) • ونسخة أخرى مأخوذة بالتصوير الشمسي بمطبعة دار الكتب المصرية عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالدار برقم (٢٥٩٢ تأريخ) ، في « ١٣٩ » لوحة ، ومسطرتها ١٣ سطرا في حجم الربع . أ هـ •

قلت : وقد رأيت نسخة منها محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس رقمها « ٦٠٢٦ عربيات » ، وفي الورقة الأولى منها : « هذا كتاب في تأريخ الأمير يشبك الظاهري » ، ثم يرى الرائي : « لقد نصركم الله ••• بسم الله الرحمن الرحيم ••• أما بعد ، فلما كان نهار الاثنين العاشر من شوال توجه المقر الأشرف الكريم العالي الأميري الكبيري المشيري النظامي المخدومي السيفي يشبك الظاهري ثم الأشرفي أعز الله أنصاره وملكه أمصاره ــ من القاهرة المحروسة في أبهــة عظيمة لم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله ، وسنذكر وصف الهيئة التي خرج فيها ، ونزل بالريدانية ، وفوض اليه أمر المملكة الشامية « الورقة ٢ » من العريش الى الفرات ••• وأقام بها ، وأرباب الدولة والأمراء يترددون الى خدمته ، ونزل اليــه السلطان الملك الأشــرف قايتبــاي ــ خلد الله ملكه مرتين »[1] • وهذه النسخة في « ٧٤ » ورقة •

أما الأمير يشبك الذي نسبت الرحلة اليه فقد ذكر ابن أياس أنه كان « أميرا عظيما مهيبا عسوفا ، وكان له بمصر حرمة وافرة • وقد اجتمع فيه من الوظائف ما لا اجتمع (كذا) في غيره من الأمراء • وكان أشقر اللون ، مستدير الوجه ، أشهل العينين ، طويل القامة ، غليظ الجسد ، عارفا بأحوال المملكة ، صلبا في محاكماته ، لا يراد في الكلام • وهو الذي أنشأ القبة في المطرية ، والقبة التي في الحسينية • وله غير ذلك آثار كثيرة على جهات البر والصــدقة • وكان له محــاسن ومســاوىء • قتــل في سنة « ٨٨٦ » هـ في وقعة بينه وبين الآق قوينلية على عهد السلطان يعقوب بن حسن الطويل « أوزن حسن » ، وذلك أنه لما قرب من الرها بالجزيرة الفراتية ورأى كثرة العساكر معه طمع في بلاد الدولة الآق قوينلية ، وكانت تلك البلاد للأمير بيان در من أمــراء آق قوينلو ، فقوى عزم الأمير يشبك على قتاله ، واستعد الأمير بيان در للقائه ، وجرت بينهم وقعة عظيمة هائلة قرب الرها ، دحر فيها الأمير يشبك وجيشه ، وأسر هو مع جماعة من الأمراء ، ثم قتل صبرا ، وطيف برأسه على رمح في بلاد الدولة الآقوينلية ،

(١) أصول التاريخ والأدب (٧٧/٣) نقلا من نسخة باريس •

ثم اعتذر السلطان يعقوب بن حسن الطويل الى سلطان مصر ، وقامت والدته فى الصلح مقاما محمودا ، وخمدت الفتنة [١] .

مؤلف الكتاب ونبذ منه

كل ما استطاع واصفو الكتاب وخزانه أن يعلموه من خبره أنه كان تلميذا لابن حجر العسقلانى ، وأنه كان قاضيا للعسكر ، مستدلين بما ورد فى الرحلة من تصريحه بذلك ، ولكن المؤلف بقى مجهولا أمره ، وبقى الكتاب غفلا من اسمه . وقد حرصنا على أن نبحث عن حقيقته ، حتى اهتدينا الى معرفته ، بالمقابلات التأريخية والتصور التأريخى العام ، والاستدلال الضمنى ، وهو : « القاضى شمس الدين محمد بن محمود المعروف بابن آجا ، فقد ذكر فى رحلته أنه حمل رسالة الى الأمير سوار الخارج على السلطان قايتباى ببلاد سيس ، قال « و ٢٥ » : « وفى عشرين من تأريخه وصل قاصد من عند سوار المخذول ، فجهزونى اليه » ، ثم قال : « فما لبثت غير ساعة رملية حتى طلبنى ، فلما قربت منه قام ولاقانى خطوات وأجلسنى بجانبه ... والظاهر أن قاصده أخبره بذلك ؛ لأن المقر الأشرف أميردوادار – أيده الله بملائكته – قال للقاصد المذكور : قد جهزت اليكم قاضى العسكر ، وهو والدنا كلنا ، واعتمادنا على كلامه ، ورضاه رضانا ، ومهما اتفق معكم كان ذلك ، وما ثم [٢] خلاف . فناولت داوادار الكتاب الذى صحبنى ... » . وقد ذكر هذه الحادثة ابن اياس فى حوادث سنة « ٨٧٦ هـ » ، قال : « فيها أرسل السلطان الى سوار تجريدة ، وهى التجريدة الثالثة ، وكان [٢] باش العسكرية المقر السيفى يشبك بن المهدى أمير آخور وجماعة من الأمراء المقدمين ... فخرج الأمير يشبك فى طلب عظيم ... وتوجهوا جميعا الى « زمنطو » التى هى محط رحال سوار ، فأقاموا هناك يحاصرو « كذا » قلعتها مدة وسوار بها . فلما أراد الله – تعالى – خذلان سوار ، غلت يده ، وزال سعده . فأرسل يسأل فى الصلح ، ويطلب الأمان من الأمير يشبك ، فأجابه الى ذلك . ثم ان سوار أرسل يطلب الأمير تمراز قريب المقام الشريف ، فأشار الأمير يشبك على الأمير تمراز بالتوجه الى سوار ، وأخذ صحبته القاضى شمس الدين آجا قاضى العسكر ، فطلعوا الى سوار الى قلعة « زمنطو » ،

(٢) المرجع المذكور (ص ٤٣ – ٧) ومن شاء فليرجع الى النسخة المطبوعة من « بدائع الزهور » والضوء اللامع (١/٢٧٢) .

(١) قصد « وما بقى خلاف » ، وهو من التعابير العامية ، ولا يزال العامة عندنا بالعراق بل كثير من الخاصة يستعملون هذه العبارة .

(٢) يعنى مقدم العسكر ، وهى كلمة « باش » التركية المعروفة .

واجتمعوا بسوار ، وأكل معهم » . وآل الأمر الى أنهم غـدروا به واعتقلوه ، ثم نقلوه الى القاهرة ، وصلبوه مسمرا على باب زويلة حتى مات في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ (١) .

ومما قدمنا ، علم أن مؤلف « رحلة يشبك » وتاريخه هو القاضي المذكور ، أعني شمس الدين ابن آجـا . قال السخاوي في ترجمة الأمير يشبـك المذكور في المقـال : « كان هو باش العسكر المتوجه لدفع سوار ، واحتال حتى أحضره في طائفة ، وكان أمرا مهولا ، أفرده امامه الشمس ابن آجا بالجمع ، فبـالغ ، وأضيف اليه الوزر فقطع ووصل ورفع وخفض » (٢) .

وخلاصـة ترجمته أنه : « محمد بن محمود بن خليـل الحلبي الحنفي التركي الأصل ، وكان والده يلقب با جا ، فعرف بابن آجا . ولد في سنة عشرين وثمانمائة بحلب ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وكتاب القدوري في فروع المذهب الحنفي ومنار الأنوار في أصـول الفقه للامـام أبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة « ٧١٠ » هـ ، ودرس في النحو « الضوء » أعني ضوء الدرر في شرح ألفية ابن معط ، لزين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي المتوفى سنة « ٧٤٩ » هـ ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، ولقي العـلامة ابن حجر في سنة ٧٣٦ هـ فأخذ عنه ، ثم لقيه بالقاهرة حين دخلها ابن آجا صحبة خاله شهاب الدين أحمد بن أبي بكر صالح المرعشي ، ودرس على غيره . ثم كثر تردده الى القاهرة ، ولازم خطيب مكة المعروف بأبي الفضل ، واختص بالأمير أزبك الظاهري ، وأم به وقتا ، ثم ارتقى الى صحبة الداوادار الكبير يشبك (٣) ابن مهدي ، ونفق عليه ، وبعث رسولا من السلطان ومنه الى عدة ممالك كبلاد العجم وبلاد الـروم ، وحج مرتين ، وزار بيت المقدس والخليل مرارا ، ثم استقر في قضاء العسكر ، وحدث بالشفـا في تعريف حقوق المصطفى لأبي الفضـل عيـاض بن موسى اليحصبي القاضي المتوفى سنة « ٥٤٤ » هـ ، وترجم فتوح الشام للواقدي بالتركي نظما في اثني عشر ألف بيت ، (٤) قاله السخاوي ، وذكر أيضا أنه « عمل سفرة سوار » (٥)

(١) أصول التأريخ والأدب (٣/ ٤٠) نقلا من تأريخ ابن اياس ، نسخة دار الكتب الباريسية المذكورة .
(٢) الضوء اللامع (١٠/ ٢٤) .
(٣) تذكر أكثر الكتب « يشبك من مهدي » بدلا من « ابن مهدي » وكأن ذلك اشارة الى كون أمه أم ولد « أمة » .
(٤) اطلع حاجي خليفة على قول السخاوي وقال في كشف الظنون : « فتوح الشام . نظمها محمد بن محمود بن آجا التركي في اثني عشر الف بيت » .
(٥) يعني تأريخ يشبك المذكور ، كما أومأنا اليه آنفا .

وفيها منكر كبير ،[١] وجمع طبقات الحنفية فى ثلاث مجلدات ـ كما فى كشف الظنون ـ وخالق الناس بالجميل ، وقصد بالشفاعات خصوصا أواخر عمره ، وحمد الناس أمره فيها . وكان عاقلا عارفا ذكيا متوددا متواضعا . مات فى جمادى الآخرة سنة « ٨٨١ » هـ بحلب ، وكان قد توجه اليها عقب توعك طالت علته به ثم قضى عليه[٢] .

ودونك شيئا من رحلته فى أثناء سنة « ٨٧٦ » هـ قال ـ يعنى الأمير يشبك ـ « وكان عيننى قاصدا للأمير حسن باك[٣] صاحب العراقين وما مع ذلك ، وجهز معى أرمغانا[٤] يليق به ، فقبلت يده وودعته ، وحملنى مشافهة أبديها للأمير حسن باك فى أمور تتعلق به للمملكة الاسلامية ، وتوجه فى حرز الأمن والسلامة مغربا والقلوب معه ، وتوجهت الى جهة تبريز مصحوبا بالأمن والسلامة ان شاء الله ... ووصلنا الى مدينة أرجيش ، ونزلنا بزاوية السلطان المرحوم قره يوسف بن محمد باك صاحب تبريز وبغداد والعراقين ـ كان ـ وبها قبره ، وهى فى غاية الاتقان ... دخلنا مدينة تبريز ، وهى مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والمياه ، وبها من العمائر ما يضرب بها الأمثال خصوصا تربة محمود قازان من ذرية هلاكو ، وهو مشهور بين أهل التأريخ . وأما تربته الآن بتبريز والجامع بجانب التربة ، فما رأيت فيما شاهدت مثلها وحسن ترتيبها . وهذا يدل على عظم الملك وسعة مملكته . وأما الجامع والعمارة التى أنشأتهما زوجة جهان شاه بن قره يوسف بالمدينة ، ففى غاية الاتقان والحسن ؛ وحقيقتهما لا تعلم الا بمشاهدتهما ... طلبنى السلطان حسن للحضور بين يديه فاعتذرت لسخونة عرضت لى ... ولما كان يوم الخميس ، جاءنى المهمندار ، وقال لى : ان البادشاه يرسم لك بالحضور بعد الظهر الى محل خلوته ، فصليت الظهر ، وتوجهت معه . فلما وصلنا الى قصره ، أدخلنا مكانا وجلسنا فيه الى العصر ، ثم طلبنا فدخلت عليه وعنده جماعة من أهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الأقاليم . فلما قربت منه ، قام من مكانه وأجلسنى بجانبه ، فأول ما بدأ أن سألنى عن مولانا السلطان الأشرف قايتباى ـ خلد الله ملكه ـ ثم عن المقر الأشرف الأمير يشبك الداوادار نظام الملك وباش العساكر الاسلامية ـ أعز الله أنصاره ـ فقلت : بخير ، ويسلمان على البادشاه . فأثنى بكل خير ،

(١) الضوء اللامع (١٠/٤٣) .

(٢) الضوء اللامع فى الموضع المذكور آنفا .

(٣) يعنى حسن ـ بيك الطويل ملك آق قوينلو وسلطانهم ولا يزال أهل الموصل يلفظون « بيك » بك ، وهى مولدة من باك .

(٤) الظاهر أن الأرمغان هو التقدمة والهدية ، وقد كرره فى رحلته هذه

وقال : والله أنا أحبهما ، ولا أعلم الا مملكتي ومملكتهما واحدة ، وهذه عساكري حاضرة ، مهما اخترت منهم ، وقد سألت السلطان بذلك مرارا فلم يرد على جواب ، وما علمت المراد (١) . فقلت : بسعادة مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ وعسكر البادشاه ، الأمر ما يحتاج الى هذا ، وسوار أقل وأخس من أن يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان ... وعسكر البادشاه ، وهذا من بعض تركمان المملكة الحلبية . وما سبق من الأمور ، فسببه ظاهر لايحتاج الى التفصيل ؟ لأن مجلس البادشاه لا يحتمل بسط ذلك ... ثم سألني عن أمر العساكر الاسلامية (٢) وما هم فيه ، فأخبرته بكثرتهم وقوتهم واتفاقهم وانقيادهم لنظام الملك ـ أعز الله أنصاره ـ وأن كلا من الكفلاء والأمراء يطلب رضاه ، وأخبرته بما هم فيه من الاهتمام وكثرة آلات الحصار والزردخاناه والصناع وغير ذلك . فظهر لي من وجهه الكراهة لما سمع قوة العساكر . ثم التفت الى القاضي حسن وقال : اقرأ كتابه . وفهم ما فيه بعد أن ترجم له بعضه القاضي حسن (٣) ، ثم قال لفقيه حاضر بالمجلس : اقرأ لنا شيئا من الحديث النبوي ، وذكر لي أن عادته في كل ليلة جمعة يجتمع عنده علماء توريز ، ويقرأ عنده شيء من البخاري ، يفعل ذلك للتبرك والفائدة ... ثم حضر الطعام فأكلوا ، وكنت متوعكا ، ومد السماط للحاضرين ، وفي أمام البادشاه مائدة صغيرة فيها خمسة أو ستة صحون ، فطلبني الى مائدته المختصة به فرأى اشتغالي بأكل الخبز عن الطعام واللحم ، فسألني عن ذلك ، فقلت : ان لي مدة ثمانية عشر يوما محتم عنهما ، فطلب رب حصرم ، وأحضر ذلك في صحن من دهنج ، وأشار الى بالأكل من ذلك ، فأكلت منه قليلا لأجل خاطره ، ثم قمت على عادتنا ، فتعجب من قيامي ، وقال : لم لم تصبر حتى يرفع السماط ؟ فاعتذرت اليه بأن الطبع والعادة أغلب ، وقد سبقاني الى ذلك من غير اختياري ، وكان الأمر كذلك ... فلما رفع السماط ، أذن لنا ، فتفرق المجلس ، وتأخر البعض ... ثم طلبني يوم الأحد في محل خلوة ، وأحضر سماطا ، فتمنعت من الاكل لما سبق من الضرورة . فلما رفع الطعام قال لي : ان في مطالعتك أن الأمير الداوادار حمل معك (كذا) مشافهة فهاتها . فقلت : نعم ، أما الأولى فانه يطلب أمير أصلان بن ملك أصلان بن ذلغادر . فقال : قد رسمت بذلك ، ان أراد أن يتوجه بنفسه ، أو يجهز قاصده معك ، ثم ما (ذا) ؟

(١) اشار بذلك أنه كان مستعدا أن يمد سلطان مصر بقطعة من جيوشه لمحاربة سوار الخارج على السلطان المذكور آنفا .

(٢) يعني العساكر المصرية ومن انضم اليهم

(٣) هو قاضي عسكر السلطان حسن الطويل المذكور

فقلت : الثانية أن بنى ربيعة قد تحصنوا ببلاد الرها ، وفى كل وقت يقطعون الطريق ببلاد حلب ، وينهبوا (كذا) ما يجدوه (كذا) . وكان موسى كبير بنى ربيعة حاضرا ، فطلبه ، وأنكر عليه انكارا بالغا ، ومن جملة ما قال : والله ، وتربة جدى ، ما يبلغنى صحة هـذا الا وسلخت جلد الأبعد ، وأخرجت جميع بنى ربيعة ! كم مرة أوصيكم بالرعية خصوصا رعية الشام ؟ فشرع يعتذر ، ويحلف ان هذا الأمر ما وقع من طائفته ، وانما هم عرب غيرهم يسمون باسمهم . فقال : ما أعرف . ثم قال : اذا حصل من هؤلاء شىء أو غيرهم ممن تعلق بى فصححوا ذلك ثم أعلمونى ... فقال : أيش غير هذا ؟ قلت : ان جماعة حضروا وذكروا أن البادشاه أنعم عليهم بقرى « يابتلاسروج » (كذا) ، وهى متعلقة بالبيرة ، والقرى التى بها هى اقطاع للجسرية بالبيرة . فقال : والله ، ليس لى علم بذلك . ثم رسم بكتابة مرسومه الى نائب الرها بالوصية بأطراف بلاد الشـام ، وأنه لا يدع أحـدا ولا يمكنه للتعرض للقرى التى فى حد الشام ، وأكد عليه فى ذلك ، وكذلك تفحص عن الكردى الذى يشوش على القرى التى من جهـة الفرات المتعلقة بقلعة المسلمين ومقاتلته أشـد المقاتلة ، وكنت ذكرت له ذلك أيضا .

ولما كان يوم الخميس طلبنى أيضا ، فتوجهت الى قصره ، فرأيتـه فى جمع كثير من علماء تبريز ، وكان حاضرا عنده ابن السيد الشريف شارح الكشاف من شيراز وجماعة من علماء بغداد وسمرقند ، فقام وأجلسنى بجانبه . فلما تكامل المجلس ، أمر بقراءة البخارى على عادته فى ليلة الجمعة ، فقرأ القارىء حديث « سبعة يظلهم الله » الحديث . فلما فرغ من قراءة الحـديث ، شـرع يترجـم للبـادشاه بالتركى يفسره له ... فحضر السماط ومدوه ، وأكل ، وكان جماعة تبريز قد استحضروا مسائل من سائر العلوم ، فلم يحصل لأحد منهم نوبة للكلام ، لما سبق ، وكان ذلك من فضل الله وعونه »(١) .

٣ ـ تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور

رأيت الجزء الثانى من هذه السيرة فى دار كتب باريس الوطنية ، ورقمها « ١٧٠٤ عربيات » ؛ وفى الورقة الاولى من هذه النسخـة مكتوب : « الجـزء الثانى من تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور » . والمراد هنا سيف الدين قلاوون عبدالله الألفى النجمى التركى ملك مصر والشام ، حكم من سنة « ٦٧٨ » هـ الى سنة « ٦٩٠ » هـ ، وهو معروف السيرة .

وهذا الجزء غفل من اسم المؤلف ، ولم أجد اسم الكتاب بهيئته الأصلية وصورته

(١) أصول التاريخ والأدب (٣/٨٢ ـ ٨) .

اللفظية مثبتا فى كشف الظنون ، وانما رأيت فى باب السير « سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضى الفاضل عبدالرحيم بن على البيسانى المصرى المتوفى سنة ٥٩٦ ست وتسعين وخمسمائة ، سيرة الأشرف ابن قلاوون له أيضا »[١] . وهذا غلط قبيح من قائله ووهم صريح ، فانه لا يصح أن ينسب الى رجل كتابة سيرة آخر ، وهذا الآخر ممن تأخر زمانه عن زمن الكاتب هذه المدة الشاسعة العظيمة ، فوفاة القاضى الفاضل ـ كما هو معلوم ـ كانت سنة « ٥٩٦ هـ » ، ووفاة قلاوون كانت سنة « ٦٩٠ هـ » كما قدمنا ، فالوهم واضح .

وهذا الجزء من تشريف الأيام والعصور ، يبتدىء بسنة « ٦٨٠ هـ » ، وآخره ناقص ، وينتهى فى نقصانه بسنة « ٦٨٩ هـ » ، وليس هو بـ « السيرة المنصورية » التى ألفها شرف الدين [٢] محمد بن موسى المقدسى الكاتب ، ونقل منها جمال الدين يوسف بن تغرى بردى [٣] ؛ فان اسمها « السيرة المنصورية » كما ذكرنا ، فمن ذا الذى ألف هذه السيرة وترجمها بهذا الاسم المسجوع الطويل ؟

تحرينا عن المؤلف كثيرا حتى علمنا أنه « ناصر الدين شافع بن على بن اسماعيل ابن عساكر الكنانى العسقلانى ثم المصرى » المتوفى سنة « ٧٣٠ هـ » . فقد ذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات [٤] ونكت الهميان أن له « سيرة السلطان الملك المنصور قلاوون » و « سيرة الملك الأشرف خليل » . والسجع المعروف فى أسماء مؤلفاته مثل « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » [٥] ، يؤيد نسبتها اليه . وفى نسخة باريس أنه « تأليف العبد الفقير الى الله تعالى الجناب الناصرى شافع بن على بن عباس الكاتب ـ عفا الله عنهما ـ » . وفى سيرة المنصور قلاوون هذه ما يدل على أنه ألفها فى حياته ، فانه يقول فى موضع منها : « فى تجهيز رسل أبواب مولانا السلطان » ، وفى موضع آخر : « وردت كتب رسل مولانا السلطان » ، وفى ثالث : « ورد الى أبواب مولانا السلطان ولد الشريف » .

---

(١) كشف الظنون (ع/١٠١٦) طبع نظارة المعارف العثمانية .

(٢) ذكره ابن العماد فى الشذرات فى وفيات سنة « ٧١٣ هـ » (٦/٣٢) قال : « وفيها الأديب محمد بن موسى القدسى ، عرف بكاتب أمير سلار » وذكر له أبياتا .

(٣) النجوم الزاهرة (٧/٣٢٢)

(٤) أصول التاريخ والأدب (١٠/٢٨٩) نقلا من الوافى نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٠٦٥ور ١٣٢ » .

(٥) فيه نسخة بدار الكتب المذكورة رقمها « ١٧٠٧ » هـ .

المؤلف وأسلوبه

ذكرنا آنفا أنه ناصر الدين شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى ثم المصرى ، ولد بمصر سنة « ٦٤٩ هـ » ، ونشأ بها وتأدب ودرس النحو على ابن النحاس واشتغل وحصل ، وسمع الحديث من جماعة ، وأخذ عن الشيخ جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية وغيره ، وتعاطى الآداب ، وأتقن الخط المنسوب والانشاء ، ونظم الشعر(١) وكتب فى الديوان زمانا . ثم أصابه سهم فى صدغه فى وقعة حمص بين التتار بقيادة منكوتمر والملك المنصور سنة « ٦٨٠ هـ » ، فكان ذلك السبب فى عماه الذى اضطره الى لزوم بيته . وكان جماعة للكتب ، ترك نحوا من عشرين خزانة ملأى من الكتب النفيسة . وكان من شدة حبه للكتب اذا لمس الكتاب فى أيام عماه ، قال : « هذا الكتاب الفلانى ، ملكته فى الوقت الفلانى . واذا طلب منه مجلد ، قام الى الخزانة ، فتناوله كما وضعه فيها . وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب ، وبقيت تبيع منها بعد وفاته الى سنة « ٧٣٩ هـ » . .

روى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان الأندلسى والشيخ علم الدين البرزالى وجمال الدين ابراهيم الغانمى وغيرهم من الطلبة ، واجتمع به صلاح الدين الصفدى فى داره غير مرة ، واستجازه بالقاهرة سنة « ٧٢٨ » هـ فأجاز له رواية تصانيفه . وهى : « سيرة الملك قلاوون ، وسيرة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونظم الجواهر فى سيرة الملك الناصر ، وما يشرح الصدور فى أخبار عكا وصور ، والاعراب عما اشتمل عليه البناء الملكى بسرياقوس من الاغراب ، وافاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل ، وقلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما للشعراء العصريين من الأماجد ، ومناظرة ابن زيدون فى رسالته ، وقراضات الذهب المصرية فى تقريظ الحماسة البصرية ، والمقامات الناصرية ، ومماثلة سائر ما حل من الشعر وتضمن الآى الشريفة والأحاديث النبوية من المثل السائر ، والمساعى المرضية فى الغزوة الحمصية ، وما يظهر من الدلائل فى الحوادث والزلازل ، والدر المنتظم فى مفاخرة السيف والقلم ، والأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة ، والرأى الصائب فيما لابد منه للكاتب ، والاشعار بما للمتنبى من الأشعار ، وتجربة الخاطر المخاطر فى مماثلة فصوص الفصول ، وعقود العقول ، مما كتب القاضى الفاضل فى معنى السعيد ابن سناء الملك ، وشنف الآذان فى مماثلة تراجم قلائد العقيان ، وعدة الكاتب وعمدة المخاطب ،

(١) قال فى الورقة ٣٧٣ من السيرة : « ومما نظم المهلوك جامع السيرة ... » .

وشوارد المصايد فيما لحل الشعر من الفوائد ، ومخالفة المرسوم في الوشي المرقوم ، وديوان شعره . فتآليفه جاوزت عشرين تأليفا .

ترجمه الصفدي في الوافي بالوفيات وفي نكت الهميات ـ كما بان من كلامنا ـ وترجمه أيضا ابن شاكر الكتبي في الفوات (١٨٢/١) ، وابن حجر في الدرر (١٨٤/٢) وقال : « ذكر ابن رافع فيما قرأت بخطه أنه سبط القاضي محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر ويلقب ناصر الدين ، قال : وسمع من جده لأبيه ومن خطيب المزة وعبدالرحيم الدميري ، وأجاز له جمال‌الدين ابن مالك ، ورأيت خطه بالاجازة ، قل : وقرأ النحو على ابن النحاس . وذكره البرزالي فقال : كان مشهورا بالفضيلة وفي الأدب ، كثير الحكايات والنوادر ، وتصدر لاقراء النحو بالجامع الصالحي ، قلت : وهو ابن أخت محيي الدين لا سبطه ، [1] . وله مقطعات منقولة في التواريخ .

توفي في ليلة الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة سابقا ، أعني سنة « ٧٣٠ هـ » ، وفي الفوات أنه توفي سنة « ٧٣٣ هـ » . وذلك من الوهم . وفي الفوات هفوات [2] .

وأسلوب تأليف هذه السيرة على السنين ، ومن عادة المؤلف أن يستوفي ذكر الأخبار على اختلاف رواياتها ، قال في حوادث سنة « ٦٨٠ » هـ . « ذكر هلاك أبغا ، ورجوع الملك الى تكدار المسمى أحمد » .

« وفي هذه السنة تواترت الأخبار بموت أبغا بن هلاون ، وذلك لما ناله عقيب كسرة منكوتمر من رعب وخوف ، ولما شاهده من هول بقتل عساكره وأكابر المغول . وبينما هو في هذه الحال ، اذ بلغه أن خزائنه وخزائن أبيه كانت في برج من قلعة على البحر ، وأن ذلك البرج خسف الله به ، وغارت الأرض به في البحر بجميع ما فيه ، ولم يسلم الا قطعة من البرج . قيل : ان أبغا دخل الحمام وخرج منها ، فسمع أصوات جملة من الغربان وهي تنعق ، فقال : هذه تقول أبغامات ، أبغامات . وركب من الحمام ، فاذا كلاب صيده كلها عوت في وجهه ، فتشاءم بذلك . ومات أبغا في نصف ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة في قرية من قرى همذان اسمها نايل ، وقيل : في بلد اسمها كرمانشاه من بلد همذان . وسبب موته أنه لما عاد من جهة الرحبة تصيد وساق وراء

---

(١) وترجمه من المتأخرين أمين العمري في كتابه « عنوان الشرف » كما في أصول التاريخ والأدب (١٣٨/٢٣) ، عن « نسخة باريس ٥١٣٨ ور ١٢٩ » .

(٢) من ذلك ما جاء في ترجمة شرف الدين ظفر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة (١٩٨/١) أنه توفي سنة « ٦٥٢ » ، والصواب « ٥٦٠ » ولعل الوهم من الناسخ .

غزال فتقنطر من الفرس ، فنزل فى خركاة ، ودخلت السحرة عليه ، فقال : أى شىء هؤلاء اللابسون الأسود ؟ وحمل فمات ــ كما ذكرنا ــ ودفن فى قلعة تلا عند أبيه ، ومات بعده بيومين أخوه أجاى ... ولما مات أيغا بن هلاون ، وقع الاختلاف فيمن يقعد فى التخت ، فتعصب جماعة لأحمد بن هلاون ، واسمه الحقيقى تكدار ، واسم أمه قتوخاتون (كذا) ، وهى نصرانية ؟ واتفقوا على اقعاده فى تخت الملك ، وما هان على بعض المنول قعود أحمد ؟ لأنه ادعى أنه مسلم ، فحضر أخوه قنغرطاى[1] ، وقال لأرعون بن أبغا بن هلاون : ان أبغا شرط فى الياسه[2] أنه اذا مات ملك ما يقعد عوضه الا الأكبر من أولاده ، وقد رتبنا أحمد ، ومن خالف يموت . فأطاعوه ، وسيروا الاجية لاحضار الملوك ليكتبوا خطوطهم بالارتضاء بالملك أحمد . ولما جرى ذلك ، تحدثوا فيما بينهم فى أن قوتهم قد ضعفت ، ورجالهم قتلت ؟ وأن المسلمين كلما راحوا فى قوة ، وأنه لا حيلة فى هذا الوقت من اظهار الاسلام ، والتقرب الى مراضى مولانا السلطان واكتفاء بأسه (كذا) بذلك واشاعة هذا الأمر . فسير (أحمد تكدار) كتابا الى بغداد هذا مضمونه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا آله الا الله محمد رسول الله ؟ وانا جلسنا على كرسى الملك ، ونحن مسلمون ، فيتلقون أهل بغداد (كذا) هذه البشرى ، ويعتمدون فى المدارس حقه فى أوقات المساجد والمدارس[3] ، ولا يخرجون عن القواعد الاسلامية . « وأنتم يا أهل بغداد مسلمون ، وسمعنا عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : لا تبرح هذه العصابة الاسلامية مستظهرة ظافرة الى يوم القيامة . وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ورسول صحيح (كذا) ورب واحد فرد صمد ، فتطيبون قلوبكم ، وتكتبوا الى البلاد جميعها » . وشرع الملك أحمد فى تجهيز رسل الى أبواب مولانا السلطان ، فسير قطب الدين محمودا الشيرازى قاضى سيواس والأمير بهاءالدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم ... »[4] .

ويظهر مما نقلنا من هذه السيرة أن المؤلف اتهم السلطان أحمد بن هولاكو فى

(١) جاء ذكر هذا الأمير التترى فى حوادث سنة « ٦٤٨ » هـ من مختصر الدول (ص ٤٥٦) بصورة « قنقورتقاى » . وفى حوادث سنة ٦٨٣ من المسمى الحوادث الجامعة ص ٤٣٦ « قنقورتاى » .

(٢) المتعالم أن « الياسه » من وضع جنكيزخان وهى مجموعة سياسة دولته وأحكامها وآدابها .

(٣) هذا المنشور هو الذى حمل تلامذة المستنصرية على الوثوب بناظر الأوقاف وصدرها جمال الدين الدستجردانى ــ كما ورد فى الحوادث (ص ٤٤٢) .

(٤) أصول التأريخ والأدب (١٨١/٥) عن الكتاب المذكور .

اسلامه ، وأنه انما أظهر الاسلام احتيالا ومخادعة • وهو رأى يدل على فكر جوال فى تعليل الحوادث التأريخية ، ولا يستلزم بجولانه أن يكون مصيبا ، وقد قال فى غير هذا الكتاب يذكر رأيه فى تجهيز الملك الظاهر بيبرس للخليفة المستنصر الاصغر من مصر وتوجيهه نحو العراق لمحاربة المغول واستنقاذ العراق منهم سنة « ٦٥٩ » هـ : « أقول : ما رأيت أعجب من هذا الرأى ، وأعجب منه موافقة ذوى الرأى والمشورة عليه ، وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم واستعداد عددهم وقوة جأشهم وكثرة جيشهم ، كيف تسير اليهم هذه الشرذمة المتحقق أنها لا تفى بألف منهم ، وانما هى أموال ضيعت ، وأرواح للحياة ودعت ؟ ولو توجه العسكر المصرى بكماله ، والشامى بعربه ورجاله ، لكان فيه أعظم تغرير ، وانما هى المقادير • والسلام »[١] • فهذا رأى مؤرخ زنيق لمؤرخ مفكر متدبر بعيد النظر حر الفكر ، ومن المؤسف لنا ولكل أديب أريب أن تظل آثار هذا المؤرخ الكاتب مطمورة فى الخزائن المقفلة والدفائن المغفلة ، فلا تنشر لتكون منارا للباحثين فى ظلمات التواريخ ، ومشارع لأهل التحقيق والتدقيق •

ونود أن نستمر على ذكر فوائد من تأريخه المذكور ، قال كما فى الورقة ٩٦ :

(ذكر وصول الشيخ عبدالرحمن[٢] وصمداغو رسلا من جهة أحمد بن هلاون)

« قد سبق ذكر هذا الشيخ عبدالرحمن ، وأنه قدوة الملك أحمد ومشيره ، وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكرا ،حتى يطمئن الى هذه الجهة ، ويكتفى أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربهواخوته وولد أخيه أرغون ، وتحكم هذا الشيخ عبدالرحمن فى البلاد ، وتحدث فىالاوقاف جميعها ، فى العجم وبلاد العراق والشرق والروم ، وجبيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلى ، ويقال ان أصله مملوك ويعرف بعبدالرحمن النجار • وما بقى من لا أطاعه (كذا) وصار الملك أحمد وعشيرته من المغل يقفون بين يديه ، ويستمعون اشارته ، وأطاعه كل من فى بغداد والعراق ، وخرق عقولهم بأنواع من النارنجيات (كذا) ، واستولى

---

(١) أصول التأريخ والأدب (١٩٦/٥) نقلا من « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » نقلا من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس المشار اليها « ١٧٠٧ ورقة ٢٢ » •

(٢) هو قطب الأقطاب كمال الدين عبدالرحمن بن مسعود ، راجع الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة « ص ٤٣١ » وتلخيص معجم الألقاب « ج٤ ص٣١٤ » و « ج٥ ترج ٤ ، ٤٠٢ من الكاف » وتأريخ الاسلام للذهبى « نسخة المتحفة البريطانية ، ١٥٤٠ ور ٢٥ » والوافى بالوفيات « نسخة باريس ٢٠٦٦ ور ١٧٦ » وتالى كتاب وفيات الاعيان « نسخة باريس ٤٠٢ باريس ٢٠٦١ ور ٥٠ » توفى سنة « ٦٨٣ » بدمشق •

على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يصلح له مولانا السلطان ، واعتقد أن أمور تتم عند مولانا السلطان كما تمت هناك ، وأنه سيحضر فتكون له صورة [1] فى البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع اليه الناس . وكان الأمر بخلاف ذلك ؛ وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الأردو صارت أخبار تصل الى مولانا السلطان منزلة فمنزلة ومرحلة فمرحلة ، فوصل الى ماردين فى الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة ، وصحبته من أكابر المغل صمداغو ، ومعه جماعة من كتاب وفقهاء ومغل لخدمته ، يحملون جترا يرفع على رأسه ، وسلاحدارية وأرباب سلاح وغير ذلك من غلمان ، وحواش وأرباب أشغال ، وذوى خدمة عالم كثير .

وكان مولانا السلطان قد سير بازالة هذه النواميس ، وازالة زخم العجم ، الذى يقصدون اقامته فى بلاد مولانا السلطان ، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين آقش الفارسى ، أحد الأمراء بحلب المحروسة ، فمنعهم من حمل الجتر وحمل السلاح ،وركوب المغل خلفه ، وركبهم فى الليل من غير رهج ولا اعلام أحد بأمرهم ، وسار بهم منكبا عن الطريق المسلوكة ، فعز عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت اليهم جمال الدين آقش الفارسى ، ولا شال بهم رأسا ، وقرر أن أحدا من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساوقهم ولا يملأ منهم عينا ولا نظرا .

ووصل بهم حلب فى سادس عشرين من شوال من هذه السنة (٦٨٢) وأختفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ، ولم يجسر أحد يكلمهم ، ولا يتحدث فى أمرهم بشىء ، ثم أخرجوا من حلب فى الليل وعدل بهم عن الطرقات المسلوكة ، وصاروا يسوقون جملة والمجردون بعيد منهم ، بحيث لا يسمعون كلامهم ، وهم ينزعجون ويحردون ، ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا الى دمشق ، كما ذكرنا ، فدخل بهم فى الليل الى القلعة ، وأنزلوا فى دار رضوان ، وكثرت الاقامات عليهم ، من كل شىء من سائر الأصناف ، وجرى الأمر على أن أحدا لا يكلمهم ، ولا يتحدث معهم بشىء بل يسمع ما يقولون ولا يرد عليهم جواب (كذا) . وجعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخدم ناحية ، فى أماكن محفوظة ، وأقيمت لخيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها ، وحفظت عددها وآلاتها . واستمر حالهم على ذلك الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشأم ، على ما سيذكر » .

« ور ١٠٣ » سنة ٦٨٣ (ذكر خروج مولانا السلطان فى هذه السنة الى الشام

(١) أراد بالصورة « الناموس والقدر العالى » .

المحروس) :

« ... فلما وصل الى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات ، وقوم يقولون أسر وأن أرغون اتفقوا معه جماعة من المغل على امساك أحمد وخلعه من الملك ، وأن فرقة تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام المحروس ... فدخل دمشق المحروسة ، فى تاريخ يوم السبت ثانى جمادى الآخرة ... وكان فى ابتدائه احضار رسل الملك أحمد ، وهم الشيخ عبدالرحمن وسمداغو ، فأحضرهم وقد صح عند مولانا السلطان موت الملك أحمد مرسلهم هذا ، ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه ، وبقى كل من يحضر اليهم يمسك ويحضر الى أبواب السلطان ، وهم لا يعلمون ، وتؤخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون . وجلس مولانا السلطان فى الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ، ولم يبق حول مولانا السلطان غير خواص مماليكه لا غير ، وهم فى أحسن زى وأكمل صورة ، ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبدالرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وانه (لا) يستخف عقولا مثل تلك العقول ، فدخل بزى الفقراء ، فرسم له بتقبيل الأرض ، فأبى كبرا منه وزهوا ، فأهوى به الى الأرض حتى كادت أعضاؤه تنفسخ عضوا عضوا ، وفعل ذلك طرقا عدة ، والعين اليه من مولانا السلطان غير ممتدة ، وكذلك فعل بسمداغو وبشمس الدين [1] ابن الصاحب الواصل معهم . ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبدالرحمن ، وقاموا من بين يدى مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مرارا ، وتفقدهم وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ، ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبدالرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم ، فى الاحسانات والاقامات الواسعة والمعاملة بالجميل » ثم ذكر نسخة الكتاب [2] وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله — تعالى — باقبال قاآن فرمان أحمد » الى سلطان مصر ، أما بعد فان الذى يجب على العاقل بذل الجهد ، وترك الاهمال

---

(١) فى تاريخ المفضل بن أبى الفضائل » نسخة باريس ٤٥٢٥ ور ٨٢ » أنه « ابن التيتى وزير صاحب ماردين » وهو أبو الفداء اسماعيل بن أحمد المعروف بابن التيتى الوزير الفقيه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولد سنة « ٥٩٩ » وذكره أبو حامد ابن الصابونى فى تذييله على تقييد ابن نقطة « نسخة الأوقاف ٨٥٢ ور ٨٦ . وأثنى عليه

(٢) وهى مخالفة للنسخة التى ذكرها ابن العبرى فى مختصر الدول « ص ٥٠٦ » . والأخرى المنقولة في ملاحيق السلوك « ج١ ص ٩٧٧ » .

والتوانى ، واستنفاد الوسع فى اقتناء الذكر الباقى الذى هو العمر الثانى ، وقد انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل فى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، واستعمال العدل والنصفة المندوب اليهما . وأى عدل ونصفة أعظم قدرا ، وأعلى ذكرا فى سائر الأصقاع والممالك ، من انقاذ الأنفس بجريعة الذقن من المهالك واطفاء نائرة أكباد حرى وقلوب جرحى ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس . ولما لم يكن لنا بفضل الله واحسانه الجسيم افتقار ولا بغية ، ولم يبق فى ضميرنا ارادة ولا منية ، سوى رفاهية العالم ، وطمأنينة بنى آدم خصوصا الطائفة الاسلامية ، وأهل الملة الحنيفية ، أنفذنا الألجية[١] الى اخواننا نوقاىأغا وتولمنكو وغيرهما ، ونبهناهم على أن الملك العقيم الذى ادخره لنا جدنا جنكيزخان وآباؤنا الكرام ، بعد الصبر على المشقة فى تحصيله والمقاساة ، وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة ، بمجرد النزاع والخصام ، وخلاف الوفاق واختلاف الكلام ، قد أشرف على شحوب بهجته ، وبهائه ، وتكدير رونق صفاء مائه ، والآن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح[٢] ، ونتعوض عن غيهب ليلة النفار والنقار تباشير الصبح ، ونغمد السيوف البواتر التى استلت من الأغماد ، ونعفى أثر الهرج والمرج ونعرض عن الأعراض والأحقاد ، وتتفق الجميع على القيام بواجب كيوخ قاآن وخدمته ، والالتزام بواجب طاعته ، والاشتمال على ما ينوط بمصلحته ، وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ، ورأوا من حنكة دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا الرأى محض شور لا يشوبه غش ولا مداهنة ، وخالص تنبيه لا يغادره (كذا) سوى زبدة المناصحة ، فقالوا : ان الذى وقع من الخلاف ، كان بين من قد قضى نحبه من الآباء والأسلاف ، ولم تجر بيننا مخاشنة ، ولا وقع خلف ومشاحنة ، فعدنا الى ما كان عليه أباؤنا القدماء الكرام ، من الاتفاق والائتلاف وحفظ العهود والذمام ، والتزمنا أن لا ينحل عقد هذا النظام ، والله الموفق للرشاد والهادى الى السداد . ولما تفرغ البال لاصلاح ذات البين ، واستحكمت مرائر الائتلاف بين الجهتين ، أنفذنا الايلجية ، بعد النية الخالصة لله وللرسول ، تسكينا للفتن الثائرة ، واطفاء للهيب تلك النائرة ، وحقنا لدماء المسلمين وسدا لثلمة الدين ، فكانت خلاصة جوابه ، وزبدة خطابه ، عند وقوفه على ما كتب به اليه : أنه لو أنفذ أبونا شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن لكنت أسكن

---

(١) الالجية هم البريديون وستأتى الكلمة بصورة « الايلجية » وبها سمى بيت الايلجى ببغداد .

(٢) هذا وهم من الكاتب والصواب « أن نستبدل أنس الصلح بوحشة النزاع » .

الى أمانتــه ، وأخلد الى ديانته ، وأسمع منه ما لم تحتمل ايداعه الكتب ، وأشافهه بما عندي من المصالح ، وأخاطبه بما ينطوى عليه ضميرى للمسلمين من النصـائح ، هذا وغير خاف أنه يعز علينا بعاده ، ويوحشنا بينه وفراقه ، وربما اتصل به ما نستفيده من حسن معاشرته ، وجميل مصاحبته ، وحيث كان التماسه موجبا لاشـاعة الخير العـام ، واذاعة شعار الاسلام ، رضينا بتوجيهه الى جهته ، اسعافا لمقترحه ، وجعلناه في اتخاذ العهد واليمين ، بدلا عن شمالنا واليمين ، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون ، اذ هو لنا في أمور الدنيا نعم العون ، والتزمنا كل ما عساه يسنده الينا ، وبما يرى ، ثقة بأنه الناصح الأمين ، الذى لا ينطق عن الهوى ، وربما شرذمة من الجهال ، من الجهتين من أهل الشقاق والنفاق (الذين) لا تجتمع كلمتهم على الوفاق ، ينافى طبائعهم الصلح ، « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره » لاختلاف ملتهم ، وطمعا في ادراك بغيتهم ، فالواجب أن لا تسمع أقوالهم ، وتترك أفعالهم « أولئك الذين حبطت أعمالهم » ومن المعلوم أن كل أمر ...[1] الوجه الجميل ، بحيث تنحسم فيــه مواد القـال والقيل ، لا ينبغى أن تكون الحال فيه بالضد ، وخصوصا في الخطب الأدد ، والأمر الحد « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وكتب في أوائل ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة ، بمقام تبريز ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » ...

سنة ٦٨٤ « ور ٢٣١ » « وكذلك أغار الأمير هبة[2] بن الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا على بلد الشرق ، من جهة آمد وصيبين ، وكان معه حشود كثيرة من أصحابه ومن حشود الرحبة ، وغنموا ما يزيد عن (كذا) ثلاثين ألف رأس من الأغنام ، وجملة من الأبقار ، وغير ذلك ، وخرجوا سالمين غانمين ، وارتجت بلاد الكفار بهذه الاغارة ، وذلت بها الأعــداء ... » .

مصطفى جواد

---

(١) بياض فى الأصل

(٢) لعل الأصل « مهنا » .

المصطلح الفني في اللغة العربية (*)

اهمية المصطلح الفني

يقوم الانتاج في المجتمعات العصرية ويقوم العمل في حقول التخصص العلمي والفني على قواعد من العلوم الطبيعية والرياضية . ففي المصنع والمنجم والمزرعة ، وفي الجامعة ومعهد البحوث والمختبر ، يجرى العمل على طرائق وفي أوجه تخصص نشأت من تلك العلوم الطبيعية والرياضية وعلى تطبيقات هندسية و « تكنولوجية » لها .

ان الذين يعملون في حقول الانتاج فيتخذون موضوعات التخصص الفني العديدة مهنة لهم من مهندسين وكيميائيين وفيزيائيين وعمال ماهرين ، عليهم أن يستخدموا لغة للتفاهم والتعامل يكون للمصطلح الفني فيها المقام الاول .

وان مؤسسات البحث والاشتغال العلمي ومعاهده بنوعيها الاساسية والتطبيقية ـ وقد لازمت الانتاج العصري وأضحت مصدر تقدمه ـ تجد نفسها قاصرة عن تأدية مهمتها اذا لم تول المصطلح الفني عناية كبيرة ، وتسر على أسس وقواعد صحيحة في وضعه وفي استخدامه . والمصطلح في محيط عمل تلك المؤسسات ، في نشوء وتكون وتولد ، يسير مع نشوء العلوم وتقدمها .

وان الذين يدرسون للتخصص بالعلوم والفنون ، عليهم أن يدرسوا ويتتبعوا في لغة لا يمكن التعبير فيها بغير المصطلح الفني .

وان مؤسسات الانتاج عامة اذا كانت مما يتصل مباشرة بالمصنع أو المنجم أو المزرعة ، أو اذا كانت مما له علاقة بها في الادارة أو التوزيع أو غير ذلك من متممات الانتاج ، تواجه جميعها المشكلة نفسها .

وان معدل القارىء يجد العلوم والفنون تلك قد دخلت في حياته اليومية كفرد وكمواطن . وقد كان ذلك خلال السنوات العشر الماضية على الأخص الى مدى يتضح من تتبع ما يقدم الى معدل القراء في الصحف اليومية وفي المجلات في البلاد الصناعية من بحوث ومعلومات علمية وفنية كانت ـ الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة ـ تعد من شأن العلماء والباحثين دون سواهم . وقد كان ذلك نتيجة دخول تلك العلوم والفنون في الحياة العامة وارتباطها بواجبات المواطن وتكون صلتها بوعيه السياسي والاجتماعي وعلاقتها بمشكلات يومه .

(*) محاضرة ألقيت في المجمع العلمي العراقي يوم السبت ٤ـ٣ـ١٩٥٠ .

يتضح من كل ذلك ما للمصطلح الفني من أهمية فى لغة الانتاج العصرى ومؤسسات البحوث والاشتغال العلمى ، وفى الدراسات الجامعية للتخصص بالعلوم والفنون ، وفى الحياة العامة فى المجتمعات العصرية .

مشكلة المصطلح الفنى فى اللغة العربية ونتائجها

ان الأسس والقواعد العلمية للانتاج والتطبيقات والمبتكرات . التكنولوجية ، فيه ، وان موضوعات التخصص الفنى ومواد البحوث العلمية والفنية ، جميعها نشأت علوما وفنونا جديدة أو فروعا جديدة فى نطاق علوم قديمة .

ان اللغة العربية محرومة من تلك العلوم والفنون الجديدة . ومشكلة المصطلح الفنى ، وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، كانت ولم تزل من أول أسباب ذلك . لا شك فى أن هنالك مشكلات فى التعبير فى الموضوعات الفنية باللغة العربية ، وتلك المشكلات تختلف بطبيعتها عن مشكلة المصطلح الفنى . وحل مشكلات التعبير الفنى ، مرهون بالزمن وبتداول العلم والفن ، وهى لذلك لا تدخل فى نطاق بحثنا .

يجد العامل فى ميدان العلوم والفنون فى المجتمع العربى (وخاصة فى حقول الصناعة والتعدين والزراعة وفى البحوث العلمية والفنية وفى تدريس العلوم والفنون) أن اللغة العربية لا تصلح وسيلة للتفاهم فى حقول التخصص تلك ، ويجد أن قيام انتاج عصرى فى البلاد ووقوع تطور علمى وفنى فيها على قياس مجد يتصل بقبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون وما نشأ منها من تطبيقات . تكنولوجية ، قبولا تاما ، ويجد كذلك أن لا مناص من فتح باب اللغة العربية على مصراعيه اذا أريد ألا تكون اللغات الأجنبية وسائل للتفاهم والتعامل فى حقول الانتاج والاشتغال العلمى وفى محيطات الدراسة ، تلك اللغات التى تتعدد باختلاف البلاد التى يكتسب فيها أبناء الضاد تخصصهم . هذا الى أن استخدام اللغات الأجنبية فى التفاهم والتعامل فى حقول الانتاج ، يضيع على الكثرة من أبناء العربية ممن يتلقون العلوم والفنون فى بلادهم اكتساب المرانة والخبرة والتخصص ، ثم يعوق انتشارها ، كما أنه يحول دون التفاهم بين القلة ممن تلقوا العلوم والفنون فى البلاد الأجنبية بلغات مختلفة .

ان ما يحول دون قبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون هو مشكلة المصطلح الفنى وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، فان ما وضع من مصطلحات علمية فى اللغة العربية خلال سنوات عديدة خلت ، لا يتعدى مبادىء العلوم من مستوى الدراسة الابتدائية والدراسة الثانوية . أما المحاولات التى كانت لوضع مصطلحات فنية عربية فى حقول الانتاج من صناعة وتعدين وزراعة وفى اعمال البحوث العلمية والفنية وفى تدريس الموضوعات التخصصية فى الجامعات والمعاهد ، فقد كانت عديمة الجدوى . وما وضع من مصطلحات قليلة جاء موسوما بالتكلف ضعيفا فى مؤداه يختلف باختلاف القطر الذى وضع فيه ، وما أزالت السنون الطوال اختلافا فى وجهات النظر وتباينا فى الأسس

والفروع كانا يصحبان تلك المحاولات •

تلك صورة لمشكلة المصطلح الفنى فى اللغة العربية فى مرحلتها الراهنة •

بعض ما كان من حلول

وضعت بعض المصطلحات الفنية فى اللغة العربية باختيار ألفاظ عربية تقارب المعانى الظاهرة للمصطلحات الأجنبية ، وصيغت بعض المصطلحات من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلحات الأجنبية ، واستعين فى الاصطلاح ـ فى بعض الحالات ـ بالمصادر والنصوص القديمة • وفى الفقرات التالية تتناول بالبحث كلا من تلك الحلول •

وضع المصطلح الفنى : عاملا النشوء والزمن فى تكوين المصطلح الفنى الأجنبى •

ان اختيار لفظ عربى يقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبى ، لا يفى بالغرض ، وهو الى ذلك مطلب عسير • فاللفظ الموضوع اذا أريد أن يكون متداولا ، وهو الأفضل فى الوضع وأقرب الى تأدية الغرض ، فان المعانى المتداولة فى بيئة مبتدئة فى مضمار التقدم العلمى يندر أن تصح مقابلا للمفاهيم العلمية والفنية العصرية وتطبيقاتها « التكنولوجية » المخصصة • أما اذا كان اللفظ الموضوع بعيدا عن التداول ممعنا فى الغرابة ـ وهذا ما كان ينحو اليه المعنيون بهذا المجال فى كثير من الحالات ـ فان النتيجة تكون عديمة الفائدة ، وعبئا على القارىء والدارس والمتتبع ، ولا تكون عونا لهم فى حال ما •

ان المصطلحات الفنية نشأت فى اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع العلمى والفنى فيها ، فكان المصطلح يوضع لمفهوم علمى جديد ، فينمو بمعناه بصورة تدريجية مع نمو المفهوم العلمى الذى يعبر عنه فى ذلك الموضوع ، فيصطبغ المصطلح بالمعنى ، ويسهل قبوله لدى القارىء • ومن الواضح أن نشوء المصطلح على هذا الشكل يختلف اختلافا تاما عن الحالة الناشئة عن دخول علم متكامل الى لغة لم يكتب فيها قبلا كما هى الحال فى وضع المصطلح باللغة العربية • فعنصرا النشوء والزمن اللذان يسرا وضع وتكون المصطلح فى اللغات التى نشأ فيها العلم أو الفن ـ هما مفقودان فى حالة الوضع دفعة واحدة وعلى قياس واسع فى اللغة العربية • فلا النشوء والتدرج يعينان على ربط اللفظ بالمفهوم العلمى خلال فترة النشوء ، ولا عامل الزمن كائن ليجعل من تخصيص اللفظ للمفهوم العلمى المعين مساعدا على بناء مصطلحات أخرى فى ذلك العلم والتقدم خطوة أخرى فى كتابة الموضوع فى اللغة الجديدة ، وعامل الزمن ذو أهمية قصوى فى هذا المجال ، وكثيرا ما عمل الزمن وشيوع المصطلح فى التداول على ثبوت ذلك المصطلح على الرغم من نقص فى معناه عند وضعـــه •

ولايضاح كيفية نشوء المصطلح الفنى فى اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع الفنى ، نقدم مثالا من صناعة التعليب ، وهى صناعة حفظ المنتجات الغذائية فى علب الصفيح •

كان نشوء صناعة التعليب قبل مئة سنة تقريبا ، وقد وجدنا فى مجلة أخبار لندن المصورة ـ فى جزء منها صادر قبل مئة سنة (٣١ كانون الثانى سنة ١٨٥٢) ـ وصفا

لمعمل من المعامل الأولى التى تأسست فى هذه الصناعة ، وقارنا المصطلح والتعبير اللذين كانا يستخدمان فى زمن نشوء الصناعة بالمصطلح والتعبير القياسين فى هذه الصناعة فى الوقت الحاضر .

كان ما يعرف اليوم باللولب البخارى (Steam Coil) يوصف فى ذلك الحين بأنه «تفرعات كثيرة من الأنابيب البخارية (Abundent ramifications of steam pipes) ووصف ما يعرف اليوم بالتخلية (Exhausting) فى هذه الصناعة بوصف مطول كثر فيه ايراد المترادفات والألفاظ ، فقيل : ولكيما يطرد الهواء من عظام الدجاج والفجوات الأخرى يقوم السادة أبرت وكولدنر بتبديد كل أثر باق من الهواء الجوى .

(The need to expel all the air from inside the bones of fowls and other interstices, Messrs. Appert and Goldner dispel every lingering trace of atmospheric air)

يظهر من هذا أن مصطلحين فنيين فى موضوع هذه الصناعة هما اللولب البخارى (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) ، كانا فى أول نشوء الصناعة عبارة عن تعريفين تكثر فيهما الأوصاف والمترادفات ، فصارا بعد تقدم الصناعة زهاء مئة عام مصطلحين مخصصين شائعين سائغين فى اللغة الانكليزية يحملان مفهومين محددين قياسيين ، ويقبلان قبولا طبيعيا فى التعبير والتعامل والكتابة فى صناعة التعليب وفى غيرها من الصناعات، حيثما استخدم اللولب البخارى فى التسخين وحيثما دخلت التخلية فى الصنع .

صوغ مصطلح عربى من الاصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى

ان ترجمة الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الفنى وصوغ مصطلح عربى منها ، يعطيان مصطلحا ناقصا فى معناه . فالمصطلح الفنى لم يعد باقيا فى حدود معانى أصوله الاغريقية واللاتينية ، بل نما بمفهومه الفنى باطراد نمو الموضوع الفنى ، وأصبح بعيدا عن مدلوله الأول . ومحاولة كهذه لا تعطينا الا مصطلحا عربيا قد تجرد مما تجمع فى مقابله الأجنبى من مفاهيم علمية وفنية اكتسبها خلال نشوء العلم والفن . وكمثال لذلك نأخذ مصطلح (Halogenation) . فكلمة هلوجين (Hologen) معناها فى الاغريقية مولد الملح، وهو عنصر أو جذر يكون الملح اذا اتحد مع فلز ، ومن أمثلته الكلور والبروم والفلور. ان توليد الملح من الكلور (فى أحد مركباته) مثلا ، والفلز (فى مركب فلزى) وهو التوليد الذى أعطى الكلور اسم مولد الملح ، لم يعد التفاعل الأول للكلور فى الكيمياء أو الصناعة أو البحث ، بل أصبح دخول الكلور أو البروم أو الفلور فى التركيب العضوى وما يقوم على ذلك من صناعة وفنون وبحوث من المفاهيم العلمية الواسعة التطبيق الكبيرة الأهمية . واذا كان مفهوم (Halogenation) قد نما فى اللغة الانكليزية باطراد نمو الموضوع ، فابتعد عن المعنى الاغريقى الأصلى من الناحية الواحدة ، واكتسب المفهوم العلمى الجديد من الناحية الثانية ، فان شيئا من هذا لم يقع فى اللغة العربية ، ولذلك

لا يمكننا استخدام كلمتي التوليد الملحى كمصطلح فنى يقابل(Halogenation) بأى حال من الأحوال .وليس لنا الا أن نقبل بمصطلح (الهلجنة) فهو يؤدى المعنى التام من الناحية الواحدة ، وهو لفظ يمكن استخدامه فى التعبير على اختلاف مشتقاته وفى مختلف المواضع من الناحية الثانية .

قد يفى بالغرض صوغ المصطلح من الأصول الاغريقية واللاتينية فى مبادىء العلوم من مستوى الدراستين الابتدائية والثانوية ، الا أنه لا يفى بالغرض فى حقول الانتـاج والاشتغال العلمى ومعاهد البحوث العلمية والفنية والدراسات الجامعية التخصصية . أضف الى ذلك أن المصطلحات العلمية والفنية فى هذه الحقول لا تكون من أصول أغريقية أو لاتينية الا فى القليل من الحالات .

الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة واختيار مصطلحات مما ورد فيها

اذا رجعنا الى المصادر والنصوص القديمة نستمد منهـا مصطلحـات علميـة وفنية نستخدمها فى حقول الانتاج العصرى ، نجد أن ما ورد فى تلك المصادر من مصطلحات لا يمكن استخدامه فى تلك الحقول ، كما أننا نجد أن كثيرا من المصطلحات القديمة تعبر عن مفاهيم لم تعد جزءا من أسلوب الصنع الجديد ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نجد أن المصادر القديمة ليست غنية بما يمكن أن يتخذ مادة خاما فى وضع المصطلحات فى علوم وفنون جديدة ، وأن أساليب الصنع الحديثة ومراحله وعملياته والمفاهيم العلمية والفنية التى تنطوى عليها والتى تأخذ بها المصطلحات الجديدة ، لا مقابل لها فى المصادر والنصوص القديمة .

فاذا أخذنا أحد تلك المصادر وهو (المخصص) لابن‌سيده ، وبحثنا فى‌موضوع الدباغة مثلا ، وهو موضوع تناول (المخصص) مصطلحاته القديمة بأوسع مما تناول الموضوعات الأخرى ، نجد أنه قـد أورد عددا كبيرا من المصطلحـات الفنيـة فى موضوع الدبـاغة بأساليبها الأولى عند العرب ، ونجد أن هذه المصطلحات شاملة متقنة فى نواح خاصة قليلة لم تعد جزءا من أسلوب الصنع فى الدباغة العصرية ، ثم نجد أن المخصص خال من مصطلحات تقابل مفاهيم وعمليات الصنع الأساسية فى الدباغة العصرية .

ولايضاح ذلك نورد أمثلة من تلك المصطلحات ، ونتناول البحث فيها .

ولنبدأ بمصطلح للجلد المدبوغ المعد ، ويقابل ذلك كلمة (Leather) فى اللغة الانكليزيـة . فقد أورد المخصص مصطلح « المنيئة ـ وهو الجلد أول مـا يدبغ » ، ثم « الأفق ـ وهو المستوفى للدباغ ولم يشق بعد » ، ثم « الأديم ـ وهو الأفق اذا شق وبسط حتى يبالغ فيه ما قبل من الدباغ » ، فيبدو أن كلمة الأديم هى المصطلح المطابق لكلمة (Leather) . ولكننا لا نلبث أن نجد كلمة الأديم قد أطلقت فى مواضع كثيرة من المخصص نفسه ومن غيره من المصادر على الجلد الخام غير المدبوغ ، ومن هنا كان استخدامها مصطلحا مخصصا لكلمة (Leather) غير سليم .

أورد المخصص مصطلحا للجلد الخام صالحا هو الاهاب ، وما استخدم هذا المصطلح لغير الجلد الخام . الا أن المخصص كان خاليا مما يمكن اطلاقه على صنفين رئيسين من الأهب هما الأهب الخفيفة ،ومقابلها فى الانكليزية (Skins) ، وهى أهب الضأن والماعز . والأهب الثقيلة ، ومقابلها فى الانكليزية (Hides) ، وهى أهب البقر والجاموس والابل . وهذان الصنفان من الأهب ، جعلا من صناعة الدباغة العصرية فرعين رئيسين يختلف أحدهما عن الآخر . فمن الأهمية بمكان أن يكون لكل من الصنفين مصطلح فى الصناعة . وفى اللغة الانكليزية نجد لمصطلحى (Skins) و (Hides) أهمية كبيرة فى التعبير والتعامل فى محيط هذه الصناعة .

أورد المخصص لجلد السخلة أسماء كثيرة هى : « الشكوة ـ مسك السخلة ما دام يرضع » و « البدرة ـ مسك السخلة اذا فطم » ، و «السقاء ـ مسك السخلة اذا اجذع» ، و « الوطب ـ جلد الجذع فما فوق » ، وهى مصطلحات شاملة فى ناحية معينة الا أنها لا تمت الى أساليب الصنع فى الدباغة العصرية بصلة مجدية .

ومن مصطلحات المخصص : « الحلم ـ الجلد اذا تثقب من التعفن » ، و « الحلاءة ـ قشرة الجلد الرقيقة التى تكون فى أصول الشعر يقشرها الدباغ » ، و « التحلىء ـ شعر وجه الأديم » ، وهى مصطلحات لا تسد فراغا فى التعبير فى موضوع الدباغة العصرية .

ومهما يكن من أمر المصطلحات الواردة فى المخصص فى موضوع الدباغة ، فانهـا لا تتناول المفاهيم التى تنطوى عليها أساليب الدباغة العصرية وأجهزتها والعمليات التى تتألف منها فى مختلف المراحل . ففى المراحل التحضيرية من الدباغة ، نجد المصطلحـات الانكليزية التالية :

Pickling, Sweating, Liming, Plumping, Falling, Bating, Puering, Drenching

وفى مراحل الدبغ الكرومى والنباتى والشبى والحديدى والزيتى وغيرها ، نجد المصطلحات التالية : Stuffing, Fat Liuering, Currying, Loading

وفى المراحل الاكمالية ، نجد المصطلحات التالية :

Staking, Glazing, Rolling, Ironing, Plating, Graining, Embossing, Buffing

وليس بين المصطلحات الواردة فى المخصص ما يمكن أن يتخذ مقابلا لمصطلح من هذه المصطلحات الانكليزية فى الدباغة ، وليس بينها ما يتناول موضوع تلك المصطلحات من قريب أو بعيد لكيما يتخذ مصطلحا بعد أن يخصص ويشاع استخدامه ، فهى لذلك لا تسد فراغا يذكر فى موضوع الدباغة العصرية .

لقد تناولنا فى مثالنا موضوع صناعة قديمة هى الدباغة ، وبحثنا فى مصدر من أغنى المصادر القديمة ، فلم نجد من المصطلحات ما يمكن التعبير به عن أساليب الصنع الجديدة

في تلك الصناعة . فاذا كانت الصناعات التي نستمد مصطلحات عربية في موضوعها من المصادر والنصوص القديمة صناعات جديدة مستحدثة تقوم على فنون اكتشفت في العصر الحديث ، ولم يكن للعربية سابقة فيها ، فان ما يمكن للمصادر القديمة أن تمدنا به نادر حقا .

وضع مصطلحات عربية على نطاق واسع دون غيرها ليس بحل

قلنا في فقرة متقدمة ان تكوين المصطلح الفني في اللغات الأجنبية جاء مع نشوء الموضوع الفني في تلك اللغات ، فكان التدرج في الموضوع الفني يعين على قبول المصطلحات الجديدة التي تنشأ في مراحل ذلك التدرج . ومن الواضح أن وضع المصطلحات الفنية في اللغة العربية في علم أو فن دفعة واحدة كما تقضي به الحال ، لا يساعد على تكوينها تكوينا صحيحا ، لذلك فان اختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبي اذا جرى في موضوع ما على نطاق واسع ، لا يفي بالغرض ، ولا يعطينا مصطلحات مفيدة . ان مصطلحي اللولب البخاري (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) اللذين وردا في فقرة متقدمة هما بعيدان ــ على الرغم مما يبدو من صلاحهما ــ عن أن يكونا مصطلحين مخصصين مقبولين قبولا عاما في العربية ، وقد يكونان كذلك بعد بضع سنين . أضف الى هذا أن المصطلحين يتناولان عملين أوليين في الصناعة ، وأنهما بالقياس الى المصطلحات « التكنولوجية » الأخرى ، يعدان من المصطلحات الابتدائية .

وقلنا في فقرة أخرى ان صوغ المصطلح العربي من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبي ، يعطينا مصطلحا قد تجرد مما تجمع في مقابله الأجنبي من مفاهيم وتداعي معان ومما ارتبط بالمصطلح من محيط استعماله خلال نشوء العلم . فاذا صيغت المصطلحات العربية من الاصول الاغريقية واللاتينية على نطاق واسع ، واستخدمت في كتابة الموضوعات الفنية ، جاء الموضوع المكتوب ثقيلا يعسر تتبعه .

وبينا أن ما يمكن للمصادر والنصوص القديمة أن تمدنا به من مصطلحات عربية في موضوعات الانتاج العصري التي تتناول علوما وفنونا جديدة لم يكن للعربية سابقة فيها ، نادر جدا .

المصطلح العلمي مصطلح اممي

يتسم العلم بطابع الأممية في منشئه وفي استخدامه ، فقد نشأت العلوم قديمها وحديثها من نتاج علماء من أمم كثيرة ، ودونت في لغات عديدة ، ولم يكن استخدامها ملكا لأمة دون أخرى . ولغة العلوم والفنون العصرية أممية في ناحية المصطلح . فالمصطلحات العلمية والفنية موحدة بين اللغات الحية الى مدى بعيد جدا ، فالانكليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها تشترك في المصطلحات العلمية والفنية ، ولا يقف هذا الاشتراك عند حدود اللغات الغربية ، فقد تعداها الى لغات شرقية كثيرة لما أخذت تلك اللغات بالانتاج العصري وفنونه .

قبول المصطلح الأجنبى فى العربية

اذا كان وضع المصطلحات العربية على نطاق واسع باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الاجنبى ليس بحل ، واذا كان صوغ المصطلح العربى على نطاق واسع من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى ليس بحل ، واذا كان الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة على نطاق واسع ليس بحل ، فالحل فى أن يكون وضع المصطلح العربى باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبى فى حدود تؤمن سلامة الموضوع الفنى وسهولة فهمه والابتعاد عن ارباك الدارس والمتتبع ، وهى حدود لا شك ضيقة ، وأن يكون صوغ المصطلح العربى من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى فى حدود ضيقة كالتى بينا آنفا ، وأن يكون ذلك فى نطاق الدراستين الابتدائية والثانوية وفى المواضيع التخصصية فى العلوم الاساسية فى الدرجة الأولى وليس فى العلوم التطبيقية ، وأن يكون الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة فى حدود ضيقة أيضا • فاذا تعذر بعد ذلك وضع مصطلح عربى صحيح مفيد سائغ ، أو صوغه ، نعود الى المصطلح الأجنبى ، ونقبل منه فى العربية ومن غير تردد كل ما يترتب علينا قبوله فى سبيل نقل الموضوع العلمى أو الفنى الى اللغة العربية وفى سبيل تأمين سلامة الموضوع الفنى وسهولة دراسته والتتبع فيه• وقد يكون ما نقبل من المصطلحات الأجنبية فى القلة فى بعض الحالات والموضوعات ، وقد يكون فى الكثرة فى بعض آخر ، وذلك تبعا لنوع الموضوع ولما يتيسر تأمينه من المصطلحات العربية عن طريق وضع المصطلح باختيار الألفاظ العربية المقاربة ، أو صوغ المصطلح من الأصول الاغريقية واللاتينية أو الرجوع الى المصادر القديمة •

ناظمان فى قبول المصطلح الاجنبى

ينبغى أن يكون قبول المصطلح الأجنبى فى العربية بأقيسة عربية ، وأن يكون له عن طريق المجامع العلمية واللغوية •

اللغة كأداة للانتاج وكأداة علم

ان من أول ما يجب تحقيقه فى سبيل قيام مجتمع عربى عصرى أن تكون اللغة العربية أداة للانتاج العصرى وأداة للتعبير فى حقول التخصص العلمى والفنى ، ومن هنا ينبغى أن ينظر الى مشكلة المصطلح الفنى على أنها مشكلة علم ولغة ، وليست مشكلة لغة فقط •

ان انتقال العلوم والفنون العصرية الى اللغة العربية باق ما دامت مصادر التقدم العلمى والفنى تكتب بلغات غير عربية ، وما دام العلم والفن وأساليب الانتاج أممية تنمو بما تتغذى من نتاج الأمم كلها • وفى مجال هذا الانتقال يعمل فى حقول الانتاج وفى حقول الاشتغال العلمى والفنى جماعة من أبناء الضاد تلقوا العلوم والفنون فى لغات أجنبية • وتتقدم فى ناحية أخرى من هذا المجال جماعات كثيرة من أبناء الضاد تلقوا العلوم فى بلادهم عاملين

على اكتساب الخبرة والمرانة والتخصص عن طريق التتبع والاتصال بالمراجع العلمية والفنية وعن طريق الاشتغال العلمى فى الانتاج وفى المعاهد الفنية .

ان وضع المصطلحات العربية باختيار ألفاظ عربية أو صوغها من الأصول الاغريقية واللاتينية ، أو الرجوع الى المصادر القديمة على الصورة التى بيناها فى فقرات متقدمة ، ثم الاعراض عن قبول المصطلح الاجنبى فى اللغة العربية ، لما يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى لغات أجنبية عناء العمل فى لغة فنية لا يعرفونها ، فيربك عليهم العمل ، ثم يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى بلادهم عناء التتبع فى لغات أجنبية لا يرتبط المصطلح فيها بمحيط استعماله فى لغة دراستهم فيعوق ذلك - الى حد بعيد - تقدمهم فى موضوع تخصصهم واكتسابهم الخبرة والمرانة .

وفى كلتا الحالتين تقف المصطلحات العربية التى لا يراعى فى وضعها ما قدمنا فى فقرات سابقة عائقا فى طريق انتقال التخصص فى العلوم والفنون ، واكتساب الخبرة والمرانة ، وقيام انتاج عصرى على قياس مجد فى بلادنا ، وتكوين ثروة من العلم والفن فى مجتمعنا لا يعادلان بثمن .

شيث نعمان

موارد تأريخ الطبرى

تاريخ الفرس والروم

وتختفى أسماء الرواة فى الفصول التى دونها الطبرى عن تأريخ الفرس والروم ، فلا نقرأ تلك الجمل التى كان يكثر من ترديدها فى تأريخ الرسل والأنبياء فى صدر كل خبر ورواية ، مثل : « حدثنا فلان قال حدثنا فلان عن فلان عن ... قال : » ، أو « حدثنى فلان ، قال : حدثنا ... قال : أخبرنى فلان .. قال : أخبرنى ... قال : .. » ، واستعاض عن هذا وأمثاله فى الغالب بجمل بنيت على المجهول ، لم يصرح فيها باسم الراوية الذى روى له الخبر ، أو المورد الذى أخذ منه . وقد أوجد لنا الطبرى بطريقته الجديدة هذه مشكلات حالت بيننا وبين التوصل الى الموارد التى نقل منها تلك الأخبار .

ونجد فى « تأريخ الأمم والملوك » تفصيلا عن تأريخ الفرس لا نجده فى كتاب آخر دون فى زمانه أو بعده فى التأريخ العام ، وهو ـ لما حواه من مادة ـ من الموارد التى يعتمد عليها الباحثون اليوم فى تدوين تأريخ العجم ، ولكن هذا لا يعنى أنه حوى كل ما وعاه الفرس ، وما نقله النقلة الى العربية من تأريخ الفرس ؟ فاننا نجد فى الكتب الباقية التى تعرضت لتأريخهم أو لتأريخ العرب والفرس أمورا لا نجدها فى تأريخ الطبرى ؛ وقد اعتمد عليه « نولدكه Noldeke » فى تدوين تأريخ الفرس والعرب فى أيام الساسانيين[1] .

وقد قسم بعض المؤرخين تأريخ الفرس الى أربع طبقات : الطبقة الأولى الفيشدادية وهم أقدم الطبقات ، والطبقة الثانية الكيانية ، والطبقة الثالثة الأشغانية ، والطبقة الرابعة الساسانية[2] . أما الطبرى ، فقد سلسل تأريخهم على هذا الأساس ، ولكنه لم يتحدث عن طبقة طبقة فى فصل خاص ، الا الأشغانية الذين يبدأ تأريخهم بـ « أشك بن أشجان » ، فقد وضع لهم عنوانا خاصا هو : « الملوك الأشغانيون » ، وقد دعاهم أيضا بـ « ملوك

The Noldeke, Geschichte der Perser und Araber zur zeit (١) der Sasaniden. Aus der Arabi. chronik. des Tabari übersetz und mit ausfurhlichen erlauterungen und erganzungen Versehen. Leiden 1879.

(٢) حمزة (ص ١٢ ـ ١٣) .

الطوائف »[(١)] ، وجعل عنوان الطبقة الرابعة ، وهى الطبقة التى خلفت « الأشغانية » ، « ملوك الفرس » ، وذكر أن أول ملك من ملوكها هو من أبناء ساسان[(٢)] . وهذه الطبقة هى طبقة الساسانيين .

ويبدأ تأريخ الفرس عند الطبرى ببداية تأريخ البشر ، أى بتأريخ آدم ، وآدم هو جيومرت[(٣)] على رأى أكثر علماء الفرس . ولذلك تحدث عنه فى أثناء الكلام على « آدم »[(٤)] ، وذكر أن بعضهم كان يزعم أنه أبو الفرس[(٥)] . وأما أوشهنج ، فهو أول ملوك الفرس[(٦)] . وقد عاش فى أيام آدم أو بعده بمئتى عام[(٧)] . ولم يصرح الطبرى بأسماء من أخذ منهم أخباره عن جيومرت وأوشهنج ومن خلفه من الملوك الفيشداديين ، ويظهر من تعابيره التى استعملها فى الأوراق التى دونها عنهم أنه استمدها من المعنيين بتأريخ الفرس ومن مؤلفاتهم ، وذلك كالذى يظهر من قوله : « وأما الفرس فانهم قالوا ... »[(٨)] . ولابن الكلبى أقوال وتعليقات[(٩)] لا ندرى من أين جاء بها الطبرى ، أجاء بها من كتب ابن الكلبى ، أم أخذها من أفواه مشايخه ؟ والذى يخيل الى أنه نقلها من كتبه ومؤلفاته ، والا فما الذى منع الطبرى من الاشارة الى أسماء من دون تلك الأخبار . وقد قص علينا فى أخبار الرسل والأنبياء وفى أماكن أخرى أسماء من حدثه بروايات ابن الكلبى وعمن أخذوا الى أن يتصل بهشام ، أو بصاحب الخبر ، أو بشاهد العيان .

وما دونه الطبرى وغيره عن تأريخ الفيشدادية والكيانية والأشغانية ، أكثره أساطير وقصص شعبى يذكرنا بقصص اليونان وبالأساطير التى رووها عن ملوكهم ، وأقله تأريخ جمع ودون فى عهد الساسانيين . أما تأريخ الساسانيين ، فأحسن حالا ؟ ففيه مادة تأريخية . وقد كتب فى أيام الساسانيين كذلك ، وأضيف الى المحفوظ ما دونه أهل الحيرة ، وما حفظه الرواة والأخباريون عن علاقة العرب بالفرس .

---

(١) الطبرى (١١/٢) .
(٢) الطبرى (٥٦/٢) .
(٣) « كيومرت » ، حمزة (ص ١٢) « فالفرس كلها بأسرها تزعم أن ابتداء التناسل كان من رجل يقال له كيومرت ملك الطين ، أى كلشاه ، وبقى على الارض أربعين سنة » .
(٤) الطبرى (٧٣/١) .
(٥) الطبرى (٧٤/١) .
(٦) حمزة (ص ١٢) .
(٧) الطبرى (٧٦/١ – ٧٧)
(٨) الطبرى (٨٦/١) .
(٩) الطبرى (٨٦/١) وفى مواضع أخرى

وابن الكلبى هو هشام بن محمد بن السائب الكلبى أبو المنذر المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة[١] ، وهو فى طليعة المشتغلين فى الأنساب والأخبار وفى تأريخ العرب قبل الاسلام ، والمرجع المعول عليه فى تأريخ الحيرة والعراق واليمن • ورث من أبيه الميل الى الأخبار ، فصار من كبار الأخباريين ، وألف فى ذلك كتبا • وله أكثر من مئة وخمسين مصنفا[٢] ، أو مئة وأربعة وأربعون مصنفا[٣] • وقد اتهمه المحدثون بالضعف ، والكذب ، وترك أكثرهم الرواية عنه • وأعتقد أنهم تحرجوا الرواية عنه فى حديث الرسول وفى التفسير • أما الأخبار والأنساب ، فانهم يعترفون بعلمه فيها ، وبباعه الطويل فى هذين الموضوعين •

ويرى نولدكه أن هذه التهم التى وجهت الى ابن الكلبى لم تكن دائما على حق ، ويرى أن كثيرا مما رواه كان صوابا ! وأنه قد سلك سبيلا قريبا من العلم فى دراسة الوثائق الأصلية والمخطوطات[٤] • وأنا ، مع تقديرى لجهود ابن الكلبى وسعة حفظه وعنايته بأخبار العرب قبل الاسلام ، أرى فيه ضعفا من حيث ميله الى التظاهر بالعلم والدراية بكل خبر قديم • ففى تأريخ الطبرى وفى مؤلفات أخرى ، روايات نسبت اليه ، ان صح أنها صدرت منه وأنه هو قائلها حقا ، فانها تدل على ضعف ملكة النقد لديه ، وعدم تمييزه بين المعقول والمنقول ، بين الصحيح والفاسد ، ولا سيما فى أخبار الأوائل وفى الاسرائيليات • وقد كان من المغالين فى الأخذ بأقوال أهل الكتاب الذين لم يكونوا فى الواقع من أصحاب العلم والفهم • فنرى أن شيئا كثيرا مما رواه على أنه من التوراة ، لا يمت اليها بصلة ما ، بل لا يمت بصلة ما حتى الى التلمود و « المدراش » ، وقد نرى خلطا يصعب وقوعه من رجل من أهل الكتاب • وهذا مما يحملنا على اطراح الثقة به فى بعض الأمور ، والشك فى صحة ما يرويه ، بل يحملنا على التفكير فى أنه كان يفتعل الأخبار أحيانا للظهور بمظهر العالم المحيط بكل خبر قديم •

وترجع أكثر الروايات المدونة فى تأريخ الطبرى عن صلات الفرس بالعرب ، ولاسيما باليمن ، الى ابن الكلبى • ولضياع أكثر مؤلفاته وعدم وصولها الينا حتى الآن ،

---

(١) ابن سعد (٦/٢٤٩) ، الارشاد (٧/٢٥٠ وما بعدها) ، تأريخ بغداد (١٤/٤٥) ، ابن حجر تهذيب (٩/٢٦٦) ، الذهبى : طبقات الحفاظ (١/٣١٤) •

(٢) لسان الميزان (٦/١٩٦) •

(٣) ألفهرست (ص ١٤٠) وما بعدها ، لسان الميزان (٦/١٩٧) •

(٤) Noldeke, geschichte der Araber und Perser, S. **xxvii**.

يكشف علينا رجع ما نقله الطبري عنه الى أصوله لدى ابن الكلبي ، غير أن في الامكان الاستعانة بعناوين بعض مؤلفاته لتعيين المورد الذي أخذ الطبري منه . فمن المتمكن مثلا رد ما ذكر عن الضحاك ، وهو بيوراسب أو الازدهاق من روايات مرجعها ابن الكلبي ، لم يذكر لنا الطبري من حدثه بها[١] ، الى مؤلف من مؤلفات هشام لم يصل الينا ، ولعله الآن مقبور في خزائن الكتب ، اسمه خبر الضحاك[٢] ، يظهر أنه أخذه من الكتب التي نقلت عن الفهلوية الى العربية ، أو من رواة الفرس المعنيين برواية تاريخهم وحفظه ، وقد كان منهم عدد في الكوفة . أما المتعلق منه باليمن وبالعرب ، وبنسب الضحاك في اليمن ، فلا يمكن أن يكون من أصل فارسي . بل لابد أن يكون من أصل عربي ، من وضع ابن الكلبي نفسه ، أو من وضع غيره ، وقد يكون من وضع « الأبناء »[٣] الذين بقوا في اليمن ، فربطوا بين تاريخي العرب والفرس .

وأما ما رواه الطبري من روايات نقلت عن ابن الكلبي في ملوك الطوائف ، فان من الممكن رجعه الى كتاب آخر لم يصل الينا أيضا ، وانما ورد اسمه في الفهرست لابن النديم ، اسمه كتاب ملوك الطوائف[٤] . وقد أضاف الطبري الى روايات ابن الكلبي أخبارا يظهر أنه اقتبسها من كتب أخرى منقولة عن الفهلوية ، أو من كتاب سير ملوك الفرس .

ولابن الكلبي كتاب آخر له علاقة بتأريخ الفرس الساسانيين ، اسمه كتاب أخذ كسرى رهن العرب[٥] ، وكتاب ثان اسمه كتاب اليمن وأمر سيف[٦] ، كما أن له كتبا في ملوك اليمن من التبابعة[٧] ، وفي أقتال خمير[٨] ، وفي الأوائل[٩] ، من الجائز

(١) الطبري (٩٨/١) وما بعدها غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ١٨) وما بعدها .

(٢) الفهرست (ص ١٤١) ، وقد دعاه « حي الضحاك » وهو تحريف من النساخ على ما يظهر ، الأصنام تحقيق أحمد زكي باشا (ص ٧٣) .

(٣) الأبناء هم أبناء الفرس الذين جاءوا الى اليمن لتحريرها من الأحباش .
Ency. , I . P. 72, Noldeke , geschichte der Perser und Araber zur zeit der Sassaniden , S. 220.

(٤) الفهرست (ص ١٤١) . (٥) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٤) .

(٦) الفهرست (ص ١٤١) ، « كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن » الأصنام (ص ٧٥) .

(٧) « كتاب ملوك اليمن من التبابعة » الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧١) .

(٨) « كتاب أمثال حمير » الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

(٩) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

أن يكون ابن الكلبي قد تعرض فيها لتأريخ الفرس . والظاهر أن الأوراق التي حبرها الطبري عن اليهودية في اليمن وعن النصرانية في نجران وغزو الحبشة لليمن ، ونهوض « سيف بن ذي يزن » لطرد الأحباش عن وطنه ، وهي روايات ابن الكلبي مضافا اليها روايات « محمد بن اسحلق »[٢] أخذها الطبري من « كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن » لابن الكلبي ، ومن مؤلف « ابن اسحلق » . أما ابن اسحاق ، فترجع رواياته — على ما سترى — الى محمد بن كعب القرظي ، والى وهب بن منبه ، والى جماعة من أهل نجران . وما دونه عن كندة وصلتها بالفرس ، والحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ[٢] ، قد انتزعه من كتاب آخر لابن الكلبي اسمه كتاب ملوك كندة[٣] . وقد نسب الطبري خبره الذي دونه عن قباذ والحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي الى ابن الكلبي ، الا أنه لم يذكر — على العادة التي جرى عليها في تأريخ الفرس — اسم المحدث الذي نقل اليه قول هشام . ونظرا لما عرفناه عنه من اغفال أسماء الكتب التي ينقل منها ، أو الكتاب الذي ينقل منه ، واستعمال جمل مبهمة مثل : « وذكر أهل العلم .. » ، أو « وزعم جماعة من علماء العجم .. » ، أو « وحدثت عن هشام بن محمد قال .. » ونحو ذلك مما يشير الى أنه نقل ما ذكره من الكتب ، فاننا ربما لا نكون مخطئين اذا قلنا ان الطبري قد نقل خبره المذكور من هذا الكتاب .

وربما لا أكون بعيدا عن الصواب اذا ما زعمت لك أن الطبري قد نقل من كتاب آخر من كتب ابن الكلبي ، هو كتاب عدي بن زيد العبادي[٤] . وقد اعتمد — في تأليفه — على ما سمعه من « اسحاق بن الجصاص » ، وعلى ما أخذه من أبيه محمد[٥] .

واسحاق بن الجصاص ، أو اسحاق بن عماد ويعرف بابن الجصاص ويكنى أبا يعقوب ، هو من موالي اليمن ، وكان صاحب عيسى بن موسى في أوائل الدولة ، فكان الناس يقرؤون عليه الشعر في دار عيسى . ودرس عليه جماعة من كبار العلماء مثل الكسائي[٦] وابن الكلبي وأضرابهما . وقد سمع ابن الكلبي أخبار عدي بن زيد مشافهة

(١) الطبري (٩٤/٢) وما بعدها

(٢) الطبري (٨٩/٢) وما بعدها

(٣) الأصنام (ص ٧١) .

(٤) الأصنام (ص ٧٤) .

(٥) الطبري (١٤٦/٢) .

(٦) الارشاد (٢٣٢/٢ — ٢٣٣)

من شيخه ابن الجصاص ، كما نقل من كتاب حماد[١] . ومات فى آخر أيام المنصور .

وقد اشتغل عبدالله بن المقفع ، وهو فى الأصل « روزبة بن داذويه » ، بنقل جملة كتب فى التأريخ والأدب من الفهلوية الى العربية ، منها : « كتاب خدينامه فى السير » « خداى نامك »[٢] ، و « كتاب آيين نامه فى الأصر »[٣] وكتاب مزدك[٤] ، و « كتاب التاج فى سيرة أنو شيروان »[٥] ، و « كتاب كليلة ودمنة » ، وكتب أخرى[٦] . فمهد ابن المقفع – بترجمته لهذه الكتب – للمؤرخين الذين كانوا لا يعرفون الفهلوية أن يحصلوا على معارف فى تأريخ الفرس القديم . وذكر ابن النديم أن ابن المقفع « كان أحد النقلة من اللسان الفارسى الى العربى ، مضطلعا باللغتين ، فصيحا بهما »[٧] . أما فصاحته ومعرفته بالفهلوية فمسألة تحتاج فى رأيى الى دراسة دقيقة ومقابلة بين الأصول الفهلوية والنقول التى عملها ابن المقفع بالعربية ، للحكم فيها حكما علميا . ولا يصح الأخذ بالشهرة وبأقوال القائلين الذين لا تصدر أحكامهم عن دراية وعلم عميقين فى الغالب . وقد ضاعت الأصول ، كما ضاعت نقول ابن المقفع ، ولم يبق منها غير نتف وقطع حفظت فى كتب التأريخ والأدب ، لذلك صعب على المؤرخ والأديب اصدار حكم علمى فى فصاحة ابن المقفع فى الفهلوية ، وفى دقة نقله وسلامته ، وان كنا لا نشك فى فهمه لها وفى معرفته بفارسية زمانه ، وفرق كبير بين الفهم والفصاحة كما هو معلوم .

وقد ذاعت لابن المقفع شهرة واسعة فى الناس ، ومال القوم الى مطالعة ما كان يخرجه ، أو يخرج باسمه . قال المسعودى : « على أن من شيم كثير من الناس الاطراء

---

(١) الطبرى (١٤٦/٢) .

(٢) « خداى نامة » « خداينامة » . خدينامة فى السير » الفهرست ص ١٧٢ ، « خداى نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تاريخ ملوك الفرس » . حمزة ص ١٥ . « خداى نامه » فى الفارسية الحديثة و « خداينامك » « خدينامك » فى الفهلوية . Ency. , vol , IV , P. 180

(٣) الفهرست (ص ١٧٢) .

(٤) الفهرست (ص ١٧٢) ، سراج الملوك للطرطوشى (ص ١١٨) ، طبعة بولاق ١٢٨٩ .

(٥) الفهرست (ص ١٧٢) Brockelmann , Suppl. I,S. 235.

(٦) الفهرست (ص ١٧٢) ، ذكرت أسماء كتبه الأخرى فى :
Brockelmann , Suppl. , 1 , S. 234-235.

(٧) الفهرست (ص ١٧٢) .

للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ، ومدح الماضي وذم الباقي ، وان كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه ، فلا يرى الأسماع تصغي اليه ، ولا الارادات تيمم نحوه ؟ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، ثم ينحله عبدالله بن المقفع ، أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ، ويسارعون الى نسخهـا ، لا لشيء الا لنسبتهـا الى المتقدمين »[١] .

ويظهر أن جملة رجال نقلوا كتاب خدينامة الى العربية ، ويعرف هذا الكتاب في الفهلوية « خديناماك ، خداينامك » Khvadhaynamagh[٢] (Khwadainamak)[٣] ، وقد اشتهرت ترجمة ابن المقفع من بينها خاصة ، فرجع اليها أكثر المؤرخين . ومع شهرتها هذه ، وحرص الفرس على حفظ تأريخهم ، ضاع الأصل ، كما ضاعت ترجماته ، ترجمة ابن المقفع وترجمات بقية النقلة ، وهذا في الواقع أمر غريب . وقد نقل الطبري من ترجمة ابن المقفع ، غير أنه لم يشر الى اسمه ، ولم يذكره الا مرة واحدة في تأريخه ، في موضع لا علاقة له بهذه الترجمة ، أو بتأريخ الفرس[٤] .

وقد نقل ابن قتيبة أبو عبدالله محمد بن مسلم الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ للهجرة[٥] ، من ترجمة ابن المقفع ، وأشار الى ذلك في مواضع من كتابه عيون الأخبار[٦] .

وللتأكد من أخذ الطبري من ترجمة ابن المقفع ، تمكن المقابلة بين تأريخ الطبري وبين ما جاء في عيون الأخبار عن الفرس . وقد تبين لي من المقابلة بينهما أن الطبري قد

---

(١) التنبيه والاشراف (ص ٧٦ ـ ٧٧)

(٢) Arthur Christensen, L'iran Sous les Sassanides, Copenhague 1936 . P.54

(٣) Brockelmann , 1, S.151 , Suppl., 1 , S. 235.

(٤) فهرست تأريخ الطبري (عمل دي غويه) ص ٥٦٧ .

(٥) الفهرست ص. ٧٧ ، السمعاني : أنساب ورقة ٤٤٣ (أ) ، ياقوت ارشاد (١٦٠/١) تاريخ بغداد (١٧٠/١٠) ، اليافعي مرآة (١٩١/٢) ، العماد شذرات الذهب (١٦٩/٢) . السيوطي بغية ٢٩١ .

(٦) « عيون الأخبار » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م وقد طبعت منه الأجزاء الأربعة في أوربة بين عامي ١٨٩٨ ـ ١٩٠٨ للميلاد

وقف على ترجمة ابن المقفع ، ونقل منها[١]. ويظهر لى أن الطبرى قصد ابن المقفع فى بعض الجمل ، مثل قوله : « وقال غير هشام من أهل الأخبار»[٢] ، فان العبارات التى ذكرها بعدها هى العبارات نفسها تقريبا الواردة فى « عيون الأخبار » ، وهى منقولة من كتاب سير العجم لابن المقفع . ويظهر أيضا أن الطبرى قصد كتاب خدينامه فى قوله : « ولذلك قصد لذكرهم فى كتاب سير الملوك . »[٣] وأما الضمير ، فيعود الى ابن المقفع مترجم الكتاب . وقد استفاد ابن قتيبة فى كتابه المعارف من ترجمة خدينامة ، وصرح بذلك فى مثل قوله : « ووجدت فى كتب سير العجم » و « قرأت فى كتب سير ملوك العجم »[٤] .

ونجد قطعا من نقل ابن المقفع فى كتاب آخر لم يطبع حتى الآن اسمه فى سجلات المخطوطات نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ، توجد نسخة كاملة منه فى المتحف البريطانى[٥] ، ويوجد بعضه فى خزانة كتب مدينة « كوتا gotha » بألمانية[٦] ، وهو فى تأريخ الفرس والعرب . جاء فى نهايته : « انقضى ملك العجم والحمد لله وحده . تم كتاب النهاية وهو سير الملوك على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير ، الراجى عفو ربه ذو الفضل والوفا على بن الحاج مصطفى الشهير بالمقدسى . غفر الله له ، ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة وللمسلمين . وكان الفراغ من نسخته نهار الثلاثا المبارك فى عشرين نهار خلت من شهر جمادى الأول من شهور سنة ثلاث وأربعين وألف من الهجرة النبوية ....»[٧] .

(١) راجع قصة غزو « فيروز بن يزدجرد بن بهرام » لمدينة بلخ وحروبه مع ملكها « اخشنوار » . عيون الأخبار (١/١١٧) . وقابل ذلك بما دونه الطبرى عنه الطبرى (٢/٨٣) .

(٢) الطبرى (٢/٨٣) .

(٣) الطبرى (٢/١٢)

(٤) المعارف (ص ٢٦ ، ٢٨٥)

(٥) Brockelmann, Suppl., I, P. 164, Catalogus codd. Mss. qui in Museo Britannico Asservantur, Pars II, Codd. Arab. Amplectens, 3 vols. London 1846 - 1879, Nr. 904, 1273.

(٦) Brockelmann, Suppl., 1. S 164, Pertsch, w., Die Arabischen Hdss. der Herzoglichen Bibliothek zu gotha, Bd.1-gotha 1877-1892, Nr 39, 4.

(٧) ورقة رقم 267 من مخطوطة المتحف البريطانى .

وأما مطلع الكتاب فهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين • الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ولا اله الا الله أحسن الخالقين ؟ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين • قال الأصمعى رحمه الله : كان هارون الرشيد الامام اذا نشط يرسل الى ، فكنت أحدثه بحديث الأمم السالفة والقرون الماضية ، فبينما أنا أحدثه ذات ليلة ، فقال : يا أصمعى أين الملوك وأبناء الملوك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! مضوا لسبيلهم • فرفع يديه الى السماء ، ثم قال : يا مفنى الملوك ! ارحمنى يوم تلحقنى بهم • ثم دعا صالحا صاحب مصلاه ، فقال : انطلق الى صاحب بيت الحكمة فمره أن يخرج اليك سير الملوك ، وائتنى به • فأخرج اليه الكتاب • قال : فأمرنى أن أقرأه عليه • فقرأت منه تلك الليلة ستة أجزاء •• الخ »[١] • ثم أوصاه الخليفة بالذهاب الى « أبى البحترى »[٢] للاستعانة به فى كتابة ما كان بين آدم وسام بن نوح • ولم يكن هذا مدونا فى كتاب سير الملوك الذى يبدأ بسام بن نوح ، فذهب اليه وأخبره ما أمر به أمير المؤمنين ، فأخذا كتاب المبدأ ونسخا منه هذا الجزء ونسقاه وجعلاه فى عشرة أوراق قدمت على سير الملوك • وتبدأ هذه الأوراق بهذه العبارة : « قال : أبو البحترى الفقيه حدثنى عطاء عن الشعبى عن ابن عباس •• »[٣] ، وتنتهى فى الورقة الحادية عشرة بهذه العبارة : « تم الجزء الملحق بسير الملوك مبتدأ كتاب السير وأخبار الملوك • »[٤] تليها جملة : « قال عامر الشعبى : سبحان الملك الدايم الذى لا يفنا ولا انفصال له ، والسلطان الباقى الذى لا زوال له ••• الخ »[٥] الى أن قال : « وهذه قصص الملوك الماضية والأمم السالفة ، •••• وكان الذى ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه وأتم نظمه سماع عن الثقات من العلماء عامر الشعبى وأيوب بن القرية ، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم

---

(١) مخطوطة المتحف البريطانى الورقة الأولى ، وهى النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى تحت رقم ٩

(٢) « أبو البحترى » هكذا فى النسخة • ويقصد به « أبا البخترى » القاضى الفقيه • ويظهر أن الناسخ نسى وضع النقطة فوق حرف « الخاء » فصار الخاء حاءا • وسأتحدث عنه •

(٣) « أبو البحترى » هكذا فى الأصل ، والصحيح « أبو البخترى » بالخاء المعجمة ، الورقة الأولى من المخطوطة ؛ السطر الثالث عشر من الصفحة الواقعة الى يسار القارىء •

(٤) الورقة الحادية عشرة ، الصفحة الواقعة الى يسار القارىء ، السطر السابع عشر •

(٥) السطر الثامن عشر وما بعده من الصفحة المذكورة

السالفة ، وعلموا ما كان فى القرون الماضية ، وأعانهما على ذلك عبدالله بن المقفع ، وكان من علماء العجم الذين عرفوا سير الملوك وتحروا فى معرفة أمورهم ومخارج آدابهم ومعالم حكمتهم . وكان الذى جمعهم لذلك عبدالملك بن مروان سنة خمس وثمانين . قال عامر الشعبى وأيوب بن القرية : حدثنا عن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، قال : ان الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ... الخ . »[١] .

وجاء فى موضع آخر من الكتاب : « قال الشعبى وابن القرية : حدثنا علماء حمير أنهم وجدوا فى كتب ملوكهم التى توارثها آخر عن أول ... »[٢] .

وورد فى بعض المواضع : « قال أيوب بن القرية ... »[٣] . وانفرد عامر الشعبى بالرواية فى كثير من المواضع[٤] . وترد فى أثناء قصصهما أو قصص أحدهما أسماء الأشخاص الذين رووا ذلك القصص ، مثل كعب الأحبار ، وعبدالله بن سلام ، ودغفل النسابة الشيبانى ، وابن الكيس النمرى ، وعبيد بن شرية ، وأمثالهم من طبقة القصاص وأصحاب الأخبار . ولم يصرح « الشعبى » بأسماء محدثيه فى كثير من الروايات المنسوبة اليه ، ولاسيما فى الروايات التى تخص عمان وحضرموت واليمن ، والحفائر التى عثر فيها على كنوز وآثار[٥] .

أما تأريخ الفرس ، فصاحبه فى هذا الكتاب عبدالله بن المقفع ، خلا المواضع التى يكون لها اتصال بتأريخ العرب ، فيورد الكتاب أخبارا عن الشعبى وعن آخرين[٦] . والظاهر أن ما نسب الى ابن المقفع قد أخذ من كتاب سير الملوك .

وبعد ، فيتبين لنا من مطالعة هذا الكتاب أن الناسخ يزعم أن صاحبه هو الأصمعى أبو سعيد عبدالملك بن قريب المتوفى بين سنة «٢١٤» و «٢١٧» للهجرة[٧] ، وأنه جمعه

---

(١) الورقة ١٢ ، الصفحة اليمنى .

(٢) الصفحة اليمنى من الورقة الرابعة عشرة .

(٣) الورقة الثانية عشرة .

(٤) الورقة ٢٤

(٥) « قال الشعبى أخبرنى رجل من عمان قال ... الورقة ٥٨ ، قال الشعبى وأخبرنى رجل ممن وقع على حفيرة ... » الورقة ٩٩ ، « قال الشعبى أخبرنى رجل من أهل الجابية قال ... » الورقة ١٢٧ .

(٦) الورقة ١٨٥ .

(٧) Brockelmann, Suppl., I. S. 164. الوفيات (٣٦٤/١) .

وألفه للخليفة هارون الرشيد ، وأنه أخذه من كتاب المبتدأ ومن كتاب فى سير الملوك كان فى خزانة بيت الحكمة ، وهو مما عمل فى الأصل للخليفة عبدالملك بن مروان ، عمله ثلاثة أشخاص ، هم : عامر الشعبى ، وابن القرية ، وابن المقفع . وقد نسق الجزء الذى ألحق بالكتاب ووضع قبل سير الملوك الفقيه المعروف أبو البخترى ، فأصبح الكتاب شاملا تأريخ العالم منذ آدم أبى البشر حتى مبعث النبى .

أما أن هذا الكتاب فى تاريخ الفرس والعرب والأنبياء ، فذلك أمر لا شك فيه . وأما أنه من وضع الأصمعى وتأليفه ، وأنه من محصول علماء ثلاثة سبقوا الأصمعى فى الوصول الى العالم الثانى ، فمسألة فيها نظر ، وقضية تحتاج الى تفكر ودرس ، وليس من السهل علينا عدها منتهية كما تصور ناسخ الكتاب « على بن الحاج مصطفى المقدسى » رحمه الله ومن علق على الكتاب ودخل فى ملكهم من المشترين .

والأصمعى عالم من كبار علماء اللغة والنحو والأخبار والنوادر ، له كتب كثيرة فى اللغة ذكرها ابن النديم ، ولم يذكر بينها اسم هذا الكتاب[١] . وذكرها « ابن خلكان » ولم يذكر معها اسم هذا الكتاب[٢] .

وكان الأصمعى من أهل البصرة ، فقدم بغداد عاصمة الخلافة ، واتصل بالخليفة « هارون » فكان يسأله ويطلب علمه ، ويصله ويبره ، كما كانت له صلات بابنه الخليفة المأمون . وكان معاصرا ومنافسا لعالم لغوى أخبارى كبير يعد فى طبقته وأقرانه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى بين سنتى «٢٠٨» و «٢١٣» للهجرة[٣] . وهو ممن نقل الطبرى أخبارهم فى تاريخه ، ومنها أخبار عن معركة «ذى قار»[٤] . وقد ورد اسم الأصمعى فى أحد عشر موضعا من تأريخ الطبرى[٥] . كما ذكر اسم أبى عبيدة فى أكثر من خمسين موضعا فى هذا التأريخ[٦] .

وأما « أبو البخترى » ، فهو وهب بن وهب ـ القاضى أبو البخترى القرشى المدنى المتوفى سنة ٢٠٠ للهجرة ببغداد فى خلافة المأمون[٧] . روى عن جعفر الصادق ، وهشام

---

(١) الفهرست ص ٨٢ .
(٢) الوفيات (١/٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٣) Brockelmann, Suppl., I, S. 162
(٤) الطبرى (٢/١٤٦) .
(٥) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٤٥ .
(٦) فهرست تأريخ الطبرى (ص ٣٧١)
(٧) الوفيات (٢/٢٤٠) .

ابن عروة بن الزبير ، وعبيدالله بن عمر العمرى . وروى عنه المسيب بن واضح ، والربيع ابن ثعلب ، ورجاء بن سهل الصاغانى ، وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب ، وغيرهم . وقد انتقل من المدينة الى بغداد فيخلافة هارون الرشيد ، فولاه القضاء بعسكر المهدى فى شرقى بغداد . وكان فقيها أخباريا ناسبا . وقد ضعف فى الحديث ، ونهى بعضهم الأخذ منه[١] . وذكر ابن خلكان له هذه التصانيف : كتاب الروايات ، وكتاب طسم وجديس ، وكتاب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب فضائل الأنصار ، وكتاب الفضائل الكبير ، وكتاب نسب ولد اسماعيل عليه السلام ، ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص[٢] ، فالبخترى اذن من أصحاب المؤلفات ومن الأخباريين والنسابين .

وعامر الشعبى هو أبو عمرو عامر بن شراحيل المتوفى بين سنة ثلاث ومئة وخمس ومئة ، وهو فى الأصل من حمير ، وعداده فيهمدان ، ثم هو كوفى تابعى . أقام بالمدينة هاربا من المختار أشهرا ، فسمع من ابن عمر ، وتعلم الحساب من الحارث الأعور ، وشهد وقعة الجماجم مع ابن الأشعث ، ثم نجا من سيف الحجاج ، وعفا عنه[٣] . وكان فقيهـا محدثا ، يحدث بالمغـازى[٤] . وقد ورد اسمه فى مواضـع كثيرة من تأريـخ الطبرى[٥] ، فى الاسرائيليات وفى القصص والتبابعة وأخبار اليمن . ومرجعه من أسلم من أهل الكتاب ، ومن كان يعنى بأخبار الأوائل ، مثل عبيد بن شرية الجرهمـى ، وجماعة من الأعراب ممن كانوا يدعون رؤية المدن العجيبة المندثرة والآثار القديمة . وتجد نماذج مما روى عنه فى هذا الباب فى تأريخ الطبرى وفى هذا الكتاب الذى أتحدث عنه . والظاهر أنه كان يميل الى تتبع الأخبار .

وتولى الشعبى الكتابة لقتيبة بن مسلم الباهلى[٦] ، وكان مفسرا من كبار مفسرى الكوفة . ولم يذكر مترجموه له كتابا لا فى التفسير ولا فى غيره . ولكننا نجد نماذج من تفسيره للقرآن الكريم فى تفسير الطبرى وفى تأريخه وفى كتب التفاسير الأخرى .

(١) لسان الميزان (٦/ ٢٣١ وما بعدها) . . وأبو البخترى بفتح البـاء الموحـدة وسكون الخاء المعجمة ، وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء . وهو مأخوذ من البخترة التى هى الخيلاء . وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحترى ، الوفيات (٢/ ٢٤١) .
(٢) الوفيات (٢/ ٢٤ وما بعدها)
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤ وما بعدها) . الوفيات (١/ ٣٠١) .
(٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٦٧ وما بعدها) .
(٥) فهرست تاريخ الطبرى (ص ٢٧١)
(٦) Ency, of Islam, vol, II , P. 243

وقد أخذ الطبري روايات الشعبي في التفسير من جملة مشايخ ، منهم : أحمد بن محمد ابن حبيب عن أبي نصر عن المسعودي عن أبي خالد من رواة الشعبي[(1)] ، ومنهم ابن بشار عن سلم بن قتيبة عن يونس بن أبي اسحاق السبيعي عن شيخه الشعبي[(2)] ، ومنهم أبو كريب عن ابن يمان عن اسرائيل بن يونس بن أبي اسحاق السبيعي المتوفى سنة ١٦١ أو ١٦٢ للهجرة[(3)] عن جابر عن الشعبي[(4)] . ومنهم علي بن مجاهد[(5)] ، وأمثالهم . وقد كان علي بن مجاهد من المشتغلين بالتأريخ ، قال عنه المسعودي : « وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين »[(6)] .

وأما ابن القرية ، فهو أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي . وكان أعرابيا مفرط الذكاء فصيحا عالما بأخبار القبائل وأنسابها ، اتصل بالحجاج وبالخليفة عبدالملك بن مروان ، ثم انضم الى ثورة ابن الأشعث ، فحكم عليه بالموت فقتل سنة ٨٤ للهجرة[(7)] . وروى بعضهم أن ابن القرية شخص خرافي لا وجود له ، انما أوجده أصحاب القصص والأخبار . قال أبو الفرج الأصبهاني : « قيل ان ثلاثة اشخاص شاعت أخبارهم ، واشتهرت أسماؤهم ، ولا حقيقة لهم ، ولا وجود في الدنيا . وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبي العقب الذي تنسب اليه الملاحم واسمه يحيى بن عبدالله ابن أبي العقب[(8)] » .

من الممكن اجتماع ابن القرية بالشعبي . أما اجتماعهما بعبدالله بن المقفع ، ومعاونته لهما في تأليف كتاب ، فذلك أمر لا يمكن وقوعه . فقد قتل عبدالله بن المقفع في عام ١٣٩ أو ١٤٢ للهجرة[(9)] ، ولم يكن قد جاوز الأربعين عاما . ثم ان من المستحيل جمع الخليفة عبدالملك بين الشعبي وابن القرية سنة خمس وثمانين لتأليف الكتاب على نحو ما جاء في كتاب نهاية الأرب : « وكان الذي ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه ، وأتم

(١) الطبري دورة أولى ص ١٣ (طبعة ليدن)
(٢) الطبري دورة أولى ص ٢٩٦ ، ٣١٦
(٣) تذكرة الحفاظ (١/١٩٩) .
(٤) الطبري دورة أولى (ص ٢٩٨)
(٥) الطبري : دورة أولى (ص ٢٠)
(٦) المروج (١/٥) .
(٧) تاريخ الطبري : دورة ثانية (ص ١١٢٧ ــ ١١٢٩) ، وفيات الأعيان (١٠٢ وما بعدها) .
(٨) الأغاني : الطبعة المصرية : فهرست الأسماء
(٩) زيدان : آداب اللغة العربية (٢/١٣١) ، Ency. . vol. II, P. 404

نظمه سماعا عن الثقات من العلماء : عامر الشعبي ، وأيوب بن القرية ، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم السالفة ، وعلموا ما كان في القرون الماضية . وأعانهما على ذلك عبدالله بن المقفع ، .... وكان الذي جمعهم لذلك عبدالملك بن مروان سنة خمس وثمانين . » ولهذا ذكرت أنه قتل عام ٨٤ للهجرة[١] ، أي قبل السنة المذكورة بسنة .

هذا الكتاب اذن حاصل كتب قد يكون من بينها كتاب من كتب الأصمعي ، وكتاب في المبتدأ أي في قصة الخلق وما بعدها من الرسل والأنبياء ، لعله كتاب المبتدأ[٢] أو المبدأ[٣] أو كتاب المبتدأ والسيرة[٤] أو مبتدأ الخلق[٥] المنسوب الى وهب بن منبه رواية عبدالمنعم بن ادريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه[٦] ، أو كتاب آخر في هذا الموضوع ، وكتاب من الكتب المنسوبة والمروية عن عبيد بن شرية ، أو المروية عن الشعبي ، وقصص روى عن ابن القرية ، مضافا الى كل هذا ما أخذ من كتاب ابن المقفع ، فكون من المجموع هذا الكتاب . واني لأستصعب كون هذا الكتاب من تصانيف الأصمعي ، اذ لا يعقل صدور هذه الغلطات التي ذكرتها من عالم كبير مثله . وأظن أنه من جمع شخص آخر ، قد يكون وضع هذه المقدمة على لسان الأصمعي ، أو أنه أخذها من كتاب من كتبه ، ثم أضاف الى الكتاب نقولا من جملة مصنفات حتى ظهر على الشكل الذي نراه .

وتجد نقولا من ترجمة سير الملوك لابن المقفع في كتاب آخر مطبوع هو كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم لأبي منصور عبدالملك بن اسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة[٧] . ويفيدنا هذا الكتاب أيضا في تكوين فكرة عن أصل تأريخ الطبري ،

---

(١) ابن الاثير : الكامل (٢٠٥/٤) .
(٢) الفهرست (ص ١٣٨) .
(٣) Ency, vol. II , P. 1084
(٤) Ency., vol. II , P 1084
(٥) ابن قتيبة : المعارف (ص ٤)
(٦) توفي سنة ٢٨٢ للهجرة . الفهرست (ص ١٣٨) .
(٧) العماد : الشذرات (٢٤٦/٣) ، الدميري : الحيوان (١٦٣/١) . ابن خلكان : الوفيات (٣٦٥/١) .

Ency., vol. II , P. 73 off ., Wustenfeld, gesch , No. 191, Brockelmann, I, S. 284, Suppal., I, S. 499. off.

فقد نقل الثعالبي منه وأشار الى ذلك ؟ لهذا تستحسن المقابلة بين هذه النقول وتأريخ الطبري المطبوع لمعرفة مبلغ انطباق المطبوع على نقول الثعالبي المتوفى بعد الطبري بـ ١١٩ عاما . وفي كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم توسع في أخبار الفرس لا نجده في تأريخ الطبري، مما يدل أنه توسع في الأخذ من كتاب سير الملوك أكثر مما فعل الطبري ، أو أنه أخذ من كتب أخرى لم يأخذ منها الطبري . وقد طبع هذا الكتاب بالأصل العربي مع ترجمته الفرنسية المستشرق « هـ زوتنبرك H. Zotenberg باريس[١] .

وقد استعان الثعالبي ـ بالاضافة الى ما أخذه من تأريخ الطبري ـ بموارد أخرى أشار اليها أو الى أسماء أصحابها في ثنايا كتابه ، مثل كتاب التأريخ لابن خرداذبه أبي القاسم عبدالله بن عبدالله المتوفى في أواخر القرن الثالث للهجرة[٢] ، وقد ضن الدهر علينا بهذا الكتاب مثل سائر الكتب الأخرى التي ألفها ابن خرداذبه عدا كتاب المسالك والممالك المطبوع الذي يعد من الكتب العربية المهمة في « الطبغرافية » التاريخية ، ولما كان مؤلفه « صاحب البريد والخبر » على « الجبل » ، جاء بمعارف قيمة استقاها من الوثائق الرسمية ومن تجاربه التي حصل عليها بحكم وظيفته هذه التي تمكن صاحبها من معرفة المسافات والطرق معرفة جيدة[٣] . وقد نادم المعتمد وخص به . وذكر له ابن النديم من الكتب كتاب أدب السماع ، وكتاب جمهرة أنساب الفرس ، والنوافل ، وكتاب الطبيخ ، وكتاب اللهو والملاهي ، وكتاب الشراب ، وكتاب الأنواء ، وكتاب الندماء والجلساء[٤] . ونسب له أبو الفرج أحمد بن الطيب السرخسي ، وهو متأدب بليغ كثير الرواية[٥] ، كتابا في

---

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .
Histoire des Rois des Perses par Abou Mansour Abd Al-Malik ibn Mohammad ibn Isma'il Al-Tha'alibi Texte Arabe publie et Traduit Par H. Zotenberg. Paris MDCCCC

(٢) وذكر حاج خليفة أنه توفي عام « ٣٠ » للهجرة راجع
Ency., II , P. 398, Brockelmann , I , S. 225 , Suppl. , I , S. 404

(٣) Ency., vol, II , P. 398, De Goeje Bibl. geogr. Arab. , VI,

(٤) الفهرست (ص ٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٥) الفهرست (ص ٢١٣) ذكر له ابن النديم من الكتب : كتاب السياسة ، وكتاب المسالك والممالك ، وكتاب أدب الملوك ، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء . توفي سنة ٢٨٣ للهجرة . وكان صاحب يعقوب بن اسحاق الكندي ، ولي حسبة بغداد وكان موضعه في الفلسفة لا يجهل. وله مؤلفات حسان في أنواع من الفلسفة والأخبار . المروج (١٩٢/٤). نشوار المحاضرة (٦٥) الأغاني (١٩/١) Suppl. IS. 404 , Ency., II, P 398

تاريخ الأمم قبل الاسلام • وقد أشار اليه التنوخي[١]• فلعله الكتاب الذى أخذ منه الثعالبي وسماه كتاب التأريخ[٢] • وذكر له أبو العلاء المعرى كتابا فى المغنين دعاه طبقات المغنين[٣] ، أما أبو الفرج الأصبهانى ، فقد انتقصه ، وقال عنه : « وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه »[٤] • وقد مدحه المسعودى ، وأثنى عليه فى موضع[٥] ، غير أنه انتقصه فى موضع آخر[٦] • وقد روى له أجوبة فى الموسيقى والطرب لأسئلة سألها منه الخليفة المعتضد[٧] ، ويجوز أن يكون الطبرى قد نقل من تاريخ ابن خرداذبه ومن كتبه الأخرى •

وقد أشار الثعالبى الى روايات ابن خرداذبه فى أثناء حديثه عن طهماسب[٨] وزردشت[٩] وبهمن بن اسفنديار[١٠] وعن الاسكندر[١١] • ويظهر من مقابلة ما دونه الثعالبى عن ابن خرداذبه بما دونه الطبرى فى تأريخه أن ابن خرداذبه قد انفرد بأشياء لم يذكرها الطبرى ، مما يدل على أنه قد نقل من مورد آخر لم يغرف منه ابن جرير •

ونقل الثعالبى من كتاب تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء[١٢] لحمزة الأصبهانى ، ولحمزة الأصبهانى جملة مؤلفات فى اللغة والأدب ، ومؤلف فى تأريخ اصبهان وقف عليه

(١) Brockelmann Suppl. I S 404. نشوار المحاضرة (٦٥) •

(٢) « وذكر ابن خرداذبه فى كتابه كتاب التأريخ » غرر أخبار الفرس (ص ١٣٠)

(٣) Brockelmann Suppl I. S 404 رسالة الغفران (٢/٧٩) •

(٤) الأغانى (٥/١٥٦) (طبعة دار الكتب المصرية) • (٥/٣) طبعة مطبعة التقدم نسخة الشنقيطى •

(٥) « وأبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك . وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا » • التنبيه والاشراف ص ٧٥ (طبعة ليدن) • الأغانى (٥/١٥٧) حاشية (طبعة دار الكتب المصرية) •

(٦) Brockelmann Suppl. I. S 404

(٧) المروج (٤/١٥٧)

(٨) الغرر (ص ١٣٠) •

(٩) الغرر (ص ٢٥٧)

(١٠) المصدر نفسه (ص ٣٧٨) •

(١١) كذلك (ص ٤١٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨)

(١٢) « وزعم حمزة الأصبهانى أن البريد معرب عن ذنب بريد » الغرر (ص ٣٩٨) •

ياقوت الحموى وأخذ منه[١] . وقد عرف بتاريخه تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، واشتهر بأوربة به . والظاهر أنه اشتهر به لأنه أول مؤلف نشر له فى أوربة . وقد بقيت بعض مؤلفاته فى خزائن الكتب ، وبقيت قطع واختصارات من كتبه الأخرى التى لم يعرف من أمرها حتى الآن غير العناوين[٢] . وللمستشرق ميتوخ بحث عن آثار حمزة فى اللغة والأدب[٣] .

واستعان الثعالبى بكتاب آخر فى التأريخ اسمه كتاب البدء والتأريخ للمقدسى ، وذلك فى أثناء كلامه على مانى[٤] . والمقدسى هو المطهر بن طاهر ، المعروف بالمقدسى . وقد ألف فى سنة ٣٥٥ للهجرة كتابا لأحد وزراء الدولة السامانية سماه كتاب بدء الخلق والتأريخ ، فلعله الكتاب الذى نقل منه الثعالبى قصة مانى . . يقول عنه بروكلمن انه كتاب غير منسق، فيه فوائد تأريخية وتأريخية دينية ، وتوجد منه نقول فى كتب أخرى[٥].

ومزدوجة المسعودى المروزى المنظومة بالفارسية ، هى من الموارد التى أخذ منها الثعالبى[٦] . وكذلك الشاهنامه ، وقد أشار اليها فى موضعين حيث قال : « وقال صاحب كتاب شاهنامه»[٧] . غير أنه لم يذكر اسم صاحب الكتاب ، فأية شاهنامه قصد ؟ أشاه نامه الفردوسى ، أم شاهنامه الشاعر أبى على محمد بن أحمد البلخى[٨] ؟ أم شاه نامه أخرى؟

وقد ذكر البيرونى أن أبا على محمد بن أحمد البلخى الشاعر ذكر فى الشاهنامه أنه صحح أخباره من كتاب سير الملوك الذى لعبدالله بن المقفع والذى لمحمد بن الجهم البرمكى والذى لهشام بن القاسم والذى لبهرام بن مردانشاه موبذ مدينة سابور والذى

(١) الارشاد (٣/٨٢) .

(٢) Brockelmann . Suppl. , I . S 221. وقد عرفت أسماء اثنى عشر مصنفا من مصنفات حمزة . منها : ديوان أبى نواس ، وكتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية . ورسالة فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان ، » ووصفه حمزة بن الحسن الأصبهانى فى رسالته فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان » البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣١

(٣) E. Mittwoch, in Mittei. d. Semi. f. orient. Sprachen. 1909, Abt. II. 109. (xII, 1-6o) See Litter. tati. Hamza. Ency., Vol . II P. 256

(٤) الغرر (ص ٥٠١) .

(٥) Brockelmann. Suppl., tI. S. 222.

(٦) الغرر (ص ١٠ ، ٣٨٨) .

(٧) الغرر (ص ٢٦٣ ، ٤٥٧)

(٨) Browne., A Litt. Hist. of Persia , II , 129 Noldeke, Iranni. Natio., II , S. 150

لبهرام بن مهران الأصبهانى ، ثم قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسى[١] . فيظهر من هذا أن جملة أشخاص نقلوا كتاب سير الملوك الى العربية ، وأن هذه النقول كانت متباينة مختلفة . وقد أيد حمزة الأصبهانى هذا الرأى أيضا فقال : نقلا عن موسى ابن عيسى الكسروى : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خداى‌نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب ، وبحثتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان .. »[٢].

ثم قال : « فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ الا الى جمع النسخ المختلفة النقل ، فاتفق لى ثمانى نسخ ، وهى : كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى ، وكتاب تأريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصبهانى ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهانى ، وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهانى ، وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام بن مردانشاه موبذكورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب »[٣] .

وذكر حمزة أن بهرام بن مردانشاه موبذكورة شابور من بلد فارس قال : « انى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى‌نامه حتى أصلحت منها تواريخ الفرس من لدن كيومرث والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب »[٤] . ويتبين من هذه الأقوال وأمثالها المدونة فى الكتب الأخرى أنها تشير بصراحة تامة الى اختلاف نسخ كتاب خداى نامه « خداى نامك » وتعددها فى العربية ، فكيف حدث ذلك ؟

أحدث ذلك لاختلاف النسخ الأصلية لكتاب خداى نامك وتعدد رواياته ، وتلاعب النساخ به ، واختصار بعضهم اياه ، وتشذيبهم لبعض عباراته وجمله حتى وصل على

(١) الآثار الباقية ص ٩٩ (طبعة سخو) .
Eduard Sachau (Leipzig 1878)

(٢) حمزة (ص ١٥) .
(٣) حمزة (ص ٩ – ١٠) .
(٤) حمزة (ص ١٩) .

الحالة التى وصل اليها حين باشر النقلة تعريبه ؟ أم حدث ذلك بسبب قصر فهم النقلة بالفهلوية ، وتباين معارفهم بها ، وعلى وفق هذا التباين حدث هذا الاختلاف ؟ أما حمزة، فقد علل ذلك باشتباه الأمر على الناقلين حيث يقول : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خداى نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب ، وبحثتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان»(١) غير أنى أستبعد أن يكون ذلك الاشتباه قد حدث بسبب نقل الكتاب من لسان الى لسان ، اذ لو كان الأمر كما يقول حمزة لوجب حدوث هذا الاختلاف فى كل كتاب ينقل من لسان الى لسان ، وانما أرى احتمال كون النسخ الأصلية المدونة بالفهلوية ، كانت مختلفة فى الأصل ، فمنها المطولة ومنها المختصرة ومنها ما أضيف اليها أو نقص منها ، أو تلاعب فيها النساخون ، ثم ان من الجائز أيضا أن يكون ما دعى فى العربية بسير الملوك ، لم يكن كله نقلا أصيلا لكتاب خداينامه ، بل كان نقلا لكتب أخرى فى سير الملوك ، وترجمات من كتب متنوعة جمعها المعربون وأطلقوا عليها سير الملوك أو سير ملوك العجم . والخلاصة ان كل ما يقال الآن عن هذا الموضوع هو حدس وتخمين ، بعد أن ضاعت الأصول ، وفقدت الترجمات . فلا يمكن اصدار أحكام علمية فى هذا الشأن ما لم تتوافر لدينا تلك الأصول والمعربات .

ويظهر أن الفردوسى والثعالبى قد استعانا بنصوص مكتوبة كانت مدونة بالفارسية الحديثة ، وهما — مع ذلك — يختلفان فى أخبارهما فى عدد من المواضع ، ويختلفان مع الطبرى كذلك . ويرى نولدكه أن ابن قتيبة قد نقل من الترجمة الأصلية لكتاب خداينامه ، وهى ترجمة ابن المقفع ، وأن سائر المؤرخين استعملوا نسخا جديدة لترجمة ابن المقفع ، ولذلك وقع هذا الاختلاف(٢) .

لم ينص أحد من المؤرخين على ذكر السنة التى ترجم فيهما ابن المقفع كتاب خدينامه ، لذلك لا ندرى أترجم فى العهد الأموى أم العباسى ، وكان الخلفاء الأمويون ميالين الى الوقوف على كتب التأريخ . وقد قلت سابقا ان معاوية بن أبى سفيان كان كلفا بسماع أخبار الماضين وقصصهم ، وأنه استدعى عبيد بن شرية ليحدثه فى الليالى عن

(١) حمزة (ص ١٥) .

(٢) Ency., vol. IV P 180. Noldeke Geschi. der Perer und Araber. S.xxl.

أخبار الأوائل وقصصهم[1] . وذكر المسعودى أنه رأى بمدينة اصخطر سنة ٣٠٣ للهجرة كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ، لم يجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها ، « مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكا ، منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان ، قد صور الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه ، وانهم ملكوا الأرض أربع مئة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيأته ورفعوه الى الخزائن كي لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما ، وكل من كان فى أمر جالسا ، وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه ، وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة ، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ ، ونقل لهشام بن عبدالملك ابن مروان من الفارسية الى العربية . »[2] . ولم يذكر « المسعودى » اسم الناقل لهذا الكتاب .

وعرب ابن المقفع كتابا آخر فى تأريخ الفرس هو كتاب آئين نامه[3] ، المكتوب فى الفهلوية باسم آيين نامك[4] . وهو كتاب فقد أصله ، وضاعت ترجمته العربية ، وبقيت منه نتف فى بعض الكتب ومنها كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى المتوفي سنة ٢٧٠ أو ٢٧٦ للهجرة[5] ، اذ أشار اليه فى ثنايا الكتاب[6] . وعرفه المسعودى ودعاه آئين ناماه[7] كما نقل منه الثعالبى[8] . ويظهر أنه فى الرسوم أى فى عادات الساسانيين

(١) أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وانسابها ، طبع حيدر آباد دكن بالهند .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٩٣ (طبعة الصاوى) .

(٣) « كتاب آيين نامه » الفهرست ص ١٧٢ « الآيين » عيون الأخبار ٢٨/١ .

(٤) Brockelmann, Suppl., I. S. 235

(٥) الفهرست ص ٧٧ (طبعة أوربة) . السمعانى الأنساب ورقة 443 a ياقوت الارشاد (١٦٠/١ وما بعدها) . تاريخ بغداد (١٧٠/١٠) Brockelmann, Suppl., I. S. 184-185 .

(٦) عيون الأخبار (٢٨/١ ، ٦٢ ، ٢٢١/٣ ، ٢٧٨ ، ٥٩٠/٤) .

(٧) التنبيه (ص ٩٢ ، ١٤٩) (طبعة Carra de Vaux).

(٨) الغرر (ص ١٤) .

وتقاليدهم ومراتبهم ومجالسهم ومجتمعهم[١] ، وسماه ابن النديم كتاب آيين نامه فى الأصر[٢] ، ولا ندرى بالطبع متى فقدت نسخ هذا الكتاب . وقد ذكر المسعودى أن « للفرس كتابا يقال له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس ، وأنها ست مئة مرتبة على حسب ترتيبهم لها . وهذا الكتاب من جملة آئين ناما ، وتفسير آئين ناماه كتاب الرسوم ، وهو عظيم فى الألوف من الأوراق ، لا يكاد يوجد كاملا الا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرئاسات .. »[٣] . فيظهر اذن من قول المسعودى أن كتاب كهناماه أو « كاهنامك (gahnamagh)[٤] هو جزء من الآيين .

وكتاب التاج من الكتب التى نقلها ابن المقفع من الفهلوية الى العربية كذلك ، وقد دعاه ابن النديم كتاب التاج فى سيرة أنوشروان[٥] ، ويظن أنه قد توهم فى ذلك فلم يكن الكتاب فى سيرة أنوشروان حسب ، بل فى سيرة غيره من الملوك أيضا . وقد نقل منه ابن قتيبة[٦] . ويظهر أن الطبرى قد نقل منه أشياء تخص سابور الثالث Shahpuhr III وبهرام الرابع vahram II وكسرى الأول Khusro I[٧] وكسرى الثانى وهو كسرى ابرويز Khusro Parwez[٨] ووصيته لابنه شرويه Shiroe[٩]. وقد أثر هذا الكتاب فى جماعة من مشاهير الأدباء مثل الجاحظ فى كتابه التاج[١٠] . وقد طبع بمصر بتحقيق أحمدزكى باشا[١١] ، ويظن بعض المحققين أنه من الكتب المنسوبة اليه[١٢].

وكتاب مزدك الذى ترجمه ابن المقفع أيضا ، من الكتب التى يغلب عليها الطابع

(١) Brockelmann, Suppl. I. S. 235. Richter, Studien, S. 50-51. ZDMG 64, S. 126-128.

(٢) الفهرست (ص ١٧٢)

(٣) التنبيه (ص ٩١) .

(٤) Arthur Christensen L'iran sour les sassanides P 75

(٥) الفهرست (ص ١٧٢)

(٦) Brockelmann, Suppl., I, S, 235. Noldeke, Geschi, d. Araber und Perser, 361-382.

(٧) ذكر فى اثنى عشر موضعا من كتاب عيون الأخبار .

(٨) Arthur Christensen. P. 58

(٩) الطبرى (١٣٧/٢)

(١٠) الطبرى (١٥٩/٢)

(١١) Brockelmann, Suppl. I S. 235 Inostrannyev, Iranian influence. P. 72. F Gabrieli, Riv. degli. Studi. orientali, xl, P. 292. ff.

(١٢) الحيوان (٧/١) .

القصصى ، فأغلبه أساطير وضعت عن مزدك . وقد نقل الطبرى منه حديثه عن مزدك والمزدكية[١] . وهو حديث نجده بصورة مفصلة فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وذكر له محاوراته مع قباذ[٢] ، الى غير ذلك مما يدل على أن الثعالبى قد نقل ما ذكره من كتاب واسع مفصل فى أخبار مزدك هو هذا الكتاب . ويعرف هذا الكتاب بمزدك نامه « مزدك نامك » ، ونقل منه آخرون[٣] .

وقد اشتغل عدد آخر من الفرس بنقل تأريخهم الى العربية ، منهم : محمد بن الجهم البرمكى ، وزادويه بن شاهويه الأصبهانى ، ومحمد بن بهرام بن مهريار الأصبهانى ، وهشام بن القاسم الأصبهانى ، وبهرام بن مردانشاه ، وموسى بن عيسى الكسروى[٤] . وقد قلت سابقا ان بعضهم ترجموا أيضا كتاب خداينامه ، وان ترجماتهم كانت معروفة نقل منها بعض المؤرخين، وكانت هذه الترجمات تختلف فيما بينها كما تختلف عن ترجمة ابن المقفع ، وقد استعان موسى بن عيسى الكسروى بنسخ متعددة من خداى نامه ، كما استعان ببعض من عرف بدراسته لتأريخ الفرس ، مثل الحسن بن على الهمدانى ، والعلا بن أحمد ، فألف فى ذلك كتابا فى تأريخ ملوك الفرس[٥] . وقد ذكر ابن النديم لموسى بن عيسى الكسروى كتابين : كتاب سماه كتاب حب الأوطان ، وكتاب آخر دعاه : كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغى أن يقتدى القضاة فى مطاعمهم بالأئمة والخلفاء[٦] . ويرى بروكلمن احتمال كون قصة السندباد المترجمة الى الأغريقية من الآثار التى تعود اليه[٧] . وعندى أن أكثر هذه الكتب المسماة كتب سير الملوك أو كتب سير ملوك العجم والتى زعم أنها ترجمات لكتاب خداى نامه هى فى الواقع جمع وتصنيف واختصار واضافات واصلاحات عملها أصحابها ، وعرفت على أنها ترجمة لذلك الكتاب ، بينما هى من عمل أولئك الأشخاص .

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة كتب فى التأريخ والأدب نقلت من الفارسية الى

(١) الطبرى (٢/٩١) وما بعدها ، فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ١٠/٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٧ .

(٢) ص ٥٩٦ وما بعدها

(٣) Brockelmann, Suppl. , I , S 235 ,

(٤) Brockelmann, Suppl. . I , S. 237.

(٥) حمزة (ص ١٥) .

(٦) الفهرست (ص ١٨٥) .

(٧) Ency., Vol, Iv . P 435, Brockelmann, Suppl., I. S. 237.

العربية ، نقلها من ذكرنا أسماءهم وآخرون ، منها كتاب رستم واسفنديار وكتاب شهريزاد مع أبرويز ، وكتاب الكارنامج في سيرة أنوشروان ، وكتاب بهرام ونرسى ، وكتاب بوداساف بوتاسف وبلوهر ، وكتب أخرى[١] يظهر أن قسما منها مفتعل صنع في الاسلام .

وقد نظم الشاعر أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي بعض هذه الكتب ، فنقلها الى الشعر المزدوج ، نقل منها مثلا كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب سيرة أردشير ، وكتاب سيرة أنوشروان ، وكتاب بلوهر وبرداسفية[٢] ، وكتاب مزدك ، وكتاب سندباد « سندباذ »[٣] ، وقد فقدت أصول هذه المنظومات ويا للاسف . ونجد نماذج من نظمه في كتاب الأوراق للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦[٤] . وقد حاكاه في ذلك عدد من الشعراء ، وبطريقته تأثر على ما أرى بعض شعراء الفرس حيث نظموا بالشعر المزدوج قصص الفرس وتأريخهم ، ومنهم المسعودي المروزي في مزدوجته بالفارسية ، وهو الذي أشار اليه الثعالبي في كتابه عن أخبار ملوك الفرس وغيرهم[٥] على نحو ما ذكرت .

وكتاب الكارنامج الذي أشرت اليه ، هو في تأريخ أردشير ، وهو المسمى كارنامك أرتخشتر بابكان ، ويظن نولدكه أنه كتب في حوالى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد[٦] ، وهو من الكتب التأريخية الثانوية بالنسبة لكتاب خداينامه . وقد بقى أصله ، وترجم ، وطبع بضع مرات[٧] .

وفي أثناء الكلام على ملوك فارس ، ذكر المسعودي اسم كتاب السكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى الى العربية ، وقال عنه : « وهذا الكتاب تعظمه الفرس ،

(١) الفهرست (ص ٤٢٤) وما بعدها

(٢) الفهرست (ص ١٧٢) « كتاب بلوهر وبرداساف »
Brockelmann, Suppl., I . S. 239. Goldziher, Verh. des VII intr Congr. Wien 1888

(٣) Suppl., I. S. 239.

(٤) J. H. Dunne, 1-51, Ency., I S. 541 , Kriymski, Aban lah-ikij. manicheist. Poet Moscow 1913. P 9-11 , 47-49.

(٥) الغرر (ص ١٠ ، ٣٨٨)

(٦) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية (ص ١٣٤)

(٧) Karnamak i Artachshatr i Papakan Ency., vol, II , P 180, Bombay 1896, 1899, 1900.
ترجمه وطبعه نولدكه Noldeke بمدينة كونتكن Gottingen ١٨٧٨ للميلاد

لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم»[١] . وقد نقل منه خبرا عن كيخسرو ولهراسب[٢] . وقد أشار المسعودى الى كتب فى تاريخ الفرس رآها واستفاد منها ، وزار بعض بيوت عباداتهم ، وجاء بأشياء طريفة لم ترد فى كتب غيره من المؤرخين .

وقد استمد المؤرخون من موارد عربية ، فأضافوه الى تاريخ الفرس ، فالكلام المنسوب مثلا الى هرمز الرابع ، لابد أن يكون من مورد عربى[٣] . وكذلك الأشعار وبعض الرسائل المدونة بالعربية وبالنسق الاسلامى ، والمذكورة فى ثنايا تاريخ الفرس .

وتعد روايات وكتب أبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى بين ٢٠٨ و٢١٣ للهجرة[٤] من الموارد المهمة التى استقى منها المؤرخون أخبارهم عن الساسانيين قبيل الاسلام ، وعن صلات الفرس بالعرب . وقد أخذ الطبرى منها أخبارا عن مقتل عدى بن زيد العبادى ومعركة ذى قار ، وأخبارا أخرى تخص الاسلام ، فورد اسمه فى أكثر من ٥٧ موضعا من تاريخ الطبرى[٥] . وروى له المسعودى روايات عن ملوك الطوائف[٦] وأخبار ملوك ساسان[٧] . وله كثير من المؤلفات ذكر أسماءها ابن النديم ، وهى تزيد على مئة مؤلف فى الأخبار والأنساب واللغة[٨] . وقد وصل الينا عدد من تلك المؤلفات[٩] . وذكر ابن خلكان أن تصانيفه تقارب مئتى مصنف[١٠] .

---

(١) المروج (١/١٩١ ، ١٩٢)

(٢) المروج (١/١٩٢)

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال (ص ٧٧) .

Ency. , vol, IV P. 181 , Noldeke , Geschichte der Perser und Araber , S 326.

(٤) ولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومئة ، وتوفى سنة عشر ومئتين ، وقيل : احدى عشرة وقال أبو سعيد : سنة ثمان ، وقيل : سنة تسع الفهرست (ص ٧٩ وما بعدها ، تاريخ بغداد (١٣/٢٥٣ وما بعدها) الارشاد (٧/١٦٤) ، الذهبى : طبقات الحفاظ (١/٣٣٨) ، اليافعى : مرآة (٢/٤٤ وما بعدها) ، السيوطى : البغية (٣٩٥) ابن العماد : شذرات الذهب (٢/٢٤)

Brockelmann , I , S 103 , Suppl. , I , S 162.

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٣٧١

(٦) المروج (١/١٤٦)

(٧) المروج (١/١٥٧ ، ١٧٦) .

(٨) الفهرست (ص ٨٠)

(٩) Brockelmann, Suppl , I , S 162 , Ency. I P. 112 Goldziher , Muhamm. Studi , I , S 194

(١٠) الوفيات (٢/ ١٤)

لم يشر الطبرى الى من حدثه على لسان أبى عبيدة بخبر مقتل عدى بن زيد ومعركة ذى قار ، وانما استعمل : « فحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى • قال : حدثنى أبو المختار فراس بن خندق وعدة من علماء العرب قد سماهم[١] » • وقد ذكر مع روايه رواية أخرى عن هشام ابن الكلبى عن اسحاق الجصاص ، وقد أخذه من كتاب حماد[٢] • وقد كان لابن الكلبى مؤلف فى أخبار عدى اسمه كتاب عدى بن زيد العبادى[٣] ، لعله كان من الموارد التى نقل منها الطبرى خبر عدى وما تبع ذلك من أمور وقعت بين العرب والفرس •

ويفيدنا الفصل الذى دونه أبو الفرج الأصبهانى عن معركة ذى قار فى تشخيص المورد الذى أخذ منه الطبرى خبره عن هذه المعركة • وقد أخذ الأصبهانى أخباره عن على بن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى عن خراش ابن اسماعيل ، ومن رواية الأثرم عن أبى عبيدة[٤] • وعن كتب ابن الأعرابى عن على ابن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى عن أبيه وعن اسحاق بن الجصاص وعن حماد الراوية[٥] •

أما على بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر ، تمييزا له عن الأخفش الأكبر ، وهو عبدالحميد بن عبدالمجيد من أهل هجر ، النحوى اللغوى ، من شيوخ سيبويه وأبى عبيدة ، وعن الأخفش الأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن صعدة ؛ فهو أبو الحسن المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وثلاث مئة ببغداد • وقد دخل مصر سنة سبع وثمانين ومئتين[٦] • ويظهر أن أبا الفرج الأصبهانى قد درس عليه ، وأخذ خبره عن عدى بن زيد من كتاب الأخفش المسمى كتاب المقاتلين ، وقد قرأه عليه[٧] •

وأما السكرى ، فهو الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن أبو سعيد

---

(١) الطبرى (١٤٦/٢ ، ١٥٢)
(٢) الطبرى (١٤٦/٢) •
(٣) الفهرست (ص ١٤١)
(٤) الأغانى (١٣٢/٢٠) ، طبعة بولاق ،
(٥) الأغانى (٩٧/٢ ، ١٠٥) ، مطبعة دار الكتب المصرية ،
(٦) ابن خلكان : الوفيات (٤١٨/١ وما بعدها) ذكر له ابن النديم أسماء ثلاثة كتب فى الفهرست (ص ١٢٣) يوهان فك : العربية (ص ١٤١)
Brockelmann , I S 125 , Suppl. , I , S. 189
(٧) الأغانى (١٤/٢) ، طبعة دار الكتب المصرية ،

النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة ، وله مؤلفات عديدة[١] . وقد أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم محمد بن حبيب[٢] العالم اللغوي الأخباري النسابة المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة[٣] . وهو صاحب مؤلفات كثيرة كذلك . وقد روى عن جماعة من كبار العلماء المتخصصين بهذه الأمور ، كابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان[٤] وابن الكلبي[٥] .

وابن الأعرابي هو أبو عبدالله محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة ، وقد كان له مجلس يحضره أصحاب الأدب واللغة والأشعار ، فكان يملي عليهم بغير كتب ، وكان ممن سمع المفضل بن محمد الفضلي وأخذ منه[٦] .

ولم يذكر الطبري اسم من حدثه عن أبي عبيدة أو عن ابن الكلبي بأخبار معركة ذي قار ، غير أننا نستطيع التوصل الى معرفة المورد الذي أخذ منه الطبري بمقارنة ما ذكره عن هذه المعركة وعن أخبار عدي بن زيد بما دونه صاحب الأغاني ، حيث نجد انطباقا تاما في العبارات ، مما يدل على أنهما نقلا من مورد واحد ، ولولم يشر أبو الفرج الى اسم المورد الذي نقل منه لجاز لنا القول بأنه نقل من تاريخ الطبري ، غير أنه ذكر اسم المورد كما رأيت ، وهو كتاب المقاتلين للأخفش ، كما أنه تفرد بذكر أشياء لم يتطرق الى ذكرها الطبري ، لذلك لا يمكن أن يكون هذا النقل من تاريخ الطبري ، بل لابد أن يكون من كتاب مشترك آخر هو كتاب الأخفش المعاصر للطبري ، وهو كتاب المقاتلين ، أو من مؤلف من مؤلفات السكري شيخ الأخفش . أخذ منه الطبري ، وأخذ منه صاحب الأغاني برواية شيخه الأخفش تلميذ السكري .

يقول الطبري : « ذكر لي عن هشام بن محمد ، قال : سمعت اسحاق بن الجصاص ،

(١) الفهرست ص ١١٧ ، ياقوت : ارشاد (٣/٦٢)

(٢) تاريخ بغداد (٧/٢٩٦) ، السيوطي : البغية (٢٠٨) الآمدي : المؤتلف (١٤٨)، Brockelmann , I , S 108 , Suppl , I , S .168.

(٣) Brockelmann , I , S 105 , Suppl , I , S 165.

(٤) الفهرست (ص ١٥٥) .

(٥) الأغاني (٢٠/١٣٢) تاريخ بغداد (٢/٢٧٧) ، ياقوت : الارشاد (٦/٤٧٣) ، السيوطي : البغية (٢٩) ، وقد بقيت بعض مؤلفاته : Brockelmann , I , S 105 , Suppl , I , S 165

(٦) الفهرست (ص ١٠٢ ــ ١٠٣) ، تاريخ بغداد (٥/٢٨٢) ، ياقوت : ارشاد (٧/٥) ، اليافعي مرآة (٢/١٠٦) البغية (٤٢) . Brockelmann , I , S 116 , Suppl , I , S. 179.

وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر أبي بعضه »[١] • وقد قلت : ان الطبري نقل هذه القصة أو سمعها من الأخفش الأصغر الذى ذكر هذه الرواية أيضا الى أبي الفرج الأصبهاني • أما حماد المذكور هنا وصاحب الكتاب ، فهو حماد الراوية كما جاء فى كتاب الأغاني ، وهو : « حماد بن أبي ليلى سابور ، وقيل : ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلي » ، من مشاهير رواة الشعر والعارفين بأيام العرب • وله قصة مع الخليفة هشام ابن عبدالملك حيث طلبه ليسأله عن شعر عدى بن زيد العبادى[٢] • وكان خبيرا بهذه الأمور • وقد ذكر ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس • وصنفت الكتب بعده[٣] •

واذا صح أن هذا القول هو قول ابن الكلبي ، يكون لحماد كتاب فى أخبار عدى ابن زيد ، أو سواه ، وقد أخذ هشام منه • ولا يتخذ قول ابن النديم فى أن الكتب انما صنفت بعد حماد حجة ؛ اذ ثبت أن التدوين بدأ قبل أيام حماد • وقد رأيت أن الأخبار تفيد أن معاوية بن أبي سفيان أمر بتدوين أقوال عبيد بن شرية فى كتاب •

وروى عن أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس « أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة »[٤] • والواقع أن علماء الشعر واللغة كانوا يتخوفون منه ، فقد كان عالما بكلام العرب ، فكان يحسن الوضع والتقليد • قال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس اذا نصح • يعنى اذا لم يزد وينقص فى الأشعار والأخبار ، فانه كان متهما بأنه يقول الشعر ، وينحله شعراء العرب • وقال المفضل الضبي : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له : وكيف ذلك أيخطىء فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ، ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله فى شعره ، ويحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ »[٥] • فهذا هو حماد ، أحد رواة الشعر • وهنالك نفر آخر فعلوا فعل حماد •

---

(١) الطبري (١٤٦/٢) • (٢) ابن خلكان : الوفيات (٢٠٥/١ وما بعدها)
(٣) الفهرست (ص ١٣٤) وما بعدها
(٤) ياقوت : الارشاد (١٤٠/٤) ، ابن خلكان : الوفيات (٢٠٥/١ وما بعدها)•
(٥) الارشاد (١٤٠/٤) •

وقد نقل المسعودي أخبار ملوك الطوائف من كتاب لأبي عبيدة ألفه في أخبار الفرس ، وذكر أنه أخذ روايته عن عمر كسرى[(١)] . ويظهر أنه قصد بهذا الكتاب ، الكتاب الذي سماه ابن النديم كتاب فضائل الفرس[(٢)] ؛ ويظهر أن أبا عبيدة قد اعتمد في كتابه في أخبار الفرس على بحوث عمر كسرى . اذ أشار المسعودي أنه رواه عنه[(٣)] ، وذكر المسعودي أسماء كتب أخرى لأبي عبيدة نقلمنها ، منها كتاب مقاتل فرسان العرب ، وقد عارضه المسعودي بكتاب دعاه مقاتل فرسان العجم[(٤)] . وكتاب مناقب قريش ، وقد نقل منه المسعودي أخبار حلف المطيبين[(٥)] . وكتاب الديباج ، وقد أشار اليه في أثناء كلامه عن أوفياء العرب[(٦)]. وكان عمر كسرى ، ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى . .[(٧)] .

والهيثم بن عدي أبو عبدالرحمن المتوفى سنة٢٠٦ أو ٢٠٧ للهجرة[(٨)] ، من الأخباريين وأصحاب الأنساب العارفين بالشعر . وله كتب كثيرة في هذا الباب ، منها . كتاب أخبار الفرس ، وكتاب تأريخ العجم وبني أمية ، وكتب عديدة في التأريخ ، منها كتاب التأريخ على السنين[(٩)] ، وهو من أقدم الكتب العربية التي دونت فيها الحوادث والتواريخ على أساس السنين(Chronicles)، وقد طمس أثره ، ولما تصل الينا نسخه .

وقد تردد اسم الهيثم بن عدي في ٣١ موضعا في تأريخ الطبري[(١٠)] ، وذلك في مواضع سوف أتحدث عنها .

وذكر المسعودي اسم الهيثم بن عدي في أثناء حديثه عن طي.[(١١)] ، والظاهر أنه

---

(١) المروج (١٩٩/١)
(٢) الفهرست (ص ٨٠) ، الوفيات (١٤٠/٢)
(٣) المروج (٢٤١/١) .
(٤) التنبيه (ص ٩٠) . Brockelmann , Suppl . , I S , 162
(٥) التنبيه (ص ١٨٠)
(٦) التنبيه (ص ٢٠٩)
(٧) المروج (١٨٩/١)
(٨) الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن خلكان : الوفيات (٢٦٩/٢ وما بعدها) ياقوت : الارشاد (٢٦٠/٧) ، اليافعي : المرآة (٣٢/٢) ، الخطيب : تأريخ بغداد (٥٠/١٤) ، الصفدي : الوافي (٥١/١) .
(٩) الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن خلكان : الوفيات (٢٦٩/٢)
(١٠) فهرست تأريخ الطبري (عمل دي غويه) ص ٦١٩ .
(١١) التنبيه (ص ١٧٧) .

أخذه من كتاب لهذا العالم فى طىء دعاه ابن النديم كتاب أخبار طىء ونزولها الجبلين[١]، كما ذكره مرة أخرى فى كتابه التنبيه والاشراف فى أثناء كلامه على تمصير البصرة[٢] . وقد كان للهيثم كتاب اسمه كتاب قضاة الكوفة والبصرة ، وكتاب آخر اسمه كتاب فخر أهل الكوفة على البصرة . وهو من قدماء من ألف فى الخطط . فله كتاب اسمه خطط الكوفة[٣] ، وله كتب أخرى لم تصل الينا .

واعتمد الطبرى فى الفصول التى دونها عن فتح العراق وايران ، أى عن نهاية الساسانيين ، على روايات سيف ، وسيف هو سيف بن عمر التميمى أو الضبى الأسدى المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة[٤] . وقد عرف باطلاعه الواسع على تاريخ الاسلام ، ولا سيما الردة والفتوح . وأخذ من مشاهير الأخباريين والنسابين ، مثل هشام بن عروة ، ومحمد ابن اسحاق صاحب السيرة ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وطلحة بن الأعلم ، وأمثالهم . وروى له ابن النديم من الكتب كتاب الفتوح الكبيرة والردة وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلى[٥] . وقد رماه المحدثون بالضعف وبوضع الحديث وبالزندقة أيضا . وقال أبو حاتم عنه : « متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى »[٦] .

وقد ذكر اسم سيف فى أكثر من ٣٠٠ موضع من تاريخ الطبرى ، وورد لأول مرة فى حوادث سنة ١٠ للهجرة ، وهى السنة التى ادعى مسيلمة فيها النبوة فى حياة الرسول . وورد اسمه لآخر مرة فى حوادث سنة ٣٦ للهجرة ، وفى ابتداء على بن أبى طالب بالخروج الى صفين ، ولم يذكر الطبرى رواية له بعد ذلك[٧] .

ومن جملة المشايخ الذين أخذ منهم سيف ، هشام بن عروة المتوفى سنة ١٤٦٠ أو ١٤٧٠ للهجرة[٨] . وهو من محدثى المدينة ومن النسابين والأخباريين . وقد حدث عن أبيه عروة بن الزبير وعمه عبدالله بن الزبير . ورحل الى العراق وزار الكوفة ، ورأى الخليفة المنصور . ومنه أخذ أهل الكوفة حديث عروة ، ولاسيما حديث عروة

(١) الفهرست (ص ١٤٥)
(٢) (ص ٣٠٧) .
(٣) الفهرست (ص ١٤٦)
(٤) تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)
(٥) الفهرست (ص ١٣٧)
(٦) تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)
(٧) فهرست تاريخ الطبرى (ص ٢٦٢) وما بعدها
(٨) تهذيب التهذيب (٥١/١١)

عن عائشة . وقد أخذ عليه أهل بلده تبسطه فى الحديث لأهل العراق ، وكانوا بحديث أهل المدينة ضنينين . والظاهر أن عروة تحدث الى أهل الكوفة والعراق بحديث أهل العراق ، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديثا على حديثهم ، وهم أدرى بالحديث وبخبر الرسول ؛ لأنهم أهل الدار .

لا شك فى أن كتاب سيف الذى استعان به الطبرى فى أخبار الردة هو كتابه كتاب الفتوح الكبير والردة[١] ، وهو كتاب اشتهر أمره حتى عرف سيف به[٢] . وذكر ابن النديم له مؤلفا آخر سماه كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى[٣] ، ولا شك أيضا فى أنه هو الكتاب الذى نقل منه الطبرى روايات سيف عن معركة الجمل . وقد أخذ سيف هذه المعركة من شهود عيان ذكرت أسماؤهم فى سند الطبرى ، فحفظ لنا بذلك صورا أصلية لأنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التى كانت لها نتائج جد وخيمة فى شبه جزيرة العرب وفى العالم الاسلامى . وتحتاج هذه الروايات الى تمحيص ودراسة . ويعتقد بروكلمن أن سيفا لم يكن يبحث الأخبار التى كانت تقال له ، وأنه كان يبالغ فيها فى تمجيد تميم[٤] متأثرا بعاطفته القبلية ، وهو رأى يحتاج الى دراسة وبحث . أما ما ادعاه من أن الطبرى قد لاحظ ذلك عليه ، فكان يحاذر منه ، واضطر الى ترك قسم من رواياته ، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبرى نفسه . ففى أخبار الردة ، جعله الطبرى المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى ؛ وفى أخبار معركة الجمل ، ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات ، ثم ان النسخة الأصلية لا تزال فى ضمير الغيب ، فكيف عرف أن الطبرى نبذ روايات سيف فى تمجيد تميم ؟

وقد تردد اسم السرى فى أكثر من ٢٤١ موضعا من تأريخ الطبرى ، ورد لأول مرة فى أخبار الردة ، وورد آخر مرة فى حوادث سنة ١٤٥ هـ فى أيام المنصور ، وذلك فى معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد ، وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسرى حيث قال : « وذكر عن السرى »[٥] . أما فى المواضع الأخرى فقد قال : « وحدثنى السرى عن شعيب » ، أو « كتب الى السرى عن شعيب » ، أو « مما

(١) الفهرست ص ١٣٧ (طبعة مصر) . ذكره الطبرى الا أنه لم يسمه راجع (١٥٣/٤) فتح حمص .Suppl. 1 P, 213 214
(٢) تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)
(٣) الفهرست (ص ١٣٧)
(٤) Suppl. 1 P, 214
(٥) الطبرى : الدورة الثالثة (ص ٢٧٦) ، طبعة ليدن ، حوادث سنة ١٤٥ هـ .

كتب به الى السرى عن شعيب » ، وهذا مما يدل بالطبع على أن الطبرى كان يتراسل مع السرى فيسأله ، وأن هذا كان يستنسخ من مؤلفـــات سيف بن عمر التى كانت لديه ويرسلها اليه •

والسرى هو السرى بن يحيى[١] من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر ، قال فيه ابن حجر العسقلانى : ان فيه جهالة ، وانه ليس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار ، وفيه بعض النكرة[٢] • ولا نعرف من أمرهما ـ يا للأسف ـ شيئاً مع كثرة ورود أسمائهما فى تأريخ الطبرى • وقد أخطأ ابن النديم حين قال : « وروى سيف عن شعيب بن ابراهيم »[٣] ؛ لأن شعيبا هو الذى روى كتب سيف • والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن ابراهيم والسرى ، أنهما لم يكونا من أصحاب التآليف ، وانما كانا من رواة كتب سيف • والظاهر أيضا من تاريخ الطبرى أن كتب سيف كانت عند السرى بن يحيى ، وأن الطبرى قرأ أجزاء منها على السرى ، وأخذ قسما منها كتابة منه •

وهنالك طريق آخر سلكه الطبرى للأخذ من كتب سيف بن عمر ، هو طريق عبيدالله بن سعد الزهرى[٤] بن ابراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف أبى الفضل البغدادى نزيل سامراء المتوفى سنة ٢٦٠ هـ[٥] وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب وأخيه ابراهيم بن سعد ويونس بن محمد • وروى عنه طبقة من الثقات من مشـــاهير أهل الحديث ، أمثال البخارى وأبى داوود والترمذى والنسائى وابن أبى عاصم والبغوى وابن أبى الدنيا وآخرون • وقد ورد اسمه فى أكثر من ٤٠ موضعا من تاريخ الطبـرى[٦] تحدث فيها اليه • وأخذ عبيدالله أقوال سيف عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨هـ[٧] من رواة سيف بن عمر وآخرين • وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث ، وكتب الزهرى أخذها عن أبيه ابراهيم بن سعد عن الزهرى ، وكتب

(١) الطبرى (٤/١٢٤) « طبعة مصر » طبعة ليدن . الدورة الأولى (ص١١٩٧ ، ١٨٤٥)
(٢) لسان الميزان (٣/١٤٤) ، ميزان الاعتدال (١/٤٤٧)
(٣) الفهرست (ص ١٣٧)
(٤) فى طبعة ليدن : « عبيدالله بن سعيد الزهرى » وهذا خطأ ، والصواب سعد •
(٥) تهذيب التهذيب (٧/١٥)
(٦) فهرست الطبرى (ص ٣٦٧)
(٧) تهذيب التهذيب (١١/٣٨٠)

عنه الناس ؛ ويظهر من قائمة أسماء مشايخه أن يعقوبا هذا لم يكن محدثا حسب ، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب ، ومن رواة الشعر . وقد ورد اسمه فى ٣٩ موضعا من تاريخ الطبرى ، ورد أول مرة فى حوادث سنة ١٠ للهجرة فى خبر حجة الوداع ومرض الرسول[١] . وقد نقل حديثه عن سيف ، وذكر له حديثا آخر عن الأحداث التى كانت فى سنة احدى عشرة للهجرة ، أخذه عن سيف كذلك[٢] . ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التى أخذها عن سيف[٣] ، واختصت بالرسول ووفاته وبيعة أبى بكر والسقيفة[٤] وغير ذلك أنه كان لسيف كتب أخرى فى السيرة وفى الأحداث الاسلامية ، الا أنها لم تشتهر اشتهار الكتب التى ذكرناها له قبل هذا ، وربما كان قد أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم .

وأكثر هذه الأخبار التى دونها الطبرى عن يعقوب بن ابراهيم هى من أخبار سيف ، أخذها من كتبه ، وذلك لاتفاق عبارة المتن المذكور فى تاريخ الطبرى والمروى عن يعقوب الزهرى وشعيب بن ابراهيم .

اعتمد الطبرى على كتاب سيف فى الفتوح ، وقد أخذ متن هذا الكتاب من رواية السرى بن يحيى فى الغالب ، واعتمد عليه فى أخبار الفتن التى قامت على عثمان ، مثل فتنة عبدالله بن سبأ التى أظهرها فى البصرة فى سنة ٣٣ هـ ، وقد أخذها سيف عن عطية ابن الحارث أبى روق الهمدانى من كبار رواة الكوفة ومن المفسرين المعروفين ، وقد مر ذكره ، وهو من رواة عكرمة والشعبى والضحاك بن مزاحم[٥] . وقد ذكر الطبرى اسمه فى ٤٦ موضعا[٦] ، وقد نقل عنه جملا فى أخبار ما قبل الاسلام أخذها من تفسيره ، أجاز الطبرى بها شيخه محمد بن أبى منصور الآملى عن على بن الهيثم[٧] عن المسيب بن شريك أبى سعيد التميمى الكوفى[٨] ، وقد قيل عنه : انه من الضعفاء ، أو انه

(١) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٤٩)
(٢) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٩٤)
(٣) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٢٤ ، ١٨٢٥)
(٤) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٩)
(٥) تهذيب التهذيب (٧/٢٢٤) .
(٦) فهرست الطبرى (ص ١٩٨)
(٧) على بن الهيثم البغدادى ، روى عنه البخارى ومحمد بن على الطبرى والحسين ابن اسماعيل المحاملى . تهذيب التهذيب (٧/٣٩٤) .
(٨) لسان الميزان (٦/٣٨) .

من المتروكين . روى عن أبي روق ، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير .

وروى تفسير أبي روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبري هو المثنى بن ابراهيم الآملي عن علي بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبي رو ق. وقد ورد اسم المثنى ابن ابراهيم في ٢٨[١] موضعا من تاريخ الطبري كلها في تاريخ ما قبل الاسلام وفي الاسرائيليات ، عدا موضع واحد هو في القبلة ، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات[٢]. والظاهر أنه كان من أصحاب التفاسير ، أو من رواة التفاسير . وهو يكثر الرواية عن اسحاق بن الحجاج[٣] .

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسي ، وعن أبي العريف ، وقد ورد اسم يزيد الفقعسي في خمسة مواضع من تاريخ الطبري هي في حوادث عثمان وعلي[٤] ، وعنه وردت قصة عبدالله بن سبأ[٥] ، وقصة أبي ذر الغفاري ، ورأيه في مال المسلمين ، وقصة مجيء عبدالله بن سبأ الى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنه البصرة[٦] ، وأخيرا حركة عبدالله بن سبأ ونسبه ومراسلاته مع الأقطار[٧] . ترى من ذلك أن ما أخذه سيف عن يزيد الفقعسي ، قد انحصر في ناحية خاصة من ناحية الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان بن عفان ، وهي الرواية الوحيدة التي وردت عن هذه الفتنة . وأما الروايات الأخرى المدونة في الكتب ، فهي صدى لرواية سيف ، وترجيع لها ، سأتحدث عنها في موضعها المناسب حيث الكلام على موارد الطبري في الأحداث المؤسفة التي وقعت في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان .

وقد اقتصد الطبري في تاريخ الروم بالقياس الى ما كتبه في تأريخ الفرس ، ودون أكثر ما سطره عنهم في فصوله عن تأريخ الفرس . أما الفصل الذي عنوانه « ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام الى عهد النبي صلى الله عليه

(١) فهرست الطبري (ص ٤٩٧) .
(٢) الطبري : الدورة الأولى (ص ١٢٨٠)
(٣) الطبري : الدورة الأولى (ص ٧٨٥) .
(٤) الطبري : الدورة الأولى (ص ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢) .
(٥) الطبري : الدورة الأولى (ص ٢٨٥٨) .
(٦) الطبري : الدورة الأولى (ص ٢٩٢٢)
(٧) الطبري : الدورة الأولى (ص ٢٩٤٢) .

وسلم فى قول النصارى »[(١)] ، فهو جريدة بأسماء الملوك ، ومدة حكم كل ملك ، الا أن الطبرى لم يذكر فيها سنة حكم الملك بالنسبة لتأريخ مولد المسيح ، وهو التأريخ المعمول به عند النصارى ، ولا بالنسبة الى ملك الاسكندر ، كما كان يؤرخ به بعضهم ، أو بالنسبة الى « تقويم بصرى » الذى يبدأ بدخولها فى حوزة الروم ، وذلك فى سنة ١٠٥ بعد الميلاد[(٢)] . والاقتصاد فى تأريخ الروم بالقياس الى تأريخ الفرس ، ليس بدعة ابتدعها الطبرى من بين سائر المؤرخين الاسلاميين ، بل هى جادة عامة سلكها كل من كتب فى التأريخ العام وفى تأريخ العجم من فرس وروم وغيرهم . ولعل لانصهار الفرس وذوبانهم فى الاسلام ، ولتعصب قسم منهم لقوميتهم وتأريخهم السابق ، واحتفاظهم بتحف تراثهم العتيق من خزن كتب التأريخ ونقلها الى العربية ، وللتصادم الذى كان بين الروم والمسلمين ، وللاختلاف الذى كان بين الديانتين ، دخلا فى هذا الموضوع .

وملوك الروم هم ملوك اليونان وملوك رومية[(٣)] « رومة » عند الطبرى[(٤)] . وكذلك عند سائر المؤرخين ، وقد يراد بهم قياصرة الرومان . وقد جعل النسابون يونان رجلا له نسب ، وجعل بعضهم من ذريته « بزنطى » ، ونسبوا اليهما الروم ، فقالوا : انهم بنو رومى بن بزنطى بن يونان بن يافث بن نوح[(٥)] ، وجعلهم جماعة من النسابين من نسل عيصو بن اسحاق النبى[(٦)] . وقد عرعوا عيصو بن اسحاق من قراءتهم للتوراة ، أو من نفر من أهل الكتاب ، غير أنهم أخطأوا ولا شك فى نسبة اليونان والرومان ، أى الروم ، اليه . فليست هنالك علاقة ما بين عيصو أو عيسو « Esau » وبين الروم فى التوراة . وعيسو[(٧)] هو أدوم[(٨)] ، وقد سكن نسله وهم الأدوميون فى جبل سعير شرقى العربة ، وعرفت المنازل التى استوطنوا فيها باسم أدوم ، وهى تشمل كل تخوم كنعان الجنوبية ، وامتدت فاتصلت بطورسيناء وبالعربية الصخرية ، وهى المنطقة التى أزاحهم

(١) الطبرى (٢/٢٥) وما بعدها . « طبعة المطبعة الحسينية المصرية » .
(٢) زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٠٣)
(٣) البلدان ٤/٣٣١ .
(٤) راجع فهرست تأريخ الطبرى « عمل دى غويه » (ص ٧١٩) ، تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الاصفهانى (ص ٤٦)
(٥) البلدان (٤/٣٢٧) .
(٦) البلدان (٤/٢٣٧) ، اللسان (١٥/١٥٠) .
(٧) ومعنى الكلمة « مشعر » أو « خشن » قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٨) Hastings . P 235
(٨) «أدوم» بمعنى أحمر ، لقب عيسى بن اسحاق . قاموس الكتاب المقدس (١/٥٣) .

عنها النبط فاستقروا بها وعرفت باسمهم أيضا[١] . وليست هنالك صلة ما من نسب أو قرابة بين الروم وأدوم . وقد رويت رواية نسبت الى ابن الكلبي خلاصتها : أن الروم هم من نسل العيص ، وهو عيصو ، وهو ابن اسحاق ، وقد ولد له روم القسطنطينية وملوك الروم[٢] . ونحن لا نعلم كيف توصل ابن الكلبي ومن قال بقوله الى هذا النسب، فلعلهم أخذوه من أدعياء العلم من أهل الكتاب ، صنعوه لهم جهلا ، أو نقلوه لهم كما كان شائعا بينهم في ذلك الوقت . وقد يكون لا من هذا ولا ذاك ، وانما من وضع ابن الكلبي وأضراب ابن الكلبي الذين كانوا يضعون الروايات ويصنعونها في معاملهم ، ليقال انهم كانوا أصحاب علم ، وانهم أحاطوا بكل خبر من أخبار القدماء .

وأرى أن هذه التسمية انما جاءت الى العرب من أيام عظمة رومية ، حين بسط الأباطرة نفوذهم على أرجاء واسعة شملت ما كان لليونان من ممتلكات ، ولذلك قيل لأتباعهم انهم من أتباع رومية ورومانيون . وقد نبه على ذلك ياقوت الحموي فقال : « وذكر بعضهم انما سمي الروم روما لاضافتهم الى مدينة رومية ، واسمها رومانس بالرومية ، فعرب هذا الاسم فسمي من كان بها رومي »[٣] .

وسبقه المسعودي الى هذا الرأي ، فأشار الى غلبة الروم على اليونان ودخولهم في جملتهم « حتى زال اسمهم ، وانقطع ذكرهم ، ونسب الجميع الى الروم . »[٤] .

وفرقوا بين لغة اليونان ولغة الروم . قال ابن صاعد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ للهجرة : « وأما الأمة الخامسة ، وهي الروم ، فأمة ضخمة المملكة ، فخمة الملوك ؛ وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ، ولغتهم مخالفة للغتهم ، فلغة اليونانيين الاغريقية ، ولغة الروم اللاطينية »[٥] .

وقد ورد في التوراة اسم ياوان ، وهو ابن يافث الرابع ، وهو أبو اليونانيين[٦] .

(١) قاموس الكتاب المقدس (٥٣/١) Hastings , P. 203

(٢) البلدان (٣٢٧/٤) وهنالك روايات أخرى مصنوعة لا قيمة علمية لها رويت في تفسير تسمية الروم التنبيه والاشراف (ص ١)

(٣) البلدان (٣٣١/٤) « ورومية أيضا بالروم يعرف برومية الكبرى ، له ذكر في كتب الجفر ، بناه روميس ملك الروم » تاج العروس (٣٢١/٨)

(٤) التنبيه والاشراف (ص ١٠٠)

(٥) كتاب طبقات الأمم (ص ٢٣) « بيروت ١٩١٢ »

(٦) التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢ · وأخبار الأيام الأول : الاصحاح الخامس ، الآية السابعة قاموس الكتاب المقدس (٥٥٧/٢) وما بعدها

ويقصد به بصورة عامة الأيونيون Iaon Ionian ، أي الـ Greek [(١)] • ومن كلمة ياوان Javan أو Jaon أخذ العرب – في رأيي – كلمة يونان ، وأطلقوها على جميع القبائل التي سكنت هيلاس وغيرها ، وعلى الانبراطورية التي كانت عاصمتها القسطنطينية • ولذلك دعوا ملوكها أيضا بملوك اليونانيين ، تمييزا لهم عن ملوك رومية[(٢)] الذين هم أباطرة الرومان •

وذكر الطبرى اليونانية وأرض اليونانية واليونانيين في مقابل الروم[(٣)] ، ويقصد بهم من نقول لهم اليوم الرومان ، وأشار الى أن أول من حكم الشام بعد قالوبطرى هو جايوس يوليوس ، وهو ملك الروم • ثم أغوسطوس الذى حكم ستا وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين[(٤)] • ويقصد الطبرى بهؤلاء الملوك الذين حكموا الشام بعد قالوبطرى ملوك رومية ، أي أباطرة الرومان •

ويستنتج من حشر الطبرى أكثر ما تحدث به عن الروم في الفصول التي دونها عن تأريخ الفرس ، ومن ادماجه تلك الأخبار في رواية واحدة وفي حديث متصل مرتبط الأجزاء ، أن الطبرى اعتمد على الموارد المؤلفة في تأريخ الفرس ، أو المترجمة عن الفارسية ، أكثر مما اعتمد على الموارد التأريخية المؤلفة في تأريخ الروم أو المترجمة عن الرومية • وفي ذلك خطر ولا شك ، فقد كان الفرس خصوم الروم ، ولذلك لا تخلو كتبهم أو الكتب المترجمة عن الفارسية من أثر العصبية • ثم ان أكثر من عنى بتأريخ الفرس أو من ترجم عن الفارسية كان من أصل فارسى ، أو من طبقة عرفت بميولها الى الفرس ، ولهذا يجب الانتباه الى هذه الناحية في اعتمادنا على ما ذكره الطبرى عن الروم والفرس ، وأن نأخذ حذرنا في تدوين تلك الأخبار •

ويظهر من بعض العبارات والاستدراكات التي دونها الطبرى تعقيبا على بعض الروايات مثل قوله : « وأما الروم وكثير من أهل الأنساب »[(٥)] ، وقوله « •••• فيما ذكر

(١) Hastings , P 427 Ency. Bibl. , P. 2338

(٢) حمزة الاصفهاني « تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » (ص ٥) ، و(٤٥) وما بعدها •

(٣) الطبرى (٢/٩) وما بعدها •

(٤) الطبرى (٢/١٠) •

(٥) الطبرى (٢/٩) •

الروم»[١] أو « ... فى قون النصارى وأهـل الكتب .. »[٢] ، وأمثـال ذلك ، أن « الطبرى » قد نقل ما ذكره من الكتب . فمن عادته سابقا اغفال أسماء الموارد المدونة التى ينقل منها اكتفاء بذكر هذه الجمل وأمثالها . وقد فعل ذلك فى تاريخ الفرس أيضا وفى مواضع أخرى كان سنده فيها الكتب والوثائق المدونة ، فلم يعتمد فيها على الرجال ، لذلك أهمل السند .

ولمعرفة هذه الموارد التى نقل منها الطبرى تأريخ الروم ، لابد اذن من مراجعة ما كتب فى العربية عن الروم ، وما نقل من اليونانية واللاطينية الى العربية من كتب التأريخ والأخبار . وهو فى الواقع بحث مستقل فى حد ذاته ، مراجعه العربية قليلة حتى الآن . وقد فقد أكثر ما ألف أو ترجم فى هذا الباب ، كما أن الكتب أغفلت ذكرها ، فجهلنا أمرها .

وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب ألفها الروم فى الأسمار والتواريخ[٣] ، نقلت الى العربية يظهر من عناوينها أنهـا فى القصص والحكايات ، ولعلهـا من وضع بعض القصاص والأخباريين والنقلة . وقد ذكر أن منها كتاب سمسه ودمن على مثال كليلة ودمنة ، قال عنه : « وهو كتاب بارد التأليف ، بغيض التصنيف ، وقد قيل : ان بعض المحدثين عمله » ، وكتاب تأريخ الروم ، ولم يذكر ابن النديم اسم مؤلفه أو مترجمه ، وذكر حمزة الأصفهانى كتابا فى أخبار اليونانيين صنفه أو نقله عن اليونانية حبيب بن بهريز مطران الموصل . نقل منه تواريخ سنى ملوك اليونانيين[٤] . وكان حبيب هذا ممن فسر للمأمون عدة كتب[٥] .

وقد ألف نفر من المطارنة فى كتب التأريخ ، اعتمدوا فيها على المؤلفات اليونانية واللاطينية ، ونقل من مؤلفاتهم بعض المؤرخين .

وذكر المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦ للهجرة[٦] أسماء طائفة من رجـال

---

(١) الطبرى (٢/ ١)
(٢) الطبرى (٢/٢٥ ، ٥٦) .
(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥) .
(٤) حمزة (ص ٥٥ ، ٥٦) .
(٥) الفهرست (ص ٣٤١)
(٦) Brockelmann , Geschichte der Arabischen Litteratur, I , S. 144 , Suppl. I S 220

الكنيسة وضعوا مؤلفات فى التأريخ تعرضوا فيها لتأريخ الروم واليونانيين[١] ، اجتمع بعضهم وشاهدهم فى أسفاره ، مثل سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش ، بطريرك كرسى مارقس بالاسكندرية ، وقدشاهده بفسطاط مصر ، وله كتاب فى التأريخ العام تنتهى حوادثه فى أيام خلافة الراضى . ومحبوب بن قسطنطين المنبجى ، وأثناثيوس الراهب المصرى ، وهو صاحب كتاب فى التاريخ ، رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى ويعقوب بن زكرياء الكسكرى الكاتب وأبى زكرياء دنخا النصرانى ، وغيرهم ، وأشار الى كتاب حسن فى التاريخ وضعه قيس المارونى فى ابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وأخبارهم ، وانتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفى . وقد مدحه المسعودى وأثنى عليه[٢] .

وذكر المسعودى أن نسخ كتب التواريخ التى بحثت عن ملوك الروم وأخبارهم ، مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ، ومدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ، وهى موجودة فى كتب النصارى الملكية[٣] . وقد أشار حمزة الى هذا الاختلاف كذلك ، وقد استعان حمزة بأربعة موارد ساعدته على تدوين ما كتبه فى تأريخ اليونان والروم : كتاب مصنف فى أخبار اليونانيين نسب تصنيفه أو نقله الى حبيب بن بهريز ، وكتاب فى التأريخ صنفه وكيع قاضى بغداد ، ذكر وكيع أنه نقل تواريخ الروم من كتاب ملك من ملوك الروم ، تولى نقله من الرومية الى العربية بعض التراجمة . وقد ساق التواريخ من ابتداء ملك قسطنطين الى سنة احدى وثلاث مئة من الهجرة[١] املاء ، أملاه عليه رجل رومى كان يقرأ ويكتب بالرومية ، ولا ينبعث فى النطق بالعربية الا بجهد . وكان فراشا لأحمد ابن عبدالعزيز بن دلف ، وتولى الترجمة بينهما ابن هذا الفراش ، واسمه يمن ، ترجم له عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومى الخط[٢] . ومؤلف لأبى معشر هو كتاب الألوف[٣] .

---

(١) التنبيه والاشراف (ص ١٣٢)
(٢) التنبيه (ص ١٣٢) .
(٣) المروج (١/٢٦٩) .
(٤) حمزة (ص ٤٨)
(٥) المصدر نفسه
(٦) المصدر نفسه (ص ٤٧)

وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ للهجرة ، الذي اشتهر بتوغله في علم الفلك والنجوم[١] . وقد عرف عند الأوربيين بـ « Abumasar »[٢] . وقد ذكر ابن النديم كتاب الألوف ، وقال عنه : انه يقع في ثماني مقالات[٣] . وأشار اليه ابن صاعد الأندلسي ، وقال عن صاحبه : « وكان مع ذلك أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر العجم »[٤] . وذكر « بروكلمن » أن في خزانة الكتب الأهلية بباريس نسخة خطية من كتاب الأدوار والألوف[٥] . وأشار سوتر Suter الى كتاب الألوف في بيوت العبادات الذي ذكره البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة[٦] . ولأبي معشر مؤلفات أخرى مهمة ترجم بعضها الى اللاطينية ، منها كتاب المدخل الكبير الى علم أحكام النجوم ، منه نسخ خطية في خزانات كتب العالم الشهيرة[٧] . وقد ترجمه Joh. Hispalensis ، كما ترجمه Hermanus Secundus أو Dalmata وقد طبعت ترجمته في مدينة أوكزبرك Augsburg عام ١٤٨٩ للميلاد[٨] . وكتاب القرانات ، وقد طبع في Augsburg كذلك عام ١٤٨٩ للميلاد[٩] . وطبع مرة أخرى

---

(١) ابن القفطي (١٥٢) ، ابن صاعد (ص ٥٦ ــ ٥٧) ، ابن خلكان : الوفيات ، طبعة القاهرة ١٣١ (١١٢/١) .
Brockelmann, I, S 221 Ency. I, P 99, Suter in Abhandlung Zur Geschichte der Mathem. Wissenschaft. VI, 31, x 28

(٢) Ency I S. 99

(٣) الفهرست (ص ٣٨٦ ــ ٣٨٧)
Lippert. Abu Ma'shars kitab al-uluf. (wiener Zeitschr. für die kunde des Morgenlandes. Ix, 351

(٤) طبقات الأمم (ص ٥٦)

(٥) Brockelmann, Suppl. I, S 395,

(٦) Ency. I, P 100.

(٧) Paris 5902 Garullah 1508, Berl. Cod. Orient. Seminar. 46, Halid Ef. 541, veni 1193, Mesh. XVII 50, 155. Brockelmann Suppl., I, S 395

(٨) طبعت بعنوان :
Introductorium in astronomiam Albumasaris Abalachu Octo Continens libros partiales, Ency, I, P 100.

(٩) Abumasar de Magnis Conjunctionibus et annorum revolutionibus ac Corum profectionibus octo Continens Tractatus, Ency., I, P. 100

عام ١٥١٥م بمدينة البندقية Venice [١] . ولم يشر الطبرى الى اسم أبى معشر ، ويظهر أنه لم ينقل من كتابه هذا ؛ لأن ما ذكره « حمزة » يختلف عما دونه الطبرى ، وهذا يدل على أن الطبرى قد استعان بموارد لم يستعن بها حمزة ، والا لم يحدث هذا الاختلاف .

يظهر من أقوال هذين المؤرخين ومن أقوال آخرين أن المؤرخين المسلمين لم يعنوا عناية خاصة بتأريخ اليونان والروم ، وأن الذين اضطروا الى تدوين تواريخ ملوكهم ، باعتبار أن ذلك جزء من التأريخ العام ، أخذوا ما دونوه من موارد ثانوية ، أى أنهم لم يراجعوا الموارد الأصلية والوثائق والمستندات . وهى مكتوبة كما نعلم بالاغريقية أو اللاطينية أو السريانية ، ولم يكن من الميسور لهم مراجعتها لاختلاف اللسان . ولهذا عمدوا الى التراجمة والمترجمات ، أو الى المؤلفات المدونة فى العربية لجماعة من النصارى أو المسلمين ، فأخذوا منها ، ولم يتوسعوا فى الغالب فى النقل والاقتباس والتدوين ، فجاء أكثر ما أخذوه قوائم بأسماء الملوك . أما ما يتعلق بحروبهم وسياساتهم وآرائهم وأمثال ذلك ، فما كان له صلة بالفرس أو بالعرب ذكر ، وما لم يكن له صلة مباشرة أهمل . ولهذا لا نجد فيما دون عن الروم غير الاختصار ، والمطول منه على ما يظهر من فحصه وتحليله ، منقول عن الموارد الفارسية أو من الروايات العربية التى وعتها ذاكرة الأخباريين .

وقد أخذ المسعودى أكثر ما دونه عن تأريخ الروم من النصارى ، الذين اتصل بهم فى أسفاره . ولذلك كان لما دونه أهمية كبيرة جدا ؛ لأنه يمثل روايات متنوعة عراقية وشامية ومصرية . ونجد فى كتبه أشياء لا نجدها فى تأريخ الطبرى . وقد عرف المسعودى تأريخ الطبرى وأشار اليه ، وأثنى عليه[٢] ، ونقل منه ، ونقل من موارد نقل منها الطبرى كذلك . ولهذا فان للمقارنة بين ما كتبه الطبرى عن الروم وبين ما كتبه المسعودى عنهم أو حمزة أو المؤرخون الآخرون ، فائدة كبيرة فى تشخيص الموارد التى نقل منها الطبرى تأريخ اليونان والروم .

ذكر الطبرى الروم فى جملة أولاد سام بن نوح ، وأبناء سام ، فى رأيه ، هم العرب وفارس والروم . وقد أخذ الطبرى روايته هذه عن محمد بن سهل بن عسكر ،

---

(١) Ency. , I , P. 100.

(٢) المروج (٦/١)

حدثه بها عن اسماعيل بن عبدالكريم ، عن عبدالصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه[(١)] ، فهي رواية من الروايات المنسوبة الى وهب بن منبه • وأما صاحبها وراويها الى الطبري ، وهو محمد بن سهل بن عسكر ، فهو من حملة الاسرائيليات ، وأكثر ما رواه الطبري عنه هو من هذا القبيل • وهو مولى بني تيم ، ومن أهل بخاري • وقد تنقل في ارض الخلافة كأمثاله من طلاب العلم والعلماء ، واستقر أخيرا ببغداد ، وبها مات في شعبان من سنة ٢٥١ للهجرة[(٢)] • وقد مكنته أسفاره من أخذ العلم من عدد من العلماء ، أكثرهم من أصحاب الحديث ، كما جعلته موردا لعدد من طلاب العلم ، فصار شيخا لجماعة فيهم الثقات المشاهير ، أكثرهم من المحدثين •

ولم يشر الطبري الى المكان الذي التقى به بمحمد بن سهل بن عسكر فأخذ منه تلك الروايات ، ولا الى الزمان • ولعله أخذ عنه ببغداد أيام اقامة الطبري بها • وقد ورد اسمه في سبعة عشر موضعا من تاريخ الطبري[(٣)] •

ونقل الطبري رواية أخرى عن شيخه الحارث بن محمد ، عن محمد بن سعد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، جاء فيها أن الروم هم بنو لنطى بن يونان بن يافث ابن نوح[(٤)] • وحدثه بمثل هذه الرواية شيخه أبو كريب[(٥)] • أما عمران بن بكار الكلاعي ، وهو من مشايخ الطبري كذلك ، فقد حدثه أن سعيد بن المسيب قال : « ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث • فولد سام العرب ، وفارس ، والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير • وولد يافث الترك ، والصقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وليس في واحد من هؤلاء خير • وولد حام القبط ، والسودان ، والبربر »[(٦)] •

وشيخ الطبري « عمران بن بكار بن راشد الكلاعي هو أبو موسى البراد الحمصي المؤذن المتوفى بحمص سنة احدى وسبعين ومئتين ، وقد روى عنه جماعة من المحدثين[(٧)] ، ولعل الطبري أخذ منه في سفره الى الشام • وقد ذكره الطبري في موضعين من

---

(١) الطبري (١/١٠٢)
(٢) تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/٣١٣) ، تهذيب التهذيب (٩/٢٠٧) •
(٣) فهرست تأريخ الطبري « عمل دي غويه » (ص ٥١٥)
(٤) الطبري (١/١٠٥) •
(٥) الطبري (١/١٠٦)
(٦) الطبري (١/١٠٦) •
(٧) تهذيب التهذيب (٨/١٢٤) •

تاريخه[١] .

وقد تعرض المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦ للهجرة ، أى بعد وفاة الطبرى ، لذكر ملوك اليونانيين وما قاله الناس فى بدء أنسابهم ، فاجمل الآراء التى قيلت فى نسب اليونانيين . ولما كان المسعودى لم يتبع فى عرضه التأريخى طريقة السند ، ولم يتقيد بذكر المورد الذى أخذ منه ، صعب علينا التوصل ، بالمقابلة بين تاريخ الطبرى ومؤلفات المسعودى ، الى معرفة الموارد التى أخذ منها الطبرى أو كلاهما معا . ويظهر على كل حال من تمحيص ما دونه المسعودى عن أنساب اليونان ، أنه قد غرف من معين لم يغرف منه الطبرى ، وأنه لم ينقل شيئا فى هذا الفصل من تاريخ الطبرى ؟ اذ جاء باشياء لم يذكرها أبو جعفر فى تاريخه[٢] ، أشياء تدل على الفرق بين الشخصيتين وبين نفسيتى الرجلين . فالطبرى من العلماء الرواة الحفاظ ، أما المسعودى فباحث قريب من المؤرخ الحديث ، ميال الى البحث والاستقصاء ووصف الغريب ، وان كان لا يخلو من تأثير زمانه عليه فى رواية الأعاجيب والأساطير دون فحص أو نقد . وصف الأهرام ومقياس النيل وعادات المصريين فى ذلك الوقت ، وتحدث عن تقاليد الأقباط وعادات النصارى وعن الأساطير المصرية القديمة وقصة كليوبطرة وغير ذلك مما يلذ للانسان سماعه . وفعل مثل ذلك عن الأقطار الأخرى التى رآها وزارها . أما الطبرى ، فقد زار بلادا ومدنا كثيرة ، ولاسيما البلاد العريقة بالحضارة كالعراق وديار الشام ومصر ، ولكنه لم يتحدث بشىء ما عن آثارها وعجائبها وقصص أهلها وأساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم ، لم يحفل بكل ذلك ، ولم يعبأ به ، كأن ذلك لا يتصل بالتأريخ ، فجاء ما كتبه عن أزمن ما قبل الاسلام جافا ليس فيه غير هذا الذى رواه عن مشايخه من أخبار الرسل والأنبياء والملوك ، وأكثره قصص اسرائيلى وأساطير .

وفى أثناء الكلام على دارا ، وهو المعروف بـ Darius[٣] ، تكلم الطبرى عن

---

(١) راجع فهرست تأريخ الطبرى ، عمل دى غويه ، (ص ٤١١)

(٢) المروج (١/١٤٢ ـ ١٤٣)

(٣) صاحب الكتابة الشهيرة ، راجع :

The Sculptures and Inscription of Darius the Great . London, 1907
sir H. Rawlinson , Inscription of Darius on the Rock at behiston. London 1873.

الاسكندر بن فيلفوس[١] ، وفيلفوس أبوه فيلبش أو فيلفوس فى كتب اخرى[٢] . ويعنون بذلك Philip كما يقال فى بعض اللغات الأوربية الحديثة ، و Philppos فى اليونانية[٣] . وقد حصل الاسكندر على شهرة كبيرة فى القصص العربى الاسلامى ، وألفت كتب فى حكمه وآرائه وسياسته ، وصار موضوعا خصبا لأصحاب القرائح فى العربية والفارسية والتركية وفى غيرها من اللغات . وقد تركت فتوحات الاسكندر أثرا كبيرا فى العقلية اليهودية وفى النصرانية[٤] ، وصارت موضوعا من موضوعات الأدب، وتغلب بمرور الزمن العنصر الأدبى على العنصر التاريخى ، فاصبحت سيرته نوعا من أنواع الميثولوجيا Mythology فى الأدب العنى ، وارتفع عن مرتبة الرجال العظام الى مرتبة الأبطال المجاهدين لتحقيق المثل الانسانية العليا والمبادىء الدينية وشريعة التوحيد ، ورويت عنه قصص فلسفية حكمية مع أرسطوطاليس « أرسطاطاليس » . وقد صنعت معظم هذه القصص فى مدينة الاسكندرية التى تحمل اسم هذا الملك والتى التقت فيها عقلية الغرب بالشرق ، فاكتسبت الفلسفة اليونانية ثوبا شرقيا دينيا صوفيا ، وفى هذه المدينة فصلت أكثر هذه الثياب التى صنعها خياطون من مختلف العصور والثقافات للاسكندر ، ولا شك .

ولم يرد اسم الاسكندر فى العهد القديم ، وانما أشير الى مملكته فى سفر دانيال[٥] . وقد ذكر اسمه فى المكابيين[٦] . وصيغت فى الأدب العبرانى له قصص وحكايات ، منها ما هو يهودى بحت ، ومنها ما ورد الى اليهود عن سواهم[٧] . ومن هذه القصص قصة الأسئلة العشرة التى عرضها الاسكندر على حكماء الجنوب[٨] ، ولها شبه بالقصص المروية

(١) الطبرى (٢/٦ وما بعدها)

(٢) المروج (١/٢٤٤ وما بعدها)

(٣) Harvey The Oxford Companion to Classical Literature. Oxford 1940 , P. 321

(٤) Ency. Bibl. , P. 112

(٥) الاصحاح الثامن : رؤيا دانيال والاصحاح الحادى عشر : الآية الثالثة

(٦) Imacc. , 1 , 1-8.

(٧) Tamid 31 b 32a

(٨) The Universal Jewish Encyclopedia . New york 1948 , vol. I , P. 172.

عن بلوتـارخ Plutarch [١] ، وقصـة سفرة الاسكندر الى المنـاطـق المظلمـة مـن افريقية[٢] ، وقصـة سفرة أخرى قـام بهـا الاسكندر الى شعب الأمزون Amazons حيث قدم له خبز مصنوع من الذهب ليأكله[٤] . وتلك أسطورة أخذت من أسطورة يونانية عتيقـة عن شعب زعـم أنه عـاش فى أيـام الأبطـال[٥] . وسفـرة أخـرى قام بها الى أبواب الجنة ، حيث منع من الدخول اليهـا ، غـير أنـه أعطى عظمـا كان أثمن من كل ما لديه من ذهب وفضة ، وموعظة الحبـر له[٦] . ثم قصـة الملك Kasia مع الاسكندر والكنز المدفون[٧] . وقصة حمل النسرين له الى السماء ، الى مرتفع عال حيث تجلت له كرة الأرض ، ثم نزوله الى البحر[٨] . ثم القصة التى ترينا الاسكندر وقد طمع أن يعبده الناس كما يعبد المعبود[٩] . وعد الاسكندر فى جملة الملوك الذين حكموا الأرض[١٠] . وقد عملت أكثر هذه القصص فى الاسكندرية ، وهى قصص يهودية متأثرة بقصص يونانى قديم . وقد جعل الاسكندر بطلا لقصص أخرى عديدة ، بعضها يعود فى الأصل الى اسكندر آخر[١١] .

هنالك قصص أخرى يظهر أنها اسرائيلية المولد والمنشأ ، ترينا فى الغـالب ميول الاسكندر نحو اليهود ، وعطفه عليهم . منها قصة ذلك الرجل المسمى Gebiha ben Pesisa أو بن كوسيم ben Kosem ، ودفاعه عن حقوق اليهـود[١٢] ، وقصة محاولته وضع تمثال له فى الهيكل وعدم موافقة الحبر الأعظم على ذلك . ثم قصة أخذه

(١) Jew. Ency .Vol. , T P 172

(٢) Tamid 32a , Hniv. Jew. Ency , I , P 172

(٣) Univ. , jew. Ency. , I , P 172 ,

(٤) The Oxford Companion to Classical Literature , P 23.

(٥) Tamid 32 b

(٦) Yer B. M. , ii 8c

(٧) Yer A Z iii , 42c , Eeisenstein , J D , Otzar , Midrashim , 1915 , P 463 , Gaster , M . , Exempla , No. 5 , P 53

(٨) Jew. Ency. , Vol. , I , P. 172

(٩) Gaster , M , Maaseh Book , 1934 , I , P 262.

(١٠) The Univ. Jew. Ency , I , P 172.

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) Sanh . 91a , Budge , E. A W , Life and Exploits of Alexander the Great , 1896 , PP. 403 428 ,

عظام النبى أرميا الى الاسكندرية[١] . وقصة الخضر مع الاسكندر[٢] . وقصص أخرى ظهرت بين العبرانيين فى القرون الوسطى[٣] ، مثل قصة السلة التى تختفى عند وضعها فى نقطة التقاء السماء بالأرض[٤] ، وأمثال ذلك مما وجد له سبيلا الى آداب الأمم الأخرى عن طريق احتكاكها بالعبرانيين أو عن طريق اليهود الذين اختلطوا بمختلف الأقوام .

وترجع جذور قصص الاسكندر الى أيام فتوحات هذا الملك العظيم . ففى أيام هذا الملك ، أخذت تظهر هذه الأساطير التى وجدت لها تربة صالحة فى الشرق . ومن التواريخ الخرافية التى دونت عنه ، التأريخ الذى وضعه Cleitarchus الذى عاش فى حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد . وقد نمت هذه الأساطير وتركزت خاصة فى القرن الثالث بعد الميلاد . وجعلت الروايات السريانية الاسكندر رجلا نصرانيا مؤمنا . ووجدت هذه الروايات لها سبيلا الى العربية والحبشية والهندية وغيرها من اللغات الشرقية ، كما وجدت لها سبيلا الى الانكليزية والفرنسية واللاطينية فى القرون الوسطى حيث أصبحت من الموضوعات المطروقة فى النثر والشعر ، وخاصة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر للميلاد[٥] .

وفى الفرنسية قصيدة سميت باسم الاسكندر ، نظمت فى القرن الحادى عشر للميلاد ؛ وعرف فى انكلترة أثران يظهر أنهما بنيا على قصة وضعت باللاتينية ، هما : « رسالة من الاسكندر الى ارسطوطاليس » ، و « عجائب الشرق » . ومن القصص الفرنسى الموضوع شعرا أو نثرا عن الاسكندر ، أخذت أصول قصص الاسكندر فى الانكليزية ، وذلك بين ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ للميلاد ، ولاسيما المنظومة المسماة King Alisaunder . وقد جعل شكسبير أحد الضباط الولشيين Welsh الذين وضعهم فى

(١) Midrash Agada to Mum. 30 : 15 , the Univ. Jew. Ency., I , P 172.

(٢) Friedlander, Die Chadirlegende und Alexanderroman, 1913

(٣) Gaster , M , Hebrew Romance of Alexander the Great, in Journal of the Royal Asiatic Society (1897)

(٤) The Univ. Jew. Ency. , I , P 172.

(٥) Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature,P. 21

روايته « هنرى الخامس Henry V » ، من المطلعين العارفين بقصص الاسكندر[(١)] .

وألف باللاطينية كتاب مهم عن حياة الاسكندر يقع فى عشرة كتب ، ضاع منهما الكتابان الاولان . ألفه كورتيوس روفوس Curfius Rufns quintus فى أيام قلوديوس Claudius [(٢)] أو فسباسيان Vespasian [(٣)] . ويغلب على الكتاب طابع الرواية ، وقد كتب بأسلوب قصصى ممتاز ، غير أنه ضعيف من ناحية النقد التأريخى ، ولذلك كانت للكتاب مكانة بين الكتب المؤلفة فى قصص الاسكندر[(٤)] . وفى السفر الأول من أسفار المكابيين شىء عن الاسكندر يعبر عن وجهة نظر العبرانيين[(٥)] .

أخذ الطبرى أخبار عن الاسكندر من موارد مختلفة لم يصرح باسمها ، فأضاع بذلك أمورا تفيد المؤرخ جدا . نعم ، أشار الى الروايات التى ترجع الى ابن الكلبى ، غير أنه لم يذكر اسم الراوى الذى روى له الخبر ، أو اسم الكتاب الذى نقل منه ، مخالفا بذلك طريقته المألوفة التى اتبعها فى الاسرائيليات وفى قصص الملوك والأنبياء ، حيث كان يروى أسماء من حدثه بالخبر فيوصل السند الى « هشام بن محمد بن السائب » الكلبى ، ومنه الى صاحب الخبر . فليس من السهل التوصل من عبارة مبنية على المجهول مثل قول الطبرى : « وحدثت عن هشام بن محمد قال » ، أو « قال وذكر غير هشام أن ... »[(٦)] ، أو « فأما هشام بن محمد فانه قال فيما حدثت عنه .. »[(٧)] ، أو « فذكر

(١) Harvey, the oxford Companion to classical Litterature, P. 21

(٢) « قلوديس » تأريخ اليعقوبى (١/١٦٤) « طبعة هوتسما » ، « قلوديوس » الطبرى (٢/٢٥) . « قلوذيوس » ابن العبرى (١/١١٥) .

Claudius (Tiberius Claudius Drusus Nero Germanicus) (41 - 24 A D). Harvey, P 107.

(٣) « اسفسيانوس » ابن العبرى ١/١١٧ ، « اسفسيانوس أبو طيطوس الذى وجهه الى بيت المقدس » الطبرى ٢/٢٥ ، « ثم ملك اسفسيانوس عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الاله ووجه ابنا له يقال له ططوس الى بيت المقدس فحاصرهما أربعة أشهر » اليعقوبى ١/١٦٤ .

Vespasian, (Titus Flavius Sabinus Fespasianus) (70-79 A.D) Harvey, P. 445

(٤) Harvey, P. 127

(٥) First Book of the Maccabus

(٦) الطبرى (٢/٦)

(٧) الطبرى (٢/ ١) .

هشام ما ذكرت عنه ولم يبين مدة ملك القوم»[١] ، أو « وكان .... فيما ذكر هشام بن محمد .. »[٢] ، أو « فحدثت عن هشام بن محمد قال .. »[٣] ، أو غير ذلك من أمثال هذه العبارات ـ الى اسم الراوي ، أو الأثر الذي نقل منه الطبري قوله . وقد يمكن التوصل الى ذلك بمقارنة عبارات الطبري بما دون في كتب التأريخ التي ألفها مؤرخون عاشوا قبله أو في زمانه أو بعده ، عندئذ تمكن معرفة المورد الذي نقل منه الطبري وبقية المؤرخين . غير أن أكثر الذين كتبوا في التأريخ العام ، ولاسيما في تأريخ الفرس والروم ، لم يشيروا الى أسماء الموارد التي نقلوا منها ، ولذلك يصعب علينا التوصل حتى بهذه الطريقة الى معرفة الموارد الأصلية التي نقل منها الطبري وبقية المؤرخين الذين كتبوا في ذلك الموضوع .

ذكر ابن النديم اسم كتاب في جملة الكتب التي ألفها ابن الكلبي ، دعاه « كتاب ملوك الطوائف » ؛ وكتابا آخر سماه « كتاب الأوائل » ، و « كتاب خبر الضحاك » ، وكتبا أخرى في أخبار الأوائل[٤] . فمن أي كتاب من هذه الكتب أخذ الطبري وغيره تلك الأخبار ؟ واذ أن ابن النديم ومن ترجموا لابن الكلبي لم يشيروا الى محتويات هذه الكتب ، واذ كانت هذه الكتب في حكم الكتب الضائعة ، فاننا لا نستطيع رجع هذه التنف المدونة في تأريخ الطبري وفي كتب التأريخ الأخرى الى أصولها التي وجدت فيها في صحف ابن الكلبي . غير أن أغلب ظني أن الطبري نقل أخباره التي نسبها الى ابن الكلبي عن « ملوك الطوائف » ، وهم الأشغانيون[٥] ، من كتاب ملوك الطوائف الذي أشار اليه ابن النديم . واذا صح هذا الظن فنحن أمام مقتبسات وتنف من هذا الكتاب الذي لم يشر الى وجوده في الوقت الحاضر بروكلمن[٦] ولا غيره من الباحثين عن الكتب المطبوعة أو المخطوطات[٧] .

(١) الطبري (١١/٢)

(٢) الطبري (٢٦/٢) .

(٣) الطبري (٢٧/٢) .

(٤) الفهرست (ص ١٤١) ، كتاب الأصنام ، « ثبت مصنفات ابن الكلبي » (ص ٧١ ، ٧٣ ، وما بعدها)

(٥) الطبري (١٠/٢ ـ ١١) .

(٦) Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur , I , S 139 , Supplement , I S 211 - 212.

(٧) الأصنام

ولم يقتصر الطبرى فى أخباره عن الاسكندر وعن الذين خلفوه على ما ذكره هشام وحده ، بل نقل أخبارا أخرى رواها غيره من الرواه ، عقب بها على أخبار ابن الكلبى أحيانا ، وقدمها على أخبار أحيانا أخرى . وقد نبه على ذلك بمثل قوله « قال : وذكر غير هشام أن .. »(١) ، أو « وقال غيره من أهل العلم ... »(٢) ، وهى جمل تشير الى أن الطبرى قد نقل من موارد أخرى لا صلة لها بمؤلفات هشام .

ويظهر أن الطبرى قد أخذ من موارد استمدت أخبارها من الروم ، أو من مؤلفات نقلت عن اليونانية أو اللاطينية ، كما يفهم ذلك من قوله : « وأما الروم وكهم من أهل الأنساب »(٣) . وقوله « ... فيما ذكر الروم ... »(٤) . ومن الجائز أيضا أن الطبرى قد دون هذه العبارات كما وجدها فى الكتب التى نقل منها ، أو كما سمع ذلك من محدثيه ، فنقلها فى كتابه معبرا بذلك عن أقوال غيره ممن يقص أقوالهم علينا . وقد قلت فيما سلف ان ابن النديم والمسعودى وغيرهما أشاروا الى كتب نقلت الى العربية فى تأريخ الروم واليونان ، فلعلها وصلت الى أيدى الطبرى فنقل منها ، فلم يشأ لذلك أن يفصح عن أسماء نقلتها وهم من أهل الكتاب .

وللفرس فى الاسكندر رأى ، فقد جعلوه من آب فارسى هو دارا بن بهمن ، ومن أم يونانية سماها اليعقوبى المفيدا ، ويرى هوتسما ناشر تأريخ اليعقوبى أن المفيدا تصحيف أولميا Olympia(٥) . وعلى ذلك فالاسكندر هو من الفرس . ولا ندرى بالطبع متى صير الفرس الاسكندر منهم : أفى أيام الجاهلية ، أى قبل الاسلام ؟ أم فى الاسلام ، أى بعد انقراض ملكهم وزوال دولتهم ؟ ومن عادة الشعوب المغلوبة التفتيش عن الماضى ، واضافة الأعمال المجيدة اليها ، ليكون ذلك سلوى لها ، وحافزا لاثارة الهمم ، وتغطية لما حل بها من نكبات .

وانا ليصعب علينا تحديد الوقت الذى ظهرت فيه هذه القصة ، وقصة اغتيال دارا ورجائه من الاسكندر الانتقام من قتلته ، والتزوج من ابنته روشنك Rushang Roxana(٦)

---

(١) الطبرى (٢/٦) .
(٢) الطبرى (٢/١١) .
(٣) الطبرى (٢/٩) .
(٤) الطبرى (٢/١٠) .
(٥) تأريخ اليعقوبى (١/١٦١) .
(٦) Ency. of Islam, vol. II, P .534

وذلك لعدم وصول نسخ كاملة من الترجمات العربية لكتب « سير ملوك العجم » الينا حتى الآن ، ولأن هذه المقتبسات والنتف المدونة في تأريخ الطبرى وفى كتب التأريخ الأخرى لا تعطينا فكرة صحيحة عن تلك الأصول .

وقد دون الطبرى مقتل دارا وأسباب الخلاف الذى حدث بينه وبين الاسكندر وزواج الاسكندر ابنة دارا باختصار ، أخذه على ما يظهر من رواية مطولة لهشام بن الكلبي[١] . ثم أعاد القصة بشيء من التفصيل ، وقد نقلها من مورد آخر كما أشار الى ذلك بقوله : « قال : وذكر غير هشام »[٢] . ويظهر من قول الطبرى « قال » وبعدها جملة « وذكر غير هشام » أن الطبرى قد نقل ما دونه من كتاب آخر ، أو من قول رجل كان يتحدث اليه أو يملى عليه ، فبعد انتهائه من تلخيص خبر ابن الكلبي تحدث الراوى الى الطبرى برواية أخرى ترجع لرجال آخرين ، أو أن الطبرى نقل ما كتبه من كتاب آخر فدونه على نحو ما وجده فى ذلك الكتاب .

وذكر الطبرى رواية أخرى عن الاسكندر استهلها بقوله : « وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين » ، ثم سرد بعدها أسطورة زواج دارا الأكبر بأم الاسكندر المسماة هلاى ، واختلاف دارا الأصغر وهو ابن دارا الأكبر مع شقيقه الاسكندر بسبب مطالبة الفرس للروم بدفع الجزية التى كان يدفعها ملوك الروم الى الفرس فى كل عام ، وامتناع الاسكندر عن دفعها قائلا لملك الفرس : « انى قد ذبحت الدجاجة وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الأطراف ، فان أحببت وادعناك ، وان أحببت ناجزناك » . ثم ما كان من اغتيال دارا وسقوطه على الأرض ومجيء الاسكندر اليه وهو بآخر رمق ومسحه التراب عن وجهه ووضعه رأسه فى حجره الى آخر القصة[٣] .

وقد قص علينا هذه القصة عالم آخر هو أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة[٤] . وهى تتفق مع القصة التى سردها الطبرى فى المعنى ، وان

(١) الطبرى (٦/٢) .

(٢) الطبرى (٧/٢) .

(٣) الطبرى (٧/٢ وما بعدها) .

(٤) الآراء مختلفة فى سنة وفاته ، راجع الارشاد « طبعة مارغليوث » (١٢٣/١ وما بعدها) ، بغية الوعاة (ص ١٣٢) .
Wustenfeld, Die Geschichtschreiber, No. 79, Brockelmann, I, S. 123
ضحى الاسلام (٤٠٦/١ وما بعدها) . راجع أيضا ملحق بروكلمن :
Suppl., I, S 187.

كانت تختلف عنها فى بعض الجمل والتفصيلات التى لا تؤثر على العرض العام .

ويظهر من مقارنة القصتين بعضهما ببعض أن الرجلين قد غرفا من منبع واحد ، وأخذا من مؤلف يرجع الى الفرس كالذى يفهم من عبارة الدينورى : « وقد اختلف العلماء فى نسبه ، فأما أهل فارس فيزعمون أنه .. »[١] ، وهى عبارة افتتح بهـا هذه القصة . وقد عرف عن الدينورى أنه نقل من الكتب التى ترجمها ابن المقفع ، فلعله نقل قصص الاسكندر من تلك الكتب .

ولما مات الاسكندر ، عرض الأمر – على حد قول الطبرى – على ابنه الاسكندروس ، فأبى ، واختار النسك والعبادة ، فملكت اليونانية عليهم بطلميوس بن لوغوس ، ثم بطلميوس فيلا فطرا ، ثم بطلميوس افيفانوس ، ثم بطلميوس أورغاطوس ، ثم بطلميوس ساطر ، ثم بطلميوس الأخسندر ، ثم « بطلميوس » الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين ، ثم بطلميوس دونسيوس ، ثم بطلميوس قالوبطرى . « فكل هؤلاء كانوا يونانيين ، فكل ملك منهم بعد الاسكندر كان يدعى بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم المقفانيون . ثم ملك الشام بعد قالوبطرى – فيما ذكر الروم – أغوسطوس ستا وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ، ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاثمئة سنة وثلاثسنين . »[٢] . وقد ذكر الطبرى مع كل ملك سنى حكمه ؛ لذلك نستحسن مقارنة هذه القائمة بالقوائم المماثلة التى دونها بعض المؤرخين المعاصرين للطبرى ، أو الذين عاشوا بعده بزمن غير طويل .

وقد دون أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة[٣] قائمة بأسماء خلفاء الاسكندر تختلف عن قائمة الطبرى ، فى الأسماء وفى السنين . وهى تدل على عدم وقوف اليعقوبى على قائمة الطبرى المعاصر له ، أو على المورد الذى استقى الطبرى منه ، والا لما حدث بينهما هذا الاختلاف . فزعم اليعقوبى أن الذى حكم بعد الاسكندر هو ذو القرنين بطلميوس ، والمتعارف عند الأخباريين والمؤرخين أن ذا القرنين هو الاسكندر نفسه ، وحكم بعده فيلفوس ، ثم هو رحيطوب الأول ، ثم فيلوبطور ، ثم فيفانس ، ثم فيلو بطور الثانى ، ثم هور حيطوب

(١) الأخبار الطوال ، طبعة ليدن ، (ص ٣١) .
(٢) الطبرى (٢/١٠) .
(٣) الارشاد (٢/١٥٦) ، طبعة مارغليوث ، . Ency. , IV , P 1153

الثانى[١] • فأنت ترى نفسك أمام قائمة تختلف عن قائمة الطبرى اختلافا يشير الى أنهما قد نقلا من موردين مختلفين •

أما الدينورى الذى أطنب فى قصة الاسكندر اطنابا لا نجده فى تأريخ الطبرى[٢] ، فانه لم يتعرض لخلفاء الاسكندر ، ولم يشر الى أسماء الذين حكموا بعده • ونلاحظ بصورة عامة أنه زاهد فى أخبار اليونان والروم ، مقتصد فى ذكر أخبارهم ، ميال الى التبسط فى الحديث عن أخبار الفرس[٣] • والظاهر أنه انما تبسط فى الحديث عن الاسكندر ، لما رأينا من دعوى أصحاب الأخبار من الفرس من أن والد الاسكندر هو دارا الأكبر ، ولما رووه من قصص له علاقة بمقتل دارا الأصغر ، وبتولى الاسكندر عرش الفرس •

وحكم بعد الاسكندر على رأى المسعودى بطلميوس ، ثم هيفلوس ، ثم بطلميوس الصانع ، ثم بطلميوس المعروف بمحب الأب ، وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب أنطاكية الاسكندروس ، ثم ملك بعده بطلميوس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى ، ثم بطلميوس محب الأم ، ثم بطلميوس الصانع ، ثم بطلميوس المخلص ، ثم بطلميوس الاسكندرانى ، ثم بطلميوس الحديدى ، ثم بطلميوس الجوال ، ثم بطلميوس الحديد ، ثم ابنته قلبطرة ، وهى آخر الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر ، وعددهم أربعة عشر ملكا ، وعدد سنى ملكهم ثلاث مئة سنة وسنة واحدة[٤] •

وتختلف هذه القائمة عن القائمة التى دونها المسعودى لملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين فى كتابه الآخر ، وهو كتاب التنبيه والاشراف[٥] ، بعض الاختلاف فى عدد الملوك وفى مدة حكم كل ملك • ذكر المسعودى أن عدة ملوك اليونانيين من فيلبس الى قلوبطرة ستة عشر ملكا ، وجملة ما ملكوا من السنين مئتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما ، وذلك موجود فى قانون ثاون الاسكندرانى[٦] وغيره • ولكنه ذكر أيضا أن من عنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم مختلفون فى عدة ملوك اليونان وفى

(١) تاريخ اليعقوبى ، طبعة هوتسما ، (١٦٣/١ وما بعدها)
(٢) الأخبار الطوال (ص ٣١ وما بعدها)
(٣) Ency , vol , I , P 977
(٤) المروج (٢٥٨/١ وما بعدها) •
(٥) التنبيه والاشراف ـ طبعة مصر (ص ٩٧)
(٦) التنبيه (ص ٩٧)

مدة سنيهم[١] ، وذكر أن أبطلميوس أورنداس هو أول من حكم بعد الاسكندر ، ثم حكم بعده أبطلميوس الكصندرس ، ثم أبطلميوس الأديب ، ثم أبطلميوس محب أخيه ، فـ «أبطلميوس الصانع» ، ثم أبطلميوس محب أبيه ، ثم أبطلميوس الظاهر ، ثم أبطلميوس محب أمه ، ثم أبطلميوس الجوال ، ثم ابطلميوس المخلص ، ثم أبطلميوس الكصندرس ، ثم أبطلميوس قساس ، ثم أبطلميوس ديونسيوس ، ثم قلوبطرة ابنة أبطلميوس ، وكانت حكيمة ولها كتب فى الرقية وغيرها[٢] ، وقد قتلهـا أوغسطس الذى استولى على ملك اليونانيين ومصر والشام ، وكون ـ على رأيه ـ ملك الروم[٣] .

وذكر ابن النديم أن لثاون الاسكندرانى جملة كتب ، منها كتاب جـداول زيج بطلميوس المعروف بالقانون المسير[٤] ، وعرف عند المسلمين بعلمه فى الكواكب ، وبآرائه فى الزيج[٥] . وقد ذكر ابن القفطى أسماء مؤلفات « ثاؤن »[٦] وقد نقلها على ما يظهر من فهرست ابن النديم . وقد عاش « ثاؤن Theon » فى القـرن الخـامس بعد الميلاد ، وكان فيلسوفا رياضيا[٧] . والظاهر أن المسعودى قصد بقانون ثاون ، الكتاب الذى أشرت اليه .

ولحمزة الأصفهانى قائمة كذلك بأسماء الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر وبنى حكمهم ، وقد دعاهم « ملوك مقدونية » . وهم : بطلميوس بن الأرنب ، وبطلميوس بن لعوس محب الأب ، وبطلميوس الصانع ، وبطلميوس محب الأب ، وبطلميوس صاحب علم النجوم ، وبطلميوس محب الأم ، وبطلميوس الصانع الثانى ، وبطلميوس المخلص ، وبطلميوس الاسكندرى ، وبطلميوس الحديدى ، وبطلميوس الخبيث ، وفلوقطرا بنت مخة[٨] .

وبمقارنة هذه القائمة بقوائم الملوك السابقة ، يتبين أنها قريبة بعض الشىء من قائمتى

---

(١) التنبيه (ص ٩٧) .
(٢) التنبيه (ص ٩٨ وما بعدها) .
(٣) التنبيه (ص ١٠٧) .
(٤) الفهرست (ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦) .
(٥) كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى (ص ٥٤)
(٦) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٧٦)
(٧) Harvey , The oxford Companion to classical Literature , P 426
(٨) حمزة (ص ٤٥ ـ ٤٦)

المسعودى ، ولاسيما القائمة المنشورة فى كتاب التنبيه والاشراف ، غير أن هذا لا يعنى أن حمزة نقل من القائمتين ؛ اذ نرى هنالك اختلافا فى الأسماء وفى السنين لا يشير الى أخذ حمزة من مؤلفات المسعودى ، الا أننا نستطيع أن نقول بكل تأكيد انهما نقلا من مورد واحد . وقد يكون هذا المورد هو أبو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومئتين للهجرة(١) ، وقد ذكر حمزة أنه أخذ أخبار الروم من مؤلف له سماه كتاب الألوف(٢) . وقد ذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب بين أسماء كتب أبى معشر ، وقال : انه يقع فى ثمانى مقالات(٣) . ومن الممكن أن يكون المسعودى قد نقل احدى القائمتين من كتاب الألوف ، للتقارب الذى بين قائمة حمزة المنقولة من كتاب أبى معشر وبين قائمة المسعودى .

اذا دققنا قائمة الطبرى للبطالمة « البطالسة » ، نرى أنه قدم ذكر الأسماء مع النعوت التى عرف بها كل بطلميوس ، وقد حافظ على النعوت كما هى ، فلم يترجمها الى العربية كما صنع من ذكرناهم ، الا أنه كتبها على نحو يلائم النطق بالعربية ، فأبعدها بذلك عن الأصل ، وقدم أيضا وأخر قليلا بين الأسماء . وبطلميوس بن لوغوس الذى ذكره الطبرى ، هو بطلميوس الأول المعروف بـ Soter أى المخلص « المنقذ » ، وهو ابن لاغوس Lagus . وقد تملك مصر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، أى سنة وفاة الاسكندر الأكبر ، ودام حكمه حتى وفاته سنة ٢٨٣ قبل الميلاد(٤) . وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة على ما جاء فى تأريخ الطبرى(٥) . وحكم بعده بطلميوس الثانى

(١) الفهرست (ص ٣٨٦) ، ابن القفطى (ص ١٠٦) ، ابن صاعد (ص ٨٩) ، ابن خلكان (١/١١٢) ، راجع ما كتبه «لبرت» عن كتاب الألوف
Lippert, Abu Ma'shars Kitab al-uluf, wiener Zeitschr. fur die kunde des Morgenlandes, ix, 351 , Ency. , vol, I , P 100, Brockelmann, G A , L , I S . 221 , Suppl. , I , S . 304 305 ,
« كتاب الأدوار والألوف »
Brockelmann , Suppl . , I , P 395 , Paris , Bibliotheque nationale , Catalogue des mss. Arabes Par le Baron de Slane , Paris 1883-95. (2581)

(٢) حمزة (ص ٥٤)
(٣) الفهرست (ص ٣٨٧)
(٤) Ency. Britani. , vol, 18,P. 731-732, Harvey P. 352,
٣٢٣ – ٢٨٥ قبل الميلاد ، قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣)
(٥) الطبرى (٢/ ١)

المعروف بفيلا دلفوس Philadelphus، وهو ابنه ، وقد حكم من سنة ٢٨٥ أو ٢٨٣ قبل الميلاد حتى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٦ قبل الميلاد[١] . وهو مؤسس مكتبة الاسكندرية ، وكان محبا للأدباء والعلماء ، فجلب اليه الشعراء مثل ثيوقريطس Theocritus ، والرياضيين مثل أقليدس Eukleides Euclid الرياضى الشهير ، والفلكى أراتس Aratus , Aratos وأمثالهم[٢] . ولم يشر الطبرى اليه .

وقد وضع الطبرى بعد بطلميوس بن لوغوس اسم بطلميوس دينانوس ، وقال عنه انه حكم أربعين سنة[٣] ، وضعه فى مكان بطلميوس فيلادلفوس ، وهو خطأ ، ثم ذكر بعده اسم بطلميوس أورغاطس الذى قال عنه انه حكم أربعا وعشرين سنة[٤] ، وهو فى الواقع بطلميوس الثالث المعروف بـ Euergetes أى « الخير » « ٢٤٦ – ٢٢١ » قبل الميلاد[٥] . ولم يشرح الطبرى معنى هذا النعت . وحكم بعد بطلميوس الثالث بطلميوس الرابع المعروف بـ Philopator ، أى المحب لأبيه ، وقد حكم من سنة ٢٢١ حتى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد[٦] ، وجعل الطبرى مدة حكمه احدى وعشرين سنة ، ودعاه بطلميوس فيلافطر[٧] ، وهو تحريف Philopator ولا شك . وحكم بعد بطلميوس الرابع بطلميوس المعروف بـ Epiphanes ، أى الظاهر[٨] ، وهو بطلميوس الخامس ، وقد حكم من سنة ٢٠٤ حتى سنة ١٨١ قبل الميلاد[٩] ، ودعاه الطبرى بطلميوس افيفانس ، وحكم – على روايته – اثنتين وعشرين سنة[١٠] . ثم حكم بعده بطلميوس أورغاطس[١١] ، ويقصد به الطبرى بطلميوس المعروف بـ Euergetes الثانى ، وهو بطلميوس السابع فى الواقع ،

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٣) الطبرى (٢/١٠) .
(٤) كذلك .
(٥) Ency. Brita., vol, 18, P. 732
(٦) Ency. Brita.., vol , 8, P. 732 قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٧) الطبرى (٢/١٠) .
(٨) Ency. Brita., vol , 18 , P. 733, Bouche Leclereq, Histoire des Lagides , I PP 333
(٩) Ency. Brita , vol , 8, PP. 733 , قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣ – ٢٣٤) .
(١٠) الطبرى (٢/١٠) .
(١١) الطبرى (٢/١٠) .

وقد نسى الطبرى ذكر بطلميوس السادس وهو المعروف بـ Philometor أى المحب لأمه الذى حكم من سنة ١٨١ حتى سنة ١٤٥ قبل الميلاد[١] . وأما بطلميوس الثامن فهو المعروف بـ Soter الثانى[٢] ، وقد دعاه الطبرى بـ « ساطر »[٣] ، وينعت أيضا بـ Lathyros . وحكم بعده بطلميوس التاسع المعروف باسكندر الأول Alexander I[٤] ، وهو المعروف فى تأريخ الطبرى ببطلميوس الأحسندر[٥] ، وهو تحريف الاسكندر ولا شك . وحكم بعد بطلميوس الأحسندر على قول الطبرى « بطلميوس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين » ، ثم بطلميوس دونسيوس[٦] ، ويقصد به بطلميوس المعروف بـ Philopator Philadelphus Neos Dionysus الذى حكم من سنة ٨٠ حتى سنة ٥١ قبل الميلاد ، وعرف أيضا بـ Auletes[٧] . وآخر من حكم من البطالسة على رأى الطبرى بطلميوس قالوبطرى[٨] . وبطلميوس قالوبطرى هى قلبطرة عند المسعودى[٩] ، وهى كليوباطرة Cleopatra.

ولم يذكر الطبرى شيئا عن قصة « قالوبطرى » . أما المسعودى ، فقد جعلها حكيمة متفلسفة ، مقربة للعلماء ، معظمة للحكماء ، مؤلفة لها كتب ومؤلفات فى الطب والزينة والحكمة ، وتعرض لقصة أنطونيوس معها ، ثم مجىء أغسطس قيصر الى مصر وقصة طلبها الحية من الحجاز[١٠] ، وذكر أشياء أخرى مهمة لها علاقة بالتأريخ الثقافى والدينى والاجتماعى لليونان والروم ، وهى أمور لا تطرب مؤرخنا الطبرى ولا تحرك أوتاره .

وقد روى الطبرى أخبارا تشير الى غزو الفرس لليمن فى الأيام الخالية والى وجود صلات قديمة بين أقدم ملوك الفرس الذين عاشوا قبل الميلاد وبين تابعة اليمن ، ويظهر

---

(١) Ency. Brita, Vol 18, P. 733. قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٤) ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة للدكتور ابراهيم نصحى (١/٩٤) .
(٢) Ency Brita, Vol ,18, P. 733
(٣) الطبرى (٢/١٠) .
(٤) Ency Brita, Vol, 18, P. 733
(٥) الطبرى (٢/١٠) .
(٦) الطبرى (٢/١٠) .
(٧) Ency. Brita., Vol, 18, P 733.
(٨) الطبرى (٢/١٠) .
(٩) المروج (١/٢٥٩) .
(١٠) المروج (١/٢٦٠ — ٢٦١) .

من فحصها وغربلتها أنها ترجع الى ابن الكلبى فى الغالب • فروى الطبرى خبرا نسبه الى ابن الكلبى زعم فيه أن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك اليمن ، كان فى أيام منوشهر ، وهو الذى غزا الهند وأذربيجان[١] ، وروى أيضا أن كيقاوس غزا اليمن والملك يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش ، وكان مصابا بالفالج • فلما أظله كيقاوس ووطىء بلاده فى جموعه ، خرج بنفسه فى جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسره ، واستباح عسكره ، وحبسه فى بئر وأطبق عليه طبقا • فلما سمع بذلك رستم ، خرج بجموعه الى اليمن فاستخلصه من اليمانين[٢] ، وانصرف به الى بابل • وعلق الطبرى على هذه القصة بقوله : « وقد حقق ما ذكر ابن الكلبى من أسر صاحب اليمن قابوس[٣] ، الحسن بن هانىء فى شعر له ، فقال :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها[٤]

ونجد قصة غزو كيقاوس لليمن فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، غير أنها تختلف بعض الاختلاف عن القصة التى رواها الطبرى • ففيه مثلا أن ملك اليمن هو شمر بن فريقس ، وفيه قصة بنت لشمر اسمها سعدى عشقت كيكاوس فكانت تحسن اليه فى خفية من أبيها والى من معه من أصحابه مدة حبسها ، وقدرها أربع سنين ، وفيه أشياء أخرى لم يذكرها الطبرى[٥] ، مما يدل على أن المسعودى قد نقل قصته هذه من مورد آخر • ولم يشر أبو حنيفة الدينورى الى هذه القصة ، وانما أشار الى غزو آخر لليمن قام به الفرس ، وذلك فى أيام كيخسرو بن كيقاوس[٦] •

جواد على

---

(١) الطبرى (١/١٩٧) •
(٢) الطبرى (١/٢٦٤ - ٢٦٥) •
(٣) ويعنى به كيقاوس •
(٤) الطبرى (١/٢٦٥) •
(٥) المروج (١/١٩١ - ١٩٢) •
(٦) الأخبار الطوال (ص ١٥ وما بعدها)

الرياضيات قبل عهد اليونان (*)

معرفة العد والشكل ، ضرورة تقتضيها الحياة الانسانية • وبدء استعمال الأعداد وتمييز الأشكال ، مجهول لدينا • ومهما كانت المنابع الأصلية للرياضيات ، فانها انتهت الينا بتيارين عظيمين : الأول يمثل العدد ، وقد انبثق عنه علما الحساب والجبر وما يتفرع منهما ويبنى عليهما • والثاني يمثل الهيأة والشكل • ثم امتزج هذان العلمان بصورة منطقية منظمة على يد الفيلسوف الفرنسي المشهور (ريني ديكارت) ــ عام ألف وست مئة وسبعة وثلاثين ــ في ملحق كتابه المسمى (الطريقة في العلم) ، وأصبحت الرياضيات علما واحدا متماسكا أخذ ينمو بسرعة حتى أصبح الآن أوسع من أن يحيط به عقل انسان واحد ، ولا نعرف في هذا العصر أحدا ادعى أنه محيط به •

وفيما بين وضع أسماء للأعداد وتوسع هذا العلم الى الحد الذى ذكرناه ، مرت الرياضيات بأدوار كثيرة • ومن الصعب جدا وضع حدود فاصلة بين نتاج دور ونتاج دور آخر • ذلك أن الآراء الرياضية المميزة لهذه الأدوار تتداخل بعضها في بعض فما تم الكشف عنه في أحدها ، ترجع أصوله ومقدماته والتمهيد اليه الى أدوار ماضية ، كما أن فروعه وتكامله تتخطى الحدود الى دور مقبل •

وهذا هو شأن العلم في كل زمان ومكان • فهو سلسلة من الأفكار متصلة الحلقات آخذ بعضها برقاب بعض •

وقد يقول انسان ما : « ان علما من العلوم كمل ولم يبق فيه مجال لابداع جديد »• والحقيقة أن هذا القول يخالف الواقع ، فما من علم يمكن الادعاء بأنه كامل ، ولا مجال فيه لكشف جديد ، لا بل ان بعض القضايا التى كانت تعد حقائق علمية لا جدال فيها صارت فيما بعد موضع نقاش وشك ، وثبت بطلانها • وقد يبقى علم من العلوم جامدا عصورا طويلة ، مما يوحي بأنه بلغ حد الكمال ، ولكن لا يلبث أن ينبري له عقل جبار ينتشله من جموده ، فترى الآراء الجديدة فيه تتدفق كالموج ، وتصبح موضع للدرس والنقاش ، واذا بعلم جديد أو نظرية أساسية عن جريان الطبيعة ظهرت الى الوجود •

ولهذه العقول النافذة وما أودعه الله فيهـا من قابليـات فذة ، فضل كبير على العلم والانسانية • ولكنها في بعض الأحوال تطبع البشرية من بعدها بطابع الجمود والتحجر •

(*) محاضرة ألقيت بدار المجمع العلمى العراقى

ذلك أنها تذهل الناس بعظمتها ، وتبهرهم بنورها ، فلا يجرؤون على نقدها ، أو تفنيد ما فيها من خطأ • مثال ذلك أن عظمة (أرسطو) الفكرية حكمت (أوربة) زهاء ألف عام ، ولما كشف (غاليلو) عن فساد بعض آرائه لاقى فى سبيل ذلك اضطهادا عظيما كاد يودى بحياته • والآراء الجديدة التى قوبلت بالترحيب والقبول حتى فى نواحى العلم البحت ، نادرة • ولكن الأمم الحديثة ، أدركت قيمة البحث العلمى ، فخصصت المبالغ الطائلة لتهيئة وسائله وتنظيمه ، ولم تتركه للجهود الفردية المبعثرة •

ان الكشوف فى علم الرياضيات ـ كما هى فى معظم العلوم الطبيعية ـ نشأت وتقدمت فى الأعم الأغلب بتأثير عاملين أساسيين : أما العامل الأول فهو الحاجة الشديدة اليها ، فهى ضرورة لابد منها فى المعاملات اليومية الاعتيادية فضلا عن أنها علم أساسى تحتاج اليه العلوم الأخرى • فهو الدعامة التى يقوم عليها فن البناء وهندسة المكائن • والكهربا والصناعات الكيمياوية والعلوم الطبيعية كافة نظريا وعمليا • والرياضيات فى التجارة محور الحركة التجارية ، فدفاتر التجار وسجلات البنوك وسندات الديون والرهون ، تقوم على معرفة الأعداد والتعامل بها • وقل مثل ذلك عن زراعة الأرض وريها وغلتها وغير ذلك من الأمور التى لا تقع تحت حصر ، والحقيقة أن الحضارة الانسانية كانت ولا تزال تتوخى الارتكاز على قواعد رياضية • وهى لم تكن لتبلغ هذا الأوج من العظمة والقوة لولا هذا العلم المجرد •

وأما العامل الثانى فهو حب الاستطلاع ، حيث اشتغل بعض ذوى المواهب الرياضية العالية بهذا العلم ، وكشف أسراره ، لما فى ذلك من متعة فكرية ، بصرف النظر عما ينجم عن بحثهم من فوائد مادية لهم أو لغيرهم • مثال ذلك أن (علم المخروطيات) ، أى (علم القطوع المخروطية) الذى اخترعه (مناكموس) تلميذ (أفلاطون) فى القرن الرابع قبل الميلاد ، لم تكن له فائدة ما عملية عند اختراعه • ولكن هذه الفائدة ظهرت بعد مدة تزيد على الألف عام ، حين بحث (كبلر) فى مدار الكواكب السيارة ، واكتشف قوانين سيرها فى أفلاكها • وأمثال ذلك كثير فى تأريخ العلم • وهذا مما يجعلنا نعتقد أن البحث العلمى ليس من الضرورى أن يقتصر على ما له فائدة محسوسة آنية ، أو على ما له صلة بقية العلوم • ذلك أن الحقائق العلمية المكتشفة التى لا تبين لها قيمة عملية عند اكتشافها ، قد تظهر لها فائدة عظيمة فى المستقبل • والزمن كفيل بطمس معالمها اذا انتفت فائدتها •

هذان العاملان الرئيسان ، هما اللذان خدما الرياضيات ، كما خدما العلوم الأخرى • وليس فى الوسع الدخول فى تفاصيل الأدوار التى مرت بها الرياضيات • ولكننا نستطيع

القول بصورة عامة ان الأدوار العظمى فى تاريخها أربعة •

الدور القديم – وأوله مجهول ، وينتهي حوالى القرن السادس قبل الميلاد • وهو تاريخ ظهور (فيثاغورس اليونانى) ، وبدء شيوع استعمال المنطق الرياضي والاستعانة بالبراهين العلمية فى اثبات القضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها •

الدور اليونانى – ويبدأ حوالى القرن السادس ق• م، أى بظهور فيثاغورس كما أسلفنا بيانه ، ويختتم بوفاة (بابس الاسكندرى) حوالى القرن الثالث أو الرابع الميلادى ، وهو آخر رياضي يونانى عظيم •

الدور العربي الاسلامي – ويبدأ بترجمة (كتاب السند هند) ، وربما كان اسمه الحقيقى (براهما سدانتا) لمؤلفه (براهما كوبتا) فى زمن الخليفة (المنصور) عام سبع مئة وست وستين ، وينتهي بسقوط (بغداد) على يد المغول عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨م•

الدور الأوروبى – ويبدأ عام ١٢٠٢م بالكتاب المسمى Liber Abaci ، أى الحساب الحر ، وهو من وضع (ليوناردو فيبوناكسى) من أهالى مدينة (بيزا) الايطالية • وكان هذا الرجل قد درس على أستاذ مراكشى فى مدينة (بوجيه) فى شمال افريقية ، حيث كان والده يشتغل بالتجارة (مشرفا على مستودعات البضائع لتجار مدينة بيزا) ، كما قام بسفرات الى مصر وسورية • وهو فى كتابه هذا يشرح نظام العدية العربية الذى لم يكن معروفا لدى الأوربيين ، ويفضله على جميع نظم العدية الأخرى •

وسنقصر بحثنا اليوم على الدور القديم وحده ، ذلك الدور الذى طوى الزمن أسماء أبطاله وعفى عليها النسيان •

لا يعلم أحد متى بدأت فكرة التمييز بين الأكثر والأقل والأقرب والأبعد وبين شكل وآخر • يحتمل أن هذا التمييز يرجع بأصوله الى الأدوار الحيوانية ، فقد وجد مثلا أن الشمبانزى يدرك أن الخمسة أكثر من الأربعة ، وقسم من الحشرات يميز بين حجم وحجم أصغر منه ، والعناكب تنسج بيوتها على شكل مضلعات منتظمة ومتشابهة ، وبعض الطيور تبنى أعشاشها على أشكال متماثلة متناسقة • أما النحل ذلك الحيوان العجيب فانه يتبع فى بناء خليته قاعدة النهايتين العظمى والصغرى ، والكثير من الحيوانات تدرك أن الخط المستقيم هو أقرب بعد بين نقطتين كما تفعل الطيور حين تقصد محلا معينا •

أما تصور الهيئة والعدد لدى الانسان القديم ، فيعود الى الدور الحجرى القديم • فقد وجدت فى بعض الكهوف فى أسبانية وفرنسة رسوم يعود تأريخها الى ما قبل خمسة عشر ألف عام ، وهى تدل على فهم عجيب للأشكال والهيآت • ولما تطورت حياة الانسان

من مجرد البحث عن القوت الى العمل على انتاجه ، تبدل طراز معيشته من البداوة المتنقلة الى الفلاحة المستقرة ، فأنشأ المساكن والقرى لتحميه من عناصر الطبيعة ومن الحيوانات المفترسة ، وظهرت صناعات بدائية كعمل الخزف وأوليات النجارة والنسيج ، كما قامت بين القرى تجارة امتدت أحيانا الى مئات الأميال • وفى أغلب الظن أن اختراع العجلة واستعمالها فى صنع الخزف وفى التنقل تم فى هذا الدور ، كما صهر فيه النحاس أو البرنز وصنعت منه بعض الأدوات البدائية • وكانت اللغة فى ذلك الوقت تعبر عن الأشياء المحسة وعن قليل جدا من الأمور النظرية المجردة • وتوجد الآن قبائل تعيش فى حالة تضارع حالة أولئك الناس الأقدمين ، ويتجلى من دراسة عاداتهم ولغاتهم ما يلقى ضوءا على طراز الحياة التى كان يحياها البشر قبل آلاف السنين •

والاصطلاحات العددية ــ وهى من الناحية الفكرية المجردة أرقى ما يمكن أن يصل اليه العقل الانسانى ــ لم تظهر فجأة ، ولكنها استغرقت عصورا عديدة •

ويرجح أنها بدأت بشكل وصفى ، لا بشكل كمى ، فقيل « رجل » ، والمقصود رجل واحد ، وقيل « رجلان » ، والمقصود رجلان اثنان ، وقيل « رجال » لما زاد على ذلك • وبعض القبائل المتأخرة لا تعرف من الأعداد الا واحدا واثنين ، وما زاد على ذلك قيل عنه « كثير » • وبالتدريج استعملوا طريقة الجمع للتوصل الى أعداد أكبر •

وهاكم نموذجين من ذلك : ان احدى القبائل الأسترالية عند نهر مورى فى الجنوب الغربى من استرالية ، تعد هكذا : واحد ، اثنان ، اثنان وواحد ، اثنان واثنان ، وهكذا • أما القبيلة الثانية فتقول ما معناه : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اثنان واثنان ، اثنان وثلاثة ، ثلاثة وثلاثة •• الخ • والطفل حين يتعلم العد لأول مرة يتدرج بمثل هذه الخطوات • ثم تطور العد فوصل الى الأساس خمسة • فبعض القبائل تعد هكذا : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة • أما الخمسة فتطلق عليها اسم (يد) ، ثم تعود فتقول : يد وواحد ، يد واثنان •• الخ • وفى الفارسية يقال للخمسة بنج ، ولليد أو الكف بنجه • وفى الانكليزية يقال للرقم ديجيت ، ومعناه اصبع • ويرجح أنه بسبب وجود عشر أصابع فى اليدين أصبح الأساس العشرى فيما بعد شائعا أكثر من غيره • وقد وجدت الى جانبه أسس أخرى لا تزال آثارها باقية الى يومنا هذا ، كالأساس الخماسى الذى أشرنا اليه والأساس العشرينى والأساس الستينى • ولما تركز أساس العد أصبح من السهل التعبير عن أعداد كبيرة بضم العشرات بعضها الى بعض • أما الضرب فقد انبثق عن الجمع ، فبدلا من أن يقال عشرة وعشرة قيل عشرتان ، أى اثنان فى عشرة • أما الكسور فكان

استعمالها نادرا جدا ، ولا شك فى أن النصف أقدمها جميعا • ويلاحظ فى اللغة العربية وفى الكثير من اللغات الأخرى أيضا ، أن كلمة النصف كلمة مستقلة وليست مشتقة من الاثنين اشتقاق كلمة الثلث فان هذه مشتقة من الثلاثة كما أن الربع مشتقة من الأربعة •• الخ ، مما يستدل منه على أن الكسور الأخيرة هذه تم اختراعها بعد اختراع الأعداد بخلاف كلمة « نصف » التى ربما اخترعت قبل ذلك •

أما القياسات فلم تكن فى بادىء الأمر دقيقة أو مضبوطة ، وكانت تتخذ من أعضاء الجسم ، ولا تزال تسمياتها تدل على ذلك كالشبر والفتر والذراع والخطوة • وفى الانكليزية كلمة Foot أى القدم ، لا تزال مستعملة ، وقد دخلت فى صميم الأبحاث العلمية الحديثة •

ولما بدأ الانسان فى أوائل العهد الزراعى ببناء الدور ، كان ينشىء الجدران على خطوط مستقيمة ومتعامدة • كما أن صوغ الخزف على هيأة أوان ونقشه بمختلف الصور والأصباغ ونسج السلال والمنسوجات الأخرى ، قوى فى الانسان ملكة تصور العلاقات المستوية والفراغية بين الأشياء • أما العلاقات العددية ، فقد ظهرت على بعض الادوات الأثرية كالأعدادالمثلثية(*) • فقد كان الانسان فى الدور الحجرى الحديث مولعا بالأشكال والنقوش الهندسية • وكان لقسم من النقوش والأعداد قيمة دينية مقدسة كالأعداد ٣ و ٧ ومن الأشكال النجم ذو الرؤوس الخمسة والصليب المعقوف أى « السواستيكا » ، وهو الذى اتخذه النازيون شعارا لهم فى عهد (هتلر) • وما عدا ذلك فان بعض تلك النقوش ورثتها الأجيال التأريخية ، وشاع استعمالها فظهرت على المزهريات فى الأدوار اليونانية القديمة ، كما ظهرت فى نقوش الفسيفساء عند البزنطيين والعرب ، وفى الأقمشة المزركشة عند الفرس والصينيين •

أما فى الفلك ، فلا شك فى أن الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الأيام والفصول ، لفت نظر الانسان القديم ومراقبته منذ أزمان بعيدة ، كما يستدل على ذلك من بعض آثار العصر الحجرى الأوسط ، وبتوسع الزراعة والتجارة تطورت هذه المعلومات حتى أصبحت أقرب الى العلم منها الى ملاحظات عابرة •

بدأت الحضارة تتقدم بمقياس أوسع ، والهيئات البشرية تتطور لتتخذ شكل حكومات

(*) [نقاط مرتبة على شكل مثلثات]

١ ٣ ٦ ١٠ ١٥

فيها شيء من التنظيم على ضفاف الأنهر الكبرى فى آسية وافريقية حوالى الألف السادس قبل الميلاد • ويرجح أن هذا التطور الحضارى بدأ أولا على شواطىء دجلة والفرات ، ثم ظهر فى جوار نهر النيل ونهر الأندلس ، ثم على ضفاف نهر الكنج ، وأخيرا فى الصين •

وظهرت الرياضيات فى الشرق علما عمليا لحساب التقاويم وادارة المحاصيل وتنظيم الأعمال العامة وجباية الضرائب ، وكان التأكيد فى أول الأمر موجها بالطبع الى الحساب والقياسات للحاجة العملية اليها • على أن الأمر لم يقتصر على الكشف عن المعلومات الرياضية واختراع الأساليب الجديدة فيها واستخدامها عمليا حيث تمس الحاجة اليها ، بل تعدى ذلك الى ضرورة تعليم أسرارها ، لضمان نقلها من جيل الى جيل ، والعمل على رفع مستواها لتوفى بحاجات التقدم الحضارى • وقد أدى ذلك بالتدريج الى دراسة العلم للعلم نفسه ، واجراء الكشوف فيه لمجرد اللذة الفكرية ، فتطور الحساب الى الجبر ، وتطورت القياسات الى مبادىء الهندسة النظرية •

ومن الصعب تعيين تواريخ الاكتشافات العلمية فى مثل تلك العصور البعيدة ، خاصة وأن عوامل عديدة عملت على ازالة الكثير من معالم التراث العلمى والحضارى ، منها الغزو والاحتلال والتطاحن على تولى الحكم والسلطان بين الأسر القوية فى الداخل والفيضانات الكبيرة التى تصل أحيانا الى حد الطوفان • ولكن البابليين كانوا أكثر توفيقا من غيرهم ، ذلك أنهم كانوا يدونون الحوادث على ألواح من الطين يفخرونها فلا تعطب سريعا ، بخلاف الصينيين والهنود الذين استعملوا مواد سريعة التلف كقشور الأشجار والخيزران • أما المصريون فقد استعملوا أوراق البردى التى بقى قسم لا يستهان به منها بسبب جفاف المناخ ، ولذلك فان معلوماتنا عن الرياضيات القديمة تكاد تكون محصورة بالبابليين والمصريين •

وكان المظنون الى زمن قريب أن أهم الكنوز فى الرياضيات القديمة تقع فى مصر • ولكن الاكتشافات فى العشرين سنة الأخيرة التى قام بها العلامة (نيكباور) والعلامة (ثورو دانجين) بحلهما ألغاز عدد كبير من الكتابة على ألواح الفخار ، بينت أن العلم الرياضى فى بابل كان أرقى منه فى سواها •

ان أساس الحضارتين القديمتين فى مصر والعراق ، أساس زراعى كما أسلفنا ذلك ، والاقتصاد الزراعى يعتمد بالضرورة على معرفة دورة الفصول السنوية ومواعيد الحرث والزرع والحصاد ، كما يتطلب حفر الترع وانشاء السداد وتوزيع المياه واقامة

مخازن للغلال وانشاء المباني لمختلف الأغراض الأخرى • وكل ذلك له علاقة وثيقة بالحساب والقياسات •

على أن الوضع فيما بين النهرين ، كان يمتاز عن الوضع في مصر من ناحيتين : الأولى أن الحالة الاقتصادية فيها كانت أكثر تقدما ، لأن بابل كانت سوقا تجارية عظيمة تلتقي فيها القوافل التجارية الكبيرة من مختلف جهات العالم ، بخلاف مصر التي كانت في شبه عزلة • والثانية هي أن ضبط فيضانات دجلة والفرات الفجائية ، التي تبلغ أحيانا حد الجنون ، كانت تتطلب مهارة فنية وادارية أكثر مما يستدعيه نهر النيل الوديع الهادئ • وقد يكون لهذين العاملين أثر في تنشيط الفكر الرياضي في العراق أكثر مما في مصر في ذلك التأريخ •

ان حساب طول السنة وتاريخ تقديره بصورة قريبة جدا من الحقيقة ، أمر مختلف فيه • وبعض المؤرخين يضع عام ٤٢٤١ قبل الميلاد بانه العام الذي اعتبرت فيه مصر السنة اثنى عشر شهرا ، والشهر ثلاثين يوما ، وأضافت فوق ذلك خمسة أيام عدتها أعيادا ، وبذلك بلغ طول السنة ٣٦٥ يوما ، وهو أقل من السنة الحقيقية بخمس ساعات وثمان وأربعين دقيقة وست وأربعين ثانية تقريبا •

أما في العراق ، فيقول المؤرخون : ان السومريين كانوا يضعون بدء السنة في يوم الاعتدال الربيعي (٢٢ آذار) ، وذلك منذ عام ٥٧٠٠ قبل الميلاد • وبعد ألف سنة من ذلك ، أي حوالي عام ٤٧٠٠ قبل الميلاد ، سموا الشهر الأول من السنة باسم الثور : لأن الشمس كانت في برج الثور عند الاعتدال الربيعي في ذلك التاريخ • ولا شك في أن مثل هذا التقدير الدقيق يتطلب مهارة حسابية ، مما يستدل منه على أن القوم كانوا قد برعوا في الحساب قبل ذلك التأريخ بزمن طويل •

ان معظم معلوماتنا عن الرياضيات في مصر مستمدة من مصدرين : الأول ورقة بردى تسمى (ورقة رايند) باسم العالم الآثاري الانكليزي (هنري رايند) ، وقد اكتشفت في أواسط القرن التاسع عشر ، ويقال انها كتبت عام ١٦٥٠ ق• م، وتتضمن خمسا وثمانين مسألة • والمصدر الثاني ورقة بردى أخرى ، وتسمى (ورقة موسكو) ، وهي أقدم من الأولى بزهاء مئتي عام ، وتتضمن خمسا وعشرين مسألة • ويقال ان محتويات الورقتين كانت معروفة و متداولة قبل تدوينها بزمن طويل •

ويظهر من هاتين الورقتين أن العد كان على أساس عشري • أما في كتابة العدد ، فكان يستعمل رمز خاص لكل مرتبة عشرية جديدة •

وقد أسس الرومانيون نظامهم العدى وبنوه على الفكرة نفسها • فالرقم ١٦٧٨ يكتبه الرومان هكذا : MDCL × × III

وعلى مثل هذا النظام أقام المصريون نوعا من الحساب تغلب عليه صفة الجمع ، ونعنى بذلك أن عملية الضرب كانوا يجرونها بتكرار الجمع •

أما المسائل الواردة فى المصدرين المذكورين ، فلا يتعدى معظمها المعادلات السهلة ذات المجهول الواحد ، مثل : ما الكمية التى اذا أضفت اليها ثلثيها ونصفها وثلاثة أسباعها كان الناتج ثلاثة وثلاثين ؟

أما الأمر البارز فى حساب الكسور عند المصريين القدماء ، فهو أنهم كانوا يحولون الكسور من نوع $\frac{٢}{ه}$ الى مجموعة من وحدات الكسور ، أى التى يكون بسط كل منها واحدا • مثال ذلك : $\frac{٢}{٧} = \frac{١}{٤} + \frac{١}{٢٧}$ و $\frac{٢}{٩٧} = \frac{١}{٥٦} + \frac{١}{٦٧٩} + \frac{١}{٧٧٦}$

وتتضمن (ورقة رايند) جدولا بالكسور التى مقاماتها أعداد فردية ابتداء من الخمسة الى الثلاث مئة والواحد والثلاثين مع تحويلها الى وحدات كسرية كما بينا •

وهذا الاتجاه مع أنه يتطلب شيئا من المهارة فى الحساب ، أدى الى ايقاف نمو العلم فى حدود ضيقة • ولا تعرف بالضبط الطريقة التى اتبعها الحساب المصرى فى تحويلاته هـذه •

وتطرق المصريون فى بعض المسائل الى المتواليات العددية والهندسية • مثال ذلك : كيف توزع مئة رغيف من الخبز بين خمسة رجال ، بحيث تكون الحصص على شكل متوالية عددية ، وبحيث يكون سبع مجموع الحصص الكبرى الثلاث مساويا لمجموع الحصتين الصغريين ؟ أو سبعة بيوت ، فى كل بيت سبع قطاط ، ولكل قطة سبع فئران ، ولكل فأرة سبع سنابل ؟ وغير ذلك مما يدل على معرفتهم دستور مجموع المتوالية الهندسية والعددية •

أما المسائل ذات الصبغة الهندسية ، فيفهم منها أنهم كانوا يعرفون أن مساحة المثلث تساوى نصف حاصل ضرب القاعدة فى الارتفاع ، وأن مساحة الدائرة تساوى $(ن - \frac{ن}{٩})^٢$ ، وهى تساوى $(\frac{١٦}{٩})^٢$ نق^٢ ، ومنها يظهر أن النسبة الثابتة هى $\frac{٢٥٦}{٨١}$ أى ٣٫١٦٠٥ •

كذلك كانوا يعرفون كيفية ايجاد حجم المكعب والمتوازى السطوح والأسطوانة الدائرية ، وحالة واحدة من النظرية التى سميت فيما بعد (نظرية فيثاغورس) ، وهى أن المثلث الذى أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ هو مثلث قائم الزاوية •

على أن أعجب ما اكتشفه المصريون هو دستور حجم الهرم الرباعى الناقص ، وهذا الدستور هو (أ٢ + أب + ب٢) ، على اعتبار أن ع هى الارتفاع بين القاعدتين ، وأن أ هى ضلع احدى القاعدتين المربعتين ، وأن ب ضلع القاعدة المربعة الأخرى • ولا تزال كيفية توصلهم الى هذا الدستور الصحيح مجهولة • وقد ثبت نهائيا أنهم لم يبرهنوا على صحة هذا الدستور •

أما فى بابل ، فقد وصلت الرياضيات الى درجة لم تبلغها جميع الأقوام المعاصرة لها • فالنصوص الرياضية السومرية التى تعود الى عهد الأسرة الثالثة فى (أور) ، التى كتبت قبل أربعة آلاف عام ، تدل على قابلية حسابية ثاقبة • وتحوى هذه النصوص جداول للضرب على وفق نظام ستينى محكم ومبنى فوق أساس عشرى ، وتتضمن رموزا للواحد وللستين و ل٦٠.٢ وأيضا ل٦٠.١- و ل٦٠.٢- أى $\frac{١}{٦٠}$ 6 $\frac{١}{٣٦٠٠}$ •

ولكن أبرز خاصية فى حسابهم ، استعمالهم النظام الموقعى للأرقام • ففى الوقت الذى كان فيه المصريون يستعملون رمزا جديدا لكل مرتبة عشرية ، كان البابليون يستعملون الرمز نفسه • ولكن قيمة الرمز ، أى الرقم ، تتعين بموجب موقعه من العدد • وعلى ذلك فان واحدا اذا أتبع بواحد ، أى ١١ ، كان المقصود بذلك (٦١ واحدا وستين) • واذا كتبوا (٢ ، ٣ ، ٤) مثلا فان ذلك يعنى ٢ + ٣ × ٦٠ + ٤ × ٦٠٢ = ١٤٥٨٢ •

وتعيين قيمة العدد بموجب مواقع أرقامه هو النظام الذى نتبعه فى الوقت الحاضر ، حيث نقول ان للرقم قيمتين : احداهما قيمته المطلقة ، والأخرى قيمته النسبية ، أى بالنسبة الى موقعه بين مراتب العدد • فالعدد (٤٣٢) يعنى ٢ + ١٠ × ٣ + ١٠٢ × ٤ • والقيمة الموقعية للرقم ٤ هى (٤٠٠) ، ولكن قيمته المطلقة أربعة فقط •

ولهذا النظام الفاخر الذى ابتكره البابليون مزايا عظيمة فى تسهيل الحساب ، وهى التى فتحت أبواب التقدم فى هذا العلم • وما عليك الا أن تجرى عملية ضرب بالأرقام الرومانية وتقارنها بالعملية نفسها على الطريقة المتبعة فى الوقت الحاضر ، لتجد البون الشاسع بين الطريقتين • ثم ان هذا النظام أزال الكثير من الصعوبات فى حساب الكسور ، كما أغنتنا الكسور العشرية فى الوقت الحاضر عن استعمال الكسور الاعتيادية فى الكثير من الأحوال •

على أنه كان فى هذا النظام الذى مر ذكره ناحيتان غامضتان ، احداهما أن مواقع المراتب لم تكن واضحة ، بل يقتضى استنتاجها من سياق المسألة • مثال ذلك : أن العدد ٢،٣،٤ الذى مر ذكره ، يجوز أن يكون معناه : ٢ × ٦٠-١ + ٣ × ٦٠٠ + ٤ × ٦٠١ =

٢٤٣ ، لا ١٤٥٨٢ كما بينا •

أما الأخرى التي يكتنفها الغموض ، فهي وجود فراغ في مكان الصفر ، فعدد مثل ١٢ر٣ يجوز أن يعنى ٣ + ١٢ × ٦٠^{٢} = ٤٣٢٠٣ ، ولكنهم فطنوا الى ذلك فيما بعد ، ووضعوا رمزا خاصا للصفر ، وذلك في العهد الفارسي لبابل •

والنظام الستيني لا تزال آثاره باقية الى يومنا هذا • فالساعة مقسمة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ٦٠ ثانية • أما الدائرة فمقسمة الى ٣٦٠° درجة ، والدرجة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية •

أما النظام الموقعي في كتابة الأعداد ، فهو النظام الذي استقرت عليه البشرية ، وسيبقى خالدا • وهو اختراع لا يقل قيمة عن اختراع حروف الهجاء • فكل من هذين الاختراعين أزال طريقة رمزية معقدة ، وأحل مكانها طريقة رمزية سهلة يمكن أن يمارسها حتى الطفل الصغير •

ومن المناسب أن نقول هنا : ان الهنود واليونان عرفوا الرياضيات البابلية بالاتصال التجاري • ومن المحتمل جدا أن الهنود اقتبسوا عن البابليين النظام الموقعي في كتابة الأعداد فغيروه الى نظام موقعي عشري بدلا من ستيني • ويلوح لي أن النظام الستيني بقي معروفا في العراق حتى الفتح الاسلامي ، ولم ينتبه اليه العرب لانشغالهم بالفتوحات والسياسة • لذلك لما ترجم (كتاب سيدانتا) في زمن (أبي جعفر المنصور) الى اللغة العربية ، لم يكن ما ورد فيه مستغربا ، ولم يلاق مقاومة ؛ لأنه يتفق مع ما كان معروفا في العراق سابقا من حيث الأساس ، بخلاف الحالة في أوربة حيث استغرق الأمر مدة تزيد على ٢٠٠ سنة بين دخول الأرقام العربية وبين قبول استعمالها وانتشارها ، وسبب ذلك وجود نظام العد الروماني الذي يختلف أشد الاختلاف عن النظام الموقعي •

وقد أخبرني أحد الأصدقاء أن الصابئة حتى اليوم يميلون الى العد بالستينات بدلا من العشرات • فاذا صحت هذه الرواية يكون ذلك على الأرجح من بقايا النظام الستيني القديم •

وتوجد مجموعة ثانية من النصوص الرياضية البابلية تعود الى أيام حمورابي عام ١٩٥٠ ق• م ، وفيها نجد الحساب قد تطور الى جبر ، مما يدل على أن الدافع العلمي والمتعة الفكرية أخذا يستحثان مفكري ذلك العصر على الابداع العلمي ، اضافة الى الحوافز المادية التي تقتضيها حضارة ذلك العصر • ويظهر من هذه النصوص أنهم لم يقفوا عند حل المعادلات الخطية (أي المعادلات من الدرجة الأولى) كما وقف المصريون ،

بل هاجموا المعادلة ذات الدرجة الثانية وحلوها ببراعة ممتازة ، كما حلوا المعادلات ذوات المجهولين من الدرجتين الأولى والثانية • وقد وجدت بين المسائل مسألة يؤدى حلها الى معادلات ذوات عشرة مجاهيل • ومع أنهم اقتصروا على حل المعادلات التى تكون معاملاتها أعدادا معينة ، فانهم ــ كما يظهر من عشرات المسائل العويصة التى حلوها ــ كانوا على علم تام بالقواعد العامة للحل •

ولابد لنا من الاشارة الى أنهم لم يدونوا معادلاتهم على الشكل المعروف الآن ولم يستعملوا رموزا للمجاهيل أو رموزا تقضى باجراء عمليات حسابية معينة كاشارة الجمع او الطرح أو غيرها ، ولكن الحل كان يجرى على شكل تعليمات • مثل : أضف العدد الفلانى يكن الناتج كذا ، واطرح العدد الفلانى وربع الناتج •• الخ تكن النتيجة كذا ، وهى الجواب •

ويتضح من ذلك أية عقول جبارة كانت تلك التى استطاعت أن تبدع هذه الطرق العلمية بمثل تلك الوسائل الساذجة ، وهاكم نموذجا من مسائلهم : جمعت مساحة مربع مع طول ضلعه وثلث طول ضلعه ، فكان الناتج $\frac{١١}{١٢}$ ، فما طول الضلع ؟ الحل: أضف الواحد الى الثلث يكن الحاصل $١\frac{١}{٣}$ • خذ نصف الحاصل وهو $\frac{٢}{٣}$ وربعه يكن $\frac{٤}{٩}$ ، أضفها الى $\frac{١١}{١٢}$ تحصل على $\frac{٤٩}{٣٦}$ • خذ جذرها واطرح منه $\frac{٢}{٣}$ تحصل على $\frac{١}{٢}$ ، وهو طول ضلع المربع • وهذه هى طريقة اكمال المربع الحاضرة نفسها •

مثال آخر : مساحة قدرها ١٠٠٠ وحدة تتألف من مربعين ، ضلع أحدهما ثلثا ضلع الآخر ناقصا ١٠ ، فما ضلع كل من المربعين ؟ وهذه بالطبع تؤدى اذا استعملنا رموزنا الحاضرة الى : $س^{٢} + ص^{٢} = ١٠٠٠$ و $ص = \frac{٢}{٣} س - ١٠$

ومنها تنتج المعادلة من الدرجة الثانية :

$$\frac{١٣}{٩} س^{٢} - \frac{٤٠}{٣} س - ٩٠٠ = ٠$$

والجواب يكون ٣٠ ، وقد وجدوا هذا الجواب الصحيح • أما الطرق التى استعملوها ، فهى عند التحليل النهائى الطرق التى نستعملها الآن بعينها ، وهى طريقة اكمال المربع أو طريقة الدستور • والحقيقة أن طريقة الدستور مستنبطة من طريقة اكمال المربع ومبنية عليها • ويمكننا عد الطريقتين طريقة واحدة • ولكن الأسلوب الذى ساروا عليه فى حل بعض معادلات الدرجة الثانية حين يكون معامل $س^{٢}$ عددا غير الواحد هو العمل على جعل المعامل مربعا كاملا بضرب طرفى المعادلة بالمعامل نفسه • مثال ذلك :

٥س^{٢} — ١٢ س = ٩ تصبح بعد ضرب الطرفين ب٥

(٥ س)^{٢} — ١٢ (٥س) = ٤٥

ويعد ٥ س هو المجهول ، وبذلك تصبح المعادلة من النوع ص^{٢}—١٢ص = ٤٥

وقد وضع البابليون جداول للكسور ، وذلك لأن القسمة عملية أصعب من الضرب. وكانت الجداول تتضمن الـ $\frac{١}{٢}$ والـ $\frac{١}{٣}$ والـ $\frac{١}{٤}$ والـ $\frac{١}{٥}$ ... الخ ، أى من التى تكون مقاماتها من عوامل أو مضاعفات الـ ٦٠ ، وتجنبوا بمهارة الكسور من نوع $\frac{١}{٧}$ ، $\frac{١}{١٢}$ .. الخ ، ووضعوا جداول للضرب بأعداد مثل ٧ و١٠ و ١٢$\frac{١}{٢}$ و ٢٤ — الخ ، وجداول المربعات الأعداد ومكعباتها . وهى مما يستفاد منها أيضا فى ايجاد الجذور التربيعية والتكعيبية . ووضعوا جدولا آخر يتضمن مجموع مكعب عدد ما ومربعه ، أى ﻫ^{٣} + ﻫ^{٢} من الواحد الى الثلاثين ٣٠ . وقد استعانوا بهذه الجداول على حل المعادلات ففى حل المعادلة التكعيبية من النوع س^{٣} + بس^{٢} + ح= . لو عوضنا عن س ب (ب ص) ، أصبحت المعادلة :

ب^{٣} ص^{٣} + ب^{٣} ص^{٢} + ح= . ومنها

ص^{٣} + ص^{٢} = — $\frac{ح}{ب^{٣}}$

وبالاستعانة بالجدول الذى أشرنا اليه ، وهو الذى يتضمن مجموع مكعب عدد ومربعه ، تستخرج قيمة ص ومنها قيمة س .

ثم ان المعروف أن البابليين كانوا قد اصطلحوا على مقاييس للأطوال والأوزان ، واستعملوا حساب الفائض البسيط والمركب منذ ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ويظهر أنهم كانوا قوما حريصين على المال ، مقدرين ماله من أثر فى القوة والسلطان . وبسبب تعاطيهم للربح المركب تعرضوا للمعادلات الأسية ، وهى الاساس الذى قامت عليه اللوغاريتمات. وحاولوا استخراج الجذر التربيعى لأعداد لم يرد لها ذكر فى الجداول بموجب قواعد تقريبية ، حتى انهم استطاعوا أن يجدوا الجذر التربيعى لأقرب رقمين عشريين ، فاستخرجوا أن $\sqrt{٢}$ = ١$\frac{٥}{١٢}$ = ١٫٤١٦٧ . أما الجذر الحقيقى ، فهو ١٫٤١٤٢ .

أما $\frac{١}{\sqrt{٢}}$ فوجدوا قيمته $\frac{١٧}{٢٤}$ وهى ٠٫٧٠٨٣ والقيمة الحقيقية هى ٠٫٧٠٧١ ولكن العجيب أن قيمة ط أو باى Π وهى النسبة الثابتة بين محيط الدائرة وقطرها ، فقد كانت ٣ ولم يستطيعوا تقريبها أكثر من ذلك . على أن الأستاذ طه باقر أعلمنى أن آخر ما اكتشف هو أن ط = $\frac{٢٥}{٨}$ = ٣٫١٢٥ على حين أن القيمة الحقيقية له هى ٣٫١٤١٦ وبذلك كانوا أقرب من المصريين الى القيمة الحقيقية . وفى حلهم لأحدى المسائل

الفلكية بلغوا بحساباتهم الى ١٧ سبع عشرة مرتبة ستينية .

والحقيقة أنهم كانوا أول فلكيين مضبوطين . وأسباب عنايتهم بالفلك هى أهميته فى حساب السنين والمواسم من جهة ، ولاعتقادهم بأثر الكواكب فى مصاير الناس وسير الحوادث من جهة أخرى .

أما فى القضايا الهندسية ، فقد عرف البابليون القواعد الصحيحة لمساحات الأشكال المستوية البسيطة كالمستطيل والمثلث وشبه المنحرف والدائرة ، كما كانوا يعرفون كيفية ايجاد حجم متوازى المستطيلات والمنشور القائم والاسطوانة الدائرية القائمة ، ويعلمون أيضا أن الزاوية المحيطية المرسومة فى نصف دائرة تكون زاوية قائمة ، كما كانوا يعرفون نظرية (فيثاغورس) قبل فيثاغورس . وهى أن المربع المنشأ على وتر الزاوية القائمة يساوى مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين . ويعرفون أيضا أن الأضلاع المتناظرة المحيطة بزاويتين متساويتين من مثلثين متشابهين تكون متناسبة .

والحقيقة أن البابليين فاقوا اليونانيين فى اخضاع العدد وبزوهم بدقة الحساب ، ولم يلحق بهم اليونانيون حتى فى أرقى عصورهم . ولكن اليونانيين على ما يقول المؤرخون الغربيون تفوقوا عليهم بالمعالجة المنطقية للقضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها . ويقول معظم مؤرخى الرياضيات من الغربيين ان العقلية الشرقية جامدة ساكنة ، وهى ان استطاعت أن تحل بعض القضايا المنفردة هنا وهناك فهى ليست بقادرة على استنتاج الكليات من الجزئيات بالبرهان المنطقى المعقول المقبول . وهذا مما يأخذونه على البابليين ، اذ يقولون ان هؤلاء حلوا الكثير من المسائل ، وعرفوا الكثير من القضايا ، ولكنهم لم يضعوها بدستور عام ، ولم يبرهنوا على صحتها عامة ببرهان منطقى ، بخلاف العقلية الغربية التى تجلت عند اليونان الذين استعانوا بالبراهين المنطقية فى وضع قواعد عامة تشمل جميع الحالات المماثلة . وأود أن أبين بعض الملاحظات حول ذلك . لا من باب الدفاع عن العقلية الشرقية ، ولا بقصد ادحاض هذه الأقوال ، انما هى اجتهاد أعرضه للأنظار وقد أكون مصيبا فيه كما يمكن أن أكون مخطئا .

أولا ـ ان العلم اليونانى قام على أساس ما تعلمه اليونانيون واقتبسوه من بابل ومن مصر فى أثناء زياراتهم لهذه البلدان للتجارة أو للاستطلاع والاستفادة العلمية . وما يدرينا أنهم لم يأخذوا البرهان المنطقى عنهم ؟

ثانيا ـ ان الكتابة ، على الحجارة ليست بالأمر السهل ، والرجل العملى لا تهمه البراهين المنطقية ، انه يريد طريقة عامة تعطيه نتائج صحيحة . ولذلك لا تبقى حاجة

الى الدخول فى براهين منطقية مطولة يصعب تسجيلها بمثل تلك الوسائل ويصعب على الرجل العملى فهمها •

ثالثا – ان الرياضيات فى الشرق قامت على أكتاف الموظفين والكهان ، ومثل هؤلاء ليس من مصلحتهم أن يزاحمهم أحد بالوقوف على أسرار العلم الذى هو مصدر قوتهم وسلطانهم ، ولعلهم كانوا يعلمونها لأبنائهم أو لأقربائهم أو للغرباء الذين لا يخشون مزاحمتهم كاليونانيين مثلا أو الكهان ، بخلاف اليونان اذ قام العلم عندهم على أكتاف أناس ليسوا من الموظفين ، بل كانوا طبقة من المفكرين الذين يهمهم أن يكون لعلمهم قيمة لدى الناس فيستفيدون من ذلك • وقوة الدعاية للنفس فى الغرب كانت دائما أقوى مما هى فى الشرق •

رابعا – ان بابل تعرضت للغرق وللغزو أكثر مما تعرضت له مدن اليونان ، فأدى ذلك الى تلف الكثير من النصوص أو تدميرها اما من قبل العدو واما من قبلهم أنفسهم لكيلا تقع بيد العدو •

خامسا – ان المرحلة العلمية التى وصل اليها البابليون فى الرياضيات لا يصح أن تكون وليد المصادفة والالهام ، ولا يمكن أن تقوم على التخمين والحزر وحدهما حتى ولا على القياس بالآلات المعروفة فى ذلك الوقت ، بل انها بلا شك كانت مبنية على تفكير صحيح ومنطق سليم وقواعد عامة استنبطوها وحلوا بموجبها عشرات القضايا • ولو كانوا حقا من ذوى العقول الجامدة أو المحافظة لما تقدم العلم عندهم ولما أبدعوا شيئا جديدا •

محيى الدين يوسف

المراجع

(١) Development of Mathematics By E. T. Bell

(٢) An Introduction to Mathematics By A. N. White head

(٣) History of Mathematics By D. E. Smith.

(٤) A concise History of Mathematics By D. J. Struik

(٥) A Histor of Mathematics By F. Cajori

(٦) قضايا رياضية أخرى من تل حرمل وتعليقات على الرياضيات البابلية للأستاذ طه باقر ، مجلة سومر م٧ ج٢ س ١٩٥١م •

بحث في سلامة اللغة العربية

ـ ٢ ـ

المصطلحات العلمية والفنية الحديثة

في سنة ١٨٩٠م استطاع كليمنت أدر أحد المهندسين الفرنسيين أن يحقق أول طيران بآلة من الآلات ، سماها « آفيون » avion مشتقـا لهـا من « آفيس » avis اللاتينية ، أي الطائر ، وهي الطيارة المعلومة . ثم وافق المجمع العلمي الفرنسي على استعمال هذا الاسم لتلك الآلة ، واشتق منه مصدر آفياسيون aviation أي الطيران .

من المعلوم أن « الطائر » ذو وجود في العالم المشهود ، وكان ينبغي أن لا يؤخذ اسمه لتسمى به الآلة الطائرة الجديدة ، الا أن الذي سوغ الأخذ ، هو كون الاسم الجديد مشتقا من القديم ، وكون الشعب الذي يستعمل الجديد لا يستعمل القديم فهو عنده بمنزلة الأسماء الميتة ، بله أن ذوي الأكثرية منه يجهلونه ؛ لأنه بلغة خاصة الخاصة وان كانت هي اللغة الأم .

ذكرنا ذلك للاستدلال على جواز الرجوع الى الكلمات القديمة المهملة في المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية الحديثة ، مع بعض التصرف أو الاشتقاق ان دعت الحاجة الى أحدهما . ومن البين الراهن أن المجامع اللغوية في العالمين أسست لهذا وأمثاله ، ولولا ذلك لضؤلت فائدتها حتى التفاهة ، ولأخذت المصطلحات بأعيانها وألفاظها ، فليس بالناس حاجة الى جماعة مختارة يقولون لهم « ان الأكسبرس هو الأكسبرس » .

ذكرنا في القسم الأول من البحث أن اللغة نظام القومية للأمة وقوامها ، وأن أرشد السبل في الحفاظ على سلامة اللغة وصحتها الاقتصاد والاستقامة . فلا يجوز التفريط فيها ولا الانتقاص لها ولا الاستهانة بها ، بدعوى أن هذه المصطلحات جديدة وأن اللغة قديمة ، ولاسيما أن اللغة العربية هي أوسع اللغات الحية اشتقاقا ، وأرحبها نطاقا .

أسس قطار السكة الحديد بالعراق في أيام حكم العثمانيين ، وكانت اللغة الفرنسية أشيع اللغات الغربية فيه ، فسموه « شمن دفر » بالاسم الفرنسي ، وبعد الاحتلال الانكليزي للعراق ترك الناس الاسم الفرنسي وسموه « ريل واي » ، ثم استثقلوه فقالوا « ريل »

حتى وضع له بعض الأدباء اسم « القطار » ، آخذا له من الجمال المقطورة وهى القطعة من الابل يلى بعضها بعضا فى السير على نسق . وقد شاع اسم القطار فى مصر قبل العراق ، الا أن المصريين كانوا يسمونه بالجمع « القطر » ، وهو جائز ؛ لأن كل قسم من العربات يؤلف قطارا ، وكان يضاف فيقال « قطار السكة الحديد » . ثم اكتفى بالقطار وحده ، وصار الناس لا يفهمون من لفظ « القطار » الا هذه العربات المتصل بعضها ببعض التى تجرى على السكة الحديد ، وسميت العربة الآلية التى تسحبها « القاطرة » ، وإياها عنى بعض الشعراء العصريين بقوله :

وقاطرة ترمى الفضا بدخانها وتملأ وجه الأرض فى سيرها رعبا

وكان شيوع استعمال « القطار » لقافلة الحديد المتحركة مستغربا مع وجود القطار فى الصحارى والمسالك ، الا أن الذى منع الالتباس وأقنع الناس هو أن « القطار » القديم قد بطل استعماله أو كاد ، فلا ينصرف الذهن عند سماعه لفظ « القطار » الى الجمال المقطورة ، واذا زال الالتباس أصبح استعمال اللفظ سائغا حسنا ، هذا الى أن ذوى العدد من العرب والمتكلمين بالعربية العصرية لا يعرفون معنى « القطار » القديم .

ولما أدخلت « السيارة » العراق كانت تسمى « أوتوموبيل » وكان ذلك فى أثناء حكم العثمانيين أيضا ، وكان أهل السواد يستثقلون هذا الاسم فجعلوه « اطراميل » ، وغيره البدو الى « اطرمبيل » . وبعد دخول الانكليز العراق مال فريق كبير الى الاسم الانكليزى « موتوركار » ، واستمر التنازع بين اطراميل وموتوركار حتى ظهرت لفظة « السيارة » وأظنها من وضع العالم المرجوة له الرحمة « أحمد زكى باشا » ، فقتلت الاسمين الغربيين ، وأصبح العامى فضلا عن الخاصى يأنف من استعمال الكلمة الغريبة فلا يعرف السيارة الا باسم « السيارة » . والسيارة هى القافلة وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، الا انها لا تستعمل فى اللغة العصرية ، فلذلك لم يخش التباس السيارة الحديد بسيارة القافلة ، وان كانتا تلتقيان أحيانا فى الصحراء ، وما أدرى كيف وضع السيارة واضعها ؟ أنظر الى من فيها من الركاب فاعتدهم سيارة أم أراد الدلالة على سرعة سيرها ؟ وأيا كان الأمر ، فقد غلب الاستعمال كل جدال ؛ لأن للسيارة صلة بالسير الذى هو المراد بهذه الآلات .

وكذلك القول فى «الكهرباء» و «السلك والأسلاك» و «السماعة» و «الناقلة» و «الاذاعة» و « المصفى » و « السكة » و « الدراجة » و « البندقية » و « الباخرة » و « البارجة » و « الطابعة » و « الجريدة » و « المجلة » و « اللاقطة » و « الكلية » و « الجامعة »

و « الخنزيرة » لآلة من الحديد ، و « المفل » و « المحرك » و « البرقية » وعشرات غيرها ما تحضرني الآن ، بله المصطلحات العسكرية على اختلاف فنونها مما يجده الطالب له فى « المعجم العسكرى » الذى أثبت أصوله جماعة من المترجمين البارعين .

لاشك فى أن المصطلحات هى من أعمال الخاصة لا العامة ، فليس لنا أن نلوم العامل ولا الصانع على استعمالهما الأسماء الغربية بأعيانها ، فذلك لأنهما لم يجدا من يسمى لهما المسميات الغربية بأسماء عربية ، يضاف الى ذلك أن كثيرا من المترجمين للغات الغربية لم يكونوا ممن يعول عليهم فى العربية فنقلوا مصطلحات العلوم والفنون بحروفها ولم يستطيعوا وجدان ما يقابلها فى اللغة العربية .

ولم يكن السبب فى شيوع كثير من الألفاظ الغربية خفتها على اللسان ، كما يظن جماعة من الباحثين ، فالسينما خفيفة بكونها مختصرة ، ولكن الفوطغراف والزنكغراف والآرتيست والدبزيتو ثقيلة ، وانما السبب فى ذلك ما ذكرنا من استعمال العامة للألفاظ الغربية وجهل المترجمين باللغة العربية ، على أن العامة يميلون بطبعهم الى الاقتداء بالخاصة ، فلذلك سرعان ما يتركون الاسم الغربى ويستعملون الاسم العربى اذا رأوه مستعملا عند الخاصة ، فجانب العامة مأمون من حيث المصطلحات ، وانما يجب أن يزودوا أسماءها لكى يستعملوها ولا يهملوها .

ومما قدمنا يعلم أن شيوع الأسماء الغربية فى المصطلحات لا يعنى عجز اللغة العربية ، بل يعنى تهاون أبنائها ، وتقصير علمائها ، وضعف المترجمين فى نقلهم ، واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية حين يلوون أشداقهم ويطيلون أنفاسهم ويركزون احساسهم فى التلفظ بها ، فهؤلاء لا يلتفت الى غمزهم للغة العربية ولا يؤخذ بأقوالهم فى أمر مصطلحاتها .

وعاش بين العرب فى أوطانهم أقوام لا يتصلون بهم فى خلق ولا دين ولا شعور ، وكانوا يتعمدون استعمال الاصطلاحات الغربية ، ويتوفرون على اذاعتها بين الناس ليوهنوا هذه اللغة الأصيلة ، ويسيئوا الى أهلها بسبيل غير منظور ، وبذلك أصبحت اللغة تحت وطأة جمهرة من الكلمات الثقيلة البغيضة غير العربية ، كالكمبيالة والدبزيتو والسيكورتاه والجيرو والجيكينك والفانسو والطابو والتياترو والكورنيش والبروتوكول والأتيكيت والأوتوماتيك والميكانيك والفونيتيك والدبلوم والدبلوماسية والكلاسيك والكلاسيكى والليسانس والماكياج والدوبلاج والبلاج والكراج ، وعشرات أخرى من الكلمات شذت عنى الآن ولا أرى فائدة فى البحث عنها ؛ لأن غايتى التمثيل والتعليل لا الجمع والتطويل .

والذين يحرصون على استعمال المصطلحات العربية ، لا يجدون للاحتجاج لفعلهم حجة أقوى من أن اللغة العربية لم تعرف تلك المسميات ، وأن ما اختير منها من الكلمات لا يطابق تلك المصطلحات كل المطابقة • ويرد عليهم بما تفعله المجامع اللغوية الغربية من استعمال الكلم القديم للمعانى الحديثة ، وبأن « المصطلح » مأخوذ من « اصطلح القوم على كذا » ، فكأنهم تنازعوا فى تسميته ، هذا يسميه اسما وهذا يسميه اسما ، ثم تخلوا عن التنازع وارتضوا اسما من تلك الأسماء فسمى « مصطلحا » أى مصطلحا عليه • ولو كان الاسم بمعناه الوضعى يدل على مسماه ، ويحيط بأوصافه ، ما اختلفت فيه الآراء ، وما سمى مصطلحا •

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى ، كما يظن الذين لم يدرسوا علوم اللغات ، بل يرمز به الى مسماه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز اليه ، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الأحرف المؤدية للمعنى ، فالذى نعلمه من اسم الآلة مثلا أنه يعالج به الفعل الأصلى كالمفتاح فانه يعالج به الفتح ، ولكننا اذا أدققنا النظر فى « الممطر » وهو ما يلبس فى المطر يتوقى به منه ، و « المنفض » وهو كساء يبسط على الأرض ليقع عليه من الثمر والورق أدركنا الخطأ فى نسبة العلاج الى أسماء الآلة ، ألا ترى أنه لو كان الأمر كذلك ، لكان « الممطر » آلة يستنزل بها المطر ، ولكان « المنفض » آلة تحرك بها الأغصان وتهصر ليسقط الثمر أو الورق ؟ ومن المعلوم أن « الممطر » و « المنفض » من الأسماء الموضوعة لمعانيهما ، وليسا من الاصطلاح فى شىء ، فان جاز مثل هذا فى الوضع فما أحراه أن يجوز فى الاصطلاح •

فالاصطلاح مقصر دائما عن الاحاطة بمعنى المسمى اصطلاحا ، ومن أجل ذلك يقال فى كثير من العلوم المستحدثة والفنون المستجدة « هذا الاسم لغة معناه كذا واصطلاحا معناه كذا » •

ومع ما قدمنا من القول ، لا نرى بدا من اباحة التعريب أى نقل الأسماء الأعجمية الى العربية بحروفها ، بسبب أن العربى يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية ، ولكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، فأسماء الأعلام واللباس والشراب والطعام والأثاث واجب تعريبها ، ويلحق بباب الأعلام أسماء العقاقير غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات التى لا يعرفها العرب ، وكذلك أسماء الأمراض الوافدة من البلاد الغربية ؛ لأن أسماءها معلومة بسبب تقدم علم الطب تقدما كبيرا ، ونود أن نذكر فى هذا الموضع أن « السفلس » لما نقل من

الغرب الى الشرق لم يكن معروف الاسم في الشرق ، فلذلك سمي باسم عربي ، قال ابن أياس في حوادث سنة (٨٩٩هـ = ١٤٩٣م) : « في أواخر هذا القرن ظهر بالديار المصرية داء فشا في الناس يقال له الحب الافرنجي ، وهو عزيز الدواء بطيء العلاج ، أعيا الحكماء أمره ، ولم يظهر هذا في الناس الا في أواخر هذا القرن » .

فلو كان المؤرخ أو غيره على علم باسم « السفلس » لسماه اياه ، ولترك اسم « الحب الافرنجي » . والحب هنا يراد به صغار الدمل ، ولا يزال مستعملا عند كثير من العامة بالعراق ، فهم يقولون « طلعت في جسمه حباية » على صيغة التصغير العامي أي دملة أو بثرة صغيرة . ويقولون « طلع حب في بدن فلان » أي دمل أو بثر .

ولقائل أن يقول : كيف أوجبت أن يكون التعريب واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، وهذا كتاب « المعرب » لابن الجواليقي فيه زهاء تسع مئة كلمة من المعربات ومنها أعلام بلاد وأعلام رجال ؟ والجواب : أن أعلام البلاد وأعلام الرجال ليس في تعريبها جدال ، فأما المعربات الأخرى فهي مما عرب منذ أزمان الجاهلية الى القرن السادس للهجرة ، فان حسبنا قرون التعريب ستة وقسمنا المعربات فيها ، أصابت كل سنتين ثلاثة معربات ، وهذا مقدار نزر جدا . ونضيف الى ذلك أن المترجمين الأولين أي القدماء لم يكونوا على حظ وافر من العربية فلذلك استسهلوا نقل مصطلحات العلوم والفنون والصناعات بأعيانها في الغالب ، ولو كانوا من الفوقة في اللغة العربية لعصوها من كثير من هذه الألفاظ الأعجمية البغيضة كما فعل المترجمون الذين جاؤوا بعدهم فأصلحوا نقلهم وترجمتهم ، ولم يغيروا من مصطلحاتهم الا القليل ؛ لأن الاستعمال كان قد ذهب بها كل مذهب ، وشرق بها وغرب ، فلم يروا فائدة في الاستدراك بعد فوات ابانه وانصرام زمانه .

واذ كان لكل عمل علة وباعث ، يحق لنا أن نسائل عن حكمة الاباحة العامة للتعريب تلك التي يدعو اليها فريق ممن وصفنا آنفا ؟ أيكون ذلك العمل لكي يستفيد العالم باللغة الأجنبية أم الجاهل بها أم الأجنبي نفسه ؟ ان العالم باللغة الأجنبية لا يحتاج الى تعريب الاسم لأنه يقرؤه بلفظه في مظانه ، والأجنبي ليست به حاجة الى التعريب الا اذا كان لغويا مختصا بفقه اللغة وهذا أندر النادرين ، والجاهل للغة الأجنبية لا تغنيه التسمية دون موضوع العلم أو الفن ، فاذا تعلم مواضيعهما ففي أثناء التعلم يقال أو يكتب له على سبيل نافلة المعرفة ان هذا العلم ، وهذا الشيء من هذا الفن يسمى باللغة الفلانية « كذا » ، وهذه الاشارة تغنيه طوال عمره ان كان من المعمرين .

وينبغي لنا أن نشير هنا الى أن ترجمة المصطلح الغربي تفيد غير العالم باللغة

الغربية فائدة حسنة لما بين الاسم العربى وما اصطلح له من تجاوب فى المعنى واللفظ ، على الضد من بقاء المصطلح بلفظه الأعجمى المستعجم ، فالذى يقوم مقام البنج مثلا سمى فى كثير من الأزمان « المرقد » ، والمرقد يوحى معناه الى قارئه أو سامعه قبل أن يطلع على تعريفه ووصفه ؛ لأنه مأخوذ من الرقود وهو النوم . قال الصفدى فى ترجمة بعض الخلفاء (فى نكت الهميان ص ٩٦) : « وبعد هذا ما مات حتى سقى المرقد ثلاث مرات » .

والاحتجاج بأن باب التعريب اذا فتح فتحا كاملا كان ذلك أجدى وأعم فائدة « لكى يكون كثير من الكلمات خصوصا العلمية ، أممية أو شبه أممية ، مما يخفف على طالب العلم شيئا كثيرا عند مراجعته الكتب العلمية » قد قدمنا الجواب عنه بأن العالم باللغات الغربية لا يحتاج الى تعريب المصطلح لأنه يقرؤه بلفظه فى مظانه ، فان كان الدارس مبتدئا فى تعلم اللغات متقدما فى العلوم ، وهذا نادر جدا ، فقد قلنا ان الكتب التى يدرسها هذا وأمثاله ، توضع لهم فيها أسماء العلوم والفنون باللغة الغربية الى جانب أسمائها بالعربية ، وقراءة واحدة للاسم الغربى تجعله عالما به ، فمسألة التعريب تختص فى الأغلب الأعم بالذين لا يحسنون اللغات الأجنبية . وقد قلنا ان معرفتهم للاسم الأجنبى بصورته اللفظية لا تقدم ولا تؤخر فى دراسة العلم ، الا أنها حرب للغة العربية ما دام الاسم الأجنبى هو المستعمل فى كتب العلم المترجمة والكلام . فالاحتجاج قائم خياليا أكثر منه واقعيا .

وقد تطور الفم العربى تطورا عجيبا فى الأزمنة المتأخرة فسهل عليه النطق بأحرف أعجمية كان النطق بها عسيرا على العرب ، ثم ان ابن سينا أثبت فى رسالته « فى أسباب حدوث الحروف » ، أن أحرفا خمسة من الحروف الأعجمية كانت معروفة فى قبائل من قبائل العرب وليست هى من الحروف العربية :

فالحرف الأول « الباء المشوبة بالفاء » ، قال : « ومن ذلك الباء المشددة الواقعة فى لغة الفرس عند قولهم (بيروزى) وتحدث بشد قوى للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط للهواء بعنف » . وقد[1] ذكرها سيبويه فى باب الادغام بقوله : « والباء التى كالفاء » .

والحرف الثانى « الجيم المشوبة بالشين » ، قال : ومنها الحرف الذى ينطق به فى أول البئر الفارسية وهو — جاه — وهذه الجيم يفعلها اطباق من طرف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى ، ونسبة الجيم العربية الى هذه الجيم نسبة الكاف

(١) خاتمة « التصريف الملوكى » لابن جنى (ص ٧٢) من طبعة شركة التمدن .

غير العربية الى الكاف العربية » . وقد ذكرها[١] أيضا سيبويه في باب الادغام بقوله : « والجيم التي كالشين » .

والحرف الثالث « الزاى المشوبة بالشين » ، قال : « ومن ذلك زاى شينية تقع في لغة الفرس عند قولهم (زرف) » ، وهي شين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان ، وقد ظن بعضهم أن هذه هي الزاى المشوبة بالصاد وليس الأمر كذلك .

والحرف الرابع « الفاء المشوبة بالباء » ، قال : « وههنا فاء تكاد تشبه الباء ، وتقع في لغة الفرس عند قولهم « فروني » تفارق الباء لأنه ليس فيها حبس تام ، وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت فيها أكثر وضغط الهواء فيها أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه في التسطيح الذى في باطن الشفة اهتزاز . والباء المشوبة بالفاء والفاء المشوبة بالباء موجودتان في لغة بعض العرب ، قال السيرافي عند قول سيبويه « والباء التي كالفاء » : « هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين : أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء ، والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء . وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ، قال : وأظن أن العرب انما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم اياهم » .

والحرف الخامس « الكاف المشوبة بالجيم » ، وقد ذكرها سيبويه بقوله : « والكاف التي بين الكاف والجيم » .

فكل هذه الحروف أصبحت يسيرة النطق على فم العربي بسبب التطور الذى أشرنا اليه ، وقوامه الاختلاط بالأمم الأعجمية على اختلاف أجيالها . وكما شاعت بين العرب هذه الأحرف ، كذلك ألفت ألسنتهم الحركات المشوبة . قال أبو الفتح بن جني : « ان ما في أيدى الناس في ظاهر الأمر ثلاث ، وهي الضمة والكسرة والفتحة ، ومحصولها في الحقيقة ست وذلك أن بين كل حركتين حركة » .

فهذه الحركات المولدة تؤدى ما يكون في اللغات الغربية واللغة العجمية من حركات مشوبة ناشئة من المحضة حين يمال بها عن محوضتها ، كالاشمام وهو أن تنحو الكسرة نحو الضمة فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلا لأنها تابعة لحركة ما قبلها في نحو قيل وبيع . ويلحق بذلك الروم وهو عبارة عن النطق ببعض الحركة أى انحال الحركة وتنصها حتى يذهب معظمها ويختص بالضمة والكسرة دون الفتحة لأنها خفيفة اذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض ، فهذا جد مفيد في التلفظ بالأسماء المعربة .

(١) خاتمة التصريف الملوكي (ص ٧٢) .

وأما نقل الأسماء المعربة الى الأوزان العربية فهو أحد رأيين عند القدماء ، وهذا العصر يقتضي الحفاظ على صور المعربات اللفظية ما دخل في الامكان ، قال أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ٦) : « وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي الى أبنية العرب » ، ثم قال : « وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه » • ثم قال في وزن اسم من الأسماء (ص ١٥) : « وان لم يعلم في الأمثلة هذا ، لأنه لا ينكر أن يجيء العجمي على مثال لا يكون في العربي » •

ويؤيد هذا الرأي الزنيق جملة أسماء وردت في الكتاب المذكور ، منها « آسمانجون » و « آوأنداز » و « أندراورد » و « رساطون » و « نشاستج » • ومن الغريب أن أبا بكر بن السراج منع من الاشتقاق في استعمال المعربات ، قال (كما في المعرب ص ٣) نقلا من رسالته في الاشتقاق : « باب ما يجب على الناظر في الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه : مما ينبغي أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » •

ونرى هذا من باب المبالغة ، فقد نقلنا في مقالتنا الأولى قول الامام على بن أبي طالب « نيرزونا » باشتقاق فعل أمر من « النيروز » • فاذا كان في الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس باتيانه ، وهذا شيء قليل لا يخشى منه على اللغة ضرر ، ولا يسوقها الى الغرر • على أن الذين عربوا الفسيولوجي والسيكولوجي « بالفسلجة والسكلجة » لم يجرؤوا على اشتقاق « فسلج يفسلج وسكلج يسكلج » لاستبانتهم تفاهة الاشتقاق • وخلاصة القول أن المصطلحات يجب فيها أن تكون باللغة العربية ، وأن التعريب يجب فيه أن يقتصر على الأمور التي ذكرناها آنفا أي على ما تتحقق فيه فائدته ، وأن التقصير في اعداد المصطلحات راجع الى المجامع العلمية والعلماء واللغويين ، لا الى العربية نفسها ؛ لأن باب اشتقاقها جعلها أوسع اللغات وأكثرها استعدادا للتسمية وأفعالها •

رد اعتراضات ممكنة الوقوع

لقائل أن يقول : « ان اللغة العربية لا تصلح أن تكون آلة للتجاري[1] في ميدان التخصص العلمي والتخصص الفني » • والجواب أن المصطلحات الخاصة بذلك لم يكن

(١) التجاري أن يجاري الواحد الآخر أي يجري معه في أمر من الأمور ، قال محمد بن راشد الخناق معاصر ابراهيم بن المهدي العباسي : « وجلست عنده مليا وتجارينا الحديث الى أن خرجنا الى ذكر الغناء » (الأغاني ج٥ ص ٢٨٩) ، وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : « وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين الى الصحراء » (ص ١٩٩) ، وقال على بن محمد : « سألت خالي أبا عبدالله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر » (ص ٢٠٩) ، وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر : « اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي =

لها وجود في العربية حتى ينسب اليها عدم كونها وسيلة للتفاهم ، فمتى يزود الصناع والعمال ورؤساؤهم تلك المصطلحات العربية يستنفع الفاحص أن يعرف استعداد اللغة أو عجزها ، أما مع افتقار اللغة الى المصطلحات ، فلا يجوز أن يقال ذلك القول .
ثم ان التجارى اذا كان بين العمال والصناع ، فعامتهم عرب ومستعربون ، وهم لا يحبون التراطن باللغات الأعجمية الا أن يكونوا من المصلف الذين أشرنا اليهم قبل هذا ، فنشر اثبات بالمصطلحات بينهم ومشافهتهم بها يغنيهم كل الغناء عن الالتجاء الى مصطلحات بلغات قل منهم من يعرفها ، ان الذى يحب العرب والعربية لا يستسيغ اليوم أن يقول فى محادثته العملية « ايلكتريسيتي وبوزيتيف ونيكاتيف » بدلا من « الكهربا والمثبت والمنفي » . وقد قلنا انهم يميلون بطبيعتهم الى تقليد الخاصة ، فاذا رأوا تعظيم الخاصة للغة العربية واستعمالهم اياها اتبعوهم راغبين ، فاللوم على الذين درسوا العلوم والفنون فى البلاد الغربية ، وبقوا على تراطنهم فى أثناء عملهم ببلادهم العربية .

وقد يعترض معترض أيضا بأن النشوء والزمان لهما أثر كبير فى المصطلحات . فيجاب بأن مراد المعترض ان كان « تطور المصطلح » وتغير ألفاظه ، فذلك لا يعنى اللغة العربية ؛ لأنها تصطلح على تسمية العلم والفن وأجزائهما بالصورة التى وصلت اليها عند الدراسة والترجمة ، فلا يهمها أن يكون الشيء قد سمى قبل خمسين سنة باسم كذا ، فهذا عمل دارسي التطور العلمي والتطور الصناعي ، وان كان مراد المعترض أن المصطلح يقوى استعماله ويتم انتشاره مع الزمان فليس ذلك بلازم ، فهذا « الواير » مثلا بقى سنين مستعملا فى العراق ، وكذلك « الوايرلس » ، فلما وضع لهما « السلك » و « اللاسلكي » ماتا موتا فجائيا وحيا حتى ليصعب على الباحث أن يجد متلفظا بهما الا أن يكون من الذين يكرهون العربية أصلا . فلو كانت مصاحبة الزمان للمصطلح واجبة ، لبطل عمل المجامع العلمية والمجامع اللغوية من حيث الاصطلاح ، ولقيل ان الزمان قد فات . ولنحسب أن اللغة العربية فى هذا الأمر كانسان ربى فى الصحراء ، ثم أدخل المدينة وأسكن دارا على أحدث أصول الهندسة العمارية ، وشرع فى تعليمه أسماء أجزاء الدار واحدا واحدا ، فانه يحفظها بحسب قوة الحافظة التى له ، لا بحسب الأزمان التى تطورت فيها تلك

= فتجاريا الحديث » (خزانة الأدب ١/ ١٩٥٠) ، وقال نفطويه : « ان أبا بكر بن داود قال لى يوما وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء » ، وقال ابن الجوزى : « وأطال مقامه عنده وخلوا فى مهمات تجارياها » (المنتظم ٩/ ٢٢٦) . ويتصحف « التجارى » بالتجاذب ، ولكل وجوده ومعناه .

الأجزاء العمارية • فالمصطلح يعتمد استعماله وانتشاره قبل كل شيء على الرغبة والغيرة والدعوة ، والزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته كالأمور الأخرى ، فان لم يثبت هو نفسه بالأسباب التى ذكرنا فإن الزمان يساعد على زواله ونسيانه ، فالزمان يديم المصطلح القوى ويفنى المصطلح الضعيف •

ولقائل آخر أن يقول : ان كتب اللغة خصوصا المقصورة على ما يشبه المصطلحات لا تقرر فى الغالب معنى واحدا للفظ الواحد ، فكيف يمكننا أخذ اللفظ لتسمية شيء من الأشياء المعينة ؟ والجواب أننا ذكرنا فى مقالتنا الأولى أن للفظ قيمتين : قيمة معجمية وهى التى تذكرها المعجمات ، واستعمالية وهى التى تضمنهـا كلام العرب وكتبهم ، فتتساوى القيمتان ، وربما تختلفان ، وعند الاختلاف يجب الرجوع الى الاستعمال لأنه مظنة القيمة الحقيقية • فينبغى الرجوع الى علماء اللغة ذوى الدراسة الحقة عند التميل فى أخذ المصطلح لاختلاف معناه المعجمى ، وترك الاعتداد بالنفس ؛ لأن لكل تخصصه وفنه •

إقرار المجمع اللغوي بمصر كلمات محدثة

جاء فى مجلة الرسالة المصرية (ع ٩٣٢ ص ٥٦٠) أن الأستاذ العالم الفاضل أحمد حسن الزيات عرض على مجلس المجمع اللغوى ، فى جلسة اليوم الثامن من مايس سنة ١٩٥١م طائفة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين فى الصيغة أو فى الدلالة ، وعدتها واحد وخمسون لفظا ، أقر المجمع منها تسعة وثلاثين ورفض أربعة وأحال ثمانية[١] الى لجنة الأصول لبحثها • قال الأستاذ عباس خضر كاتب المقالة فى الرسالة : « ولهذا الموضوع أهمية كبيـرة ليست مقصورة على اضـافة هـذه المجموعة من الألفاظ بمعانيها الجديدة الى اللغة ، وانما هى الى ذلك مهمة فى اقرار قبول السماع من المحدثين ، فلم تعد اللغة وقفا على ما سمع من العرب الأولين ، بل صار للأحياء الذين يستعملونها حق التصرف فيها على حسب حاجاتهم على أن يشرف المجمع على استعمال هذا الحق باعتباره (كذا) المختص باللغة ، القيم عليها » •

قلنا : ان الأمر الذى أشار اليه الكاتب الفاضل من أن اللغة لم تبق وقفا على ما سمع من العرب الأولين ، ولا مقصورة عليه ، هو من الحقائق الراهنة ، الا أن القدمـاء لم

(١) المشهور « أحاله عليه » و « أحال به عليه » لا « أحاله اليه » ؛ لأن فى معنى الاحالة هنا « التسليط » •

يسدوا باب المجاز ما توشح بالجواز ، فهو مفتوح على ما جاء فى أول (شروح التلخيص) المجموعة • فأهل هذا العصر يحق لهم استعمال كلم من الكلم على سبيل المجاز ، ويحق لهم الاتساع فى التعبير على شرط أن لا يؤدى الى المسخ والتغيير ، والذى يخشى منه الاضرار باللغة هو ما يستعمله ضعاف التراجمة والنقلة من كلمات فى غير مواضعها ومعانيها مثل « الجرد » الذى سماه القدماء « الاعتبار »[1] ، ومثل « المتوسط » الذى سماه القدماء « العبرة » • وكذلك يفعلون فى التعبير عن المعانى المؤلفة ، اذن لا تقبل كلمة مجازية ولا عبارة متسع فيها الا اذا استعملها من يوثق بعربيته كاتبا منشئا كان أو مترجما ناقلا • والظاهر أن « المعدل » اصطلاح مصرى « السلوك ج٢ ص ٢٩٦ » •

وهذه هى الكلمات التى عرضت على المجمع اللغوى بمصر :

١ ـ « ساهم » • قال : « يستعمل المحدثون ساهم بمعنى شارك وقاسم ، والعرب لم يستعملوه الا فى المقارعة وهى الغلبة فى القرعة ، ولاستعمال المحدثين أصل ، فقد قال العرب « تساهموا الشىء : تقاسموه ، واستعملوا السهيم بمعنى المقاسم لغيره بالسهم » •

قلنا : لا شك فى أن « ساهم » مشتق من السهم ، فالمساهمة ضرب من المقاسمة ، والمقارعة ضرب من المقاسمة أيضا ، الا أنها مقاسمة بطريقة خاصة وهى طريقة القسمة بالقداح أى الأزلام وهى سهام مخصوصة ، قال فضالة بن شريك :

وساهمت البعوث وساهمونى ... ففاز بضجعة فى الحى سهمى

والظاهر من قوله « المحدثين » أنه أراد أهل العصر ، مع أن « ساهم » بمعنى شارك مستعمل بالمعنى الثانى منذ عصور طويلة ، قال أبو حيان التوحيدى : « فأرعيتك بصرى وأعرتك سمعى وساهمتك فى جميع ما وقرته فى أذنى »[2] أى شاركتك ، واستعمله بهذا المعنى ابن منير الطرابلسى الشاعر المتوفى سنة « ٥٤٨ » : بقوله :

ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا ... أفلا فليت بهن ناصية الفلا؟[3]

وقال أبو الفرج العلاء بن السوادى من أهل القرن السادس أيضا :

---

(١) جاء فى الكتاب الذى سميناه (الحوادث الجامعة) ما هذا نصه : « (وذهب) أحد خدم الخليفة (المستنصر بالله) الى المارستان العضدى ••• (واعتبرت) الحوائج التى فى المخزن ، فسأل صاحب المخزن ـ خازن المارستان والطبيب : كم تكفى هذه الحوائج مرضى المارستان ؟ فاتفقوا على أن تكفيهم سنة » •

(٢) الامتاع والمؤانسة (٤/١) •

(٣) الوفيات (٥٢/١) من طبعة العجم •

ساهمت أيامى فأبت من النوى عمن أحب بأوفر الأقسام[١]

وقال قبلهما بقرون أبو اسحاق ابراهيم الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ هـ :

رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال[٢]

وقال مجد الدين بن الأثير : « والمواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق »[٣] . وقال عزالدين ابن أبى الحديد : « لما ملك أمير المؤمنين ـ ع ـ الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا اليه[٤] .... » ، ثم قال فى ذكر أسباب الغيبة : « ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ... وقد يغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء »[٥] . وقال ابن خلدون : « فربما ارتاب المساهمون له فى ذلك بأنفسهم ونزعوا الى القاصية اليهم »[٦] .

فالشواهد منذ أوائل القرن الثالث للهجرة الى أوائل القرن التاسع ناطقة بصحة استعمال « ساهم » بمعنى شارك وقاسم ، وليس هو من لغة المحدثين ان أريد بالمحدثين كتاب العصر .

٢ ـ « هدف واستهدف » . قال : « صاغ المحدثون من الهدف بمعنى الغرض « هدف الى الشيء » قصد اليه ، و « استهدف الشيء » جعله هدفا ، والعرب لا يستعملون « هدف اليه » الا بمعنى دخل وقارب ، ولا « استهدف الشيء » الا لازما بمعنى انتصب وارتفع ودنا منك » .

قلنا : كنا أشرنا الى جواز الاتساع فى استعمال اللفظ على سبيل المجاز ، ولكن اذا حدث تدافع بين المعنيين لم يجز الاتساع لأنه يكون ابتداعا ، فالفعل « هدف » فى عامة معانيه يفيد « الوصول والدخول » ، وقول الناس « هدف اليه » بمعنى قصد اليه يدافع ذلك المعنى ، فالمعنى الأول انتهاء ، والمعنى الثانى شروع ، فاستعماله بالمعنى الجديد غلط

---

(١) خريدة القصر للعماد الأصبهانى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ ور ١٤٩ » .

(٢) معجم الأدباء (١/٢٦١) طبعة هندية بمصر . والطرف « طبعة الراجكوتى « ص ١٣٧ » .

(٣) النهاية فى « أسا » (١/٣٢) .

(٤) شرح نهج البلاغة (١/٣٤١) .

(٥) المرجع المذكور (٢/٤١٦) .

(٦) المقدمة (ص ١٥٩) من طبعة المطبعة الخيرية بمصر . وكل هذه الشواهد وما بعدها نقلناها من معجمنا الخطى .

لأنه كاستعمال « وصل » بمعنى ذهب . وكاستعمال « بلغ » بمعنى « قصد » . وعلى هذا يكون استعمال « هدف العمل الى الغاية أي رمى اليها » مكان بلغ العمل الغاية وانتهى اليها ، وهو من ضرب التغيير في التعبير الذي أشرنا اليه آنفا .

فأما « استهدفه » بالتعدي فقد سمع في كلام العرب الفصحاء وجاز في القياس ، ففي نهج البلاغة في وصف الدنيا : « وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها » . قال عزالدين ابن أبي الحديد : « ومستهدفة بكسر الدال ، منتصبة مهيأة للرمي . وروى « مستهدفة » بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها أي جعلها أهدافا»[1] . وقال فخرالدين الطريحي : « فيه أغراض مستهدفة ، هي بكسر الدال : المنتصبة . واستهدفت : طلبت اتخاذ هدف وهو كل شيء مرتفع من تراب أو رمل ، ومنه مستهدفة بفتح الدال وأهدف لك الشيء ، واستهدف أي انتصب»[2] .

فقد ظهر أن « استهدفه » هو بمعنى جعله هدفا أو طلب أن يكون هدفا ، وأنه قديم الاستعمال ، ومنه قول صردر الشاعر المتوفى سنة ٤٦٥ هـ :

واستهدفته رواشق الـ ـلحظات مشي أو أحاد
واستعطفته روادف كثبانها نعم المهاد[3]

٣ ـ « المظاهرة » . قال : « يستعمل المحدثون المظاهرة بمعنى اعلان رأي أو اظهار عاطفة في صورة جماعية[4] وهي تقابل في هذه الدلالة لفظ Manifestation في الفرنسية والانجليزية ، والعرب يستعملونها بمعنى العون والظهر كالمساعدة من الساعد والمعاضدة من العضد والمكاتفة[5] من الكتف ، والأقرب الى المعنى الحديث « تظاهروا تظاهرا » فقد قالوا « تظاهر فلان بالشيء : أظهره . ولكن المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها » .

---

(١) شرح نهج البلاغة (٣/٨٤) .
(٢) مجمع البحرين ومطلع النيرين في « هدف » .
(٣) الديوان (١/١٦٠) .
(٤) يعني : بفتح الجيم . (٥) الصواب (المكانفة) بالنون ، من الكنف بالنون أيضا ، أما « كانفه » فمعناه « صدم كتفه بكتفه » على ما أتذكر من وروده في الأغاني لأبي الفرج دون كتب اللغة ، فانها لم تذكره ؛ لأن الكتف لا تستعمل للمعاونة كالساعد والعضد ، أفلا ترى أنهم لم يقولوا « راجله » أي ساعده برجله ، ولا « راسه » أي ساعده برأسه ، ولا « راقبه » بمعنى ساعده برقبته ، ولا « عانقه » أي ساعده بعنقه بل بمعنى جعل يديه على عنقه وضمه الى صدره .

قلنا : خطأ بعض اللغويين من قال « المظاهرة » ، ورأى أن الصواب « المعالنة » من عالنه الأمر وبالأمر أى أظهره له ، وليس فى المعالنة قوة Manifestation ، ومن هذا الضرب « المباداة والمجاهرة والمكاشفة » ، ولسنا نرى « التظاهر » أقرب الى المعنى الحديث ، لأمرين : أحدهما أنه من المعانى المولدة فلا يرقى عمره فى اللغة الى ما فوق القرن الرابع للهجرة ، والآخر أنه استعمل للمراءاة والظهور بغير الحقيقة ، وهذا لا يوائم المراد بالمظاهرة الحديثة ، والقول الراجح قول العارض « ان المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها » • فعلى هذا تكون مشتقة من « ظهر » ، لا من « الظهر » ، فتكون كالمعالنة من العلن والمجاهرة من الجهر والمباداة من البدو والمكاشفة من الكشف ، وباب الاشتقاق مفتوح والقرينة مانعة من الالتباس •

٤ ـ « تجمهر » • قال : يقول المحدثون « تجمهر الناس : اجتمعوا ، والعرب يقولون « تجمر علينا : تطاول ، ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم « جمهر التراب : جمع بعضه فوق بعض » •

قلنا : يوجب علم اللغة الحديث أن تكون الجمهرة من التجمير ، كالدهورة من التدوير و «البهذلة» من التبذيل ، فالأصل «الجم» ثم «الجمر» ثم «التجمير» ثم «الجمهرة» ، استثقل التضعيف فى « جمر » بتشديد الميم فأبدل من أحد الضعفين هاء ؛ لأنها من الحروف المهموسة ويجمعها قولك « ستشحثك خصفه » ومن أحرف الحلق وهى من أخف الحروف بعد أحرف العلة والنون • قال ابن فارس فى المقاييس : « الجيم والميم والراء أصل واحد يدل على التجمع » ، ولكنه لم يفطن الى أن « الجمهور » من الجمر ، قال فى الكلام على النحت فى آخر باب الجيم : « من ذلك (قولهم) للرملة المشرفة على ما حولها جمهور • وهذا من كلمتين من « جمر » وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجمرات من العرب بما مضى ذكره ، والكلمة الأخرى « جهر » ، وقد قلنا ان ذلك من العلو ، فالجمهور شىء متجمع عال » • والصحيح أن الجمهور أصله جمور ، وأصل الجمور «الجم» ، قال هو فى المقاييس أيضا : « الجيم والميم فى المضاعف له أصلان : الأول كثرة الشىء واجتماعه ، والثانى عدم السلاح (كذا) » • ويؤيد ما ذهبنا اليه أن مادة « جمر » محتوية على مادة « جمهر » وزيادة ، ففى القاموس « وجمره تجميرا : جمعه ، والقوم على الأمر : تجمعوا وانضموا كجمروا[1] وأجمروا واستجمروا والمرأة :

(١) كذا جاء فى طبعة المطبعة الحسينية • يعنى أنه لازم •

جمعت شعرها فى قفاها كأجمرت ••• والجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم وقد تجمروا واستجمروا ••• والخيل : أضمرها وجمعها • فوجود « تجمر » يجيز وجود « تجمهر » ، ويؤكده قولهم « تجمهر علينا : تطاول » والتطاول مستفاد من استعمال « عليه » لا من مطلق التجمهر ، فهو مثل « تكاثروا » ، فاذا قلت « تكاثروا عليه » أفاد الأذى • فالتجمهر على ما ذهب اليه الأستاذ أحمد حسن الزيات مقبول سائغ •

٥ ـ « الكتلة والتكتل » • قال : « يقول المحدثون « تكتل الناس : صاروا كتلة ، أى جماعة متفقة على رأى واحد • والعرب لا يعرفون « تكتل » الا بمعنى تجمع الشيء وتدور ، ولا من الكتلة الا بمعنى ما جمع من التمر والطين ونحوهما • والكتلة فى لغة العلوم والحضارة تقابل Masse فى الفرنسية والانجليزية » •

قلنا : كنا نسمع من العامة قولهم « تراكموا على فلان » بمعنى تألبوا عليه وآذوه ، والركمة فى اللغة : الطين المتجمع بكثرة ، وهذا أحد معانى الكتلة ، ولا أظن اللغة تضيق ذرعا بهذه الاستعارة أى « التكتل » ، فكما أن التجمع للانسان وغيره كذلك يجب أن يكون « التكتل » • فأما « الكتلة » فتستعار للجماعة المتفقة على رأى واحد كالجمرة فانها استعيرت لكل قوم انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم ، ومنهـــا جمـــرات العرب ، والجمرة أيضا تعنى معنى آخر هو قطعة النار المنفصلة المتقدة •

وفى مقاييس ابن فارس ما يؤيد صحة هذا الاستعمال ، قال : « الكاف والتاء واللام أصيل يدل على تجمع ، يقال : هذه كتلة من شيء ، أى قطعة مجتمعة ، قال ابن دريد (فى الجمهرة) : « يقال ألقى فلان على كتاله أى ثقله ، وذكر فى شعر ابن الطثرية •••»

٦ ـ « الجلطة وتجلط الدم » • قال : « الجلطة بالضم هى الجزعة الخاثرة من اللبن الرائب ، وقد توسع فيها المحدثون فأطلقوها من باب التشبيه على الجزعة من الدم اذا تخثر ، وقد اشتقوا منها تجلط الدم اذا تخثر » •

قلنا : « هذا مما قدمنا القول فيه من استعمال الكلم فى غير مواضعها ومعانيها ، ولا يصح التساهل فيه ولا التجوز ، فأين اللبن الخاثر من الدم الجسيد ؟ فالصواب الرجوع الى ما فى العربية مما يختص بهذا المعنى والعدول عن مزج اللبن بالدم ، فالجلطة الدموية المزعومة هى « الدم الجاسد » ومن امارات التخثر اللصوق ، قال الجوهرى فى الصحاح : « والجسد أيضا مصدر قولك جسد به الدم يجسد اذا لصق به (فهو) جاسد وجسد ، قال الطرماح : « منها جاسد ونجيع » ، وقال آخر :

بساعـديه جسد مورس من الدماء مــائع ويبس

... فعلى هذا يقال « جسد الدم كفرح يجسد جسدا » ، وقوله في البيت « مائع » يثبت تخثره » وقد يعترض معترض بأن اليبوسة من أمارات الدم الجاسد مع أن المراد الخثور ، فيجب التفتيش في المخصص وفقه اللغة ؛ لأن اللغة العربية كثيرة ذكر الدم ، فمن ذلك مثلا « قرت الدم يقرت قروتا وقرت يقرت قرتا : يبس بعضه على بعض أو مات في الجرح أو ازرق تحت الجلد من الضرب » وقرت الظفر : مات فيه الدم ، ودم قارت : قد يبس بين الجلد واللحم » .

٧ ـ « الدخان ودخن » قال « يطلق المحدثون الدخان على التبغ » ودخن بالتبديد على احراقه وهو من قبيل المجاز المرسل »(١) .

قلنا : هذا كلام واضح حسن ، الا أن الفعل « دخن يدخن تدخينا » هو ترجمة Fumer الفرنسي و Smoking الانكليزي ، وهو في العربية لا يؤدي المعنى المراد ، قال خمخام السدوسي :

وانا بالصليب ببطن فخ جميعا واضعين به لظانا
ندخن بالنهار ليبصرونا ولا نخفى على أحد أتانا(٢)

وقال آخر :

آليت لا أدفن موتاكم فدخنوا المرء وسرباله

قال المبرد : « وقوله : (فدخنوا المرء وسرباله) يروى أنه طعن فارسا منهم فأحدث فقال : نظفوه ، فاني لا أدفن القتيل منكم الا طاهرا »(٣) . وقال ابراهيم الموصلي المغني : « فقلت لجشة : أطلبي لي آجرة عليها فحم وكندر يذهب عني هذا البق . فأتتني بذلك ، فلما دخنت أظلم القبر علي وكادت نفسي تخرج من الغم ، فاسترحت من أذاه الى النز فألصقت به أنفي حتى خف الدخان »(٤) . وقال الزمخشري في استشهاده بقول الشاعر :

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

« جعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر »(٥) .

---

(١) سمي مرسلا لارساله أي اطلاقه من قيد المشابهة ، فالعلاقة المصححة للتجوز هي غير المشابهة كأن تكون سببية أو مسببية ، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلي أي التبغ سببا لشيء كالدخان أو مسببا عنه ، فينقل اسمه لذلك الشيء .

(٢) البيان والتبيين (٣/١٢) من طبعة السندوبي الأولى و (ص ١٦) من الطبعة الثانية .

(٣) كامل المبرد (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠) من طبعة الدلجموني .

(٤) الأغاني (٥/١٦١) طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) الكشاف (٢/٥٦٦) طبعة المطبعة البهية سنة ١٩٢٥م .

فجميع تداخين العرب لا يوافق واحد منها التدخين العصري ، وكان تدخين ابراهيم الموصلي ، كما رأيت ، من المصائب والدواهي عليه ، فالصواب أن يشتق فعل جديد لهذا الضرب من استعمال الدخان ، وهو « افتعل افتعالا » أى « ادخن ادخانا » كادخر ادخارا ، وهذا هو وزن فعل الاتخاذ والاستعمال الذاتي ، فقد قالت العرب « ايتدم ايتداما » من الادام ، و « اصطبح اصطباحا » من الصبوح ، و « اغتبق اغتباقا » من الغبوق ، و « اشتوى اشتواءا » من الشواء ، و « اقتدر إقتدارا » من القدر ، و « استعط استعاطا » من السعوط ، و « التد التدادا » من اللدود ، و « اطبخ اطباخا » من الطبيخ . وما لا يحصى كثرة ؛ لأنه فعل طبيعي ، فيكون « ادخن[1] ادخانا بمعنى اتخذ دخانا لنفسه . وكان الناس ببغداد وما حولها يقولون « فلان يشرب التتن أى التبغ » ؛ لأن ابتلاع الدخان يشبه الشرب، ولم يسبقه ابتلاع دخان اختيارى قبله ، ولأن شارب التبغ كان كشارب الخمر .

٨ ـ « الحشيش والحشاش » . قال : يريد العرب بالحشيش ما يبس من الكلأ ، وبالحشاش من يقطع الحشيش على المبالغة . والمحدثون يريدون بهما فوق ذلك المادة المخدرة المعروفة ومن يتعاطاها » .

قلنا : عرفت المادة المخدرة بالحشيشة قديما ، وعرف متعاطيها بالحشيشى لا الحشاش، وقد ألف عمادالدين أبو الفضل الحسن بن محمد بن عبدالرحمن ابن الامام أبى البقاء العكبري مؤلف اعراب القرآن كتابا فى أكل الحشيشة سماه (كتاب السوانح الأدبية فى المدائح القنبية) . قال ابن الفوطي : « نزيل مصر يعرف بالطيهوج ، سافر عن بغداد واستوطن مصر ، وله بها زاوية على شاطىء النيل ، وهو من أولاد العلماء والفضلاء . ورأيت له كتابا قد صنفه فى أكل الحشيشة سماه كتاب السوانح الأدبيـة فى المدائح القنبية »[2] . وألف بدر الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي كتاب (زهر العريش فى أحكام الحشيش) ، أوله « الحمد لله على نعمائه » . ثم ألف ابراهيم بن بختى المعروف بدده خليفه ، المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ، رسالة فى الحشيش ، فشرحها أو شرح

(١) وعلى هذا يجب أن يقال « اشتاء اشتياءا اذا شرب الشاى ، واقتهى اقتهاءا اذا شرب القهوة ، وابتار ابتيارا اذا شرب البيرة » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب (٤/٩٩) من نسختنا الخطية وهى النسخة الصحيحة ، لأن الأصل المحفوظ فى المكتبة الظاهرية (والنسخ التى صورت عليه مثله) كان عقد تجليدها قد انفرط واختلت أوراق الكتاب اختلالا فظيعا ، ونقل منه من وقف على عيبه ولم يستطيع اصلاحه ، فوقع فى أوهام ، ونحن قد قضينا سنين عدة فى اعادته الى حالته الأولى ، وقرر المجمع العلمي العراقى طبع نسختنا سنة ١٩٤٨م .

منتخبها رضى الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى المتوفى بعد سنة ٩٧١ ، وسمى الشرح (ظل العريش فى منع حل البنج والحشيش) ، فصار كتابا لطيفا أوله : « الحمد لله الذى حرم الخبائث ... ذكر فيه أن القوم صنفوا فيه (زهر العريش فى تحريم[1] الحشيش) و (زواجر الرحمن فى تحريم حشيش الشيطان) ، وأول المتن : « الحمد لله السريع العقاب » ، ورتب على فصلين : الأول فى حكم الحشيش ، والثانى فى حكم البنج»[2] .

وقال البهاء العاملى نقلا من « فتاوى النسفى فى الحظر والاباحة » : « سئل عن حرمة الحشيش وحله من شمس الأئمة الكردرى[3] رحمه الله » فقال : ما نقل عن أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله فى حله وحرمته شىء ؛ لأن أكله ما ظهر فى زمانهم ، بل كان مستورا ، فيبقى على اباحته الأصلية ، كما فى سائر النباتات ، ولم يرد عن أحد بعدهم من السلف شىء أيضا فى حله وحرمته الى زمان الامام المزنى تلميذ الشافعى[4] ....

وفى ذى القعدة من سنة ٦٦٤ أبطل السلطان بيرس البندقدار ضمان الحشيشة الخبيثة ، وأمر بتأديب من أكلها . وقال ناصر الدين ابن المنير قاضى الاسكندرية :

ليس لابليس عندنا أرب   غير بلاد الأمير مأواه
حرمة الخمر والحشيش معا   حرمته ماءه ومرعاه

وفى ذى الحجة من السنة ضرب جندار الأمير عزالدين بسكين ، وكان الجندار به شعبة من الجنون ، وتعاطى أكل الحشيشة فزاد جنونه[5] .

وقال علم الدين أحمد ابن الصاحب الأديب الماجن المتوفى سنة ٦٨٨ هفى مدح الحشيش :

يا نفس ميلى الى التصابى   فاللهو منه الفتى يعيش
ولا تملى من سكر يوم   ان أعوز الخمر فالحشيش

وله فى المعنى :

فى خمار الحشيش معنى مرامى   يا أهيل العقول والأفهام
حرموها من غير عقل ونقل   وحرام تحريم غير الحرام

(١) قدمنا أنه « فى أحكام الحشيش » .
(٢) كشف الظنون (١/ ٩٦٠ ، ١١٢٠) من طبعة نظارة المعارف التركية .
(٣) هو أبو الوجد محمد بن عبدالستار بن محمد البرانيقى الفقيه الحنفى الكبير (٥٥٩ ــ ٦٤٣ هـ) « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٨٢/٢».
(٤) المخلاة (ص ١٤٣) من طبعة الميمنية .
(٥) لسلوك للمقريزى (قسم١ ص ٥٥٠ ــ ١ ، ٥٥٤)

قال ابن تغري بردي : وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو :

وخضراء ما الحمراء تفعل فعلها لها وثبات في الحشى وثبات
تؤجج نارا في الحشى وهي جنة وتردي مرير الطعم وهي نبات

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني المتوفى سنة ٦٨٨هـ في ذم الحشيش :

ما للحشيشة فضل عند آكلها لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء في وجهه خضراء في فمه حمراء في عينه سوداء في كبده[١]

وقيل : ان ابن خلكان سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه ، فاستعفاه ، فألح عليه ، فقال : يقولون : انك تكذب في نسبك[٢] ، وتأكل الحشيشة ، وتحب الصبيان[٣] .

فالحشيشة مستعملة بهذا المعنى قبل أن يؤلف كتاب الصحاح والمجمل والمقاييس من كتب اللغة ؟ لأن قضية تحريمها ظهرت في أوائل القرن الثالث للهجرة ، ولم تسجل في تلك الكتب ، وسماها صفي الدين الحلي (المفرح الحيدرى) ، ومدح بأبيات تاوية يقول فيها :

عاطنيها ممزوجة بالنبات من فم الكيس لا من الكاسات
خندريسا دنانها حقق العا ج وراحا كؤوسها راحاتي
ما عليها في الشرع حد ولا جا ء بتحريمها حديث الثقات
عرفتها النساك فاتخذوها في المعاجين والجوارشات[٤]

أما متعاطي الحشيش فكان يسمى « الحشيشي » ، وبه سمي الباطنية الاسماعيلية . وفي تأريخ السلاجقة لعماد الدين الأصبهاني : « فاني قد ندبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك » ، وفيه أيضا : « وقيل : ان الأمير زنكي بن آق سنقر وضع عليه من حشيشية الشام من فتك به »[٥] .

وفي القرن التاسع أو قبله ظهر اسم « الحشاش » ، مكان الحشيشي ، قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني في ذكر الصوفية والزهاد : « ومنهم سيدى عمر الكردى ... وكان الأمراء والخوندات والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات ، فيطعمها

(١) يراجع في هذا كله النجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٠-١)
(٢) يعني انتسابه الى البرامكة .
(٣) فوات الوفيات (١/ ٥٦) .
(٤) ديوان الصفي الحلي (ص ٤٢٥) .
(٥) مختصر نصرة الفترة وعصرة الفطرة (ص١٥٥ ، ١٧٧) من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ .

للحشاشين الذين يتفرجون ، ويقول لهم : يا اخوانى ، مالى أرى أعينكم حمرا ؟ لا يزيدهم على ذلك »[(١)] .

والصحيح « الحشيشى » ؛ لأن « فعالا » كالحشاش موضوع للنسبة المعنوية اذا كان الشىء ماديا كالعطار والبزاز والنحاس والبقال والدقاق والزجاج ، فهو اما بياع الشىء كالعطار واما صانعه أو بائعه كالزجاج . أما المتعاطى والمتخذ والمستعمل ، فلهم النسبة اللفظية فيقال : « فلان عطرى » أى كثير الاستعمال للعطر ، وحشيشى[(٢)] اذا كان يكثر استعمال الحشيشة ، وهلم جرا . وهذه القاعدة الصرفية تفصل فى أمور لغوية كثيرة فيها التباس ، وبها يحسم الجدال من أجل صحة الاستعمال .

٩ ــ « القنبلة » . قال : « القنبلة فى اللغة : الطائفة من الناس أو من الخيل ، ومصيدة يصاد بها أبو براقش . وفى استعمال المحدثين : القذيفة المتفجرة ، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد (وافق المجمع ــ يعنى المجمع اللغوى بمصر ــ على هذه الكلمة على أن ينص على أن أصلها الفتح ثم ضمت وعلى أنها أقرت لأنها تعورفت وشاعت) » .

قلنا : لا يهون الخطب فى استعمال القنبلة هذا الاستعمال العصرى البغيض الا كونها « مصيدة يصاد بها أبو براقش » ، وفى عدم استعمال القنبلة اليوم للطائفة من الناس أو من الخيل سلوى للغة مضر فى بدو هذا الخطر ، والمعروف فى تسمية هذه المتفجرة أنها « القنبرة » لا « القنبلة » ، وهى اما من الطائر الصغير المعروف لجثومها كهيئتها ، واما من توافق بين لغة أجنبية واللغة العربية ، حتى ظهرت الكلمة كأنها عربية ، باسم الطائر المذكور . و « القنبرة » للحرب جمعها قنابر[(٣)] وقنبر ، قال ياسين بن خيرالله العمرى فى حوادث سنة ١١٥٦ هـ : « ونزل طهماز على كركوك وأزعج أهلها بضرب المدافع والقنبر ثلاثة أيام » . ثم قال فى حصار طهماز للموصل : « وفى اليوم الخامس من شعبان فرغ اللعين من بروجه ، وبالسادس باشر بضرب المدافع وامتد الضرب ثمانية أيام بلياليها ، وجملة ما ضرب من القنبر خمسون ألف قنبرة ، فكانت المدافع والقنبر تتناثر على الموحدين ... حتى قيل ان فارسا من العرب جعل يركض فرسه ويصيح «الدبشى»[(٤)]

(١) الطبقات الكبرى (٧٤/٢) طبعة المطبعة الشرفية .

(٢) ولا يستعمل أحد الوزنين مكان الآخر ، الا أن ذا النسبة اللفظية حل محل ذى النسبة المعنوية بكونه مجموعا كالساعاتى والأمشاطى والأبرادى .

(٣) راجع فهرست مكتبة البلدية بالاسكندرية (٨٣/٥) .

(٤) الدبشى فى لغة السواديين بالعراق « البطيخ الأحمر أى الحبحب والرقى »

ـ وهو الشمزى ـ خلص ـ يعنى به القنبر ـ ، والعجور أتم ـ يعنى به كالة المدفع ـ ولكن بالكم من الطويل ـ يريد به اللغم ـ لأنهم حفروا ثلاثة ألغام ... » . وقال فى موضع آخر : « وتصادم الشجعان وضربت القنابر والمدافع »[1] .

فأرى أن تستعمل « القنابر والقنبر » ، فالجمع الأول عرف بمصر ، والجمع الجنسى عرف بالعراق ، ولعله مستعمل فى تواريخ مصر المتأخرة ، بالاضافة[2] الى المصدر المصرى الذى أشرنا اليه . أما النطق بالقنبلة غلطا واستعمالها فى غير معناها ، فمن الأمور التى لا تطاق فى باب التسامح اللغوى على سعته .

١٠ ـ « الفشل » . قال : « فشل الرجل : كسل وضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . والمحدثون يستعملون فشل بمعنى خاب كأنهم يطلقون السبب ويريدون المسبب ، فهو من قبيل المجاز المرسل » .

قلنا : ان باب المجاز مفتوح ، كما ذكرنا من قبل ، بشرط أن لا يتدافع المعنيان الحقيقى والمجازى ، والأمر فى هذا الفعل كالذى فى « هدف » ، وقد شرحناه فيما أسلفنا من التعليق ، وذلك أن « فشل » لا يقوم مقام « خاب وأخفق » ولو مجازا ؟ لأنه يدل على عدم مباشرة العمل أو عدم الاستمرار عليه ، ان صح التعبير ، مع أن الخيبة والاخفاق مباشرة للعمل باءت بالخسران ، وتكون الخيبة أحيانا بعد تمام العمل ، والفرق بينهما كالفرق بين « كسل » و « سار فضل الطريق » فليس فى الفعلين اذن « سبب ومسبب » . ويؤكد ذلك اختلاف أوزانهما ، فالفعل « فشل » من باب فرح للأحوال النفسانية الطارئة تارة والعيوب الجسمانية الظاهرة تارة أخرى[3] ، والفعل « خاب » ليس كذلك لأنه ليس بحركة نفسانية ، قال الامام على بن أبى طالب : « يا عجبا كل العجب ... من تضافر هؤلاء على باطلهم وفشلكم عن حقكم » . قال المبرد : « وقوله : فشلكم عن حقكم . يقال : فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضى فيه »[4] . وقال أبو الوداك : « لما تداعى الناس الى المصاحف ، وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم ، قال على ـ ع ـ : انما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن

(١) الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٩٤٩ ور٢٩٦ ـ ٧ » ، وشذت عنى صفحة الشاهد الأخير من الكتاب المذكور

(٢) أعنى « بالنسبة » .

(٣) والصفة منه « فشل » كفرح وفشل كفسل وفشيل كجميل . ومن الخطأ قولهم « المحامى الفاشل » ، والصواب « المحامى الفشل » .

(٤) كامل المبرد (١/١٦ ، ١٩) من طبعة الدلجمونى .

الحرب »[١] • ومن كلام منسوب الى على أيضا : « فقمت بالأمر حين فشلوا ، وتطلعت حين تقبعوا ، ونطقت حين تعتعوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا » قال عزالدين ابن أبى الحديد : قوله « فقمت بالأمر حين فشلوا » أى قمت بانكار المنكر حين فشل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، والفشل : الخور والجبن»[٢] • وقال مسكويه فى حوادث سنة ٣٤٥ هـ : « وعبى معز الدولة غلمانه كراديس تتناوب فى الحملات الى وقت الغروب ، فهناك فشل الأتراك ، وانقطعت حيلهم ، وفنى نشابهم»[٣] •

وخلاصة القول أن « الفشل » لا يجوز أن يستعمل بمعنى « الخيبة والاخفاق » ؛ لأن الخيبة نتيجة خداج للعمل ، و « الفشل » حركة نفسانية هى الكسل عن العمل والتراجع عنه ، والعربية اليوم لا تستغنى عن « الفشل » بمعناه الأصلى ، كما أن استعماله بمعنى « الاخفاق » يورث الالتباس فى قراءة الكتب العربية ، ويقلب المعانى فى أذهان الدارسين •

١١ ــ « الجيل » • قال : « الجيل : الصنف من الناس ، وقد توسع فيه المولدون فاستعملوه على أهل الزمان الواحد ، ويظهر أن هذا الاستعمال قديم ، فقد قال المتنبى :

وانما نحن فى جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

قلت : ورد « الجيل » بمعنى الجماعة فى كتب اللغة المختصة ، قال الثعالبى : « جيل من الناس ، كوكب من الفرسان ، حزقة من الغلمان»[٤] • واستعمله الفيومى فى المصباح تفسيرا للقرن ، قال : « والقرن أيضا : الجيل من الناس » • واستعمله كذلك جماعة من العلماء منهم أبو البركات هبة الله ابن ملكا الفيلسوف ، قال : « وكان العلماء والمتعلمون فى ذلك الوقت كثيرى العدد طويلى الأعمار ، ينقلون العلوم من جيل الى جيل بأسرها وعلى أتم تمامها فلا يضيع منها شىء ولا ينسى ولا يقع الى غير أهله »[٥] • والجيل يراد به الصنف من الناس ، فلذلك اتسعوا فى استعماله ، فمن كتاب للامام على الى معاوية ــ كما فى نهج البلاغة ــ « وأرديت جيلا من الناس كثيرا ••• » •

وكل هذا يؤيد ما عرضه الأستاذ الزيات ويثبت وجاهة ما احتج به لاستعمال هذه

(١) شرح نهج البلاغة (١٩٣/١) •
(٢) المرجع المذكور (ص ٢٠٨) •
(٣) تجارب الأمم (١٦٤/٦) •
(٤) فقه اللغة (ص ٢١٩) من طبعة اليسوعيين •
(٥) المعتبر فى الحكمة (٢/١) •

الكلمة ، وقد وهم مؤلف تذكرة الكاتب فى منعه استعمال هذا الجيل بهذا المعنى ، قال : « ويستعملون الجيل بمعنى القرن فيقولون : كان ذلك فى أوائل الجيل الماضى » وفى كتب اللغة : الجيل صنف من الناس »(١) . ومن المعلوم أن « الجيل » سمى به الناس وزمانهم كما سمى بالقرن الناس وزمانهم .

١٢ ـ « القاع » . قال : « القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والمحدثون يستعملونه فى أقصى الشىء وعمقه ونهاية أسفله فيقولون « قاع البئر » و « قاع النهر » تفاديا من ذكر القعر » .

قلنا : ان المحدثين المذكورين استفادوا استعمالهم المذكور من كتاب «كليلة ودمنة »، ففيه ما هذا نصه : « كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ، ساقهما الأجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا صارا فى قاعها بمنزلة واحدة »(٢) . أراد بالقاع القعر والقرارة ، وفيه تساهل ظاهر بالاضافة الى مفهوم القاع ، قال الفضل بن الربيع فى كلام يذكر فيه الأمين : « والهلاك أسرع اليه من السيل الى قيعان الرمل »(٣) . وقال حسان ابن ثابت :

لقد عدوت أمام القوم منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع
يحفز عنى نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهى(٤) بالقاع(٥)

وقال كامل المتنفقى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا : ليلاى منكن أم ليلى من البشر(٦)؟

والاضافة فى « القاع » قرينة مانعة من الالتباس فى المعنى الثانى .

١٣ ـ « القهوة » . قال : « القهوة : يستعمل المحدثون القهوة فى المكان الذى تشرب فيه ، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية(٧) ، كقولهم : نزلنا على ماء بنى فلان ، أى على بئرهم ، والمؤمنون فى رحمة الله أى فى جنته . وهذا الاستعمال صحيح يغنينا عن

(١) تذكرة الكاتب (ص ٦٢) .
(٢) كليلة ودمنة (ص ١٣٢) طبعة السلفى .
(٣) شرح نهج البلاغة (٤/٤٧) .
(٤) النهى كالحمل بلغة نجد : الغدير . وغيرهم يفتح .
(٥) الأغانى (٤/١٦٦) .
(٦) دمية القصر (ص ٢٩) والبيت متنازع كما فى خزانة الادب (١/٦٧) من طبعة دار العصور غير الكاملة ، وقد تصحف فيها « كامل المتنفقى » الى « كاهل النقفى » .
(٧) بتشديد اللام ، وهو مصدر صناعى ، وعندى اسم صناعى لأنه لو كان مصدرا لعمل عمل الفعل بالشروط المعروفة .

كلمة المقهى الثقيلة » .

قلنا : القهوة بمعنى مشرب البن شاعت فى زمان حكم الترك ، والظاهر أن الأتراك سموا المشرب المذكور « قهوه خانه » ، وهى شائعة فى العراق ، وان كتب لفظ « المقهى » على الألواح المعلقة على وجوه المشارب ، ورأيت فى بعض الكتب المتأخرة هذه الجملة : « وقد شاهدتهم عند أهل المقاهى » بجمع المقهى على المقاهى ، وظاهر المقهى أنه مضموم الميم ، من « أقهى : دام على شرب القهوة » كما فى القاموس ، ولا يجوز الفتح لأنه يكون اسم مكان من « قهى من الطعام : اجتواه كأقهى » . ويجب حينئذ أن يقال « مقهاة » للموضع الذى تكثر فيه القهوة ، على حسب القياس اللاحب ، وقد ذكرنا فى حاشية سابقة أنه يجب أن يقال « اقتهى فلان اقتهاءا واشتاء اشتياءا » اذا اتخذ القهوة والشاى لنفسه .

واللغة العربية لا تأبى استعمال « القهوة » بمعنى « المقهى » بضم الميم و « المقهاة » بفتحها ، ولا يحدث التباس فى قول القائل « قعدنا فى القهوة فشربنا قهوة لذة » لأنها مختصر « قعدنا فى القهوه خانه ... » فقدم الاستعمال يدفع القيل والقال .

١٤ ـ « غير » . قال : « يدخل المحدثون على (غير) أداة التعريف ، ويجمعونه على أغيار ، ولم يسمع ذلك عن الأولين ، والجمع والتعريف أمران تقتضيهما الحال وعلى الأخص[١] فى لغة القانون » .

قلنا : عولجت هذه المسألة اللغوية قديما ، ومن قدماء معالجيها أبو محمد الحريرى ، قال فى ذكر أوهام الخواص : « ويدخلون أل على غير (فيقولون فعل الغير ذلك مثلا) والمحققون يمنعون منه ، اذ لا تتعرف بها كما لا تتعرف بالاضافة ، فلا فائدة فى ادخالها » قال السيد شهاب الدين أبو الثناء محمود الآلوسى[٢] : « هذا كلام الحريرى ، وفيه ما فيه ، وان أردت كشف الابهام عن حقيقة الحال فاستمع ما تتلوه عليك من كلام من تعقد عند ذكره الخناصر[٣] وتنحل ببيانه عقدة الاشكال ، فنقول : ما ادعاه فى ادخال « أل » على غير وان اشتهر فلا مانع منه قياسا ، وانما المهم اثبات سماعه . وفى تهذيب الأزهرى : قال ابن أبى الحسن فى شامله : منع قوم دخول « أل » على غير وكل وبعض ؛ لأنها لا تتعرف بالاضافة ، فلا تتعرف بها . وعندى أنه لا مانع من ذلك ؛ لأن « أل » فيها

(١) الفصيح « فى الأخص » .

(٢) توفى ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ عن نحو من ثلاث وخمسين سنة ودفن بالقرب من مدفن الشيخ معروف الكرخى .

(٣) ويقال أيضا « تثنى الخناصر دونه » يراد الاكتراث به والاهتمام له والعناية به .

ليست للتعريف ، ولكنها العاقبة للاضافة كما فى قوله تعالى : (فان الجنة هى المأوى) أى مأواه ، على أن غيرا قد تتعرف بالاضافة فى بعض المواضع ، وقد يحمل الغير على الضد والكل على الجملة ، والبعض على الجزء ، فيصح دخول « أل » بهذا المعنى » اه وقال صاحب الهادى : ان (غيرا) لا تجوز تثنيته ولا جمعه كما ذكره سيبويه ، ولا يجوز ادخال اللام عليه ؛ لأنه لابد له من الاضافة ، والمضاف اليه اما مذكور أو منوى » وفى بعض الحواشى : « صرحوا بأن غيرا ان تعرفت وان لم تتعرف لا يجوز ادخال اللام عليه[(١)] ، لرعاية صورة الاضافة المعنوية ، الا أن المصنفين كثيرا ما يدخلونها عليه ، فكأنهم جعلوه بمعنى المغاير ، لكنه لم يوجد فى كلام العرب ، وفى ضرام السقط : أن لغير ثلاثة مواضع[(٢)] : أحدها أن تقع موقعا لا تكون فيه الا نكرة ، وذلك اذا أريد بها النفى الساذج كما فى نحو « مررت برجل غير زيد » ، الثانى أن تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا أريد بها شىء قد عرف بمضادة المضاف اليه فى معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت « مررت بغيرك » أى المعروف بمضادتك ، الا أنها فى هذه لا تجرى صفة فتذكر غير جارية على الموصوف • الثالث أن تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة أخرى ، كما اذا قلت : مررت برجل كريم غير لئيم » • اه ولم يوجد كما قال ابن هشام تثنيته ولاجمعه الا فى كلام المولدين ، فتراهم يقولون « غيران وأغيار » • وقد سمعت عدم الجواز عن سيبويه آنفا ، ولعل الأمر فى ذلك سهل أيضا[(٣)]» • وقال الفيومى : « غير : يكون وصفا للنكرة تقول : جاءنى رجل غيرك • وقوله تعالى : (غير المغضوب عليهم) انما وصف بها المعرفة لأنها أشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة ، فعوملت معاملتها ، ووصف بها المعرفة ومن هنا اجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام لأنها لما شابهت المعرفة باضافتها الى المعرفة جاز أن يدخلها ما يعاقب الاضافة»[(٤)] • قال الفيومى : ولك أن تمنع الاستدلال ، وتقول : الاضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص ، والألف واللام لا تفيد التخصيص ، فلا تعاقب اضافة التخصيص ، مثل « سوى وحسب » ، فانه يضاف للتخصيص ، ولا تدخله الألف واللام »[(٤)] • وقال ابن الجوزى : « فينقل من فعله ما يقتدى الغير به »[(٥)] •

---

(١) أى على اللفظ فلذلك ذكر

(٢) الصواب « أولها » ليأتى الثانى فالثالث •

(٣) كشف الطرة (ص ٨٤ ـ ٥) •

(٤) المصباح المنير فى « غير »

(٥) صيد الخاطر لأبى الفرج (ص ٩٠)

وقال قطب الدين الراوندى : « لأن ما يوصف به الغير انما هو الفعل أو معنى الفعل»[١].
وقال القزوينى : « وهو اما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير[٢]» ، وقد جمع على « أغيار »[٣] .

واستعمل « الغير » الجاحظ ، وهو هو فى قدمه وتقدمه على الكتاب ، قال : « وخبرنى بعضهم أنه رأى من يبكى باحدى عينيه وبالتى يقترحها عليه الغير»[٤] ، وأدخل المسعودى عليها « أل » مع الاضافة : « فتصير جملتها مع الخمسة أيام الغير معدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما »[٥] . وقال الجوهرى : « الوسيلة ما يتقرب به الى الغير »[٦] . وقال الفخر الرازى فى أصول الدين : « المسألة الثالثة والعشرون فى أنه سبحانه عالم بعلم واحد بجملة المعلومات الغير المتناهية »[٧] . وأنشد موفق الدين أبو محمد طلحة بن يحيى بن هبة الله الموصلى المحدث :

يا غافلا عن حركات الفلك نبهك الدهر فما أغفلك !
مالك للغير اذا صنته وكل ما أنفقت منه فلك[٨]

فالغير منذ زمن الجاحظ معروفة مستعملة ، ولا نرى مانعا من الاستمرار على استعمالها أبدا ، خصوصا فى لغة القضاء حيث لا تقوم مقامها كلمة أخرى ، قال عزالدين ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت فى كثير من فصوله ، فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ، ألفاظ القوم مع علمى بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم « المحسوسات » وقولهم « الكل والبعض » وقولهم « الصفات الذاتية » وقولهم « الجسمانيات » وقولهم « أما أولا فالحال كذا » ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب ، ولكنا استهجنا تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم ، فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم و « من دخل ظفار حمر »[٩] .

---

(١) شرح نهج البلاغة المذكور (٢٥/١) .
(٢) العجائب (ص ٩) .
(٣) ما طبع من تذكرة ابن حمدون بمصر (ص ١) .
(٤) الحيوان (٤٦٦/٦) طبعة عبدالسلام .
(٥) التنبيه والاشراف (ص ١٨٤) من الطبعة المصرية .
(٦) الصحاح فى « وسل » .
(٧) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (١٢٥٣ور٣٠) ، والكتاب مطبوع ، ومثله فى شرح نهج البلاغة (٩٣/١) « الغير المتناهية » .
(٨) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج٥ ترجمة ١٩٥٨ من الميم .
(٩) شرح نهج البلاغة (٥٧٤/٤) . ومعنى حمر تحميرا : تكلم بالحميرية

١٥ ـ « الغيرية » • قال : « عرف المتقدمون الغيرية مقابلا للعينية ، وهى أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر ، ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للأنانية ، فتكون معنى من معانى الايثار » •

قلنا : قال نصر الله بن الأثير فى الحكم على المعانى : « وهذا الفصل الذى نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره الى التأويل ؛ لأنه أدق ، ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام : اما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره ، واما أن يفهم منه الشيء وغيره ، وتلك « الغيرية » اما أن تكون ضدا أو لا تكون ضدا »(١) •

فالغيرية مستعملة فى كتب الأدب بمعناها الأصلى ، وفى المنطق بمعناها أيضا ، أجل « الأنانية » منسوبة الى « أنا » كما فى رسالة ابن كمال باشا اللغوية وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، ولكنها لم تكتسب المعنى الذى استعملت له الا متعارف حب الانسان لنفسه حين يقول « أنا » • فأما « الغيرية » فليس فيها الا المغايرة ؛ لأنها حالة « الغير » لا غير ، فالايثار خير منها ، ولذلك استعملوه ، ولم يعرفوا « الغيرية » بمعناه ، ولا «الهوية» التى تقابل الأنانية على سبيل المناقضة • والغيرية لفظ عام ، لأنك تقول « أنا والغير وأنت والغير » و « هو والغير » ، وليس فيها علامة لتختص بمغايرة « أنا » ، فلم يترك « الايثار » وتختار هذه اللفظة ؟ أمن أجل يائها المشددة ؟ لا أظنها بها تغلب الايثار •

١٦ ـ « الشقى » • قال : « ضد السعيد ، والمحدثون يطلقونه أيضا على اللص وقاطع الطريق (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن يزاد فى شرحها أن تدل على الأطفال العفاريت) » •

قلنا : ان « الشقى » باللغة العامية العراقية هو العيار والشاطر ، وتأتى السرقة فى آخر أوصافه ، ويسمون به بالجمع لا بالمفرد فيقولون « فلان أشقياء » كما يقولون « أرباب وأبناء الأربعين » أى رب ظرف وابن الأربعين • والظاهر أن هذه التسمية حدثت فى أثناء حكم العثمانيين للعراق ، ويجد الانسان سلوى فى قول الفيروزأبادى « وشاقاه : عالجه فى الحرب ونحوه » • والعراقيون يستعملون « شاقاه مشاقاة » بمعنى « عاينه معاينة وعيانا » •

١٧ ـ « التأميم » • قال : « أمم الرجل المكان : قصده • والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون : أمم الشيء جعله ملكا للأمة » •

---

(١) المثل السائر (ص ١٤) من طبعة المطبعة البهية •

قلنا : يجب أن يسار فى اصطلاح كهذا على القياس اللاحب ، فما المثال الذى قيس عليه التأميم ؟ وهل قالت العرب « تقويم الشىء : جعله للقوم ، وتعشيره : جعله للعشيرة ، وتشعيبه : جعله للشعب ، وتعميره : جعله للعمارة ، وتحكيمه : جعله للحكومة ، وتقبيله : جعله للقبيلة ؟ لم تقل ذلك ، فان نفتح مجال العبث بالقياس ، فكأننا دعونا الى العبث باللغة نفسها ، و « فعل الشىء » تفعيلا : جعله كأصل الفعل مثل « أهله تأهيلا : جعله أهلا » و « رأسه ترئيسا : جعله رأسا أى رئيسا » و « قوده تقويدا : جعله قائدا » و « أمره تأميرا : جعله أميرا » و « ملكه تمليكا : جعله ملكا » وعلى هذا يقال « أمم أخلاط الزمر : جعلهم أمة » ، قال ابن الحاجب فى الشافية : « فعل(تفعيلا) للتكثير[1] غالبا ، نحو : غلقت وقطعت وجولت وطوفت وموت المال ، وللتعدية نحو فرحته ومنه فسقته ، وللسلب نحو : جلدته وقردته » .

وعقب الشارح الاستراباذى على « فرحه تفريحا » بأن فعل هنا بمعنى « جعل الشىء ذا أصله » مثل فحى القدر تفحية أى جعلها ذات فحا أى بزر ، وشسع النعل تشسيعا أى جعلها ذات شسع ، فالجزئية مفهومة من قوله « ذات » . فليس فى معانى « التفعيل » ما يجيز « التأميم » بالمعنى الذى يريدونه اليوم ، وقد يقال انه أصبح مفهوما بذلك ، فيجاب بأن من أعمال المجامع اللغوية الحيلولة بين الغلط الشائع واللغة ، لئلا يتسرب الفساد فى قواعد اللغة العامة ، وأحق الأوزان بهذا المعنى « التأمم » أى تسليط الأمة على الشىء واصابته بها ، مثل « تعينه تعينا : أصابه بالعين ، وتحيفه : أصابه بالحيف ، وتوعده : سلط عليه الوعيد » ، وما يضيق المكان بذكره . وعلى هذا يقال « تأمم الشىء تأمما : جعله للأمة » . وقد ورد « التأمم » متعديا أيضا لغير هذا المعنى ، وهو القصد .

مصطفى جواد

---

(١) قال الشارح « الأستراباذى » أقول : الأغلب فى فعل أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل » ثم ذكر أن « ذبحت الشاة تذبيحا » و « غلقت الباب تغليقا » لا يجوز ؛ لأنه لا يحتمل التكثير » شرح الشافية (٩٢/١) » من طبعة المكتبة التجارية .

اللغة العربيـــــة

بين بون (ألمانيـا) ودمشق

حضرة الأستاذ الفاضل الدكتور « هونر باخ » المحترم ٠

وصلتني بطاقة بتوقيع صديقي الأب جورجي الخوري ومعها ورقتان أظنهما بخطكم : تسألون عن بعض الألفاظ التي غاب عنكم معناها ، أو ضبط حركاتها ، وهي في شعر الصفي الحلي الذي تهيئونه للطبع ٠ فأنا أشكر للأب جورج اذ كان واسطة التعارف بيننا ٠ وكنت أكون مسرورا بزيادة لو أمكنني أن أقوم بخدمتكم بأكثر نجاح ، ذلك أنكم لما كتبتم الألفاظ المسؤول عنها ، الواردة في الديوان ، لم تشيروا أمام كل لفظ الى رقم الصفحة المذكور فيها ذلك اللفظ ٠ والديوان الذي عندنا طبع في دمشق سنة ١٩٢٧ م ولا نسخة سواها ، وعدد صفحاتها ٥٧٢ صفحة ، فاللفظ المطلوب تصحيحه لا تمكن معرفته الا بتقليب صفحات الديوان كله ٠ فلو كنتم ذكرتم أمام كل لفظة رقم صفحتها لسهلت مراجعتها ، والنظر في ما قبلها وبعدها ، فيعرف السياق والمناسبة ، فيفهم المعنى غالبا ٠ وزد على ذلك أن معظم الألفاظ المسؤول عنها يظهر أنها لهجة عامية عراقية ، لما أن الصفي الحلي عراقي الدار ، ولهجتنا العامية السورية تغاير أختها العراقية ، وبين اللهجات في الشرق العربي بون شاسع : فابن العراق ربما سهل عليه معرفة تلك الألفاظ المسؤول عنها أكثر مما تسهل علي أنا ولاسيما أن نسخ ديوان الحلي متوفرة بين أيدي العراقيين ٠ على أن الشاعر الحلي عاش منذ أكثر من (٥٥٠) سنة ، فهل بقيت الألفاظ العامية في العراق على حالها يا ترى ؟

ومع هذه الصعوبات التي اعترضت أمامي ، وأهمها عدم معرفتي لمكان الألفاظ من الديوان — مع هذه الصعوبات نظرت في تلك الألفاظ ، فهديت الى تفسير بعضها ٠

٠٠٠

قوله : (الا وأنا أتمثل وأسمع الجيران (فتح الجيم !!) ٠

أقول :

فتح الجيم من (جيران) غلط ، وصوابه كسرها ؛ لأنها جمع جار ٠ وكنت ، وأنا

صغير ، أسمع فى بلدى طرابلس الشام (لبنان) بعض الناس ينشد هذا البيت هكذا :

(أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

ويفتح جيم (جيران) ، فحفظته منه هكذا ، وبقيت على ذلك مدة ، حتى كبرت وتعلمت . والذى مهد الطريق أمام الظن بأن (جيران) فى البيت المذكور بفتح الجيم هو أن معناه (أى معنى جيران) باللغة التركية الغزال ، وكنا نتعلمها يومذاك ، والمعنى عليها حسن فى الذوق الشعرى العربى .

...

قوله : (ولا على قلان قلان ـ ؟؟)

(قلان) لم تذكرها المعاجم العربية ، واستدركها دوزى فى معجمه ، وقال : انها مغولية الأصل ، أى تركية ، وفسرها بالغرامة ، الخراج ، الضريبة ، (Tribut) وقالت المعاجم التركية : ان أصل (قلان) قالان بالألف ، فتكون اسم فاعل من فعل (قالمق) بمعنى بقاء الشىء ومكثه وتعوقه وتأخره . والضرائب وأموال الخراج (التى اشتهرت تسميتها بالويركو فى بلادنا) تتراكم عادة فى ذمم المكلفين ، ويتأخر دفعها ، فتعود صعبة التحصيل ، ويستثقل من أجلها الجابى المسمى (تحصلدار) بالتركية ، وكان يسمى فى العهد العباسى (المستخرج) قال أبو المطهر الأزدى فى كتابه (حكاية أبو القاسم البغدادى) واصفا بعض الثقلاء : (يا وجه المستخرج فى يوم السبت ، يا افطار الصائم على الخبز البحت) ، فيكون قائل عبارة الصفى الحلى ، وهى (ولا على قلان) ، انما يحمد الله على أن لم يكن عليه ضريبة أو خراج أو ذمة لبيت المال فلا يرى وجه المستخرج .

...

قوله : (وأنا طنج فرحان طنج ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (قباحا نوع من ثياب النساء ؟)

؟ ؟ ؟

.

قوله :

(فخاطرو من دلى والكف من قلهات)

؟ ؟ ؟

(هويدى « نوع من الطيور » ؟؟)

لا أعلم ما كلمة « هويدى » هذه ؟ لكنني أذكر أن (ابن سيده) ذكر فى معجمه المخصص (جزء ٨/ص ١٥٣) أن الخليل صاحب كتاب العين قال : « وطير الماء أكثر من مثتى لون ، والعرب لا تعرف أكثرها ، وأسماؤها عندنا (العراق) بالنبطية ، لأنها فى البطائح فى بلاد النبط » • ويعنى الخليل ببلاد النبط سواد العراق • فما يدرينا أن يكون (هويدى) لفظا نبطيا من بقايا أسماء الطيور التى تعلمها العراقيون من لغة أنباط السواد ؟

• •

قوله : (وان سألتوا عنى يقول بيمستا وحش) •

« بيمستا » أظنها فارسية الأصل ، لأن معنى بيم بالفارسية الخوف والفزع ، كما فى معاجمها • أما (وحش) بكسر الحاء ، فلفظ عربى صحيح معناه جائع • ولا يخفى وجود التناسب بين وصف الانسان بالخوف ووصفه بالجوع •

• •

قوله : (فى العام أبصرك مرة كأنك براة النصارى ، أو حجة الاسلام ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (أنا عليك أوذ فزع)

لا أعلم ما معنى « أوذ فزع ؟ » كلمة واحدة • أما اذا كانت كلمتين ، فيمكن أن يقال : ان (أوز) بالزاى لا بالذال الطائر المعروف ، و (فزع) من الفزع بمعنى الرعب والهلع ، ويكون المعنى أن حالتى من الخوف عليك كحالة الأوز اذا كان فزعا •

• •

قوله : (ما غارت المغل فينا ولا وقع يغماة)

(المغل) ومثله (المغول) : اسم لجيل كبير من أمم الترك الضاربة فى جزء الشمال الغربى من آسية ، والافرنج يسمونهم (منغول) بزيادة نون بعد الميم •

و (يغما) من دون تاء فى آخرها لفظ تركى معناه الغزو والسلب والنهب • وكأن (يغماة) بالتاء فى آخرها عربها العراقيون من (يغما) التركية •

• •

قوله : (يلعب بشطرنج ويقول : كنتو أحطك حطيطة قبلت منى الحطيطة ارجع نمى قاطعتنى وما يجوز التقاطع الا مع الطبقات •)

نمى ؟ لا أعلمها ، أو يقال : اذا كان اللعب بالشطرنج على مال يمكن أن يكون (نمى) بضم النون وتشديد الميم والياء ، قال فى الصحاح : (قال أبو عبيد : « النمى «

الدرهم الذي فيه رصاص أو نحاس ، قال النابغة يصف فرسا :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

أما (الحطيطة) فمن فعل حط . ولفظ (الحطيطة) أتخيل أنه فعل مستعمل بين اللاعبين بالورق أو غيره ، وربما أرادوا به التنازل عن شيء من حق اللاعب فى أرباح اللعب . ولفظ « الحطيطة » عربى فى أصل مادته ، اذ يقال : حط الدائن من مبلغ الدين مقدارا لكى يسهل على مديونه المعسر أداء ما عليه .

. . .

قوله : (بيتان يحل بهما مهما أضمر الضامر من حروف المعجم ، وصورة العمل بها أن تقرأ على صاحب الضمير قفلا قفلا) الى آخر ما قال ووصف من حل الألغاز بالبيتين . ؟ ..

أقول :

الظاهر أن المراد بالقفل الشطر من بيت الشعر والأقفال جمعه ، لأن سياق الكلام يقتضى أن يكون معنى القفل والأقفال هكذا . أما حل هذا اللغز ، وتبسيط المعنى المراد منه ، فقد أصبح ذهنى كليلا لا يقوى على فهم أمثال هذه الألغاز ، ولا طريقة حلها .

. . .

قوله : (فى محاورات وقعت له مع غلام أمسالى فى القاهرة)

؟ ؟ ؟

قوله : (وأصلى كبير . وسنبس وطى أخوالى . وأبى فى العراق كان والى .)

« سنبس » و « طى » قبيلتان من قبائل العرب ، وفى القاموس : سنبس بن معاوية ابن جرول أبو حى من طى . ومن سنبس « جابر بن رألان » السنبسى الشاعر .

. . .

قوله : (يا سعادة من بات فى عبو نبو ويقول ياكن كنوا)

(ياكن كنوا) ؟ ؟ ؟ ...

(العب) فى اللغة الردن ، والردن الكم ، وكانت العرب تضع الدراهم فى أصول أكمامها .

وفى لهجتنا الشامية أصبح يراد بالعب الجيب ، حيث تخبأ الدراهم . أما (نبو) ، فلا نعهدها فى لهجتنا الشامية ، ولعلها بمعنى الدراهم فى لهجة العراق ، أو بمعنى آخر كالمحجوب مثلا .

قوله :

(أصدقائى خانونى ، ان ذا عجيب   لاح لى من أعينهم لحظة المريب)

(« والمطعطع » الأسفل لا عنى يغيب   والذى هم أعدائى قربوا البعيد)

« المطعطع » اسم مفعول من الطعطعة ، وهى فى اللغة التمطق باللسان والشفتين عند تذوق الطعام اللذيذ بحيث يسمع صوت للفم ، وقد حكى هذا التفسير للطعطعة الخليل ابن أحمد ، ورده ابن فارس •

وهل المراد من « المطعطع » هنا هذا المعنى يا ترى ؟ الله أعلم •

• •

قوله :

(جزنا لبيتا محض وما عليه اشراف « بحصر بردى » وبصرى « ونطع كيشى » « ومسورة » •)

(حصر) جمع حصير مصنوعة من بردى ، (وبردى) ضرب من النبات تصنع منه الحصر ، و (النطع) ما يفرش من أديم الجلد ، و (كيشى) نسبة الى كيش ، ولا أعلم ما هو كيش ؟ ولعل صوابه كيشبى بالباء بعد الشين ، نسبة الى (كيشب) وهى قرية قريبة من الرى ، أو أن صوابه (كبشى) بباء موحدة بعد الكاف نسبة الى كبش الغنم بدليل قوله (نطع) الذى معناه الجلد • و (المسورة) فى اللغة العربية الوسادة ، أو مسند من جلد يكون مرتفعا ، للتأنق فى تضخيم حشوته • وأبو المطهر الأزدى فى (حكاية أبو القاسم البغدادى) شبه المغنية القصيرة الضخمة بالمسورة فقال : « انما أرى (أى فى مغنيات أصبهان) قردة كأنها مسورة عرضية ، أو غول طلع من برية » •

• • •

قوله :

(نبهت والقالى • لا يقيم أعذارى • شغفى قد زاده وهى لا ترعالى •)

الظاهر أن المراد (بالقالى) الحبيب القالى أى المبغض أو الهاجر • ومعنى (لا يقيم أعذارى) لا يعتد بها ولا يقيم لها وزنا • و (شغفى) أى حبى زاد • وهى أى المحبوبة لا ترعالى حقا ، ولا تحفظ ودا ، فمفعول فعل ترعا محذوف ، وصوابه (ترعى) بالياء •

• •

قوله :

(مرّ بشئ يرضـــالى   لا ترس مو طـــارى)

(التونى عاده بالويه وأبالى)

؟ ؟ ؟

قوله :

(جى وزور كنا نجارى نو العذار)

؟ ؟ ؟

قوله :

(بالله نقسم لو خذوا السبت والحد ما كنا نقطع ذا النزيز جرم للجد)

(السبت) يوم السبت • و (الحد) يوم الأحد ، وحذف الهمزة من الأحد لهجة شامية شائعة حتى على ألسنة الخاصة •

•.•

قوله :

(على النسيم حين تجينا بالراحتين نلتقوك)

(على دارين عبرت أو منها جيت)

(ان قط لس بذا الذكا ندروك)

(تجينا) أى تجيئنا • (بالراحتين) الراحة باطن الكف ، والمراد بها الكف نفسه ، و (نلتقوك) كأنها لهجة عراقية ، والمراد نلتقيك : أى اننا نلتقيك ونجتمع بك معانقين لك بالكفين أو اليدين كما هى العادة • و (دارين) بلدة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، ومن دارين يباع المسك الى سكان جزيرة العرب • قال شاعرهم :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

كأن معنى عبارة الصفى الحلى أنه لما عانقه براحتيه شم منهما رائحة المسك ، فهو يقول متعجبا من أين أتتك هذه الرائحة ؟ فاما أن تكون جئت من قرية « دارين » حيث رائحة المسك تملأ أرجاءها ، أو انك عبرت فيها عبورا •

•.•

هذا ـ أيها الدكتور الفاضل ـ ما أمكننى الاهتداء اليه من تفسير الألفاظ التى سألتم عنها • وبقيت كلمات أخرى لم أهتد اليها ، وأتمنى لو تعرض على أحد من اخواننا العراقيين ، فلعل لديهم بها علما ، وفوق كل ذى علم عليم •

دمشق عبد القادر المغربى

تعليق على « اللغة العربية بين بون ودمشق »

١ ـ « وأنا طنج فرحان » . أظن الجيم في « طنج » مبدلة من الزاي في « طنز » ، وظاهرها أنها صفة من « طنزبه » ، أي سخر ، وأكثر السخرية يكون مع الضحك والسرور .

٢ ـ « فخاطرو من دلى » . يظهر لي أن دلى هي اللفظ العامي لـ « دلهى » أو أن الشائع من لفظها « دله » قال ابن رافع فيما نقل من كتابه تقي الدين الفارسي :

« سعيد بن عبدالله الدهلي (بكسر الدال المهملة وسكون الهاء) نسبة الى دله مدينة بالهند ، ولد بها هذا »[١] . وعلى هذا يكون قوله :

فخاطرو من دلى والكف من قلهات

مرادا به ما اشتهرت به دله يومئذ وما اشتهرت به « قلهات » مدينة بعمان على ساحل البحر أهلها كلهم خوارج اباضية ويتظاهرون بذلك ، كما في مراصد الاطلاع ، فهو قد جمع بين شيئين مختلفين في كل الأمور .

٣ ـ هويدى : أجل هو نوع من الطيور تصغير « الهادى » ، ويجمع المكبر على « الهوادى » وهو معروف في أكثر البلاد الاسلامية بذلك ؟ لأنه من نوع الحمام المهتدى في طيرانه ، ويعرف بحمام البطاقة وحمام الزاجل والمنسوب أيضا ، جاء في خبر حديقة الطيور التى أنشأها الوزير أبو على بن مقلة أنه « جعل في صحن .. كالبرج أقفاصا فيها فاخر الطيور للفراخ وبرجا في السطح « للهوادى » والقلابات والمراعيش »[٢] .

وقال ابن الجوزى في حوادث سنة ٤٦٧ : « وفي شعبان تقدم فخر الدولة (محمد ابن جهير) الى المحتسب في الحريم بنفى المفسدات وبيع دورهن .. ومنع الناس من دخول الحمامات بغير ميازر وقلع الهوادى[٣] والأبراج ، ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح الناس » .

وقال فيها سبط ابن الجوزى : « وفي شعبان أمر الوزير فخر الدولة المحتسب بنفى المفسدات من حريم دار الخلافة ، وبيع دورهن ، ومنع الناس أن يدخلوا الحمام بغير

---

(١) منتخب المختار (ص ٥٧) .

(٢) مختصر تاريخ ابن السمعاني « نسخة المجمع المصورة ، ورقة ١٧٣ » .

(٣) كذا جاء في المطبوع من المنتظم (٨/٢٩٤) ولعل الأصل « وقلع أبراج الهوادى » كما سيأتي .

ميازر ، وأخرب أبراج « الهوادى » ، ومنع من اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على الناس »[(١)] .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٧ : « في هذه السنة اتخذ نورالدين بالشام « الحمام الهوادى » ، وهى التى يقال لها المناسيب ، وهى تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها ، وجعلها في جميع بلاده ... »[(٢)] .

٤ ــ « يقول بيمستا وحش » : بيمستا مركبة من كلمتين فارسيتين ، هما : « بى » أداة النفي والسلب والفقدان ، و « مستا » أصلها « مست » وهى بمعنى ثمل ومنتش من الشراب[(٣)] . فهو غير ثمل ولا شبعان .

٥ ــ « فى العالم أبصرك مرة كأنك براة النصارى أو حجة الاسلام » .

يشير الى أن رؤيته له كبراة النصارى ، وهى بعض طقوسهم الدينية لا تكون الا مرة فى السنة[(٤)] ، ومثل حجة الاسلام لا يمكن أن تكون الا مرة فى السنة فى شهر ذى الحجة منها .

٦ ــ « والمطمطع الأسفل لا غنى يغيب » . قال ابن فارس فى المقاييس : « الطاء والعين ليس بشىء . فأما ما حكاه الخليل من أن الطعطعة حكاية صوت اللاطع، فليس بشىء » .

أما « الطمطعة فى العامية العراقية ، فهى التعتعة ، يقال « تعتع الشىء : حركه بعنف وقلقله » ، والمطمطع فيها المضعضع لكثرة التعتعة التى أصابته .

٧ ــ « بحصر بردى وبصرى ونطع كيشى ومسورة » : النطع الكيشى منسوب الى جزيرة كيش ، وفى مراصد الاطلاع : « كيش : تعجيم « قيس » جزيرة فى وسط البحر تعد من أعمال فارس وتعد من أعمال عمان » وفيه أيضا : « وقيس جزيرة فى بحر عمان وتسمى كيس ، دورها أربعة فراسخ ، مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة وهى مرفأ مراكب الهند وبر فارس وبها مغاص اللؤلؤ » .

مصطفى جواد

---

(١) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، (١٥٠٦ور١٥٤) » .

(٢) الكامل فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ . ونقل الخبر منه أبو الفداء فى تاريخه .

(٣) A Vocabulary, Persian, Arabic & English David Hopkins, London 1810

(٤) لعله أراد الاعتراف وتناول القربان المقدس السنويين .

دستور العمل لناحية الخالص

بموجب « فرمان »[1] الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥م)

كانت ادارة الممالك العثمانية على طريقة غير طريقة الاصلاحات التى بدىء بتنفيذها على وفق التنظيمات الخيرية التى وضعها السلطان محمود المتوفى فى سنة ١٠٥٥ هـ (١٨٣٩م) ، ثم خلفه السلطان عبدالحميد الذى أصدر « فرمانا » تتمة لما شرع فيه أبوه قرىء فى استانبول فى موضع اسمه كلخانه « بكاف فارسية » . وقد عرف هذا « الفرمان » بخط كلخانه (راجع مادة « تنظيمات » فى معلمة الاسلام بالافرنجية) .

ولنر الآن مثالا لتصرف وال قديم لبغداد فى ولايته[2] ، بعد أن فتحها السلطان مراد الرابع فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨م) بنحو أربعين سنة ، وبأعلاه تصدير أمر الوالى كما وجدته فى نسخة كتبت يوم صدور ما سمى بالفرمان . وهذا نقله من التركية بالحرف الواحد الى لغتنا :

(١) حينما يطلب تعيين « الجبلى »[3] فى ناحية الخالص يعطى « حفار »[4] عن

---

(١) قوله « فرمان » تسمية لهذا الأمر ـ وكان يقال لمثله « بيورلدى » ـ هو لتعظيم الوالى . و لفظة « فرمان » هنا فى غير محلها ؛ لأنها اذا أطلقت على أمر مكتوب فلابد أن يكون للسلطان ، وهو موشح بالطغراء فى أعلاه (راجع قاموس شمس الدين سامى)

(٢) مدح هذا الوالى ـ (كلشن خلفا) لنظمى زاده المطبوع فى استانبول فى سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠م) ، وأثنى عليه ، وبعد المدح أشار آسفا الى أنه كان يشرب الخمر (ص ١١٤) .

(٣) صحيح تصوير كلمة « جبهلى » كما يقال أيضا « جبهلو » (بفتح الجيم والباء من دون تشديد) . ومعنى « جبه » هو الدرع (قاموس شمس الدين سامى) . فهذا الـ « جبهلى » هو الجندى المتدرع المكلف ايفاده الى الحرب كل من أصحاب التيمار والزعامة ، فانه مكلف أن يوفد عددا من هؤلاء الجنود نسبة ديرلكه (الـ « ديرلك » هو ايراد الاقطاع) من تيمار وزعامة (راجع التأريخ العثمانى بالتركية لأحمد راسم ١ : فائدة ٦٠ ص ١٦٩ ح و فائدة ١١٦ ص ٣٩٥ ح ، ومادة تيمار وزعامة فى معلمة الاسلام) ويجوز ـ على ما أظن ـ أنه يراد بالجبلى الجندى من دون أن يكون متدرعا . وجاء فى أحمد راسم أن الـ « جبهلى » هو الفارس الكامل العدة القادر على المحاربة .

(٤) يظهر لى أنه يقصد بالحفار هنا الفلاح ، وان جاء فى وثيقة مؤرخة فى سنة ١١٠٣ هـ (٩٢/١٦٩١م) فى كلام على نهر الخالص تعيين حفارين له .

كل فدان[1] .

(٢) على الضابط ألا يأخذ شيئا من النقود عن الحفار غير الموجود المعين « جبليا » ، بل عليه أن يعرض الأمر على الوالي .

(٣) على الذين يزرعون في هذه الناحية ان كانوا من « أغوات » أو « قول » أو « رعايا » أن يعطوا الجبلي على وجه المساواة .

(٤) يؤخذ بغدادي[2] من كل رجل باسم مأكل الضابط وخدمة السوريجي (هل يريد الذي يسوق دواب الحمل كما هو معناها في قاموس شمس الدين سامي ؟)[3] ، ذلك حين تعين الحفار « جبليا » ، ولا يؤخذ أزيد من هذا ، وليس للضباط أن يطلبوا تعيين جبليين لطمع أنفسهم . ويعين الجبليون بمعرفة نائب الناحية والوجهاء والكتخدوات (يراد بالكتخدا هنا ما سمي بعدئذ واليوم بالمختار) .

(٥) يعطى ناحية الخالص خمسين حارسا لخيل سعادة الوالي لحراستها ليلا ونهارا في المرعى حتى تعود الى بغداد ، ولا يطلب أكثر من هذا العدد ، على أن يكون خمسة من هؤلاء الحراس في خدمة الضابط ، والباقون وهم خمسة وأربعون يسلمون أمير الآخور (أمير الاصطبل) .

---

(١) من المعلوم أن فداننا الحالي هو عشرون « دونما » جديدا ، ومساحة الدونم الفان وخمس مئة متر مربع كما هو معلوم أيضا . وكان تفويض الأرضين بالطابو في عهد مدحت باشا الذي ولي العراق في سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) بالدونم (وهو الذي سمي بعدئذ بالدونم العتيق ، ومساحته ألف وست مئة ذراع مربع ، وهي تساوي ٩١٨ مترا مربعا كما في نظام الطابو) أو بالفدان ، وفدان ذلك العهد مئتا دونم من الدونمات العتيقة (راجع بشأن هذا الفدان العدد ١٢٣ من (جريدة الزوراء) للحكومة المؤرخ في ٨ ذي الحجة ١٢٨٧ هـ ، و ١٦ شباط ١٢٨٦ رومية) (٢٨ شباط ١٨٧٠ م) ، هذا مع الاعتراف بأني أجهل مساحة ذلك الفدان الذي ذكره أمر الوالي والذي أظن أن مساحته هي ما يمكن للفلاح أن يزرعه من الارض كما هو جار على ألسنة الزراع في بعض المناطق .

(٢) نقد من فضة كان ضربه في بغداد ، ولي كلام عليه في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ «١٩٤١» ٢٩٥) نقلا عن رحلة تيفنو Thevenot الذي كان في بغداد سنة ١٦٦٤م (١٠٧٥ هـ) ، وقد قال : ان ثقله Dragme (درهم) . وكان يقال لهذا النقد « شاهي » كما في تيفنو (وراجع مقالي في هذه المجلة (١٩٥٠) «٢٧٧») .

(٣) وفي زماننا العثماني كانت تطلق كلمة سوريجي على ساعي البريد الذي كان ينقل على الخيل والبغال ، وهكذا نجد معنى الكلمة هذا في معجم شمس الدين سامي المار ذكره نفسه في معجمه الثاني التركي الفرنسي بعد أن حرره مهران وطبعه .

(٦) يؤخذ لتموين المرعى ستون بطمان (منا) من السمن للآغا أمير الآخور ، وثلاثون بطمانا للضابط • يؤخذ السمن عينا ولا تؤخذ نقود عوضا عنه •

(٧) يؤخذ لتموين المرعى عشرون خروفا للآغا أمير الآخور ، ومثلها عشرون خروفا للضابط ، على أن يكون ثمن الخروف أربعة بغداديات لا أكثر من هذا •

(٨) يؤخذ لتموين المرعى خمس عشرة وزنة من التمن لأمير الآخور ، وللضابط مثلها خمس عشرة وزنة لا أكثر من هذا حبة ، ولا تؤخذ نقود عوضا عن ذلك •

(٩) يؤخذ لتموين المرعى ثلاثون وزنة دقيقا لأمير الآخور ، وللضابط كذلك ثلاثون وزنة ، وذلك عينا ، ولا يؤخذ بدل عن ذلك ولو درهما واحدا •

(١٠) يؤخذ لمطابخ الوزراء العظام (يريد الولاة) في كل شهر مئة دجاجة[١] (ما أغرب هذه الضريبة !) لا دجاجة أكثر (أجل ، لا دجاجة أكثر !) ، ولا تؤخذ نقود باسم خدمة[٢] ، ولا يؤخذ دجاج من قرى الأوقاف •

(١١) يؤخذ لخيل والي الولاية مئة ألف برمة (ربطة ؟ من أي شيء ؟) لا واحدة أكثر ، ولا يؤخذ عن ذلك عوض •

(١٢) يؤخذ للضابط من كتخدا القرية الصغيرة خمسة غروش[٣] ، ومن كتخدا القرية الكبيرة عشرة غروش ، ذلك قيمة « خلعة » أي (هدية) ولا يؤخذ أكثر من هذا •

(١٣) يؤخذ من هذه الناحية لخيل الوالي في كل سنة تبن حمل خمسين سفينة لا أكثر ، وتؤخذ خدمة على كل سفينة ستة بغداديات ، ولا يؤخذ دقيق ولا تبن من قرى الأوقاف (قال سابقا : « يؤخذ دقيق » ، والآن يقول : « لا يؤخذ » ، فيبين لي أن المنع عن أخذ الدقيق الوارد هنا هو المنع عن أخذه من قرى الأوقاف) •

---

(١) في نسخة كتاب للوالي تاريخه في ١٨ جمادى الأولى ١١٠٤ هـ (كانون الثاني ١٦٩٣م) : يأمر مستندا الى خط للسلطان بالغاء طائفة من الرسوم ، منذلك تكليف الفصيل والتبن والدجاج •

(٢) كلمة عاشت زمنا طويلا بمعناها المصطلح عليه أو بما يقرب منه ، ذلك أني واقف على أن مأمور المال وأمثاله في لواء المنتفق في عهدنا العثماني اذا أوفدوا ضبطية (كالشرطي اليوم) أو كاتبا لتحصيل مال من مكلف من العشائر ، كان هذا الجابي يفرض لنفسه ربية باسم خدمة تكون له على كل ليرة (عثمانية ذهبا) ، فيخضع المكلف للأمر مضطرا •

(٣) كان ذلك الغرش كبير الحجم والقيمة وهو غير الغرش الذي هو جزء من مئة جزء من الليرة العثمانية التي بدأ بضربها السلطان عبدالمجيد •

(١٤) يؤخذ عينا لمطبخ سعادة الوالى من قرية « يكيجه » (تلفظ ينيجه) سبع وزنات من الحصرم ، ومن قرية « دوخلة » ثلاث وزنات ونصف وزنة ، ومثلهما ثلاث وزنات ونصف من قرية « قزانية » ، ولا يؤخذ شيء من النقد على ذلك باسم خدمة ٠

(١٥) اذا كان ساكنا في قرى الناحية المذكورة من هو من رعايا « احشامات »[1] « وقره أول»[2] «قره أولوس»[3] ، وكان هؤلاء الرعايا « رنجبر » (الرنجبر هو الذى يشتغل بأجرة يومية وأعماله شاقة ٠ قاموس شمس الدين سامى ٠ أما المتعارف عندنا فهو من كان فقير الحال معاشه ضيق) يؤخذ فضلا عما هو مكلف به الزراع ما يقع من التكاليف العرفية[4] على كل رجل ، ويعطى عشر ذلك لرعايا القرية امدادا لهم ٠

(١٦) اذا سكن رعايا القرى المار ذكرها غيرها من القرى بصورة متفرقة ، فحسنا يفعل الضابط في اعادتهم الى أماكنهم ، وان طمع الضابط وأخذ منهم نقودا فله نصفها ،

---

(١) جاء في كلشن خلفا (ص ١٠٤) في أخبار سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨م) قتل بنى لام لآغا الاحشامات ، فأرسلت قوة للانتقام منهم ٠

(٢) ذكر تأريخ الغياثى « قراول » (كذا وليس قره قول ولا قره غول) وهم فرسان كما يفهم مما هناك ، كما أنه ذكر قرأول الجغتاى وذكر « قرأولية » السلطان ، ذلك كله فى أخبار سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٢/٣٣م) ، وذكر قراول فى أخبار سنة ٨٧٠ ٠ ويظهر من كلام الكتاب أنهم كانوا صنفا من الجنود ٠ وهذا التأريخ المسمى بالغياثى هو تأليف عبدالله بن فتح الله الملقب بالغياث البغدادى ، وكان مؤلفه لا يزال حيا فى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة ٠ ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة قديمة أهداها الآباء الكرمليون الى خزانة كتب دار الآثار القديمة ٠

(٣) وجدت فى جريدة الزوراء للحكومة العثمانية فى عددها ١٠٠٨ المؤرخ فى ٢٣ ربيع الآخر ١٢٩٩ الموافق ٢ مارت ١٢٩٨ (١٤ آذار ١٢٨٢) تبرع فرقة « قره اولوس » بتسعة عشر مجيديا اعانة لشراء بغال للحكومة ، وقد بان لى مما هناك أن قره أولوس عشيرة تسكن قضاء مندلى ، فسألت رجلا أعده ثقة من أهل هذه الحاضرة ، فقال : « قره أولوس » عشيرة تسكن الآن أراضى واقعة فى هذا القضاء على طريق من يريد خانقين، وهى تتكلم التركية ، ونفوسها تقدر بنحو ألفى نسمة ٠ ومعنى أولوس الكلمة التركية القوم أو الأمة أو كبير العشيرة كما فى قاموس شمس الدين سامى التركى أما معناها فى معجمه التركى الفرنسى فانه العشيرة الكبيرة ، ومعنى « قره » هنا هو الأسودوالظلام٠ وفى كلشن خلفا (ظهر ص ٥١ فى أخبار النصف الأول من القرن التاسع للهجرة) أن قره يوسف الشهير بـ «قره قيونلى» كان من «أولوس» ٠ ومن الصحف التركية فى زماننا هذا صحيفة اسمها «أولوس» أى الأمة ، الشعب ٠

(٤) ذكرها التاريخ العثمانى لأحمد راسم (المجلد ٣ المطبوع فى استانبول ١٣٢٩هـ ١٣٢٧ مالية = ١٩١١م ص ١١٥٤ فائدة ٢٣٠) وقد أبان اسماء هذه التكاليف البالغة ٩٧ ٠ وراجع « جريدهء عدلية » (٧ ، ١٣٣٣ مالية ١٩١٧م ، ٦٧٦) تجد فيها أسماء تكاليف لم تذكر فى أحمد راسم ، منها « رسم عروسانه » ٠ ويظهر من هذه الأسماء أن بعضها كان يطرح دائما ، وبعضها عند الحاجة ٠

والنصف الآخر يعطى امدادا لرعايا القرية •

(١٧) يبقى ضابط الناحية عنده عشرة رجال ، فضلا عن الشحانى (يراد بالشحانى هنا حراس الحاصلات الزراعية كما هو مصطلح عليه اليوم عندنا ، وهذا المعنى هو غير معناها المعروف فى العصر العباسى) الذين يعينهم للقرى ، وحينما يتجول الضابط فى القرى يكون معه عشرة رجال ، وعليه ألا يبقى فى القرية (الكبيرة) أكثر من خمسة أيام • أما فى القرى الصغيرة فيبقى يوما واحدا ، وعليه ألا يضايق الرعايا بنزوله فى قريتهم ومعه أكثر من عشرة رجال ، ولا يكلفهم غير المأكل والعليق •

(١٨) على ضابط الناحية أن ينبه الكتخداوات أن يزرعوا أرضيهم كالسنين السابقة ، فان زرعوها كان حسنا ، وان زرع الملاك (أرضه) فليس لأحد من الرعايا وغيرهم أن يمنعه ، وتحسب أفدنته ، ويؤخذ منه فضلا عن الجبلى ما يقع على كل فدان (من المال) ، وتمد الرعايا بعشر ذلك ، وان أعطى الملاك البذر يكون (الحاصل) مناصفة وليس على الملاك أن يعطى شيئا ، وان زرع الضابط رجلا « برانيا » (يريد به غيرالرعايا وغير الملاك) تحسب التكاليف ، وعليه أن يعطى فضلا عن الجبلى الخمس امدادا للرعايا •

(١٩) ليس لأحد أن يمنع الضابط من تضمين ورق الكرم ، الا أن القطف اذا كان يضر بالعنب فى القرى التى تثمره فيؤخذ منها مقطوعا مئة غرش ، وليس للضابط بعد هذا أن يرغم الفقراء على دفع شيء باسم هذه « المكلفية »•

يعقوب سركيس

بلاد العرب

من جغرافية سترابون

(حوالى ٦٦ ق. م. – حوالى ٢٤ ب. م.)

١ – تبتدىء بلاد العرب من ناحية بلاد « بابل » بمدينة « مايسينى »[١] (Maecene). وفى مقدمة هذه الكورة ، تقع صحراء العرب من ناحية ، ومن الناحية الأخرى البطائح المقابلة لأرض الكلدانيين[٢] ، وهى التى يحدثها فيضان الفرات ، وفى الجهة الأخرى بحر فارس . وجو هذا الاقليم كثير الغيوم ، وبيل : فأمطاره أحيانا غزيرة ، وحرارته صاهرة . الا أن محصولاته جيدة ، والكرمة فيه تنمى فى البطائح ، فانهم يضعون تربة بقدر ما تحتاج اليه الكرمة فى اطار من القصب ، وتجرفه المياه أحيانا ، فيرجعونه الى مكانه بعيدان طويلة .

٢ – وأعود الى ما يقوله (اراتستنيس) فى « بلاد العرب » . فهو يتحدث عن الجزء الصحراوى فى الشمال ، الواقع بين « بلاد العرب السعيدة » (Arabia Felix) و « سورية الخالية » (Coele Syria) واليهودية ، حتى تجويف « خليج العرب » .

فمن « هروبوليس (Heroopolis) » الواقعة فى تجويف خليج العرب هذا ، وهو من ناحية نهر النيل ، الى « بابل » ، فى نحو بطراء النبط ، ٥٦٠٠ ستاديونات . والكورة بأجمعها تقع فى جهة الانقلاب الصيفى (أى شرقا وغربا) ، وتمتد خلال أرض القبائل العربية المجاورة لها ، وهى قبائل النبط ، والخاولوطيين والأغريين . وفوق هؤلاء الأقوام تقع بلاد العرب السعيدة ، وهى تمتد ١٢٫٠٠٠ ستاديون نحو البحر الأطلسى جنوبا[٣] .

ويرى – بعد السوريين واليهود – أن أول الأقوام التى تسكن هذه البلاد قوم زراع . ويلى أرضيهم صقع صحراوى قاحل ، وفيه قليل من النخيل والعوسج[٤]

(١) لعلها «المسيب» الواقعة على مسافة قليلة شمال «بابل». (غوسيلن Gosselin).

(٢) كان هؤلاء يسكنون على صف الفرات من هناك حتى ساحل « خليج العجم ».

(٣) لترون يقترح أن تستبدل بالبحر الاريترى أى الحبشى

(٤) Mimosa Nilotica

والطرفاء . ويحصل الناس فيها على الماء بحفر الآبار كما في « غدروسيا » ، ويدعون (السكونيين العرب)(Arabian Scenitae)، وهم يربون الجمال . والأجزاء التي في أقصى الجنوب ، ازاء بلاد الحبشة ، تسقيها أمطار الصيف ، وتزرع مرتين في السنة كما في أرض الهند . ويستهلك مياه أنهارها سقيها السهول وانصبابها في البحيرات . وخصب البلاد عامة حسن جدا ، ومن محصولاتها المتعددة العسل ، وهو كثير فيها جدا . وفيها أسراب كثيرة من الحيوانات : البغال (والحمير ؟) والخنازير ، ولكن ليس فيها خيل[1] ، وتوجد فيها الطيور من كل نوع سوى الاوز والفصيلة الدجاجية .

والطرف الأقصى من الاقليم المذكور تقطنه أربع أمم من أكثف الأمم عددا ، وهم : (المعينيون) (Minaei) في الجزء المقابل للبحر الأحمر ، وأكبر مدنهم « قرنه » (Carna) أو « قرنانه »[2] (Carnana) . ويليهم (السبئيون) ، وأكبر مدنهم « مأرب »[3](Mariaba) . والأمة الثالثة (القتبانيون) (Cattabaneis)[4]، ويمتدون في سكناهم حتى المضيق والممر الذي هو عبر الخليج العربي ، وعاصمتهم الملكية تدعى « تمنه » (Tamna) . و(الحضارمة) (Chatramotites) أقصى هذه الأمم شرقا ، ومدينتهم « سبته » (Sabata) [5] .

٣ ـ كل هذه المدن يحكم فيها ملك واحد . وهي مدن زاهرة ، تزينها القصور والهياكل الجميلة . وبيوتهم تشبه البيوت المصرية من حيث خشبها التي يشد بعضها ببعض. والبلدان الأربعة معا تكون مساحة من الأرض أكبر من دلتا مصر[6].

وعندهم لا يخلف الابن أباه على العرش ، وانما يخلف الملك أول ابن يولد للنبلاء بعد أن يرقى الملك العرش . وحين يتسلم أحدهم مقاليد الحكم ، تسجل أسماء الحوامل من زوجات النبلاء ، ويعين رقباء مهمتهم هي أن يعرفوا أيتهن ولدت ابنا قبل غيرها . والعادة هي أن يتبنى الملك ذلك الوليد ويربيه تربية الأمراء ليكون وارث العرش في المستقبل .

---

(١) هذا يدعو الى الدهش !
(٢) « قرن المنازل » .
(٣) كانت العاصمة على التحقيق تدعى سبأ ، والمنطقة التي تقع فيها الآن تدعى سابية .
(٤) اليمانون .
(٥) « شبوة »(Sabotha).
(٦) كانت سبعة اضعاف مساحة الدلتا .

٤ ـ وتنتج بلاد « قتبانية » اللبان ، وحضرموت المر . وهذه المواد العطرية من أسباب التبادل التجاري . ويصل التجار من « أيلة »[١] (Aelana) الى معين « ميناء » في سبعين يوما . و « أيلة » ، « عيلانا » مدينة تقع على التجويف الآخر من الخليج العربي المسمى بأرض الايلانيين « العيلانيين » ، ازاء « غزة » ، كما ذكرنا آنفا . و (الجرحائيون) (Gerrhaei) يصلون الى « حضرموت » في أربعين يوما .

والخليج العربي الممتد على طول بلاد العرب ، اذا قسناه من تجويف « الخليج العيلاني » ، فهو بحسب ما يقول (الاسكندر) و (أنا كسيكراتس) ١٤٠٠٠ ستاديون طولا . ولكن هذا الحساب أكثر مما ينبغي . فالصقع الموازي لـ « طرغلوديتيكا » (Troglodytica)ـ وهي على يمين الذين يبحرون من « هروبوليس »[٢] الى « بطليمايس » (Ptolemais) ـ حتى البلاد التي تؤخذ اليها الفيلة ، يمتد تسعة آلاف ستاديون نحو الجنوب، ويميل قليلا نحو الشرق . ومن هناك حتى المضيق نحو من ٤٥٠٠ ستاديون ، في وجهة الى الشرق في الأكثر . والمضيق قرب الحبشة ناشئ عن رأس من الأرض ناتئ يدعى « ديره » (Deire) [٣] ، وفيه بلدة صغيرة بهذا الاسم . وسكان هذا البلد هم « أكلة السمك » (اكثيوفاغي Ichthyophagi) . ويقال : ان هناك عمودا اقامه سيوسطريس المصري ، نقشت عليه بالأحرف الهيروغليفية قصة عبور خليج العرب . فيظهر أنه فتح « الحبشة » و « طرغلوديتيكا »[٤] أولا ، ثم عبر البحر الى « بلاد العرب » . وبعد ذلك اجتاح « آسية » جمعاء . ولذلك نجد سدودا كثيرة تسمى بسدود سيوسطريس ، وهياكل مبنية لتعظيم آلهة مصرية .

ومضيق « ديره » يقل عرضه حتى يبلغ ستين ستاديون ـ وهو لا يدعى مضيقا ؛ لأن السفن توغل قليلا فتجد ممرا عرضه نحو من مئتي ستاديون بين القارتين[٥] . غير

---

(١) أيلة (Ailah)، أو العقبة .

(٢) السويس . ما تزال الخرائب ظاهرة في أبو كيشيد .

(٣) أو « الرقبة » ، سميت كذلك لموقعها على رأس برى بهذا الاسم ، وهي بلدة على الساحل الافريقي لمضيق باب المندب .

(٤) وتمتد على الساحل الغربي من خليج العرب .

(٥) تساوي مسافة الستين ستاديونا المسافة التي بين الرأس الشرقي لباب المندب وجزيرة محون ، ومسافة المئتي ستاديون تساوي المسافة بين هذه الجزيرة والساحل الافريقي . وفي ضمن المسافة الثانية تقع الجزائر الست التي تكلم عليها سترابو.

أن فيه ست جزائر متجاورة ليس بينها الا ممرات للسفن ضيقة جدا ؛ لأنها تملأ الشقة بين القارتين • ومن خلال هذه الممرات يمر بالسلع من القارة الى الأخرى على المعابر • وهذه الممرات هى التى تدعى « المضايق » • واذا تجاوزنا هذه الجزائر نجد أن الملاحة تكون فى الخلجان الصغيرة على طول بلاد المر ، فى نحو جنوبى وشرقى حتى نبلغ بلاد القرفة (أى الدارصينى) ، وطول هذه المسافة خمسة آلاف ستاديون[١] • ويقال : لم يتخط انسان حدود هذا الاقليم حتى اليوم • وليست مدن الساحل كثيرة ، غير أنها على كثرة فى الداخل ومأهولة كذلك • هذا ما يقوله (اراتستنيس) فى « بلاد العرب » • وعلينا الآن أن نضيف ما يقوله الكتاب الآخرون •

٥ ــ يقول (آرتميدورس)[٢] • ان الرأس الناتىء من « بلاد العرب » ازاء « ديرة » تدعى « عقيلا » (Acila)[٣] ، وان الناس الذين يسكنون قرب « ديرة » يختتنون أنفسهم •

واذا أبحر المرء من « هروبوليس » وساحل « طرغلوديتيكا » ، يلقى مدينة تدعى « فيلوطيرا »[٤] (Phelotera) ، وقد سميت كذلك باسم أخت « بطليموس الثانى » • وقد أسسها (ساتيروس) (Satyrus) الذى كان قد أرسل لارتياد أماكن يصاد فيها الفيل ، والاستكشاف عن « طرغلوديتيكا » نفسها • وتلى هذه مدينة أخرى تدعى « أرسينوى » (Arsinoé) ؛ وتليها ينابيع حارة مياهها ملحة مرة ، تتدفق من فوق صخرة منيفة وتصب فى البحر • وفى سهل قريب من هذه الينابيع جبل أحمر اللون كالزنجفر[٥] • ويلى ذلك «ميناء الفأر» ، ويدعى أيضا « ميناء افروديتى» (Aphrodites (Hormus ، وهو ميناء واسع ، المدخل اليه منحرف ، وأمامه ثلاث جزائر ، اثنتان

---

(١) لا يعنى المؤلف ببلاد المر والقرفة ساحل جزيرة العرب الجنوبى ، بل الساحل الافريقى الممتد من باب المندب الى غواردافوى (غوسلين) •

(٢) العبارة الطويلة الممتعة من الفقرة الـ ٥ حتى نهاية الفقرة الـ ٢٠ ، مأخوذة عن آرتميدورس ، ما عدا بضع حقائق استقاها المؤلف من مراجع أخرى وألحق بها ملاحظاته• وأما آرتميدورس فقد نقل ما قاله عن أغاثرخيدس والأرجح أن هذا عاش فى أثناء القرن الثانى ق• م• ، وكتب فى موضوع آسية كتابا فى عشرة أجزاء وآخر فى أوربة فى ٤٩ جزءا ، وكتبا أخرى •

(٣) غيله •

(٤) قصير •

(٥) أكسيد الرصاص (المترجم)

منهما مكسوتان بشجر الزيتون ، فأما الثالثة فأقل شجرا ، ويكثر فيها الدجاج الحبشى (١) . وبعد ذلك نجيء الى « اكثارتس » (Acathartus) أو (الخليج الردىء) ، وهى ، كـ « ميناء الفأر » ، على خط العرض الذى تقع عليه « طيبايس » نفسه . وهذا الخليج ردىء حقا ، وخطر جدا ؛ لكثرة ما فيه من صخور (بعضها يغطيها البحر ، وبعضها ظاهر) ، ولشدة رياحه العنيفة التى لا تكاد تنقطع . وفى آخر الخليج تقع مدينة « برينيكى » (٢) (Berenice)

٦ ـ ووراء هذا الخليج تقوم جزيرة « أوفيوديس » (٣) (Ophiodes) ، المفعاة ، وقد سميت كذلك لأنها كانت فى زمن ما تعيث فيها الأفاعى . وقد أباد الملك (٤) تلك الأفاعى بسبب ما كانت تلحقه من أذى بالناس الذين يختلفون الى الجزيرة ، وبسبب ما فيها من الياقوت الأصفر (الطوباز) . وهو حجر شفاف ، يتألق تألقا ذهبيا ، غير أنه من العسير أن يميز فى وضح النهار لشدة الضوء المحيط به ، ولكن الذين يجمعونه يرونه بالليل فيضعون اناء حيثما يرونه علامة عليه ، وفى النهار يستخرجونه من الأرض . وقد كان ملوك مصر يعينون جماعات من الرجال يصرفون لهم الرواتب ، ليحرسوا الأماكن التى يوجد فيها هذا الياقوت ، ويشرفوا على جمعه .

٧ ـ ووراء هذه الجزيرة أقوام كثيرة من أكلة السمك والبدو الرحل ، ويلى أرضهم « ميناء الالهة سوطيرة » (Sotcira) (الحافظة) الذى سمى بهذا الاسم حينما لجأ ليه جماعة من ربابنة السفن وتخلصوا من أهوال البحر ، فنجوا من الموت .

وفيما يلى ذلك يتغير الخليج والساحل تغيرا كبيرا ، لأن الابحار بمحاذاة الساحل لا يكون حينئذ من بين الصخور ، كما أنه يقترب كثيرا من بلاد العرب . والبحر هناك ضحل جدا لا يكاد يزيد عمقه على اثنتى عشرة قدما ، ويبدو كأنه مرج أخضر لكثرة ما فى سبله من عشب البحر الذى تشف عنه المياه ، حتى ان الأشجار تنمو هنا فى الماء ، وتكثر فى البحر كلاب البحر .

ويلى ذلك جبلان (٥) هما : « جبل ثورى » (Tauri) (الثور) (٦) ، وهو اذا

---

(١) Meleagrides

(٢) بندر الكبير . (٣) زمرغات .

(٤) بطليموس فيلادلفس .

(٥) كل هذا الوصف شديد الابهام ، ومن الصعب تبين الأماكن التى يذكرها (سترابون) دون مراجعة كتب أخرى (غوسلين) .

(٦) يذكر (سترابون) الاسم بالجمع : « طورى » أى الثيران . (المترجم) .

رئى عن بعد يشبه الثيران ، ووراءه جبل عليه هيكل لـ « ايزيس » بناه (سيوسطريس) • وهناك جزيرة مغروس فيها الزيتون ، وتغمرها المياه الفائضة أحيانا • وهذه تليها « مدينة بطليمايس » ، قرب الأماكن التي تصاد فيها الفيلة ، وقد أسسها (أويميديس) الذي أرسله (فيلادلفس) الى أماكن الصيد هناك • وقد جعل (أويميديس) من المكان شبه جزيرة وذلك من دون أن يعلم أهله بأن حفر حولها خندقا ، وبنى سورا ، ثم اكتسب بلطفه ودماثة خطابه ود الذين أرادوا أن يمنعوه عن عمله ، وبذلك جعل منهم أصدقاء له ، بدلا من أن يكونوا أعداءه •

٨ ــ وفي السهل الذي يلي ذلك يصب أحد روافد «نهر أستابوراس» (Astaboras)(١) وهو ينبع من بحيرة ، ويفرغ بعض مياهه في الخليج ، غير أن القسم الأكبر منها ينصب في « النيل » • وتلي ذلك ست جزائر تدعى « اللاطوميات » (Latomiae) وبعدها المصب السبئي(٢) ، كما يسمونه ، وفي الأرض الداخلية قلعة بناها (سوخس) • ثم بحيرة تدعى « العياء » (Elaea) ، و « جزيرة ستراتو » (Strato)(٣) • ثم « ميناء سبأ »(٤) • وأماكن لصيد الفيلة يطلق عليها الاسم نفسه • وفي أقاصي الأصقاع الداخلية تسمى البلاد تنسيس (Tenessis)، ويقطنها المصريون الذين فروا خوفا من (حكومة بساميتيكس)(٥) • وقد لقبوا بكلمة (سمبريتاي)(٦) (Sembritae) لكونهم غرباء • وتحكم فيهم ملكة تخضع لها أيضا « جزيرة ميروى » المجاورة وهي في النيل • وعلى مسافة قليلة جزيرة أخرى في النهر ، آهلة بهؤلاء اللاجئين • والمسافة بين « ميروى » والبحر مسيرة خمسة عشر يوما لرجل نشيط • وعلى مقربة من « ميروى » تجتمع مصبات « استرابوراس » و « استابس »(٧) ، « وأستاسوباس » في « نهر النيل » •

٩ ــ وعلى ضفاف هذه الأنهر يعيش « أكلة الجذور » (ريزوفاغي) ، و « أهل

---

(١) طقز Tacazze ، ولكن هذا النهر ليس له فرع كهذا •

(٢) خليج متزوعه

(٣) من الصعب التوثق من معرفة مكان هذه الجزيرة •

(٤) يقول (غوسيلن) : « لا أعرف هذا المكان • فالقدماء يذكرون مدينة واحدة فقط باسم « سبأ » • فهل كانت هناك سبأ أخرى دعي باسمها الخليج السبئي ؟ غير أن « سبأ » المذكورة ، على ما يظهر لي ، لم يكن موقعها هناك » •

(٥) ٦٥٨ ق• م•

(٦) يصح هذا الوصف على البلد المدعو اليوم « سنعار » •

(٧) النيل الأزرق •

البطائح . وقد سموا كذلك لأنهم يجتثون الجذور من البطائح المجاورة لهم ، ويدقونها بالحجارة فيجعلونها أقراصا ، ويجففونها فى الشمس فتكون لهم طعاما . وهذه الأقاليم مأسد ، ولكن حين تطلع الشعرى يهاجم البرغش هذه الوحوش فتهرب من ذلك المكان .

وقرب هؤلاء القوم يعيش « أكلة البذور » (سبرموفاغى) ، فاذا لم يجدوا بذور النباتات ، اقتاتوا بذور الشجر[1] ، وهم يهيئونها طعاما كما يفعل أكلة الجذور .

وبعد (Elaea) (العياء) نجد « مراصد ديمتريوس » ، و « هياكل كونون » (Conon) . وفى الداخل ، حيث تسمى البلاد « كوراسيوس »[2] (Coracius) ينمو القصب الهندى بكثرة .

واذا توغلنا فى الداخل وجدنا مكانا يدعى « أندرا » (Endera) ، يسكنه قوم عراة ، يستعملون القسى والسهام القصب ، وهم يصلبون أطرافها بالنار . وهم فى العادة يرمون الحيوانات بالسهام ، وهم على الشجر ، وأحيانا فى الأرض . ولديهم قطعان كثيرة من المواشى البرية يقتاتون لحمها ولحم حيوانات برية أخرى . وحين يعودون من الصيد خائبين يشوون جلودا مجففة على الجمر ، ويكتفون بمثل ذلك الطعام . ومن عاداتهم أن يتجاود الفتية فى الرماية قبل أن يبلغوا سن الرجولة .

ويلى « هياكل كونون » ، « مرفأ ملينوس » (Melinus) ، وفوقه قنمة تدعى « قلعة كوراوس » (Coraus) وأراضى صيده ، وهناك قلعة أخرى وأماكن أخرى للصيد . وفيما يلى ذلك نجد « ميناء أنتيفيلوس » (Antiphilus) ، وفوقه قبيلة أكلة اللحوم (كريوفاغى) ، وهم يختتنون ، ويخفضون نساءهم جريا على العادة اليهودية .

١٠ ـ وفيما وراء ذلك جنوبا يعيش « حلبة الكلاب » (كينا مولغى) ، ويدعوهم السكان المحليون بـ « أغريى »[3] (Agrii) ، لهم شعر مرسل ولحى طويلة ، ويربون ضربا من الكلاب الضخمة لصيد المواشى الهندية التى تأتى الى بلادهم اما هربا من الحيوانات المفترسة ، واما لقلة المرعى . ويكون أول مجيئها من الانقلاب الصيفى حتى منتصف الشتاء .

ونجد بعد « ميناء انتيفيلوس » مرفأ يدعى « أجمة المشوهين » ، و « مدينة

(١) والأصح « الفواكه الساقطة عن الشجر » .
(٢) أى أرض الغراب (المترجم) .
(٣) الحقليين ؟ (المترجم)

برينيكي »[١] (Berenice) السبوية ، و « سباى »[٢] (Sabae) وهى مدينة كبيرة • وتليها « أجمة يومينيس » (Eumenes)، ووراءها « مدينة درده »(Darda) ، ومكان لصيد الفيلة يدعى « قرب البئر » • ويسكن هذا الاقليم « آكلة الفيلة » ، ويقضون جل وقتهم فى مطاردتها • فاذا وقعت أعينهم ، وهم على الشجر ، على سرب من الفيلة سائر نحو الغابة ، فانهم لا يهاجمونها بل يقتربون منها خلسة ، ويعقرون منهـا ما تباطأ فى مؤخرة السرب • ولكن جماعة منهم يقتلونها بالسهام بعد أن يغمسوها فى مرارة الأفاعى • أما رميها عن القوس فيقوم به ثلاثة رجال ، يتقدم اثنان منهم فيمسكان بالقوس ويشد الثالث وترها • ومنهم من يلاحظون الأشجار التى يتكىء عليها الفيل فى العادة ليستريح ، فيأتون من خلفه ، وينشرون جذع الشجرة من أسفل • وحين يتكىء الفيل عليها ، يقع هو والشجرة معا ، ولا يستطيع الفيل النهوض ؛ لأن كلا من قوائمه قوامها عظم واحد لا ينثنى ، وحينئذ يقفز الصيادون من الشجر وينحرونه ويقطعونـه • والبـدو يدعـون الصيادين نجسين (أكاثارتى) (Acatharti)

١١ ــ وفيما وراء هذه الأمـة تقيم جمـاعة صغيرة تدعـى « آكلة الطيور »[٣] (ستروثوفاغى) ، وفى بلادهم طيور بحجم الغزلان لا تستطيع الطيران ، ولكنها سريعة الركض كالنعامة • ومنهم من يقتنصها بالسهام ، ومنهم من يتنكرون فى جلود الطيور : يخفى الواحد منهم يمناه فى رقبة الجلد ، ويحركها كما يحرك الطير عنقه • وباليسرى يرش حبوبا من كيس معلق على جانبه • وهكذا يغرون الطيور بالاقتراب ، فيقتادونها الى حفر تسقط فيها ، وبعد ذلك يأتون عليها بالعصى • وتستعمل الجلود ملابس وغطاء للفراش • والأحباش المدعوون (سيمى)(Simi)فـى حـرب مع هؤلاء النـاس ، ويستعملون قرون الوعل سلاحا •

١٢ ــ ويجاور هؤلاء قوم أشد من غيرهم سوادا ، وأقصر قامة ، ولا يعيشون الا قليلا • فهم لا يتخطون سن الأربعين الا فى الندور ؛ لأن الديدان تأكل لحم أجسادهم • وطعامهم هو من الجراد الذى تحمله الى البلاد بكثرة الرياح الغربية والجنوبية الغربية حين تشتد فى الهبوب فى الربيع • ويصطاد السكان الجراد بأن يرموا فى الأخاديد مواد تبعث دخانا كثيفا ، ويشعلونها على مهل ، فحينما يطير الجراد مخترقـا الدخـان يعمى

(١) لعلها بلدة « بيلول » ، وهى على بعد ١٢ فرسخا شمال غربى « الصعب » •
(٢) الصعب •
(٣) يقول (أغا ثارخيدس) : « ان هذه الطيور هى النعام »

ويتساقط ، ثم يسحقونه مع الملح ويجعلون منه أقراصا يقتاتونها •

ويلى هؤلاء القوم أرض صحراوية فيها مراع فسيحة • وقد هجرها أهلوها لما فيها من آلاف العقارب والعناكب السامة المدعوة ذات أربعة الفكوك • وقد امتلأ المكان منها فيما مضى امتلاءا فظيعا اضطر الأهلين بأجمعهم الى الهجرة عنه •

١٣ ـ وبعد « مرفأ يومينيس » (Eumenes)، حتى « ديره » (Deire) والمضيق المواجه للجزائر الست[١] ، يعيش أكلة السمك ، وأكلة اللحوم ، والمشوهون ، وينتشرون نحو الداخل •

وأمام الساحل كثير من أماكن صيد الفيلة والمدن والجزائر التى لا نعرفها معرفة حسنة •

وذوو الأغلبية الساحقة بدو ، والزراع أقلاء • وفى بعض أقاليم هؤلاء الناس ينمى الاصطرك[٢] (Styrax) بكميات وافرة • ويجمع أكلة السمك ، حين ينحسر الموج فى الجزر ، السمك ، ويضعونه على الصخور ليجف فى الشمس • فاذا ما اشتوى السمك جيدا يكومون العظام جانبا ، ويطؤون اللحم بأقدامهم ، ويجعلون منه أقراصا توضع فى الشمس ثانية ، فتغدو طعاما لهم • وفى الأيام الوخيمة ، حين يتعذر الحصول على السمك ، يسحقون العظام التى كانوا قد كوموها جانبا ، فيجعلون منها أقراصا يأكلونها ؛ الا أنهم يمتصون العظام الطازجة • وفريق منهم يقتاتون أيضا المحار بعد أن يسمنوه ، وذلك بوضعه فى الأحواض والبرك الراكدة على الشاطىء ، ويطعمونه سمكا صغارا ، ثم يستعملونه غذاء حين تندر أنواع السمك الأخرى • ولهم ضروب مختلفة من الأمكنة المخصصة بحفظ السمك واطعامه ليكون لهم زادا عند الحاجة •

وفى تلك الأرضين جزء من الساحل لا ماء فيه ، فيتوغل جماعة من سكانه الى الداخل كل خمسة أيام ، ترافقهم أسرهم ، وهم يغنون ويمرحون ، الى أن يبلغوا أماكن السقاية ، وهناك يرتمون على وجوههم ويشربون كالحيوانات حتى تنتفخ معدهم كالطبول• وبعد ذلك يعودون الى الساحل • وهم يقطنون فى الكهوف أو فى حجر يتألف السقف فيها من روافد تصنع من عظام الحوت وعموده الفقرى ، وتكسى بأغصان شجرة الزيتون•

١٤ ـ ويسكن « أكلة السلاحف » (كيلونوفاغى) تحت سقوف تصنع من أصداف

---

(١) راجع فقرة ٤ آنفا •

(٢) ضرب من الشجيرات تفرز صمغا ثمينا • (المترجم) •

السلاحف ، وهي كبيرة جدا بحيث تستعمل كالقوارب • ويصنع ناس من حشائش البحر التي تقذفها الأمواج بكميات كبيرة أكواما كالتلال ، ثم يجوفونها ويسكنون فيها • ويلقون بالموتى في البحر ، فيحملهم الموج ليكونوا غذاء للسمك •

وهناك ثلاث جزائر تلي الواحدة الأخرى ، وهي : « جزيرة السلاحف » ، و « جزيرة الفقمات » ، و « جزيرة الصقور » • وعلى طول الساحل بأجمعه أعداد كبيرة من أشجار النخيل والزيتون والغار ، وهي لا تكثر في المضايق حسب ، بل خارجها أيضاء

وهناك جزيرة تسمى بـ « جزيرة فيلب » ، يواجهها في الداخل أماكن لصيد الفيلة تدعى « مقانص بيثانغيلوس » • وتلي ذلك « ارسينووى » (Arsinoe) ، وهي مدينة لها مرفأ • وبعد ذلك نجد « ديرة » ، وفيما وراء هذه المدن مكان لصيد الفيلة •

وأول الأقاليم بعد « ديرة » اقليم تكثر فيه الأشجار العطرية ، وفي الأخص شجرة المر ، وسكانها أكلة السمك وأكلة اللحوم • ويكون فيها أيضا اللوز المصرى والتين المصرى[١] • ووراءها « ليحا » (Licha) ، وفيها تصاد الفيلة • وفي أمكنة عدة نجد بركا آسنة لمياه المطر • وحين تجف هذه تحفر فيها الفيلة بخراطيمها وأنيابها حفرا وتستخرج منها الماء •

وعلى هذا الساحل بحيرتان كبيرتان تمتدان حتى مرتفع « بيثولاوس »[٢] (Pytholaus) ، وماء أحداهما ملح ، وتدعى بحرا ، ومياه الأخرى عذبة ترتع فيها أفراس البحر (الهيبوبوتام) والتماسيح • وينمى البردى على شطآنها • وفي الأمكنة المجاورة تشاهد طيور « أبي قردان » (Ibis) • والأقوام التي تسكن قرب مرتفع « بيثولاوس » (وبابتداء من هذا المكان) لا يتشوه جزء من أجسامها • وبعد ذلك نجد البلد الذي ينتج اللبان ، وفيه هضبة وهيكل تحيط به غابة من شجر الحور • وفي الأقسام الداخلية أرض تمتد مع طف النهر تدعى « ايسيس » ، وأخرى تدعى « نيلوس » ، وكلتاهما تنتج المر واللبان • وهناك أيضا بركة كبيرة تملؤها المياه المنحدرة من الجبال ؛ ويليها « مخفر الأسد » ، و « ميناء بيثانغيلوس » • والأرض التي تليها تنتج القاسيا الزائفة[٣] • وعلى ضفاف الأنهار أرضون كثيرة متوالية يزرع فيها اللبان ، وأنهار تمتد الى بلاد القرنة • والنهر المحيط بهذه الأرض ينتج الحلفاء بكثرة عظيمة • ويلي ذلك نهر آخر ، و « ميناء

---

(١) المجمع : لعله ثمر الجميز ، ومن أنواع التين من حيث شجرته « الحماط »•
(٢) لعله زيلا • هنا يصف (سترابون) ساحل « مملكة عادل »
(٣) False Cassia

دافنوس » ، وواد يحمل اسم « أبولو » ينتج مع اللبان المر والقرفة . وهذه الأخيرة توجد بكميات أكبر فى الأصقاع المتوغلة فى الداخل .

ويلى ذلك جبل « اليفاس »[١] ، وهو جبل طاعن فى البحر وحوله حواجز من الصخر . ويليه « ميناء بسيغموس » ، وهو مورد للسقاية ، يحمل اسم « ذوى رؤوس الكلاب » (Cynocephali)[٢] ، ثم آخر رأس على هذا الساحل وهو «القرن الجنوبى». وبعد الالتفاف حول هذا الرأس جنوبا ، يقول : انه لا تفاصيل أخرى لدينا عن الموانى، والمدن ؛ لأننا لا نعرف شيئا عن ساحل البحر بعد هذه النقطة[٣] .

١٥ ـ وعلى الأرض المحاذية للساحل أعمدة وهياكل « ليتولاوس » ، و « ليخاس » ، و « بيثانغيلوس » ، و « ليون » ، و « كاريموترس » ، وتقع على الساحل المعروف من « ديرة » حتى « القرن الجنوبى » ، غير أن المسافة لم تقدر بالضبط . وهذا الاقليم ملآن من الفيلة ومن ضرب من الأسود يسمى بالنمل[٤] ، ولهذه الأسود أعضاء تناسلية معكوسة ، وجلدها ذهبى اللون ، غير أنها أقل شعرا من أسود بلاد العرب .

وفى هذ الاقليم أيضا فهود عظيمة الضراوة والفرس ، وحيوانات الكركدن . والكركدن أصغر حجما من الفيل بقليل ؛ لا طولا من الرأس حتى الذنب ، بحسبما يقول (آرتميدورس) ـــ غير أنه يقول : انه رأى كركدنا فى الاسكندرية ، (أقل) ارتفاعا بنحو[٥] .... على الأقل قياسا على الذى رأيته . وليس لونه بالأصفر الفاقع كلون خشب البقس ، بل هو كلون الفيل . وحجمه كحجم الثور ، وهو قريب جدا فى شكله من الخنزير البرى ، ولاسيما جبينه ـ باستثناء أعلى الرأس ، فان له قرنا واحدا منعقفا أصلب من العظم . ويستعمله سلاحا كما يستعمل الخنزير البرى أنيابه . وله أيضا ثنيان صلبان ، كتلافيف الأفاعى ، يحيطان بجسمه من سلسلة الظهر الى البطن ، أحدهما على كاهله ، والآخر على حقويه . وقد استقيت هذا الوصف بالمشاهدة . الا أن (آرتميدورس) يضيف الى ذلك أن فى هذا الحيوان ميلا ظاهرا الى مزاحمة

---

(١) يسمى الآن بـ « جبل الفيل » .

(٢) نوع من القردة (المترجم) .

(٣) النص هنا مشوه ، ويعتقد أن فيه نقصا يسبب تشويشا فى التفاصيل التى يذكرها (سترابون) عن « جبل اليفاس » و « القرن الجنوبى » .

(٤) لا يعرف بالضبط أى حيوان هذا الذى يصفه المؤلف .

(٥) النص ناقص ، والمعنى فى الجملة السابقة غير مؤكد . وقد اقترح أحدهم تتميم الناقص : « بنحو شبر » .

الفيل فى أماكن الرعى ، فيضرب بجبينه بطن الفيل وبقره ، الا اذا منع خصمه نفسه منه بخرطومه ونابه •

١٦ —وفى هذه الأصقاع تعيش فهود الجمال[1] ، غير أنها ليست كالفهود فى شىء؛ لأن جلدهـا الملون أشبه بجلد الأيل (Fallon deer) المخطط والمرقط • ومؤخرة هذا الحيوان أشد انخفاضا من مقدمته بكثير ، حتى ليبدو كأنه مقع على قطاته ، وهى فى علو الجاموس • والقائمتان الأماميتان طويلتان بقدر ساقى الجمل ، وترتفع العنق الى أعلى ارتفاعا عموديا ، غير أن رأسه أعلى بكثير من رأس الجمل • وبسبب عدم التناسب فى تكوين هذا الحيوان لم تكن سرعته عظيمة ، على ما أظن، بحسبما يصفه (آرتميدورس)• بيد أنه ليس حيوانا بريا ، بل انه أقرب الى الحيوان الأليف ؛ لأنـه لا يظهر علائـم ميل وحشى •

ويستمر (آرتميدورس) فيقول : ان هذا البلد ينتج أيضا أبا الهول[2] (Sphinx) وذا رأس الكلب[3] ، والكيبوس (Cebus)[4] ، وهذا الأخير له وجه كوجه الأسد ، وبقية جسمه كالفهد ، وهو فى حجم الغزال • وهناك أيضا ثيران برية تأكل اللحوم ، تفوق كثيرا ثيراننا فى الحجم والسرعة ، ولونها أحمر • والضبع الرقطاء على حسب قول هذا المؤلف ، هى بنت الذئب والكلب • أما يرويه (مترودورس السكبسى) فى كتابه (فى العادات) فمن قبيل الخرافات ، ويجب أن نهمله •

ويذكر (آرتميدورس) أيضا أفاعى ، طول الواحدة منها ثلاثون ذراعا ، وبوسعها أن تتغلب على الأفيال والثيران ، ولم يكن مغاليا فى ذلك • غير أن الأفـاعى الهنـدية والأفريقية أشد هولا من حيث حجمها ، ويقال : ان الحشيش ينمى على ظهورها •

١٧ ــ وسكان « طرغلوديتيكا » بدو فى نمط معيشتهم • وكل قبيلة يحكمها طغاة منها • ونساؤهم وأولادهم مشاعة بينهم باستثناء نساء الطغاة وأولادهم • ويعاقب كل من يفسد زوجة طاغ من الطغاة بغرامة خروف •

وتتكحل النساء بلباقة ، ويعلقن أصدافا حول أعناقهن دفعا للسحر عن أنفسهن •

---

(١) المجمع : يعنى الزرافات •

(٢) كان من عادة الكتاب الأقدمين أن يطلقوا هذا الاسم على نوع من أنواع القرود : Simia troglodyte

(٣) قرد : Simia innuus

(٤) قرد : Simia Cepus

واذا تشاجر القوم على المراعى ، يتدافعون أولا بالأيدى ، ثم يستعملون الحجارة ، واذا جرح جماعة منهم استعملوا السهام والخناجر . وتضع النساء حدا لمثل هذا النزاع بأن يقفن بين المتشاجرين ، فيتضرعن اليهم فى ترك الشجار .

ويتألف طعامهم من اللحم والعظام مسحوقة معا ، بعد أن تلف فى قطع من الجلد وتشوى فى النار ، أو بعد أن يهيئها الطباخون بطرائق كثيرة أخرى ـ ويدعى الطباخون النجسين . وبهذا هم لا يأكلون اللحم وحده ، بل العظام والجلود أيضا .

ويستخدمون مزيجا من الحليب والدم (دهنا للجسد ؟) . أما شراب العامة فيستخلص من العجرم[١] buckthorn . وأما شراب الطغاة فالعسل المخمر فى الماء ، ويستخلصون العسل من ضرب من الأزهار .

ويبدأ الشتاء عندهم حين تهب الرياح الموسمية (لأنها تحمل المطر) ، والفصل الآخر هو الصيف .

وهم يعيشون عراة ، أو عليهم قطعة جلد فقط ، ويحملون العصى . ويقطعون غرلة الذكور ، غير أن منهم من يختتن كالمصريين . و (المغبريون الأحباش) يثبتون فى عصيهم مسامير من الحديد . ويستعملون رماحا وتروسا مجلدة بجلد خام . والأحباش الآخرون يستعملون القسى والرماح . وفريق من أهل « طرغلوديتيكا » ، حين يدفنون موتاهم ، يلفون جسم الميت بأغصان العجرم من العنق حتى الساقين . ثم يرجمونه بالحجارة وهم يضحكون ويمرحون ، الى أن يتغطى وجهه بها . ثم يضعون عليه قرن كبش ، ويغادرونه .

وهم يسافرون بالليل . ويعلقون بأعناق الذكور من الماشية أجراسا ، ليبعد رنينها عنهم الوحوش الضارية . ويستعملون أيضا لصدها المشاعل والسهام . ويقومون بالحفارة فى الليل حفظا لقطعانهم ، ويغنون حول نيرانهم أغانى غريبة .

١٨ ـ وبعد أن يذكر (آرتميدورس) هذه التفاصيل عن أهل « طرغلوديتيكا » والأحباش المجاورين ، يعود الى العرب . فيبدأ من « بوسيديوم » ، ويصف أولا الأقوام الذين يعيشون بجوار « الخليج العربى » ويواجهون أهل « طرغلوديتيكا » على الشاطىء الآخر . فيقول : ان « بوسيديوم » تقع فى خليج (هيرابوليس)[٢] ، وان فى جوارها

(١) عصارة حبه مسهل قوى .

(٢) « خليج هيرابوليس » هو المسمى اليوم بـ « خليج السويس » ، وفى النص « الخليج العيلانى » ، وهو خطأ من المؤلف أو الناسخ .

غابة من النخيل[1] يكثر فيها الماء ـ وهم يبالغون فى قدر الماء هنا ؛ لأن الاقليم المحيط به بأجمعه يلتهب حرارة ، وليس فيه ماء ولا ظل . ويعين لحراسة الغابة رجل وامرأة لهما فى ذلك حق وراثى . وهم ييبسون الجلود ويقتاتون التمر ، وينامون فى أكواخ مبنية على الشجر ، لكثرة ما فى المكان من الحيوانات الضارية التى تتجاوز عدتها مئات .

وتلى ذلك « جزيرة الفقمات » (Phocae)[2] ، وقد أخذ اسمها من هذه الحيوانات التى تكثر فيها . وقربها رأس[3] يمتد نحو « البطراء » التى يدعوها العرب « نبطيا » ، و « فلسطين » . و (الميناثيون)[4] (Minaei) و (الجرعائيون) (Serrhaei) ، وكل الأقوام المجاورة يختلفون الى هذه الجزيرة بأحمال من المواد العطرية .

وبعد ذلك قطعة أخرى من الساحل البحرى ، كانت تسمى فيما مضى بـ « ساحل المرانيطيين » ، وكان فريق منهم مزارعين ، وفريق آخر سكونيين (Scenitae) . ولكن المكان الآن يقطنه (الغرنديون) (Garindaei) الذين قضوا على السكان الأصليين غدرا . فقد هاجموا جماعة منهم وهم مجتمعون للاحتفال بعيد يقيمونه مرة كل خمس سنوات ،وفتكوا بهم ، ثم هاجموا بقية القبيلة فأفنوها عن بكرة أبيها .

وبعد ذلك « الخليج العيلانى »[5] ، و « نبطيا » ، وهى بلد آهل بالسكان ، تكثر فيه الماشية . ويقطن الجزائر القريبة المقابلة لهم قوم كانوا فى السابق لا يؤذون غيرهم ، الا أنهم جعلوا أخيرا يقومون بحرب قرصنة فى قواربهم الخفيفة على السفن الآتية من « مصر » . بيد أنهم ذاقوا ألم الانتقام حين أرسلت عليهم جيوش اجتاحت بلادهم .

ويلى ذلك سهل كثير الشجر ، والماء فيه وافر . وتكثر فيه أنواع المواشى، وكذلك البغال والجمال البرية والغزلان والوعول وغيرها ؛ والأسود أيضا ، والفهود . والذئاب ترى فيها فى كثير من الأحيان . وأمام المكان جزيرة تسمى « ضيا » . ويلى ذلك خليج

---

(١) هيكل بوسيدون (اله البحر) ، ابتناه (أرسطو) الذى كان قد أرسله أحد البطالسة ليستكشف عن « الخليج العربى » .

(٢) « شدوان » .

(٣) « رأس محمد » ، وهو الذى ينتهى اليه فى الجنوب شبه الجزيرة المكونة من الخليجين : « العيلانى » الممتد حتى « البطراء » ، و « خليج هيرابوليس » الممتد حتى « السويس » . ويبدو أن (سترابون) يريد أن يقول ان هذا الرأس فى اتجاه جنوبى قرصنة بالنسبة الى « البطراء » ، و « فلسطين » .

(٤) بين الجغرافيين خلاف واسع فى الرأى فى موقع هذه القبيلة المهمة فى خارطة بلاد العرب الحديثة .

(٥) خليج العقبة

يبلغ حوالى خمس مئة ستاديون طولا ، تحيط به الجبال من كل جانب ، والمدخل اليه صعب • وحوله تسكن أقوام تقتنص الحيوانات البرية •

ووراء ذلك ثلاث جزائر يكثر فيها شجر الزيتون ، وهو يختلف عما فى بلادنا من زيتون ، فهو ضرب بلدى ندعوه الزيتون الحبشى ، دموعه (أى صمغه) له خواص طبية •

ويلى ذلك شاطىء حجرى ، يليه شاطىء صخرى وعر[1] ، لا تستطيع السفن الملاحة فيه بسهولة ، ويمتد زهاء ألف ستاديون • وليس فيه الا مرافىء ومراس قليلة ؛ لأن جبلا عاليا شديد الوعورة يمتد بموازاته ، وتمتد أجزاء من قاعدته الى البحر ، فتكون صخورا تحت الماء تصبح خطرا على السفن فى أثناء هبوب الرياح الموسمية والزوابع التى تقوم فى هذه الفترة ، وعندها لا يمكن مد يد العون الى السفن بوجه من الوجوه •

وبعد ذلك خليج فيه جزائر منتشرة ، وعلى طول الخليج ثلاثة كثبان[2] عالية من الرمل الأسود • ويليها « الشرم »[3](Charmothas)، وهو مرفأ يبلغ طول محيطه قرابة مئة ستاديون ، وله مدخل ضيق شديد الخطر على كل أنواع السفن • ويصب فيه نهر • وفى الوسط جزيرة كثيرة الشجر حولوها الى مكان صالح للفلاحة •

ويلى ذلك ساحل صخرى ، وبعده خلجان ، وأرضون يقطنها البدو الذين يعيشون على جمالهم • فهم يحاربون عليها ، ويرحلون عليها ، ويتغذون بحليبها ولحمها • ويجرى فى أرضهم نهر يجلب معه التبر ، غير أنهم يجهلون كيف يستفيدون منه • ويدعون (دباع) (Debae) • وقوم منهم بدو رحل ، والآخرون زراع •

ولا أورد أكثر أسماء هؤلاء الأقوام ؛ لقلة ما يعرف عنهم ، ولأن لفظ أسمائهم غريب[4] (وغليظ) •

وقرب هؤلاء القوم أمة أكثر حضارة ، تسكن اقليما هواؤه أشد اعتدالا ؛ لأن ماءه وافر ، وتسقط فيه مزن كثيرة • ويوجد فيه ذهب متحجر ، لا فى شكل التبر ،

---

(١) ثمود ، كان يسكنه فيما مضى الثموديون القدماء •

(٢) جبل سيق وجبل الحاوين وجبل حستر •

(٣) يظهر أن هذا المرفأ هو مدينة « ينبع » القديمة ، وهى فى أرض خصبة • ويدعوها العرب « ينبوع النخل » ، ليميزوها عن « ينبوع الجديدة » التى تقع فى أرض جرداء على الساحل • وكلمة « الشرم » معناها فى العربية الشق أو الفتحة فى الجبال • ويبدو أن الاغريق كونوا اسم Charmothas من « الشرم » التى كانت تطلق على مدخل ميناء « ينبوع » لضيقه ، ظانين أن « الشرم » اسم الميناء •

(٤) ديودورس سيكولوس وأغاثرخيدس يذكران بعضها : Asilaei و Casandres أو Gasandres (الغساسنة ؟) •

بل فى كتل صغيرة لا تحتاج الى تنقية كثيرة ، أصغرها فى حجم البندقة ، وأوسطها فى حجم المشملة[١] ، وأكبرها فى حجم الجوزة • وتثقب هذه وتنظم مع حجارة شفافة على التوالى فى عقد يقلده العنق أو المعصم • ويبيعون الذهب من جيرانهم بسعر رخيص ؛ اذ يستبدل به ثلاثة أضعافه من النحاس أو ضعفه من الحديد ، لجهلهم صناعة الذهب ، ولندرة المواد المستبدلة به ، وهى أكثر ضرورة لأغراض الحياة •

١٩ — وفى جوارهم بلاد (السبئين)[٢] ، وعددهم كثير جدا ، وهى أكثر الأقطار خصبا ، وتنتج المر واللبان والقرفة • وعلى الساحل يوجد البلسم ، وضرب آخر من النبت له رائحة زكية ولكنها سرعان ما تتبدد • وهناك أيضا نخيل شذية وقصب الطيب (الذريرة) • وهناك أيضا أفاع لونها أحمر قانىء ، طول الواحدة منها شبر ، تقفز الى علو خصر الانسان ، ولدغها لا يشفى منه •

ولشدة خصب التربة صار السكان كسالى خاملين فى نمط معيشتهم • والطبقة الدنيا من الناس يقتاتون الجذور ، وينامون فى الشجر • والأقوام التى تقطن هناك قوما تلو آخر ، تتسلم أحمال العطور وتسلمها الى ناس آخرين ينقلونها حتى سورية وما بين النهرين •

واذا غلب النعاس التجار الذين يحملونها بسبب شذاها ، أزالوا عنهم النعاس بنشق أبخرة الاسفلت ورائحة لحية الماعز •

وتقع « مأرب »[٣] (Mariaba) ، عاصمة (السبئين) ، على جبل كثير الغابات •

---

(١) Medlar

(٢) من المستحيل تحقق حدود « سبأ » بتدقيق • والمظنون أنها تتألف من المنطقة الواقعة ضمن البحر العربى غربا ، وخليج العجم شرقا ، والمحيط الهندى جنوبا ، وخط غير منتظم يحاذى الصحراء ويمتد الى نقطة ضيقة فى « ايدوميا » Idumaea شمالا (أنظر كتاب Smith, Dict. of Greek and Roman Geography, art. Saba)

هاك ما يقوله ديودورس سيكولس فى وصف « سبأ » : « ان المرء ليعجز عن تعداد مزايا كل هذه الأشجار والنباتات وخواصها ؛ لأن عطورها شديدة الشذا ، رائعة الكثرة بأنواعها ، فانها لتسرى الى الحواس وتثيرها اثارة يعجز عنها الوصف كأنها من فعل الآلهة • وللملاح نصيب من المتعة بها ولو كان بعيدا فى سفينته عن الساحل ، ذلك لأنه اذا هبت نسمات الربيع من الداخل ، حملت شذا الشجر والنبت الى الشاطىء ، وهو ليس بالشذا المألوف لدينا ، الذى يصدر عن عطور قديمة مخزونة ، بل هو جديد نقى على أحسن ما يكون ، اذ يفوح من أزهار تفتحت منذ قريب ، فيخترق الحس حتى أعمق كوامنه ... » •

(٣) هى « سبأ » نفسها • راجع الفقرة الثانية •

ويقيم فيها ملك يفصل فى أمور الخلاف وغيرها فصلا قاطعا ، غير أنه يحظر عليه مغادرة قصره ، واذا فعل هاجمه الدهماء فى الحال بالحجارة ، متبعين بذلك أمرا من الموحى • أما هو ومن حوله من حاشيته ، فيقضون حياتهم غرقى فى الشهوات والترف •

أما الشعب فيحرثون الأرض ، أو يتاجرون بالعطر ، سواء فى ذلك ما كان منه ملونا وما يرد عليهم من « الحبشة » ، وهم يحضرون العطر الحبشى بقوارب مغطاة بالجلود يمخرون بها فى المضيق • ولديهم كميات عظيمة من العطر ، فتراهم يستعملون العطر والقرفة والقاسيا والتوابل الأخرى وقودا للنار بدلا من العيدان والحطب •

وفى بلاد السبئيين يوجد اللاريم (Larimnum) ، وهو من أزكى العطور رائحة •

وقد غدا (السبئيون) و (الجرعائيون) بتجارة المواد العطرية هذه أكثر القبائل كلها ثراء ؛ ولذلك كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة ، كالأسرة ، والموائد الصغيرة ، والآنية ، والكؤوس ، أضف اليها فخامة منازلهم الرائعة ؛ فان الأبواب والجدران والسقوف مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة •

هذا ما يذكره (آرتميدورس)[١] • وأما بقية الوصف فبعضه يشبه ما يقوله (اراتستنيس) ، وبعضه مستقى من مؤرخين آخرين •

٢٠ ـ فجماعة منهم تقول : ان البحر أحمر بسبب اللون الناجم اما عن انعكاس الشمس العمودى ، واما عن انعكاس لون الجبال ، وهى ذات لون أحمر ، لأن الهجير قد لفحها وصهرها • والمعتقد أن هذا اللون فى البحر قد ينجم عن هذين السببين معا • ويذكر (كتسياس الكنيدى) منبعا يصب فى البحر ماء أحمر وأصفر • ويأثر (أغاثرخيدس) ، وهو من بلده ، عن رجل يدعى (بكسوس) ، من أصل فارسى ، أنه حدث مرة أن لبؤة ثائرة طاردت عدة من الخيل ، حتى دخلت الخيل البحر وقطعته الى جزيرة هناك ، وكان رجل فارسى يدعى (اريتراس) أول من قطع البحر الى الجزيرة بعد أن صنع عوامة لذلك ؛ واذ رأى أن الجزيرة تصلح للسكنى ، أعاد الخيل الى « فارس » ، وأرسل جماعة من المستعمرين الى هذه الجزيرة والجزائر الأخرى ، وكذلك الى الساحل • وهكذا أطلق اسمه على البحر (البحر الأريترى) • غير أن من الناس من يقول :ان أول ملك حكم هذه المقاطعة هو (أريتراس بن برسيوس) •

(١) التفاصيل المذكورة آنفا التى استقاها المؤلف من (آرتميدورس) ، وهذا من (أغا ثرخيدس) ، لا توجد فى كتابات (اراتستنيس) الذى عاش قبل زمن(أغاثرخيدس)•

ويقول جماعة من المؤلفين : ان المسافة بين المضيق فى « الخليج العربى » الى أقصى « بلاد القرفة » هى خمسة آلاف ستاديون[١] ، دون التمييز اذا كانت الوجهة جنوبا أو شرقا .

ويقال أيضا : ان الزمرد والبريل[٢] يوجدان فى مناجم الذهب . ويقول (بوسيدونيوس) : ان فى « بلاد العرب » ملحا شذى الرائحة .

٢١ ـ و (النبطيون) و (السبئيون) ، وموقعهم يلى « سورية » ، أول الأقوام القاطنة فى « بلاد العرب السعيدة » . وكان من دأبهم أن يجتاحوا البلادقبل أن يصبح (الرومان) سادتها ، غير أنهم الآن و (السوريين) تحت حكم (الرومان) .

وتدعى عاصمة (النبطيين) « البطراء »[٣] ، وهى تقع فى مكان تحيط به وتحصنه صخرة مستوية ناعمة ، تبدو من الخارج كثيرة الارتفاع شاهقة ، ولكنها من الداخل ملأى من الينابيع الصالحة للأغراض المنزلية ولسقى الجنائن . والاقليم فيما وراء هذا الاطار الصخرى أكثره صحراوى ، ولاسيما فى وجهة اليهودية . وفى خلال هذه تمر أقصر طريق الى « أريحا » ـ وهى على مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة ، وخمسة أيام الى « فينيقون » (أى بستان النخيل) . ويحكمها دائما ملك من أسرة مالكة ، وللملك وزير هو أحد « الأصحاب » ، ويسمى الأخ . ولهم شرائع رائعة للحكم وتسيير الأمور .

وكان صديقى الفيلسوف (آثنودورس) ـ الذى كان قد زار « البطراء » ـ يذكر وملؤه العجب كيف رأى رومانيين كثيرين وعدة غرباء آخرين يسكنون هناك . وقد لاحظ أن الغرباء كانوا فى كثير من الأحيان منهمكين فى مقاضاة بعضهم بعضا ، ومقاضاة السكان الوطنيين ، على حين كان السكان الوطنيون لا يتشاجرون بينهم ، بل يعيشون معا فى وفاق عجيب .

٢٢ ـ وقد اطلعنا على كثير من خصائص هذه البلاد على أثر الحملة الأخيرة التى قام بها (الرومان) على (العرب) ، بقيادة (أيليوس غالوس) (Aelius Gallus) وقد أرسل (أغسطس قيصر) هذا القائد ليستكشف عن طبيعة هذه الأماكن وسكانها ، وكذلك « الحبشة » وسكانها ؛ لأنه وجد أن « طرغلوديتيكا » المجاورة لـ « مصر »

(١) يجب ألا نخلط هذه المسافة بالـ ٥٠٠٠ ستاديون المذكورة فى الفقرة الرابعة آنفا .

(٢) حجر كالزبرجد Beryl

(٣) معناها فى الاغريقية : صخرة (Petra) (المترجم) .

هى على حدود « الحبشة » ، وأن « الخليج العربى » ضيق جدا حيث يفصل (العرب) عن أهل « طرغلوديتيكا » • وكان هدفه اما أن يسترضى (العرب) واما أن يخضعهم • كما أنه فعلت فى نفسه الروايات الشائعة منذ القدم أن العرب قوم واسعو الثراء ، وأنهم يستبدلون بعطرهم وحجارتهم الكريمة الفضة والذهب ، دون أن ينفقوا مع الغرباء ما يحصلون عليه فى مقايضاتهم التجارية • ولذلك أمل اما أن يحصل على أصدقاء موسرين ، واما أن يتغلب على أعداء موسرين • وزيادة على ذلك شجعه على القيام بهذه الحملة أمله فى مؤازرة (النبطيين) له الذين وعدوه بالتعاون معه فى كل شيء •

٢٣ ـ وهكذا شرع (غالوس) فى حملته ، مدفوعا بهذه الاغـراءات • غير أن (سيلايوس) (Syllaeus) ، وزير ملك (الأنباط) ، خدعه ، بعد أن كان قد وعده بأن يكون دليلا له فى مسيره ، ومؤازرا له فى تنفيذ خطته • وكان (سيلايوس) خائنا من البدء حتى النهاية ، فلم يدلهم على طريق أمين بحرا بمحاذاة الساحل ، ولا على سبيل أمين للجيش ـ كما كان قد وعد ـ بل عرض كلا من الأسطول والجيش للمخاطر ، بأن اقتادهم الى حيث لم تكن طرق ، أو حيثما كانت الطرق وعرة صعبة ، حيث كانوا يضطرون الى نهج سبل ملتوية طويلة ، فيلزمون المرور فى خلال بقاع جرد من كل شيء• فاقتاد الأسطول بمحاذاة سـاحل صخرى لا مرافىء فيه ، أو الى أماكن تزدحم فيهـا الصخور الغاطسة تحت الماء ، أو أماكن مياهها ضحلة • وفى هذه الأماكن ، على وجه خاص ، كان المد والجزر يلحقان بالأسطول أكبر الأذى •

وكانت الغلطة الأولى حين بنى (الرومان) سفنا (حربية) طويلة ، فى حين لم تكن هناك حرب ، ولا امكان نشوب حرب بحرية ؛ لأن العرب قوم تجارة وبيع وشراء ، ولذلك لم يكونوا بأمة حرب ، لا فى البحر فحسب ، بل فى البر أيضا • ومع ذلك بنى (غالوس) ما لا يقل عن ثمانين سفينة حربية منها ذوات صفين من المجاديف ، ومنها ذوات ثلاثة ، ومنها ذوات صف واحد ـ بناها فى « كليوباطريس »[1] ، قرب القنـاة القديمة الممتدة من النيل • ولما أدرك خطأه ابتنى مئة وثلاثين سفينة للحمل ، ركب فيها مع نحو من عشرة آلاف من المشـاة جمعهـم من « مصر » ، وهـم من (الرومـان) وحلفائهم ، كان بينهم خمس مئة يهودى وألف نبطى ، بقيادة (سيلايوس) • وبعد أن تحمل مشاق جسيمة وآلاما كثيرة وصل فى اليوم الخامس عشر الى « ليوكى ـ قوم » ، وهى سوق كبيرة فى أرض الأنباط ، بعد أن خسر كثيرا من سفنه غرق عدة منها وغرق

(١) كانت قرب « هروبوليس » ، أو « السويس » •

من فيها من بحارة ؛ وذلك بسبب صعوبة الملاحة ، لا بمقاومة من عدو • ولم يكن السبب في هذه المصائب الا خيانة (سيلايوس) الذى زعم مؤكدا أنه لم تكن هناك طريق للجنود تؤدى الى « ليوكى – قوم » ، وهى السوق التى يرحل منها واليها تجار القوافل بيسر وأمان ، ذاهبين من « البطراء » واليها ، ومعهم عدد كبير من الرجال والجمال بحيث لا يختلفون عن الجيش فى شىء •

٢٤ – ومن الأسباب الأخرى التى أدت الى اخفاق الحملة أن الملك (عوبوداس) Obodas) لم يكن يعنى بأمور الدولة ، ولاسيما ما كان منها مختصا بالحروب (كما هى العادة عند جميع ملوك العرب) ، بل سلم زمام الأمور كلها فى يد وزيره (سيلايوس) • وكانت كل تصرفاته فى قيادة الجيش منطوية على الخيانة ، وأغلب الظن عندى أنه كان يرمى بذلك الى درس حالة البلاد كجاسوس ، وتحطيم عدة من المدن والقبائل بمؤازرة (الرومان) • فاذا ما فتكت فى (الرومان) الأمراض والمجاعة والمتاعب وغيرها من الشرور التى كان قد بيتها لهم بغدره ، أعلن نفسه سيد البلاد بأجمعها •

غير أن (غالوس) وصل الى « ليوكى – قوم » ، وجيشه يقاسى آلام مرض الـ (Stomacacce) ومرض الـ (Scelotyrbe)، وكلاهما من أمراض ذلك البلد ، والأول يصيب الفم والثانى الساقين بضرب من الشلل ، بسبب الماء والنباتات (التى استعملها الجنود فى طعامهم) • ولذلك اضطر الى قضاء الصيف والشتاء هناك لمعالجة المرضى •

ان سلع التجارة تنقل من « ليوكى – قوم » الى « البطراء » ، ومنها الى « رينو كلورا » فى فينيقية ، قرب مصر ، ومنها الى أمم أخرى • ولكن القسم الأكبر منها فى أيامنا ينقل على « نهر النيل » الى - الاسكندرية » • فتأتى السلع من « بلاد العرب » و « الهند » الى « ميناء الفأر » (Myus Hormus) ، ومنها تنقل على الجمال الى « قبطس »[1] التى (للطيباويين) ، وتقع على احدى أقنية « النيل » ، ثم الى « الاسكندرية » • أما (غالوس)، فحين قام ثانية من « ليوكى – قوم » عائدا بجيشه ، اضطر لغدر دليله الى أن يضرب فى فياف كان على العسكر فيها أن يحملوا الماء على الجمال • ولذلك بعد مسير أيام كثيرة بلغ « مقاطعة أريتاس » (Aretas) ، وهو من ذوى قرابة (عوبوداس) • فاستقبله (أريتاس) بالترحاب ، وقدم له هدايا • غير أن (سيلايوس) الخائن اقتاد (غالوس)

---

(١) قفط •

في طريق صعبة تشق البلد ، اذ قضى في قطعه اياها ثلاثين يوما • وكان نتاج الأرض الشعير وقليلا من النخيل ، والزبدة بدلا من الزيت •

وكان سكان البلد الذي وصل اليه (غالوس) من البدو الرحل ، ومعظمه صحراوي قاحل ، ويدعى « عرارين » • وكان الملك يدعى (شابوش)(Sabos)• فقضى (غالوس) خمسين يوما في مرور- خلال هذا الاقليم لانعدام الطرق ، الى أن أدرك مدينة (للنجرانيين)، وأرضا خصبة جنحت الى السلم ؛ اذ فر الملك وأخذت المدينة في أول هجوم عليها • وبعد أن سار منها ستة أيام جاء الى نهر ، وهناك هاجم البرابرة (الرومان) ، ففقدوا عشرة آلاف رجل ، ولم يفقد (الرومان) الا رجلين[١] ؛ وذلك لأنه لم تكن للبرابرة خبرة في أمور الحرب مطلقا ، فكانوا يستعملون أسلحتهم بغرارة ـ وهي القسي والرماح والسيوف والمقالع ، ولكن السواد الأعظم منهم كان يستعمل فأسا ذات حدين • فأخذ في الحال « مدينة عسقة » (Asca) بعد أن كان الملك قد هجرها • ثم جاء الى « مدينة عثرولة » (Athrula) فافتتحها دون مقاومة • وبعد أن وضع فيها حامية ، وجمع زادا ومؤنا للزحف ، يتألف من الحبوب والتمر ، تقدم الى « مدينة مرصيابة »(Marsiaba) وهي(للرحمانيين) (Rhammanitae) الذين كانوا من أتباع (عيلاسارس) (Ilasarus) وهاجم المدينة وحاصرها ستة أيام ، غير أنه رفع عنها الحصار لقلة الماء • وكان حينئذ على مسيرة يومين من بلاد العطر ، كما أعلمه أسراه • وقد قضى في زحفه ستة أشهر بسبب غدر أدلائه • ولم يقف على ذلك الا في أثناء عودته • وهو ـ وان تأخر في الكشف عن المؤامرة التي دبرت عليه ـ ، وجد سعة من الوقت ليتخذ طريقا أخرى في الرجوع ، فبلغ « النجران » في تسعة أيام ، وهناك قامت المعركة ، ومن هناك بلغ في أحد عشر يوما « السبع الآبار » ، وهو مكان سمي كذلك لأن فيه سبع آبار • ومن هناك سار في أرض صحراوية ، وجاء الى « قرية شعلة » ، ثم الى « قرية مالوثاس » ، وتقع على نهر • وبعد ذلك كانت طريقه في أرض صحراوية لم تكن فيها الا آبار سقاية قليلة ، حتى بلغ « قرية عجرة »[٢] • وهي تابعة لمملكة (عوبوداس) ، وتقع على البحر • وقد قطع هذه المسافة كلها في عودته بستين يوما فقط ، مع أنه قضى في قطعها أول ذهابه ستة أشهر•

(١) ان المرء ليدهش حين يرى أن من المفكرين أمثال (سترابون) من يصدقون بأرقام كهذه ! (المترجم) •

(٢) نجرة ؟

ومن « نجرة » اقتاد جيشه الى « ميناء الفأر » ، فوصل اليه فى أحد عشر يوما • ومن هناك عبر البلاد الى « قبطس » ، حتى بلغ « الاسكندرية » ومعه من عسكره من استطاع انقاذه • أما البقية فقد ماتوا ، لا بفعل من الأعداء ، بل بالمرض والتعب والمجاعة والسير فى الطرق الوعرة ؛ اذ لم يقتل فى المعارك من رجاله الا سبعة • ولهذه الأسباب لم تضف هذه الحملة الى علمنا عن بلاد العرب الا قليلا • غير أنه كان فيها شىء من النفع •

وقد عوقب (سيلايوس) ، مصدر هذه النكبات ، على خيانته فى « رومة » • وقد تظاهر بالصداقة ، غير أنه أثبتت عليه جرائم أخرى ، عدا الغدر فى هذه القضية ، وقطع رأسه •

٢٥ ـ تقسم بلاد العطر ، كما قلت سابقا[١] ، الى أربعة أقسام • ومن بين العطر يقال : ان اللبان والمر من نتاج الشجر ، أما القاسيا فمن نتاج الشجيرات • غير أن جماعة من المؤلفين يقولون : ان الجزء الأكبر من القاسيا يأتى من « الهند » ، وأن أحسن اللبان يأتى من « فارس » •

ولهم تقسيم آخر تقسم « بلاد العرب السعيدة » بموجبه الى خمس ممالك (أو أقسام) ، احداها تشمل الرجال المحاربين الذين يقاتلون فى الحروب عن جميع الآخرين ؛ وأخرى تحتوى على الزراع الذين يكفلون بالغذاء للبقية ؛ وأخرى يقوم سكانها بالأعمال الآلية • وأحد الأقسام يشمل منطقة المر ، والثانى منطقة اللبان ، ولكن هذه الأرضين نفسها تنتج القاسيا والقرفة والناردين • ولا تغير الأسرة حرفتها ، بل كل عامل يرث حرفته عن أبيه •

ويصنع القسم الأكبر خمرهم من النخيل •

ويلقى اخوة الرجل من الاحترام أكثر مما يلقى أبناؤه • ويرث أبناء الأسرة المالكة العرش ، ويسلمون زمام سلطات أخرى ، على حسب البكورة • أما الممتلكات فمشاعة بين جميع الأقارب • وأكبرهم سنا هو زعيمهم • ولهم جميعا زوجة واحدة ، ومن يدخل الدار أولا قبل غيره يضاجعها ، بعد أن يضع عصاه بالباب ؛ لأن حمل العصا عادة ضرورية يلزم الجميع اتباعها • غير أن المرأة تقضى الليل مع أكبرهم سنا • وهم يضاجعون أمهاتهم أيضا • ويعاقبون الزانى بالموت اذا كان من أسرة أخرى •

كانت بنت أحد الملوك ذات جمال رائع ، وكان لها خمسة عشر أخا يعشقونها

(١) الفقرة الثانية المذكورة آنفا •

جميعا ، ويدخلون عليها بالتتابع دون انقطاع • ويقال : انها سئمت لحاجتهم ، فلجأت الى هذه الحيلة : ذلك أنها حصلت على عصى صنعت على شكل عصى اخوتها ، فاذا غادر المنزل أحدهم ، وضعت بالباب عصا تشبه عصاه ، وبعد ذلك بقليل عصا أخرى ، وهكذا بالتتابع ـ وهى اذ تفعل ذلك تحسب حسابها بحيث لا يجد الرجل الذى يريد الدخول عليها عصا بالباب تشبه عصاه • وحدث مرة ، أنه بينما كان الاخوة جميعهم فى السوق ، أن غادرهم أحدهم وأتى الى باب الدار ، فرأى عصا هناك تدل على وجود رجل فى الداخل • ولكنه اذ تذكر أن اخوته جميعهم فى السوق ، ارتاب فى أن الرجل الذى فى الداخل ليس الا زانيا • فهرول الى أبيه وأحضره الى الدار ، غير أنه ثبت أنه انما اتهم أخته زورا !

٢٦ ـ و (النبطيون) قوم حرصاء ، مولعون بجمع الثروة • والمجتمع يفرض غرامة على من ينقص ماله ، ويكرم من يزيد منه • وليس لديهم من الرقيق الا القليل ، فيقوم الأقرباء بخدمة المرء ، أو يخدم الواحد منهم الآخر ، أو يكون كل امرىء خادم نفسه • وهذه العادة يخضع لها حتى ملوكهم • ويتناولون وجبات طعامهم جماعات ، تتألف الجماعة منها من ثلاثة عشر شخصا ، ويرافقها موسيقيان • الا أن الملك يقيم مآدب كثيرة فى العمارات الضخمة • ولا يشرب أحد أكثر من احدى عشرة كأسا (معينة) ، تختلف الواحدة عن الأخرى ، وكلها من الذهب •

والملك يتحبب الى الشعب كثيرا ، حتى لتراه لا يخدم نفسه فحسب ، بل يخدم غيره أيضا • وفى كثير من الأحيان يقدم تقريرا (عن سير حكمه) بحضرة الملأ ، ويقومون أحيانا باجراء تحقيق فى نمط معيشته •

ومنازلهم فاخرة ، وهى من الحجر • والمدن أسوار لها بسبب السلام (المنتشر بينهم) • وقسم كبير من البلاد كثير الخصب ، وينتج كل شىء سوى الزيت ، ويستعيضون منه بدهن السمسم • وللخرفان عندهم صوف أبيض ، وجواميسهم ضخمة ، غير أن بلادهم خالية من الخيل(١) • والجمال تحل محل الخيل ، وتقوم بالأعمال أنفسها • وهم يلبسون ثوبا ، ومنطقة حول الحقوين ، وينتعلون بالنعال • ولباس الملوك لا يختلف عن ذلك الا فى اللون ، فهو أرجوانى •

ويستجلب شىء من سلع التجارة استجلابا كليا ، وبعضها ليس مستجلبا كله ؟ لأن

---

(١) راجع الفقرة الثانية المذكورة آنفا •

من هذه المواد ما هو من نتاج البلاد ، كالذهب والفضة ، وكثير من العطر . ولكن النحاس والحديد والثياب الأرجوانية والاصطرك والزعفران والقرفة البيضاء والتماثيل والصور والقطع المنحوتة ، لا تصنع فى البلاد .

حين يقول الشاعر : «قصدت بلاد الحبشة والصيداويين والأرمبين»[١] ، لا نعرف بالضبط من (الصيداويون) الذين يومىء اليهم : أهم أولئك الذين سكنوا قرب خليج العجم – وهم جماعة من المستعمرين ينتمى اليهم الصيداويون الذين فى بلادنا (كما أن هناك على حسب رواية المؤرخين ، جماعة من « الجزريين الصوريين » ، و « العرديين » الذين ينتمى اليهم العرديون فى بلادنا) ، أم هم فى الواقع الصيداويون أنفسهم ، أهل « صيدا » ؟

والشك أشد فى من هم (الأرمبيون) : أيقصد الشاعر أهل « طرغلوديتيكا » ، أم يقصد (العرب) ؟ ان (زينو) ، فيلسوف مدرستنا ، يغير هذا البيت فيجعله : « وأهل صيدا والعرب » . ولكن (بوسيدونيوس) يغيره شيئا ما فيقول : « وأهل صيدا والأرمب » . كأن الشاعر أطلق كلمة « الأرمب » على العرب الحاليين ؟ لأن الاخرين كانوا يدعونهم كذلك فى زمنه . وهو يقول ايضا : ان وجود هذه الأمم الثلاث بعضها بجوار بعض ، يشير الى انحدارهم من أصل واحد ، وأنهم لهذا السبب يسمون بأسماء متشابهة (كالأرمنيين) ، و (الآراميين) ، و (الأرمبيين) . فكما نستطيع أن نفترض أن أمة واحدة انقسمت الى ثلاث (بحسب الفروق فى خطوط العرض التى سكنوا فيها ، وهى فروق اشتدت بالتتابع) ، كذلك نستطيع أن نفترض أن أسماء متعددة اتخذت بدل اسم واحد . على أن الاقتراح بتغيير الاسم الى أريمنيين بعيد عن الصواب ؟ لأن هذا الاسم أكثر انطباقا على (الحبشة) . والشاعر يذكر أيضا (الآريميين) ، ويقول (بوسيدونيوس): انهم معينون هنا ، لا مكان فى « سورية » أو « كيليكيا » أو أى بلد كان أخر ، بل «سوريا» نفسها[٢] ؟ لأن (الآراميين) كانوا يعيشون هناك . ولعلهم هم الذين كان (الاغريق) يدعونهم (الآريميين) أو (الآريمائيين) . غير أن تغيير الأسماء ، ولاسيما أسماء الأمم البربرية ، أمر شائع . فـ (داريوس) كان يدعى (داريكيس) ، و (بارياسانيس) (فارزيريس) ، و (أثاره) (أطارغاطا)[٣] ، ويدعوها « كتيسياس » (دركيتو) .

---

(١) Erembi

(٢) هذه الجملة غير واضحة المعنى فى النص (المترجم) .

(٣) أكبر الهة فى « سورية » (المترجم) .

ويمكننا الاستشهاد بـ « الاسكندر » للبرهنة على ثراء العرب ، اذ يقال : انه كان ينوى بعد أن يعود من « الهند » أن يجعل « بلاد العرب » مركز انبراطوريته • وقد انتهت مخاطراته جميعها بموته ، حين دهمته المنية فجأة • ولكن لا ريب فى أن احدى خططه كانت أن يجرب العرب ليرى أكانوا يستقبلونه طائعين ، أم يقاومونه بحد السلاح ؟ فانه حين وجد أنهم لم يبعثوا سفراء اليه قبل زحفه على « الهند » أو بعده ، بدأ باعداد العدة للحرب ، كما قلنا فى مكان سابق من هذا الكتاب •

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

الحياة الاجتماعية فى القرنين الثالث والرابع

مجاليها ومباهجها ومفاسدها وما ألف في ذلك من آثار

ازدهرت الحضارة الاسلامية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة أتم الازدهار ، حتى قال بعضهم : ان هذين القرنين هما القرنان الذهبيان اللذان ازدهرت فيهما الحضارة الاسلامية ، وغنيت المكتبة الاسلامية بشتى الآثار الجليلة ، وان ما تزخر به الخزانة العربية اليوم - على الرغم مما منيت به من نكبات - لدليل يشهد بذلك ، وقد بلغ العالم الاسلامى فى هذين العصرين درجة رفيعة فى الحضارة ومجالى العمران والترف العقلى والفنى ، وافتن الناس فيهما بفنون شتى كما أبدعوا فى التمتع بمباهج الحياة وملاهيها وما الى ذلك من طعام وشراب وتملح ومفاكهة ورياضات واحتفالات وتطلب لزخرف الدنيا ومتعها .

أما الطعام فقد افتنوا فى تنويعه ، وتأنقوا فى مجلسه ، بعد أن كانوا فى الجاهلية وصدر الاسلام يكتفون بالألوان الساذجة والأطعمة البسيطة الأولية ، وكثير منهم كان يتحرج من أكل الألوان الملونة من الطعام ، فقد رووا أن أبا موسى الأشعرى كان يتجافى عن أكل اللحوم لأنه لم يعهد أكلها فى الجاهلية ، ورووا أن عمر كان يقول اذا بلغه عن أحد أصحابه الاكثار من تناول الأطعمة واللحوم : أخبروه أن مدمن اللحم كمدمن الخمر . وفى أيام بنى أمية مال الخلفاء والأمراء والأثرياء والوجوه الى تنويع الأطعمة وتقليد أهل الشام من الروم والسريان فى أطعمتهم ، وكذلك فعل أمراء أمية فى العراق فاستطابوا الأطعمة الفارسية واستمرؤوا الأخبزة الكسروية . قال صاحب طبقات الأطباء (١/١٧٥) : ان الخلفاء والملوك من بنى هاشم كانوا اذا جلسوا الى الطعام ، يقف الأطباء بين أيديهم ومعهم البرانى بالجوارشنات الهاضمة والمسخنة والطابخة والمقوية للحرارة الغريزية فى الشتاء ، ويقفون فى الصيف ومعهم الأشربة الباردة والجوارشنات الموافقة لذلك الفصل . وروى صاحب الفخرى (ص ٢٣٢) : أن مطبخ عمرو بن الليث الصفار كان يحمل على ٦٠٠ جمل ؟ وقد يكون هذا القول مبالغا فيه الا أنه يدلك على شدة تعلق القوم بالطعام والانصراف الى التأنق فيه وفى استكمال ضروب تطييبه وتجويد أنواعه . ومن أطرف ما قرأت فى هذا الباب ما وجدت فى تأريخ ابن خلدون (١/١٤٥) : « أن الحجاج

ابن يوسف أولم مرة لختان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين ليسأله عن ولائم الفرس فى مثل هذه المناسبة فقال له أخبرنى بأعظم صنيع شهدته ، فقال: شهدت ـ أيها الأمير ـ بعض مرازبة كسرى وقد صنع لأهل فارس صنيعا أحضر فيه صحائف الذهب على أخونة الفضة أربعا على كل واحد ، وتحمله أربع وصائف ، ويجلس اليه أربعة من الناس . فاذا طعموا ، أتبعوا أربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها . فلما سمع الحجاج ذلك ، أكبره ، وغلبت عليه البداوة فقال : يا غلام ، انحر الجزر وأطعم الناس » والحق أن رجلا كالحجاج لا يستسيغ هذا الاسراف الفاحش الدال على سخف فاعليه ورقاعتهم .

هذا وقد اشتهر فى التأريخ العربى نفر من الأمراء والخلفاء عرفوا بكثرة الأكل وتطلب أطايبه والاسراف فى ذلك أمثال معاوية وعبيدالله بن زياد وسليمان بن عبدالملك والأمين(١) .

قال السيد محمود شكرى الألوسى فى بلوغ الأرب (٤١٢/١) : « وكانت لهم فى هذا الباب ـ باب المأكل والمشرب ـ عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها ذوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يبكرون فى الغداء ، ويرون أن ذلك أقرب الى راحة البدن وصحته .. ويؤخرون العشاء رغبة فى ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم ، ولأن بلادهم حارة الهواء ، فكلما ذهبت منه شدة الهجير ببرد الليل ، كان الطعام أمرأ والشهية فى الأكل أدعى .. ومن عوائدهم فى هذا الباب أنهم يقلون من الأكل ويقولون : البطنة تذهب الفطنة ... وكان مأكولهم فى الغالب لحوم الصيد والسويق والألبان ، وربما ابتلع أحدهم الريح (!؟) ، ومضغ القيصوم والشيح ، أو حرش اليربوع والضب ، أو صاد الظبى والأرنب .. وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الابل ولا يفضلون عليها شيئا » .

قلت : وقد لعب الطعام « دورا مهما » فى التأريخ العربى فى الجاهلية والاسلام ، فقد كان كثير من الوجوه والسادة والأمراء يتقربون الى العامة بنصب الموائد الضخام واطعام الجائعين ، كما أنهم كانوا يعدون ذلك من امارات النبل والكرامة ، وما لذلك من سبب سوى سوء الحالة الاقتصادية فى الجزيرة وبؤس أهلها . وكان عبدالله بن جدعان وعبدالمطلب فى الجاهلية وعبدالله بن عباس ومعاوية ويزيد وعبدالملك والوليد فى الاسلام مسرفين فى اقامة الولائم العامة ، حتى ان بعضهم كان يفرش سفر الطعام فى

(١) أنظر المروج للمسعودى (٢٦٧/٢) ، والفرج بعد الشدة للتنوخى (١٠٢/٢).

الطرقات كعبدالله بن عباس[(١)] . وكان الحجاج يصنع فى كل يوم من أيام رمضان ألف خوان وفى سائر الأيام خمس مئة : على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وأوزة بسكر ، وكان يدور هو على المائدة يتفقدها ، يحملونه اليها فى محفة وينتقلون به من خوان الى خوان .. وكذلك كان يصنع عمال الحجاج فى سائر مدن العراق ، وكان بعضهم ينصب الموائد مرتين فى اليوم للغداء والعشاء[(٢)].

ولما تغلغلت الحضارة فى الأمة العربية بمن دخلها من غير العرب ، وجاؤوها بما عندهم من آداب وعادات وتقاليد ، ابتعدت عن بداوتها وطابعها الفطرى ، ولم يأت القرنان الثالث والرابع حتى صارت للعرب آداب فى الطعام والشراب وقوانين لمجالسهما ، وافتنوا فى ذلك افتنانا غريبا ، واخترعوا له أدبا وآيينا ، كما اشترطوا للمؤاكلة آدابا وللمنادمة أصولا ، وفرضوا على الظرفاء والندماء أزياء معينة يلبسونها ؛ فقد ذكر الأديب الكاتب الظريف الأريب أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى المعروف بالوشاء فى كتابه « الظرف والظرفاء » فصولا مطولة ، ومما جاء فى ذلك قوله /ص ١٠٥ ـ ١٠٧/ : « اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجالل عن الشره والنهم ، وأكل الأوساط الرقاق ، والبزماورد الدقاق ، وليس يأكلون العصبة والعضلة ولا العرق ولا الكلوة ولا الكرش .. ولا يتبعون مواضع الدسم ولا يسلأون أيديهم بالزهم.. ولا يلطعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدسمون بكبرها شفاههم ، ولا يقطرون على أكفهم ، ولا يعجلون فى مضغهم ، ولا يأكلون بجانبى الشدقين ، ولا يزاوجون بين الاثنين ، ولا يأكلون قدرا بائتة ولا قدرا مسخنة ، ولا يغمسون فى مرقة ، ولا يضعون لقمة .. ولا يأكلون الحبوب التى تهيج الأرياح وتولد القرقرة والانتفاخ ، ولا يأكلون فى النهار أكثر من أكلة ، ولا يكثرون القيام من مجلسهم ، ولا يكثرون من الضحك والكلام عند حضور المائدة والطعام ، ولا يخللون على المائدة قبل أن تفرغ ، ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع ....

وقد ألف جماعة فى فن الطعام وألوانه وأنواعه وآداب مجلسه . ومن أقدم من ألف فى ذلك أبو الحسن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم نديم المتوكل ومن بعده الى أيام المعتمد ، وكان أديبا فهما نادم الخلفاء العباسيين ، وكان ريحانة مجالسهم ونفحة نواديهم . مات سنة ٢٧٥[(٣)] . له آثار فى الأدب والفن ، منها : كتاب الطبيخ ولكنه مفقود . وممن

(١) العقد لابن عبدربه (٨٣/١) (٢) المصدر السابق (٦/٣) .
(٣) الوفيات (٣٥٦/١) ، والفهرس (ص ٢٠٥) وتاريخ التمدن الاسلامى (٨٠/٥و١٠٤) .

ألف فى فن الطهى ابراهيم بن المهدى الأمير العباسى الأديب المغنى ، أخو الرشيد ، مات سنة ٢٢٤ بسامرا ، وكتابه مفقود أيضا[١] • وجحظة البرمكى أحمد بن جعفر النديم الأديب الشاعر الموسيقى ، مات سنة ٣٢٤[٢] • ومسكويه أحمد بن محمد المؤرخ الحكيم الفيلسوف الأديب ، مات سنة ٤٢١[٣] ، وكان خازنا لكتب عضد الدولة البويهى • وقد ضاعت هذه الكتب جميعا •

أما الشراب ومجالسه وآدابه ، فقد بلغت حدا عجيبا سواء فى تنويع المشروبات ، أو فى تزويق المشمومات ، أو فى تكثير أنواع النقل ، أو فى آداب الندماء ومجالسهم ، أو فى التأليف فى ذلك • وفى كتاب الموشى (الظرف والظرفاء) للوشاء فصول ممتعة مطولة عن زى الندماء والظرفاء من أهل الشراب ، فقد ذكر فى كتابه (ص ١٠٧) أنهم لا يشربون من الشراب أسوده ، ولا يشربون الا أجوده ، مثل المشمشى والزبيبى والمعسل والمطبوخ والطلاء والمعدل ، ولا يقربون ما لامه الخثر ، ولا ما خالطه الكدر ، ولا يتنقلون على شرابهم بالأشياء الرذلة مثل الباقلى والبلوط والبسر المقلو •• وأكثر ما يتنقل به المتظرفون، ويعبث به المتزيكون ، مملوح البندق ومقشر الفستق والملح النفطى والعود الهندى والطين الخراسانى والملح الصنعانى والسفرجل البلخى والتفاح الشامى ، ويتخذون من كل شىء من الآنية أسراه ، ومن الزجاج أجوده وأنقاه •• •

قلت : ان الفساد الاجتماعى الذى ذر قرنه فى عهد بنى أمية ، وباض وفرخ فى أيام بنى العباس ، قد نتج بلاء عظيما على الأمة ، فانهارت قواها الخلقية ، وانحطت مقوماتها النفسية ، وعطلت الحدود التى كانت تكون حائلا أو بعض حائل بين هذه الأمة وبين الانهيار الاجتماعى • فان العرب بعد أن اتصلوا بأهل الشام والعراق وفارس ويونان ذلك الاتصال القوى ، نقلوا عنهم خير حضاراتهم وشرها ، وصالح مدنيتهم وطالحها • وبالرغم من ان الاسلام حرم الخمر ، وشدد عقوبة شاربها وبائعها ، وكانت هذه العقوبات تقام أيام الخلفاء الراشدين وأوائل أيام بنى أمية الى أن ولى يزيد بن معاوية وعبدالملك وأولاده ، ــ استهان الناس بأمرها ؛ لأن الخلائف ومن اليهم كانوا يشربونها[٤] ، وزاد فى الطنبور

(١) أنظر أخباره فى الأغانى •
(٢) معجم الأدباء (٣٨٣/١) •
(٣) طبقات ابن القفطى (ص ٣٣١) •
(٤) أنظر الأغانى (١٥٤/١٩ و١٥٧/١٣) ، والعقد الفريد (٣١٤/٣) •

نغمة أن بعض الفقهاء أباح بعض أنواعها وأن آخرين حرموا ذلك ، وظهر بعض المتملقين للخلفاء والأمراء فأخذوا ينتحلون المسوغات لشربها ، ويبحثون في الفرق بين أصنافها ، ويميزون بين ما سموه حلالا وبين ما حرموه[١] . ومهما يكن من شيء فان القوم قد شربوها ، وانهم افتنوا في مجالسها وآدابها ، وكان في بيوت العظماء والأعيان الى جانب الطباخين جماعة يهتمون بالشراب وأدواته ونقله وأزهاره ، وكانوا يسمونهم الشرابيين[٢] . وكان من آدابهم وآيينهم أن ينثروا الزهور والرياحين في أرض المجلس الشرابي ، بينما كانت أشهر آلات الطرب الأربع المعروفة آنئذ ، وهي الجنك والطنبور والمزمار والعود ، تشنف آذان الشاربين في تلك الجلسات الماجنة ، وكانوا يرقصون في تلك المجالس ، ويسمون الرقصات بأسماء بعض الأصوات الموسيقية من خفيف وهزج وثقيل ورمل ، وربما سموها ببعض أسماء الحيوان والجماد كرقصة الجمل ورقصة الكرة[٣] .

أما مظاهر السرور ومجالي المتع الأخرى ، فقد كانت على أضرب ، منها :

الغناء كان للعرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم حداء وغناء يلائم حياتهم الساذجة وفطرتهم البدوية ، فلما قوي اختلاطهم بالروم والقبط والفرس والأحباش والهنود، دخلت في غنائهم عناصر جديدة ، وغنيت موسيقاهم بنوع طريف . ويقال ان أول من أدخل الموسيقى الأجنبية على الموسيقى العربية والغناء العربي عبد لبعض أشراف مكة اسمه سعيد بن مسجح ، فقد كان مغنيا حسن الصوت بارعا في الغناء والضرب ، رحل الى الشام وفارس ، وسمع ألحانهم فأدخلها في الأنغام العربية منتقيا منها ما يلائم الذوق العربي . ثم رجع الى الحجاز فأخذ عنه أهلوها ، وسما قدره أيام بني أمية . ولقد ارتقت مرتبة المغنين في العهد الأموي وخصوصا أيام يزيد والوليد ، ومن خير من نبغ من مغني هذا العصر عبدالله بن سريج أحد الموالي وكان يغني غناء مرتجلا (-٩٨) ، والغريض عبدالملك من موالي البربر ومن أحذق مغني مكة وضاربي العود والدف (-٩٥) . ومعبد بن وهب مغني الوليد بن يزيد (-١٢٦) ، وحكم الوادي مغني الوليد ثم المنصور والرشيد (-١٨٠) ، وعبدالله بن

(١) كتاب الأشربة والأغاني (١١٢/٤ و٤/٥) .
(٢) أنظر الفرج بعد الشدة للتنوخي (١١/٢) .
(٣) المروج طبع باريس (١٠٠/٨) .
(٤) المصدر السابق وظهر الاسلام (١٠٧/١) .

وهب أستاذ ابراهيم الموصلى (-١٦٩) ، وزرياب على بن نافع مولى المهدى ونابغة الموسيقى والشعر والعلم (-٢٣٠) .

وقد ألف فى الغناء كتب كثيرة ضاعت مثل كتاب اسحاق الموصلى ويونس بن سليمان الكاتب المغنى وعمرو بن بانة وأبى حشيشة وجحظة البرمكى وأحمد بن أبى طاهر طيفور صاحب المنثور والمنظوم وغيرهم ممن أوردهم ابن النديم فى الفهرست(١) . ومن أجل ما ألف فيه كتاب أبى الفرج الأصفهانى - وهو من ذخائر الخزانة العربية اليوم - وفصول ممتعة فى نهاية الأرب للنويرى(٢) .

اللعب بالنرد والشطرنج من الألعاب الدخيلة التى عرفها العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام اللعب بالنرد والشطرنج . وقد وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمر أقوال تنهى عن تضييع الوقت فى اللعب والمقامرة بهما . وقد تسامح قوم من الفقهاء فى اللعب بالشطرنج ، لما فيه من تمرين الذهن واذكاء الزكانة والفطنة . وقد اشتهر اللعب بالشطرنج فى العصر العباسى ، ونبغ فيه معدودون، منهم العدلى الذى ذكره ابن النديم(٣) فى أول الفصل الذى كتبه عن البارعين بهذه الصناعة والمؤلفين فيها وفى حيلها ، وقد ذكر عنه أنه أول من عمل كتابا فى الشطرنج ، وله أيضا كتاب النرد وأسبابها واللعب بها . وقد ضاعت أخبار هذا اللاعب كما ضاعت آثاره . وممن ذكرهم ابن النديم فى عداد الشطرنجيين الرازى، ولا ندرى أى رازى هو ، غير أنه قال فى صدد الكلام عنه : انه كان نظير العدلى ، وأنهما كانا يلعبان بين يدى الخليفة المتوكل على الله ، وأن له كتابا فى الشطرنج . أما امام هذه الصناعة فهو أبو بكر الصولى محمد بن يحيى الكاتب (-٣٠٠) وكان أحسن شطرنجيى زمانه حتى لقب به ، وقد مهدت له براعته الفائقة فيه الدخول الى دار الخلافة ومنادمة خلفائها وبخاصة الراضى والمكتفى والمقتدر . وقد ألف كتابا ذائع الصيت فى الشطرنج ذكره ابن النديم ، وقال : له كتاب الشطرنج النسخة الأولى والنسخة الثانية(٤) . ومنهم اللاعب اللجلاج محمد بن عبدالله ، وقد ذكره ابن النديم وقال : رأيته خرج الى

(١) أنظر الفهرست طبع مصر (ص ٢٠٣ وما بعدها و٢٢١) .
(٢) نهاية الأرب طبع دار الكتب (١٥٦/٤) .
(٣) مروج الذهب (٣١١/١) .
(٤) الفهرست (ص ٢٢١) .

شيراز الى عضد الدولة ، مات سنة نيف وستين وثلاث مئة وله كتاب منصوبات الشطرنج •
ومنهم ابراهيم بن محمد بن صالح الاقليدسي وله كتاب منصوبات الشطرنج أيضاوقدضاع•
ومنهم المغني المشهور بقريص الجراحي لأنه كان من رجال أبي عبدالله محمد بن داود ابن الجراح الوزير وله كتاب في الغناء وآخر في الشطرنج • ومات سنة ٣٢٤هـ•

مسابقة الخيل والبغال والحمير والكلاب والطيور من الألعاب التي عرفها العرب ومارسوها في جاهليتهم واسلامهم ، المقامرة في السباقات • وقد كان شغفهم بها عظيما لصلة ذلك بالفروسة وحياة المغالبة التي كانوا يحيونها • وهم وان كانوا شغوفين جدا بسبق الخيل الا أنهم ربما سابقوا بين البغال والحمير أيضا ، بل ربما سابقوا بين الطيور والكلاب • كما كانوا يحبون مهارشة الكلاب والحيوانات الأخرى الضارية وغيرها من الديوك والكباش والمعزى • ويذكر المسعودي في المروج أن عيسى بن لهيعة المؤرخ المحدث المشهور ألف كتابا سماه « الجلائب والحلائب » ذكر فيه اسم كل حلبة أجريت في الجاهلية والاسلام[1] ، ولم نعثر عليه ، الا أننا ما نزال نعثر على نصوص متفرقة في كتب الأدب والتأريخ عن هذا النوع من المسابقات وبخاصة ما يتعلق بسباق الخيل ؛ لأن العرب كانوا في الجاهلية مغرمين بحب الخيل الأصيلة ، مفتونين بمظاهر الفتوة ، والجياد من أجلى مظاهر الفتوة ، وربما كانت السبب في رفع شأن قبيلة ووضع شأن أخرى ، وكانت لهم فيها عادات وآداب ، وكانوا يرسلون الخيل الى الحلبات ــ وهي ميادين لعبها ــ عشرة عشرة ، ولكل واحد منها عندهم اسم باعتبار تقدمه في السبق[2] • ولما جاء الاسلام وأباح هذا النوع من الرياضة لما فيه من تقوية روح الرجولة والعزة وتنمية أسباب الجهاد في سبيل نصرة دين الله تعالى ، بالغ الأمراء والنبلاء والعامة في شأن الخيل واتخذت لها الحلبات والميادين ، واستكثروا من الخيل والبراذين، وافتنوا في تأديبها وتضميرها ، وتحسين نسلها والعناية بكل ما يتصل بها •

وقد كان للخلفاء من زمن مبكر عناية بحلبات الجياد وشغف بحب سباقها وتشجيع عليه • قالوا : كان عبدالله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان من أقدم من بالغ من الخلفاء في اتخاذ الحلبات • أما أخبار من جاء بعد من الخلفاء والملوك والأمراء ، فأكثر من أن تحصى •
وكان الخلفاء يخرجون بأنفسهم للسباق في أيام معينة ومجاراة من يفوز أو يحوز قصب

(١) أنظر مروج الذهب (٢٥/٤) • (٢) المصدر السابق (٣٨٠/٢)

السبق على حد تعبيرهم ، وهى قصبة كانت تغرس فى آخر الميدان يأخذها السابق الأول دليلا على سبقه ، فمن أخذها ، نال الجوائز السنية ، وارتفع قدره . ومن أشهر من عنى بالسباق من خلفاء أمية ، هشام بن عبدالملك ، فقد رووا أنه اجتمع فى اصطبله أربعة آلاف رأس جواد أصيل ، وهو رقم قياسى عجيب لم نسمع به لأحد فى الجاهلية والاسلام . وقالوا : انه كان فى اصطبل الوليد بن يزيد ألف فرس منسوبة أسبقها فرسه (السندى). وكانت حلبة رصافة هشام أعظم حلبات السباق فى سعتها ورونقها واحتوائها على كل أسباب الراحة للخيل والخيالة والنظارة . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه ثم المسعودى فى مروجه قصصا وطرائف كثيرة عن ميادين سباق الرصافة الهشامية وحلبتها[١] ، وهى تدل على شدة ولع القوم بهذا الضرب من الرياضات .

ولم يكن شأن خلفاء آل العباس أقل بكثير من شأن آل أمية ومروان ، فقد كانت فى بغداد والرقة والشماسية وسامراء حلبات كبرى وميادين سباق أخبارها مستفيضة فى تواريخهم . وقد حفظ لنا الأدب العربى كثيرا من أوصاف هذه الحلبات والميادين ، كما حفظ لنا أسماء أبطالها وخيولها ، وآداب السباق ووصف مجالسه وتصوير الحلبة والخيول وتبيين أسمائها وصفاتها وشياتها . ومن أروع ذلك وألطفه قصيدة جميلة لمحمد بن يزيد ابن عبدالملك بن مروان ذكرها المسعودى فى المروج ، فارجع اليها اذا شئت[٢] .

الرياضة باللعب بالصوالجة والأكر والبندق اللعب بالكرة والصولجان تقليد فارسى الأصل عرفه العرب فى جاهليتهم ، واعتنى به الأمراء بعض الشىء أيام بنى أمية ، وازدادت عنايتهم به أيام بنى العباس وبخاصة فى زمن الرشيد ومن بعده . وهذه اللعبة « عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنة (كالفلين) ونحوه تلقى فى أرض الميدان فيتسابق الفرسان الى التقافها بعصا عقفاء يسمونها الصولجان أو الجوكان ، ويرسلون الكرة بها فى الهواء وهم على خيولهم »[٣] . وهى أشبه بلعبة الهوكى التى يلعبها الأوربيون الآن .

أما اللعب بالبندق ، فهو عبارة عن اللعب بكرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ، ويترامى بها فى الهواء ، أو يتصيد بها المتسابقون والمتبارون . وهى فارسية الأصل ، وتسمى أيضا الجلاهقات . وقد اقتبس العرب هذه اللعبة فى أواخر

---

(١) المروج (١٢٩/٢ و١٣٥) (٢) المصدر السابق ٣٨١/٢ .
(٣) تاريخ التمدن الاسلامى (١٥٨/٥) .

أيام عثمان بن عفان ، وعد الفقهاء ظهورها فى المدينة أمرا منكرا(١) . وقد اعتنى الناس فى أيام بنى العباس بهذا النوع من الرمى فى الصيد والرياضة حتى صار رماة البنادق فى زمن العباسيين طائفة كبيرة يخرجون الى ضواحى المدن للسباق وصيد الطير بها ، ورووا أن الرشيد كانت له فرقة من أصحابها اسمها « النسل » ، وأنها كانت تسير بين يديه ترمى البندق ، وأن الخليفة الناصر لدين الله جعل لرمى البندق شأنا كبيرا ، وأنه كان ولعا به وباللعب بالحمام المناسيب .. وجعل رمى البندق فنا لا يتعاطاه الا الذين يشربون كأس الفتوة ، ويلبسون سراويلها ، كما نجد أخبار ذلك مفصلة فى تأريخ ابن الاثير(٢).

وفى تاريخ التمدن الاسلامى : « تفنن العرب فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخرة الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق . فلما اخترع البارود ، صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب . وسموا هذه الآلة بندقية نسبة اليه . ومن قبيل رمى البندق رمى النشاب فى البرجاس ، وهو غرض فى الهواء أو على رأس رمح أو نحوه يطلبون اصابته بالنشاب ... »(٣) .

ومنها المصارعة والركض والسباحة عنى العرب منذ الجاهلية بالمصارعة والسباحة والتسابق ركضا . وقد تفننوا فى ذلك ، وجعلوا لكل واحد منه شروطا وتقاليد تدل على عنايتهم به وبراعتهم فى اتقانه . وقد حفظ لنا ابن عبدوس الجهشيارى طرفا من أخبار ذلك فى كتابه « الوزراء » كما نجد تفصيلا لبعض آدابه وشروطها فى كتاب النفحات المسكية للحموى .

وفى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين زادت عناية الناس بهذه المظاهر ، لما فيها من التنشيط وتقوية الجسم واعداد الأجسام الصحيحة للجهاد فى سبيل الله واعداد العدة للقاء العدو . أما أيام بنى العباس فقد انقلبت الى نوع من التسلية وازجاء الوقت واللهو . وقد فصل ذلك آدم متز فى كتابه عن الحضارة الاسلامية(٤) ، وكاترمير فى كتابه تاريخ المماليك(٥).

---

(١) تاريخ ابن الأثير (٣/٩٠) ، وتاريخ التمدن الاسلامى (١٥٨/٥) والنفحات المسكية فى صناعات الفروسية لأحمد بن محمد الحموى طبع بغداد سنة ١٩٥٠م.

(٢) التأريخ (٢٠٢/١٢) . (٣) تأريخ التمدن الاسلامى (١٥٩/٥)

(٤) ترجم كتاب الحضارة الاسلامية لآدم متز الأستاذ عبدالهادى أبو ريده وطبع بمصر أنظر (٢٤٥/٢) .

(٥) كتاب تاريخ المماليك للمسيو كاترمير بالفرنسية من أمهـــات الكتب فى موضوعه ، أنظر (١١/١) .

ومنها الاحتفال بالأعياد الدينية والمواسم القومية كان العرب فى جاهليتهم يحتفلون ببعض الأعياد والمواسم ، ويظهر أن أعظم أعيادهم كانا اثنين . فقد روى المحدثون والمؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، ولأهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قد بدلكم خيرا منهما : يوم الفطر ، ويوم الأضحى . فأول ما بدىء به من العيدين فى المدينة عيد الفطر ، وذلك فى سنة اثنتين من الهجرة ، وفيها كان عيد الأضحى أيضا[1] . ويقال : ان العيدين اللذين كانا فى الجاهلية هما المهرجان والنيروز كما ذكر ذلك السيد محمود شكرى الألوسى[2] . وقد كانت للجاهليين مواسم أخرى يعيدون فيها ويفرحون ، وهى مواسم الأسواق التى كانت لهم فى الجاهلية كأسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وكأعياد الفرس التى كان يحتفل بها متحمسة العرب ، وأعياد اليهود والنصارى التى كان يعيد فيها متهودو العرب ومتنصروهم .

فلما بزغت شمس الاسلام ، نهى الرسول عن الاحتفال بغير عيدى فطر شهر رمضان وأضحى يوم عرفة ، ويظهر أن الرسول الأعظم قد لاحظ أنه لابد لكل أمة من عيد يفرح فيه الصغير ، وينشرح به صدر الكبير ويروح فيه عن نفسه ؛ وأنه لابد لكل عيد من مناسبة ، وقد خشى الرسول أنه ان أبقى الاحتفال بذينك الموسمين الوثنيين أن يكون ذلك تنويها بشعائر الجاهلية ، فاستبدلهما بموسمين عظيمين : هما يوم انتهاء صوم رمضان ، ويوم وقوف الناس على عرفة . قال السيد محمود شكرى الألوسى : « وانما بدلا ــ أى عيد المهرجان والنيروز ــ لأنه ما من عيد فى الناس الا سبب وجوده تنويه بشعائر دين ، أو موافقة أئمة مذهب ، أو شىء مما يضاهى ذلك ، فخشى النبى صلى الله عليه وسلم ان تركهم وعاداتهم أن يكون هنالك تنويه بشعائر الجاهلية أو ترويج لسنة أسلافها فأبدلهما بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية ، وضم مع التجميل فيهما ذكر الله وأبوابا من الطاعات ، لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ، ولئلا يخلو اجتماع منهم من اعلاء كلمة الله .. ولما كان أصل العيد الزينة ، استحب حسن اللباس والتقليس ، أى ضرب

---

(١) أنظر نهاية الأرب (١٧٧/١) .

(٢) بلوغ الأرب ، طبعة بغداد (٤٠٤/١) .

الدفوف ، ومخالفة الطريق والخروج الى المصلى ... »[(١)].

وقال النويري في نهاية الأرب : « الأعياد الاسلامية التي وردت بها الشريعة اثنان: عيد الفطر وعيد الأضحى ... وعيد ابتدعه الشيعة وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه يوم غدير خم .. واليوم الذي ابتدعوا فيه العيد هو الثامن عشر من ذي الحجة ؛ لأن المؤاخاة كانت فيه سنة عشر من الهجرة وهي حجة الوداع ، وهم يحيون ليلتها بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق الرقاب وبر الأجانب والذبائح . وأول من أحدثه معز الدولة على بن بويه في سنة ٣٥٢ هـ»[(٢)] .

ويظهر أن المسلمين عادوا بعد انقضاء عهد الخلفاء الراشدين الى الاحتفال ببعض أعيادهم القديمة وبخاصة النيروز والمهرجان والسدق . أما النيروز فهو أعظم أعياد الفرس، ويقال : ان أول من اتخذه جمشيد ، وسبب اتخاذه ــ فيما يزعمون ــ أن الملك طهمورث وكان ملكا عاتيا فلما هلك وملك بعده جمشيد سمى اليوم الذي ملك فيه (نوروز) أي اليوم الجديد . ومنهم من يزعم أنه اليوم الذي خلق الله فيه السموات والأرض وأنه كان معظما عند الفرس منذ أيام جمشيد ، ومنهم من يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران ومدته ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (افريدون ماه) الذي هو أول شهور سنتهم . وأما المهرجان فوقوعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان وفي اليوم السادس عشر من (مهرماه) من شهور الفرس وهو ستة أيام ، ويسمى آخرها المهرجان الأكبر . قال المسعودي : « وسبب تسميتهم له بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف ، فمات في نصف الشهر الذي يسمونه (مهرماه) فسمى ذلك اليوم (مهرجان) ، وتفسيره « نفس مهر ذهبت » . وأما السدق ، فانه يعمل ليلة الحادي عشر من شهر (بهمن) ، ويسمى هذا اليوم عندهم (ابان روز) لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسما .. ويقال : ان سبب اتخاذهم له أن الأب الأول ــ وهو عندهم كيومرث ــ لما كمل له مئة ولد ، زوج الذكور بالاناث ، وصنع لهم عرسا أكثر فيه من اشعال النيران، فوافق ذلك الليلة المذكورة ، واستنه الفرس بعده .

---

(١) بلوغ الأرب (٤٠٤/١ وما بعدها) .

(٢) نهاية الأرب (١٧٧/١ وما بعدها) .

وقد ظل المسلمون يحتفلون بهذه المواسم ، وبخاصة فى فارس والعراق أيام الدولة العباسية ، وذلك بخروجهم الى المنازه والبساتين ، ولبس الجديد ، والتقليس ، وايقاد النيران والشموع ، والغناء والرقص . قال الشاعر البغدادى ابن الحجاج فى قصيدة طويلة يمتدح بها عضد الدولة ابن بويه :

مولاى يا من نداه يعدو ففات سبقا وليس يلحق
ليلتنا حسنها عجيب بالقصف والعزف قد تحقق
لنارها فى السما لسان عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منها قد صار جمرا والنجم منها قد كاد يحرق
ودجلة أضرمت حريقا بألف نار وألف زورق
فماؤها كله حميم قد فار مما غلى وبقبق

وقال أبو القاسم المطرز من قصيدة فى وصف الاحتفال بسدق عمله السلطان ملكشاه السلجوقى أشعل فيه الشموع فى السميريات بدجلة فى سنة ٤٨٤ ﻫ :

وكل نار على العشاق مضرمة من نار قلبى أو من ليلة السدق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت بسدفة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بسطا من جواهرها ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها ومالك قائم منها على فرق !

وكان من عادتهم فى هذه المواسم أن يخرجوا الى البساتين والمنتديات العامة ، فيتفسحون ويتبادلون الهدايا والتحف ، ويلبسون أفخر الثياب وأغلى الحلل وأثمنها . قال السيد الألوسى : « وكانوا فى مواسمهم وأيامهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل الثمنة والبرود المعجبة ، والفرسان منهم يتسابقون على الخيل ، والأجواد يسرون (أى يلعبون بالميسر) ، وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب ــ قد استوفاها صاحب القاموس ــ ويزمرون ، وبالدفوف والمزاهر ينقرون ، ونحو ذلك مع التغنى بأراجيز وأبيات من الشعر ... »[1] وكانوا يوزعون الأموال والصدقات على الفقراء وأهل الحاجة ، كل بحسب قدرته ، وكان الخليفة يمنح عطاياه وهداياه للمقربين من خاصته ورجاله ،

---

(١) بلوغ الأرب .

وكذلك كان يفعل الأعيان والوزراء ، وبخاصة فى النيروز ، فقد كانوا يحتفلون فيه احتفالات جد لطيفة ، وربما سمح بعض الخلفاء لجماعات من المضحكين وأصحاب السماجات (المساخر) أن يظهروا فى حضرته أو فى الميادين العامة • وكانوا يسمحون أن يضرب بعضهم بعضا بالجلود والأنطاع • أما الفقراء وسواد الشعب ، فقد كانوا يفعلون ذلك فى الشوارع والميادين • واما الأغنياء فقد كانوا يفعلون ذلك فى دورهم وحدائقها • وكان الشرط لا يعترضون على ذلك • وان غلط أحد الأغنياء أو الكبراء وخرج من قصره فى ذلك اليوم ، لقيه الغوغاء فرشوه بالماء ، وجلدوه ، وأفسدوا ثيابه ، واستخفوا بحرمته(١) • أما يوم المهرجان ـ وهو عيد الدخول فى الشتاء ـ فهو أكبر الأعياد بعد النيروز ، وقد كانوا يتهادون فيه أيضا ، ويفرحون بمقدمه • وفى الأدب العربى نثر وشعر كثير عن احتفال الناس بهذه الأعياد(٢) •

ومنها تلعيب الخيال هو شبيه بما نسميه اليوم فى ديار الشام ومصر والعراق بـ (قره كوز) أو (كركوز) ، وهو أن يمثل بعض الأشخاص والحيوان على تماثيل من الجلد أو الورق المقوى ، وتنصب خيمة تلعب من ورائها هذه التماثيل ، ويقص على الناس ملعبها أقاصيص وخرافات ، ويقلد حركات بعض الناس من خاصة وسوقة • وقد ذكر آدم متز فى كتابه الحضارة الاسلامية أن هذه الملاعيب كانت معروفة فى العصر الذى نؤرخه ، وأنهم كانوا يمثلون بعض الأشخاص على أشكال مضحكة ، ويقلدون حركاتهم وأقوالهم وبعض أحوالهم(٣) •

ومنها المسامرة بالقصص وسرد الطرف وهذا النوع من التسلية قديم جدا عرفه الانسان فى أقدم عصوره ، وركن اليه الصغار والكبار ، لما فيه من الترويح عن النفس وتسلية القلب المحزون واضحاك النفس المنكمشة •

روى ابن هشام فى السيرة النبوية أن صفوان بن أمية كان ممن دخل بلاد فارس ، وتعلم من أقاصيصهم وخرافاتهم وأسمارهم ، وجاء الى مكة يحدث الناس بها ويرويها لهم فى نواديهم ومجالسهم العامة •

---

(١) أنظر الحضارة الاسلامية (٢/٢٤٥) •

(٢) أنظر الفصل المتع المفيد الذى كتبه الامام ابن تيمية فى كتابه النفيس « اقتضاء الصراط المستقيم » عن الأعياد وبدعها

(٣) الحضارة الاسلامية (٢/٢٢١)

وقد كتب العرب ، منذ فجر عصر التأليف ، فى هذا النوع من السمر . قال ابن النديم فى الفهرست : « ابتدأ أبو عبدالله الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ... وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه ... »[(١)] . وقد نقل آدم متز عبارة ابن النديم وعلق عليها بقوله : « وهذه القصص هى من نوع يغاير كل المغايرة القصص القديمة التى ألفها ابن قتيبة وابن عبدربه ، ففيها نجد لأول مرة الأسلوب القصصى الاسلامى»[(٢)] ، ويريد بذلك ما يرويه صاحب عيون الأخبار والعقد من الخرافات والأقاصيص التى روياها عن العرب ، وهى فى الواقع قصص موجزة ليس فيها التسلسل المطلوب فى القصة ولا الابداع القصصى ولا الأسلوب السمرى كالذى نجده فى قصة ألف ليلة وليلة ، فانا لا نعرف مؤلفا عربيا قبل ابن عبدوس سلك هذا المسلك ، الا اذا اعتبرنا ما نقله مؤرخو الأدب العربى من أن جماعة من قدماء مصنفى العرب قد ألفوا قصصا فى عشاق الجاهلية والاسلام ، مثل عيسى ابن دأب والشرقى بن القطامى وهشام بن الكلبى والهيثم بن عدى وغيرهم ممن روى عنهم أنهم ألفوا قصصا فى أخبار جميل بثينة وكثير عزة وقيس لبنى ومجنون ليلى وتوبة ليلى وغيرهم ممن ذكرهم ابن النديم فى الفهرست[(٣)] ، ولكن هذه الآثار قد ضاعت فلم تعرف طريقة كتابتها . وهناك نوع من كتب الأسمار والمنادمات وقصص المجالس ، ألفها جماعة من متقدمى المؤلفين ، وانتشرت بين العامة ، يقرؤونها ، ويتسامرون بأخبارها وفكاهاتها ، من ذلك ما رووا من أن ابن خرداذبه الجغرافى عبيدالله بن أحمد ألف كتابا اسمه « الندماء والجلساء » جمع فيه طرفا من آداب الندماء ومسامراتهم وقصصهم ، وله كتاب اسمه « اللهو والملاهى »[(٤)] ذكره ابن النديم فى كتابه الفهرست ، ولكن لم أر من أشار الى وجوده . وهناك جماعة من المؤلفين ذكر ابن النديم والحاج خليفة آثارهم ، ولكنها كلها مفقودة . فمن أولئك :

يحيى بن أبى منصور الموصلى الأديب ــ ألف كتاب الأغانى ، كتاب المعاريض ، كتاب الطبيخ ، كتاب العود والملاهى[(٥)] .

على بن مهدى الكسروى المؤدب ــ ألف كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغى أن

---

(١) الفهرست (ص ٢١٣) .
(٢) الحضارة الاسلامية (٤١٩/١) .
(٣) الفهرست (ص ٤٢٥) .
(٤) الفهرست (ص ٢١٣ ــ ٢٥١) .
(٥) الفهرست (ص ٢١٦) .

يقتدى القضاة فى مطاعمهم بالأئمة والخلفاء ، وله أيضا « كتاب الأعياد والنواريز »[١].

أبو بكر محمد بن يحيى الصولى العالم الظريف النديم ـ ألف كتبا فى الأسمار والأقاصيص ، ذكرها ابن النديم فى الفهرست[١] .

أبو عبدالله محمد بن أحمد الحكيمى ـ ألف كتاب الفكاهة والدعابة[١].

أبو العنبس محمد بن اسحاق الصيمرى النديم المزاح الفكه ـ قال ابن النديم : كان من أهل الفكاهات والمراطزات[٢] ، وكان مع ذلك أديبا عارفا بالنجوم ... أدخله المتوكل فى جملة ندمانه ، وخص به ، له كتاب هندسة العقل ، وكتاب الأحاديث الشاذة ، وكتاب السحاقات والبعامير ، (الذين يجلدون عميرة) ، وكتاب الخضخضة فى جلد عميرة ، وكتاب القواد .

أبو حسان محمد بن حسان ـ نديم المتوكل ، وله كتاب قصص النساء والباه ، وكتاب البغاء ، وكتاب السحق .

أبو العبر محمد بن أحمد بن عبدالله العباسى القرشى (ـ٢٥٠) ـ قال جحظة : لم أر أحفظ منه لكل عين ، ولا أجود شعرا ، ولم يكن فى الدنيا صناعة الا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز ، وكان أبوه يلقب بالحامض ، حافظا أديبا ، وكان فى نهاية النصب واللعنة ، قتله قوم من الرافضة سمعوه يتناول عليا ، ومن شعره :

زائر نم عليه حسنه … كيف يخفى الليل بدرا طلعا
أمهل الغفلة حتى أمكنت … ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال فى زورته … ثم ما سلم حتى ودعا

وله كتاب جامع الحماقات ومأوى الرقاعات ، وكتاب النوادر .

أبو القاسم على بن محمد بن الشاه الظاهرى ـ من أولاد ابن ميكال ، كان أديبا طيبا مفاكها ، له كتاب أخبار الغلمان ، كتاب النساء ، كتاب الخبز والزيتون ، كتاب حرب اللحم والسمك ، كتاب البغاء ولذاته ، كتاب الخضخضة .

أحمد بن محمد بن علوجة السجزى ـ كان طنبوريا ، أحد الظرفاء والمتطايبين ، يلقب بالريح ، ويعرف بجراب الدولة . وله من الآثار كتاب النوادر والمضاحك فى سائر الفنون والنوادر ، ويسمى هذا الكتاب أيضا ترويح الأرواح ومفتاح السرور

---

(١) الفهرست (ص ٢١٦) .
(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها محرفة عن (المطانزات) من الطنز وهو السخرية ، ذكر فى القاموس وقال الجوهرى : أظنه مولدا أو عربيا

والأفراح وهو كتاب كبير[١] .

ومنها الصيد والطرد حض العرب فى الجاهلية والاسلام أبناءهم على تعلم الفروسة ، ومن أروع ما قيل فى الحض عليها قول عمر وقد كتب به يوصى أبناء العرب فيما يجب أن يتصفوا به : « ائتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، وألقوا الخفاف ، وارموا الأغراض ، والقوا الركب ، وانزوا نزوا على الخيل ، وعليكم بالمعدية ، ودعوا التنعم وزى العجم ، ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، واطلبوا لحمان الصيد فانها أهنأ وأمرأ .. » وقد كان العرب منذ القديم متقنين فى حيله ، عارفين بمخاتله ، يعتمدون عليه فى غذائهم اعتمادا كثيرا ، لسوء حال أرضهم ، وفقر ديارهم . قال السيد الألوسى : « وكان الاصطياد ديدنهم وسيرة فاشية فيهم ، حتى كان ذلك أحد المكاسب التى عليها معاشهم . وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المأكل لاضطرارهم الى النقلة فى الغالب لرعى مواشيهم وغزو بعضهم بعضا . وأما ما كان يتعاطاه غيرهم من التأنق فى الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية ، فلم تكن العرب تعرفها .. »[٢] .

أما آلات الصيد التى كانوا يستعملونها ، فهى النبال والفخاخ . ولما اتصلوا بالفرس والروم والأنباط والأقباط ، توسعوا فى طرائق الصيد ، وتفننوا فى استعمال الآلة وفى أساليب قنصه ، واتخذوا الجوارح من الطير والوحش كالباز والشاهين والعقاب والصقر والفهد والكلب ، فعلموها الصيد ، وضروها عليه ، ودربوها على اتقان ضروبه . وأول من اشتغل من الخلفاء بهذه الأشياء يزيد بن معاوية ، فقد ذكروا أنه كان صاحب صيد وجوارح وفهود وقرود[٣] وما الى ذلك . وفى أيام بنى العباس بلغ فن آلات الصيد والطرد ذروته ، لرسوخ أقدام الأمراء والوجوه فى هذا الباب من اللهو ، وبذلوا الأموال فى تأديب الجوارح وتعليم الكلاب والفهود ، ووجدت طبقة من الناس تربى هذه الحيوانات وتتعهدها ، منها : البيازرة ، والحجالون ، والفهادون ، والصقارون ، والكلابون .

وأما آدابه وآيينه ، فكثيرة عريقة منذ الجاهلية ؛ لأن العرب ـ كما رأيت ـ كانوا يهتمون بهذه الرياضة منذ أيام امرىء القيس وصحابته . فلما جاء الاسلام ، أقر هذه الرياضة المحببة ، وشجع عليها . وفى العصر الأموى صار لها شأن وأى شأن ، فقد ازداد ولع الأمراء والخاصة بها ، وكان بعضهم كهشام والوليد ويزيد عاكفين عليها ، حتى انهم

---

(١) الفهرست (ص ٢١٨) (٢) بلوغ الأرب (٤٢٣/١) .
(٣) الفخرى (ص ٤٩) .

كانوا يبنون القصور الفخمة على أسياف البادية خصيصا لتنسم عبير الصحراء والصيد والاستجمام • فلما جاء خلفاء آل العباس ، ازداد فتونهم بها ، واهتموا بالصيد وآبينه اهتماما عظيما كما نجد في مقدمة كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، وكتاب البيزرة ، اللذين سندرسهما دراسة مفصلة •

أما أدب الصيد ، فكثير منذ العصر الجاهلي • وقد حفظت لنا دواوين الأدب والشعر ومجموعاتهما كثيرا من طرائف الطرديات • فلما جاء الاسلام ، وبعده العصر الأموي ، افتن الشعراء في وصف رحلات الصيد ، وأتوا بضروب كثيرة من وصفه ورحلاته •وأول من أكثر القول فيه من محدثي العصر العباسي ، أبو نواس ، فقد ألف في ذلك قصائد كثيرة وأراجيز أكثر • وطردياته مشهورة ممتعة ، برع فيها في وصف كلاب الصيد وحيواناته وفنونه ورحلاته وما يجري فيها من لهو ومرح ورياضة(*)•

وأما الآثار التي ألفت في الصيد والطرد وما اليه ، فكثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست والحاج خليفة في كشف الظنون ، ولكن أكثر هذه الآثار قد ضاع • ولعل أقدم من ألف في هذا الفن فيما نعلم هو اللغوي المشهور أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٤–٢١٠) ، فقد ذكر له ابن النديم كتابين : أحدهما كتاب (الباز) ، والآخر كتاب (الحمام) • وهذان الكتابان ، وان كنا لم نرهما ونجهل ما بحثه أبو عبيدة فيهما ، فان مما لا شك فيه أنهما كانا يشتملان على بحوث لغوية ونكات أدبية وأخبار تأريخية تتعلق بالباز والحيوانات الصائدة وما اليها[١] • وللأصمعي (–٢١٧) أيضا • كتاب الوحوش •[٢] ، ولأبي حاتم السجستاني (– ٢٥٥) كذلك كتاب في الوحوش[٢] ، وآخر في الطير ، وثالث في الحشرات ، ورابع في القسي والنبال والسهام والسيوف والرماح[٢] •• ونحن ، وان كنا لم نر شيئا من هذه الآثار ، نكاد نجزم بأنها كتب غلبت عليها المسحة اللغوية والأدبية ككل ما حفظ من آثار هؤلاء المصنفين • أما الناحية الفنية ، فلا نعتقد أنهم حوموا حولها • ولعل أول من ألف في هذا الفن من الناحية الفنية هو (كشاجم) صاحب المصايد والمطارد كما سنرى • ثم كتاب البيزرة لمؤلف مجهول • ثم كثرت من بعد التآليف في هذا ، ولكنها مفقودة نجد بعض أسمائها في كشف الظنون أو الفهرست ، مثل كتاب " أنساب الحمام » ، و « كتاب ما ورد في تفضيل الطير الهادي » لابن طرخان علي بن حسن

(*) من أنفس المجموعات الأدبية التي حوت مقطوعات رائعة في أدب الصيد كتاب ربيع الأبرار للزمخشري ، والجزء الثاني من كتاب الزهرة للأصفهاني •

(١) أنظر كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٨٠) (٢) الفهرست (ص ٨٢)

المغنى[1] ، وكتاب المصايد للطبيب عيسى الرقى أحد أطباء سيف الدولة الحمدانى ، وكتاب الصيد للخالديين ، والأرجوزة المسماة « الفريدة فى أدب الصيد » لابن عبدالخالق(؟) ، وغير ذلك من الكتب التى ضاعت وبقيت لنا أسماؤها . أما الآثار الباقية من هذا الصنف ، فهى : كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم ، و « كتاب البيزرة » ، و « أرجوزة ابن نباتة »، القسم الأخير من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، وقصيدة ابن عبدالجبار الفجيجى (ـ٩٢٠) . وهاك تعريفا مفصلا بكل واحد من هذه الكتب :

المصايد والمطارد لكشاجم : عثرت فى أثناء تنقيبى عن نفائس خزائن الكتب العربية فى ايران (سنة ١٩٤٦م) على نسخة نفيسة من كتاب المصايد والمطارد لكشاجم، فاقتنيتها ، وحرصت على العناية بها لعلمى بقيمتها الأدبية والفنية ، وهى نسخة جد نفيسة مكتوبة بقلم نسخى مضبوط فى الغالب . وهو فى ٢٨٠ ورقة بحجم/١٨٫٥ × ١٢٫٥س/٠ وقد تصفحت الكتاب مرات ، فأعجبت به ، وانصرفت الى دراسته وتحقيقه بغية نشره ، وأرجو الله العظيم أن يوفقنى لنشره فى القريب بحوله وقوته .

أما مؤلفه ، فهو الشاعر الظريف المعروف « بكشاجم » . وقد عاش فى عصر من أزهى عصور الأدب العربى فى بلاد الشام ، ألا وهو عصر سيف الدولة بن حمدان الذى ازدهرت الآداب والفنون فى زمانه ، وأثمرت دوحة العلم والفن برعايته ، ولا عجب فان بلاطه قد كان من خير البلاطات ، بل كان أزهر بلاط فى عصره . فالمتنبى شاعره ، وأبو فراس الحمدانى غذى نعمته ، وأبو العباس النامى وأبو الفرج الببغاء والوأواء الدمشقى والخالديان الموصليان وابن نباتة السعدى كانوا من ندماء مجلسه الأدبى ، ويطول بنا البحث اذا رحنا نعدد كل من كان فى بلاطه من أدباء وشعراء ومصنفين وحكماء، يقول الأستاذ أحمد أمين : " وحسبنا أن نقول : ان هذا الجو الذى خلقه سيف الدولة ، حث كل من كان عنده شاعرية على قول الشعر والاجادة فيه ، فقيما المكتبة صارا شاعرين ، وبائع البطيخ وهو الوأواء صار شاعرا ، وكشاجم قالوا انه كان طباخ سيف الدولة ، ومع هذا كان شاعرا ظريفا . له ديوان ، وأدب النديم ، وخصائص الطرب ، والمصايد والمطارد ؟ ثم كان من أشهر خطباء سيف الدولة ابن نباتة الفارقى صاحب الخطب المشهورة وامتلأت خطبه بالدعوة الى الجهاد . ثم كان فى بلاطه من يعد من أشهر اللغويين والنحويين فى

(١) الفهرست (ص ٢٢٢) .

زمانه أبو علي الفارسي وابن خالويه وابن جني ٠٠ والفيلسوف الفارابي ٠ وكان حوله من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا ، منهم عيسى الرقي »[١] ٠

في هذا المحيط العلمي الفني عاش كشاجم ، وكان هو وشاعر الشام في عصره ، محمد بن أحمد الأنطاكي المعروف بالصنوبري (ـ٣٣٤)[٢] أمين خزانة سيف الدولة قبل الخالديين ، صديقين متحابين ، وكانا شاعري الشام في عصرهما ٠ وكان الصنوبري سيدا وجيها ، وشاعرا مجليا ، وصافا للجنان والأزاهير والرياض والغياض ، ولوعا بوصف السماء والضياء والماء والهواء ، والثلج والفاكهة ٠ وقد كان للصنوبري تأثير كبير في صديقه كشاجم ، وقد عبر كشاجم عن تلك المودة بقوله يخاطب صديقه :

أتنسى زمنا كنا ... به كالماء والخمر ؟
أليفين حليفين ... على الايسار والعسر
مكبين على اللذا ... ت في الصحو وفي السكر
نرى في فلك الآدا ... ب كالشمس وكالبدر
كما ألفت الحكمة ... بين العود والزهر[٣]

وقد سار كشاجم على طريقة صديقه في وصف الطبيعة ومجاليها ، والحياة وملاذها[٤] ٠ والحق أن الصنوبري وكشاجم كانا ريحانتي الأدب في ديار حلب في تلك الفترة ، وقد انتشر صيت كشاجم في أرجاء العالم الاسلامي منذ زمن مبكر ، وقدره الناس حق قدره ، حتى قال أبو منصور الثعالبي في أثناء كلامه على أبي اسحاق الصابي : « وفيه يقول بعض أهل العصر :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابي وشعر كشاجم »[٥]

كشاجم ـ هو أبو الفتح محمود (بن محمد) بن الحسين بن السندي بن شاهك ، ولا نكاد نعرف من أوليته شيئا مقطوعا به ٠ وأقدم من ترجمه فيما بين يدينا من مصادر

(١) ظهر الاسلام (١/١٧٥ ـ ١٨٧) ٠

(٢) أنظر مقالة شيخنا كامل الغزي في مجلة المجمع العلمي العربي (٤٨٢/١١) ، وديوان الروضيات الذي نشره الأستاذ راغب الطباخ بحلب

(٣) الروضيات (ص ٧٤) ٠ (٤) أنظر الفصل المطول الذي كتبه آدم متز عن ذلك في كتاب الحضارة الاسلامية (ص ٤٣٠)

(٥) يتيمة الدهر ، الطبعة الأولى (٤٢/٢) ٠

هو ابن النديم صاحب الفهرست ، فقد عده فى طبقة الكتاب والخطباء والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، ولكن ترجمته موجزة لا تزيد على قوله فيه : « هو أبو الفتح محمود بن الحسن ، وأدبه وشعره مشهور ، وله من الكتب : أدب النديم ، وكتاب الرسائل ، وديوان شعره » . ويقول ابن خلكان (-٦٨١) فى أثناء كلامه على السرى الرفاء الشاعر : « كان مغرى بنسخ ديوان أبى الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو اذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، فكان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلى سعره ، ويشنع بذلك عليهما ، ويغض منهما ، يظهر مصداق قوله فى سرقتهما . فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة ... »[(١)] . وقد نقل ذلك عن الثعالبى فى اليتيمة فى ترجمة السرى وأخباره ، ويزيد الثعالبى على ما أورده ابن خلكان قوله : « وقد وجدتها (أى الزيادات التى ألحقها السرى من شعر الخالديين بشعر كشاجم) كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ، فى مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسى ببغداد أبا نصر بن سهل ، وأنفذها الى نيسابور فى جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه »[(٢)] . قلت : ومن الغريب أن صاحب اليتيمة لم يترجم لكشاجم فى اليتيمة ، ولا التتمة ، على ما رأيت من اعترافه بفضله ، واستشهاده بشعره غير مرة ، ولعل ترجمته سقطت من النسخ المتداولة . ويقول الجلال السيوطى (-٩١١) : « كشاجم اسمه محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك ، يكنى أبا نصر . وقال صاحب سجع الهديل : « كان أقام بمصر مدة فاستطابها ، ثم رحل عنها فكان يتشوق اليها ، وعاد اليها فقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالآن عدت وعادت مصر لى دارا »[(٣)]

ويقول ابن العماد صاحب الشذرات (-١٠٨٩) : « أحد فحول الشعراء ... المجيدين والفضلاء المبرزين حتى قيل ان لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها ، فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف من الانشاء ، والجيم من الجدل ، والميم من المنطق . وكان يضرب بملحه المثل ، وقال بعضهم فى ترجمته : هو من أهل الرملة من نواحى فلسطين ، وكان رئيسا فى الكتابة ، ومقدما فى الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتميز به

---

(١) وفيات الأعيان (٢٠١/١) . (٢) اليتيمة (٤٥١/١)
(٣) حسن المحاضرة ، الطبعة الحجرية (٢٥٧/١) .

على نظرائه ، وتدقيق يربى به على أكفائه ، وتحديق فى علوم التعليم أضرم فى شعلة ذكائه ، فهو الشاعر المفلق ، والنجم المتألق ، لقب نفسه كشاجم ، فسئل عن ذلك ، فقال : « الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم » • وكان من شعراء أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة ، قيل : انه كان طباخ سيف الدولة ، شعره أنيق ، وأرج مدوناته فتيق ، منها (كذا) كتاب المصايد والمطارد ، وقال فى تثقيف اللسان : كشاجم لقب له جمعت حروفه من صناعته ، ثم طلب علم الطب حتى مهر فيه ، وصار أكبر علمه ، فزيد فى اسمه طاء من طبيب وقدمت فقيل طكشاجم ، ولكنه لم يشتهر »[1] •

ونخلص مما تقدم كله الى أنه رملى الأصل • ولكن لا ندرى متى جاء الرملة ، ولا متى ولد • مع أن آباءه وقومه كانوا فى العراق وفى بغداد بصورة خاصة ــ اذا صحت نسبته للسندى بن شاهك • وقد كان السندى هذا من رجالات الدولة العباسية المعدودين• وكان صاحب الحرس ووالى الجسرين ببغداد فى عهد الرشيد ، وقد كلفه الرشيد بمراقبة قصور البرامكة بعد الفتك بهم[2] • وقال ابن خلكان فى ترجمة موسى الكاظم : « ان الرشيد حبسه ، وكان الموكل بمدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم »[3] • ويذكر ابن طيفور (ــ ٢٨٠) صاحب كتاب بغداد أن السندى بن شاهك كان من المقربين لدى المأمون أيضا ، وأنه كان جهورى الصوت لا يقدر أن يتكلم سرا[4] ، وأن وفاته كانت بعد دخول المأمون بغداد بأربعة أشهر وأيام[5] • ويذكر الجاحظ السندى بن شاهك فى البيان والتبيين ، وينقل عن ابنه ابراهيم بن السندى بعض الأخبار الخاصة بالأمراء والخلفاء العباسيين ، ويقول : ان ابراهيم كان مقربا من المأمون[6] ، يفشى اليه بأسراره ، ويستشيره فى أموره ، وأنه ولاه (الخبر) بمدينة السلام ، فكان يأتيه بأخبار الناس وأحوالهم ، وأنه اشترك فى قتل الأمين مع الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر[7] • ويقول عن السندى بن شاهك : انه من وجهاء العصر العباسى وأمرائه الذين كانت لهم مكانة وصولة فى ذلك العصر ، وانه كان ممن تولى امارة الشام ، وانه كان يسوى بين القحطانى والعدنانى ، وانه قال مرة : لسنا نقدمكم الا على الطاعة لله والخلفاء ، كلكم أخوة،

(١) شذرات الذهب (٣/٣٧) • (٢) الوزراء للجهشيارى (ص ٢٣٦) •
(٣) وفيات الأعيان (٢/١٣٢) (٤) كتاب بغداد لابن طيفور ، طبعة مصر (ص ١٧) (٥) المصدر السابق (ص ١٨٧) • (٦) البيان والتبيين ، طبعة السندوبى (٢/٢٦١) • (٧) المصدر السابق (٢/٢٢) •

وليس لنزارى عندى شىء ليس لليمانى • وكان يتغدى مع جملة من جلة الفريقين[(١)] •
وكان للسندى هذا ولدان : أحدهما الحسين جد شاعرنا ولا نكاد نعرف من أخباره شيئا ، والآخر ابراهيم وكان من الأمراء الفضلاء والشيوخ النبلاء الذين نقل الجاحظ عنهم كثيرا فى كتبه كلها ، وقال عنه : « كان عالما بأخبار الدولة ، شديد الحب لأبناء الدعوة (العباسية) • وكان يحوط مواليه (العباسيين) ، ويحفظ أيامهم ، ويدعو النـاس الى طاعتهم ، ويدرسهم مناقبهم • وكان فخم المعانى ، فخم الألفاظ ، لو قلت ان لسانه أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير ، لكان ذلك قولا ومذهبا»[(٢)] •
وكان كثير الثناء عليه[(٣)] ، وقد عده فى كتاب الحيوان من الأطباء والفلاسفة والمتكلمين ، ونقل عنه فصلا دقيقا لطيفا عن حاسة الشم رواه عن أبيه[(٤)] • وقد زعم بعض الأدباء المعاصرين أن كشاجم ليس له علاقة بآل شاهك هؤلاء ، وانما هو سندى الأصل توهم بعض مؤرخيه فنسبوه اليهـم • أقول : وهذه الدعوى باطلة لا يؤيدهـا برهـان ؟ لأن المسعودى (ـ٣٤٦) كان معاصره • وقد نقل عنه بعض الأخبار الأدبية والتأريخية فى المروج وسماه باسمه ونسبه الى آل شاهك ، وقال عنه : « كان من أهل الفضل والعلم والدراية والمعرفة والأدب »[(٥)] ، وكذلك قال عنه ابن خلكان كما رأيت • وقد افتخر هو بنسبه الفارسى العريق ، ونبل أسرته ومكانتها ، وولائه للعباسيين فقال :

قومى بنو ساســان ليـ ... س حمـاهم بالمستبـاح
العاقـدى التيجــان تضـ ... حك عن وجوههم الصبــاح
وولاؤنــا للغـــر مـــن ... سادات معتلج البطـــاح

أما حياته فتكاد تكون أخبارها مجهولة الا قليلا ، واننا لم نر أحدا أشار الى السنة التى ولد فيها ، وكل ما قالوه عنه انه من أهل رملة فلسطين ، وانه لقب لذلك بالرملى[(٦)] •
ولكن متى كان ذلك ، وكيف ، وكم ظل فيها ؟ كل هذه أمور مجهولة • وفى ديوانه قصيدة قالوا انه مدح بها الرشيد ، ومعلوم أن الرشيد مات سنة ١٩٣ هـ ، ولا شك عندى فى أن هذه القصيدة هى لأحد آل شاهك ممن كانت لهم صلة بالرشيد كما رأيت ، وقد نسبها جامعو الديوان اليه غلطا • وقالوا انه اتصل بأبى الهيجاء عبدالله بن حمدان والد سيف

---

(١) الحيوان : تحقيق الأستاذ هارون (٥/٣٩٣)• (٢) البيان والتبيين (١/١٣٠)•
(٣) المصدر السابق (١/٢٦٦) • (٤) الحيوان: تحقيق الأستاذ هارون (٤/٤٢٥)•
(٥) المروج ، طبعة باريس (٨/٣١٨) (٦) شذرات الذهب ٣/٣٧ تاريخ آداب اللغة العربية (٢/٢٥١) •

الدولة ومدحه ، ثم صار فى أيام سيف الدولة من جملته ، بل زعم بعضهم أنه صار طباخه كما سلف . وأبو الهيجاء هلك فى سنة ٣١٧ هـ ، ولم يدخل حلب أميرا ، بل كان أمير الموصل وأعمالها للخليفة المكتفى بالله سنة ٢٩٣ هـ ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد فى سنة ٣١٧ هـ الى أن قتل[١] . ولا يعقل أن يتصل بأبى الهيجاء وله من العمر أقل من عشرين سنة ، فيكون مولده على هذا فى أواخر المئة الثالثة . أما سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦هـ) فقد تملك على حلب من سنة ٣٣٣ هـ الى أن مات سنة ٣٥٦ هـ ، وقد أقام كشاجم بعض هذه الفترة بحلب فى حمى سيف الدولة الى جانب صديقه الصنوبرى كما رأيت . وهم يذكرون أيضا أن كشاجم رحل الى مصر ودخلها فى سنة ٣٣٩ هـ أيام كان قاضيها أبو بكر عبدالله ابن محمد الخصيبى ، وقالوا : ان الناس كانوا يشكون من سوء معاملات هذا القاضى الذى استمر فى قضائه الى سنة ٣٤٧ هـ ، فهجاه بعد وفاته . يقول ابن حجر العسقلانى فى رفع الاصر : وكانت وفاة الخصيبى بعد أن بنى داره الكبيرة المعروفة بابن شعيرة ، وكان اشتراها من محمد بن أبى بكر وعمرها ، فعمل فيه كشاجم[٢] .

اشترى الدار الكبيره ودعا فيها الوكيره
صفر الباب وفى تصـ ـغيره أشأم طيره
قبره لا شك فيها بعد أيام يسيره

ويظهر أن كشاجم كان يتردد على مصر ، وليست هذه هى المرة الوحيدة التى زارها فيها ، ففى ديوانه قطع يحن فيها الى مصر ، من ذلك قوله :

أما ترى مصر كيف قد جمعت بها صنوف الرياض فى مجلس ؟
السوسن الغض والبنفسج والور د وصفر البهار والنرجس .

وقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فاليوم عدت وعادت مصر لى دارا

أما أكثر اقامته ، فقد كان فى حلب ، وفيها تلقى العلم عن بعض شيوخها ، فقد حدثنا فى كتاب المصايد أنه كان بها فى سنة ٣٠٤ هـ ، وأنه تلقى فيها عن الشيخ ابراهيم ابن جابر دروسا فى الحديث والفقه . ويظهر أنه أفاد كثيرا من هذا الشيخ ، فقد تجلت لنا سعة ثقافته الفقهية والمناقشات الدينية من المباحث المطولة التى ذكرها فى صدر كتابه

(١) ابن الأثير : حوادث سنة ٣١٧ وما قبلها . (٢) ذيول كتاب الولاة والقضاة للكندى ، طبعة جيب .

المصايد من أحكام الصيد وبيان حلاله وحرامه . وشيخه ابراهيم هـذا هو الفقيـه أبو اسحاق البغدادى الحلبى (ــ٣١٠هـ) كان من كبار شيوخ العلم ببغداد ، وكان ثقة اماما فاضلا ، له مصنف فى اختلاف الفقهاء جم المنافع . وهو أحد الأربعة الذين اجتمع لهم الفقه والحديث بشهادة الخطيب البغدادى[(١)] . وان ما نجده فى كتاب المصايد والمطارد من المناقشات الدينية والأحكام الشرعية والبحوث الفقهية المستفيضة لدليل قوى على تمكنه فى العلم وحسن استفادته من شيخه أبى اسحاق . وقد ذكر كشاجم فى كتابه هذا أن كل ما رواه فى كتابه من بحوث الفقه والحديث واختلاف الأقوال مأخوذ عن شيخه الامام أبى اسحاق بحلب سنة ٣٠٤ هـ .

وهم يذكرون أيضا أن كشاجم اتصل بأبى الهيجاء فمدحه وأكثر من الاشادة بفضله والدعاية له[(٢)] . ويظهر أنه ظل مع أبى الهيجاء الى حين موته مترددا بين الموصل وحلب وميافارقين . فلما تمكن ابنه سيف الدولة من حلب ، اتصل ببلاطه ، وزامل جماعة ممن كانوا فى حلب أيامئذ : أمثال الصنوبرى والخالديين والرفاء والتنوخى وغيرهم ممن تقدم. وقد كانوا كلهم ينهلون من معين سيف الدولة الغزير كما رأيت .

ويظهر أن كشاجم كان غنيا ، وأنه تملك بعض القرى على شواطىء دجلة ، يؤيد ذلك قوله :

لنا على دجلة نخل منتخل ... نسلفه ماء ويقضينا عسل

وهكذا عاش عظيم الجاه فى حمى سيف الدولة ، كثير المال والخيرات ، ذا مكانة مرموقة فى ديار الشام والعراق ومصر الى أن مات فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ولا نستطيع تحديد سنة وفاته ، كما لم نستطع تحديد سنة ميلاده ، الا أنهم رووا أنه هجا كافورا[(٣)] . ونحن نعلم أن كافورا ملك مصر من سنة ٣٥٥هـ الى سنة ٣٥٧هـ ، فلا شك فى أن كشاجم عاش الى ما بعد سنة ٣٥٨ هـ .

أدبه وفضله رأينا أن كشاجم تلقى الحديث وعلومه عن الامام ابراهيم بن جابر وطبقته ، ووصفه معاصروه بالبراعة فى الأدب واللغة والشعر والعلـم والروايـة والحكمة والطب والكتابة . قال المسعودى : أنشدنى أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك الكاتب المعرف بكشاجم ، وكان من اهل العلم والدراية والمعرفة والأدب . ثم

(١) تاريخ بغداد (٥٣/٦) . (٢) أنظر عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى المحفوظ فى الظاهرية بدمشق (ص ١١٠) ظ . (٣) الايجاز والاعجاز للثعالبى (ص ٢٥٧)

أورد بعض مقطوعاته الشعرية[١] . وذكره محمد بن اسحاق المشهور بابن النديم الأديب المعتزلي صاحب الفهرست (ـ٣٨٥) ، في عداد الكتاب والخطباء والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، وقال : ان أدبه وشعره مشهور[٢] ، وأثنى عليه الثعالبي في اليتيمة وسائر وكتبه . ولكننا لا نجد له ترجمة في اليتيمة ولا في التتمة ، وأغلب ظننا أن ترجمته قد سقطت . وقد رأيت ما نقلناه من أقوال العلماء في سبب تلقبه بكشاجم واعجابهم بأدبه وعلمه ، يقول آدم متز : وقد سار كشاجم في شعره على الطريق الذى رسمه صديقه الصنوبرى فاقتدى به في التغنى بملذات العين ، ثم أورد بعض شعره في وصف الثلج والغزل المذكر والمؤنث ووصف قويق حلب ونيل مصر .. ثم قال : وكان لكشاجم كثير من المعجبين بأدبه حتى قال أحدهم :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم يهمى على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ورسائل الصابى وشعر كشاجم

وكان يلقب بريحانة الأدب في عصره ، وكان أكثر شعراء وقته كالخالدين والسرى والرفاء ـ على ما كان بينهم من تنافر ـ يسيرون تحت لوائه ، وينهجون نهجه . وصفوة القول : ان كشاجم كان أديبا بارعا ، وكاتبا مترسلا ، وشاعرا فحلا ، وقد فاق في فنون هي الجدل والمنطق والطب والانشاء .

شاعريته امتاز كشاجم بثقافة واسعة كما رأيت ، وقد جمع الى ذلك حسا مرهفا وحياة رخصة وأفقا واسعا وعاطفة صادقة ، ولا عجب فان العصر الذى كان يعيش فيه والبيئة التي كونته كانا على جانب عظيم من الرفعة والسمو ، وكان للشعر في تلك البيئة آفاق واسعة أحاطت بكل أسباب الحياة ، وتنوعت فنونه ، وتعددت موضوعاته ، وان ما نجده في يتيمة الدهر وتتمتها للثعالبي وغيرها من آثار هذا العصر لأوضح دليل على ذلك .

ومن يلق نظرة على دواوين شعراء هذا العصر ـ وما أكثرهم ـ يجد أن أصحابها قد حلقوا في فنون القول وضروبه كافة : من وصف للطبيعة وأزهارها وحقولها وأرضها وسمائها ، ومن تغن بفصولها وأوقاتها ، ومن افتنان في التحدث عن مجالى الحياة ووصف الحضارة ، ووصف المأكولات والمشمومات والمرثيات ، ومن اختراع طريف في وصف السوقة والرعاع وأهل الصناعات والمجان والفساق . وكشاجم هو أحد الفحول الذين عاشوا في هذا العصر وجاروا أصحاب القول فيه ، فوصف ما وصفوه ، وقال في أكثر

(١) المروج ، طبعة باريس (٣١٨/٨) . (٢) الفهرست (ص ٢٠٠) .

ما قالوا فيه : من وصف الطبيعة والانسان والمأكول والمشروب والمشموم ، فهو طورا يصف آلات اللهو والطرب ومجالس الأنس ، وطورا يصف المأكولات من قطائف مربيات ، وطورا يصف مجالس الصيد وآلاته وأوقاته وعدده ، وحينا يصف أوائل الكتابة وعدتها ، وحينا آخر يفتن فى تصوير الطبيعة وأنهارها وأشجارها وأثمارها وأزهارها ، وهو فى كل هذه الضروب رقيق الحس مرهف العاطفة شديد الدقة فى التصوير . على أن هناك ناحية انسانية برع فيها براعة لم يسم اليها كثير من فحول شعراء عصره ، الا وهى الناحية العاطفية : من وصف الحب والبغض ، والرثاء ، والاخلاص . ومن أروع ما خلف لنا فى ذلك قوله فى رثاء أمه وأبيه وأولاده ، وقصائده فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت وشيعتهم ، وأقواله فى هجاء الزمان وأصدقاء السوء وعشراء الكذب[١].

قال الدكتور زكى مبارك : « ومن نوابغ القرن الرابع أبو الفتح كشاجم ، كان شعره فى ذلك العهد ريحانة أهل الأدب فى العراق ، وكان مورد رزق للنساخ والوراقين ، وطوفت أشعاره بالمشرق والمغرب حتى وصلت الى القيروان وتخير أطايبها مؤلف زهر الآداب»[٢] .

أما بعد ، فان كشاجم ـ رحمه الله ـ كان عالما واسعا فى الأدب والفن ، وهو جدير بأن يعكف المؤلفون على آثاره فيدرسوها ويفيدوا منها ، وأرجو أن يتاح للمنقبين عن آثاره الظفر بما ضاع منها فان فيها كنزا وفضلا وعقلا .

الخاتمة هذا هو أبو الفتح كشاجم الأديب ، سليل الأدباء والعلماء والفضلاء ، وقد خلف للأمة فضلا عن آثاره الكتابة نجلا بارعا فى الأدب كأبيه ، ألا وهو الأديب أبو النصر (أبو الفرج) الذى ذكره الثعالبى فى اليتيمة ، وقد استشهد ببعض أخباره وأشعاره[٣] ، ولكن أخباره قد ضاعت ، وآثاره قد اندثرت ، فرحمة الله على أبيه وبركاته عليه .

أما آثاره الكتابة ، فهى :

كتاب خصائص الطرب ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

---

(١) انظر الديوان ص ٤ ، ٧ ، ١٣ ، ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨

(٢) عبقرية الشريف الرضى ، الطبعة الثانية (١/١٠٩) .

(٣) انظر اليتيمة (١/٢١٦) .

كتاب الطرديات ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

ديوان شعره ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقال : انه مشهور ، وقد جمعه أبو بكر محمد بن عبدالله الحمدونى ورتبه على حروف المعجم ثم ألحق بعض زيادات أخذها عن أبى الفرج ابنه بعدما أتم جمع الديوان . وقد طبع فى بيروت بمعرفة بعض الأفاضل فى المطبعة الأنسية سنة ١٣١٣ هـ ، والطبعة لن تخلو من أغلاط وهفوات واضحة .

كتاب الطبيخ ، ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه .

كتاب أدب النديم ، ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٥ ، ثم بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ بعنوان (أدب الندماء ولطائف الظرفاء) ، وهو رسالة موجزة فى آداب الشراب والندماء .

كتاب الرسائل ، وقد جمع فيه رسائله الأدبية والاخوانية ، ذكره ابن النديم ولم نر غيره أشار اليه .

ويذكر جرجى زيدان أن كتاب البيزرة الموجود فى غوطا منسوب اليه[١] .

١ ـ **كتاب المصايد والمطارد** هو أجل كتب الصيد والقنص الباقية من الخزانة العربية الى اليوم ، وهو ـ دائرة معارف ـ واسعة جدا فى فنون هذا النوع من مجالى الحياة الاجتماعية . وقد صدره المؤلف بمقدمة فى عناية الخلفاء ـ وبخاصة بنى العباس ـ به ، وعدد أسماء من كانوا منهم مستهترين به ، ثم ذكر فصلا فى فضل لحم الصيد وطيب مضغته ، ثم أفاض فى بحث أحكام الصيد من الناحية الشرعية وتبيان ما أحله الله سبحانه وما حرمه من صيد البر والبحر . وقد أظهر المصنف فى هذا البحث اطلاعا واسعا ، وعمقا فى البحث والتفكير ، والماما بالثقافة الاسلامية ، وبالرغم من أن باب الصيد قد بحثه أكثر كتب الفقه الكبرى فان كشاجم قد توسع فيه توسعا لم أجده لغيره من الفقهاء : فانه لم يترك شاردة ولا واردة الا جمعها ، ولم يهمل مسألة خلاف ، بل أوردها وناقش قائلها ، وهو لا يكتفى بايراد أقوال المذاهب الأربعة بل يورد المذاهب الأخرى الاسلامية كالجعفرية ومذهب الأوزاعى والظاهرى وغيرهم . ثم يذكر بعد هذا فصلا لطيفا فى المكايد التى يتوصل بها الى الصيد والآلات المتخذة له ، ثم فى بيان جوارح الصيد ، وهى :

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢/٢٥١)

الباز والشاهين والصقر والعقاب ، وقد أحصى كل ما قيل عنها فى القديم والحديث فى كتب العلم • ثم بحث فى تعليم الجوارح وكيفية ذلك ، ثم مداواة أمراضها وعلل ذلك وأسبابه • ثم عقد فصلا للكلاب بأصنافها وخصائص كل وعيوبه وأمراضه • ثم عقد فصولا بحث فيها عن الغزلان والأيايل والأرانب والثعالب وحمر الوحش مبينا أنواع كل ، ومنافع لحومه ، وما قيل فى القديم والحديث من الشعر ، وهى من أمتع الفصول الأدبية الجامعة • ثم عقد بابا ذكر فيه آلات الرمى ، وعدده ، وما يلزمه من القسى والأوتار وما الى ذلك • ثم عقد فصولا فى صيد الأسود والفهود والنمور والضباع والخنازير والدبق والنعام وعناق الأرض وابن عرس • ثم ذكر فصولا فى صيد البحر وما قيل فيه ، وأنواع الأسماك • ثم أورد مباحث فى أوقات الصيد المختارة ، ومواضع اقامة الصائد ، وكيفية ذلك • ثم عقد فصلا فى الضب وصيده وعجائبه ، وأوقات صيده وآلاته • ثم أورد بابا فى الصيد بالجلاهقات والبنادق والقسى وما قيل فى ذلك من عيون الشعر • ثم ختم الكتاب بفصل عن الطيور التى تصاد ، مع بيان أنواعها ، وألوانها ، وطعومها ، وما قيل فيها من الشعر •

ب ـ كتاب البيزرة البيزرة أو البزدرة ـ كما يقول ابن القيم والحاج خليفة ـ « علم يبحث عن أحوال الجوارح من حيث حفظها وحفظ صحتها وازالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على موتها فى الصيد وضعفها فيه »[(١)] • والبازيار أو البازدار هو صاحب الباز ومربيه ، والباز هو أجل الجوارح التى تصيد الطير والحيوان ، وقال أستاذنا الجليل محمد كرد على : « وقد كان لهذا العلم (البيزرة) فى الدول العربية الأولى شأن عظيم ؛ لأن جميع الخلفاء والأمراء والعظماء يصيدون ، ولابد للصياد من اتخاذ الأسباب التى توصله الى الصيد ، وتمكنه من اصطياد كل ما يريد على أيسر سبيل • وكان لهذه الحرفة /البيزرة/ شأن كبير فى الدولة العباسية ، رسموها فى الأعطيات والفرائض ... »[(٢)].

وكتاب البيزرة الذى نحن بصدده هو مؤلف كبير لرجل ما يزال اسمه مجهولا • قال فى وصفه أستاذنا رئيس المجمع العلمى العربى محمد كرد على : « مؤلف كتابنا كان

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم فى بحث /علم البيزرة/ ، وكتاب كشف الظنون فى بحث /علم الطرديات/ •

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٨/١٠٣)

بيزار[(١)] العزيز بالله الفاطمى ، ولم نعرف اسمه ، بل كتب فقط فى آخر كتابه ما نصه : « وقد كان مؤلف هذا الكتاب من جملة البيازرة متقدما عليهم لا فى جملة واحد منهم لا يحسن شيئا من البيزرة ، ثم أفرده أمير المؤمنين ـ صلى الله عليه ـ عنهم ، وله حينئذ من العمر احدى عشرة سنة ، وعلمه وهو لا يملك عشرة دراهم وعليه ثوب برد ، وخرج فى صناعته الى ما قد شاهده الناس وعرفوه ، ورقى أمير المؤمنين /ص/ منزلته الى أن صار اقطاعه عشرين ألف دينار ، وبلغ المنزلة التى لو رآها فى النوم لما صدق ، فلا يخفى عن الناس ما كان فيه وما صار اليه ... وانه لا يكاد يثبت فى كتابه الا ما صح من طب الجوارح وحياتها مما جربه بنفسه أو نقله عمن اعتقد صدقهم ومعرفتهم ، ومما قال فى صيد الباشق : ولم نصف الا ما أخذنا به على أيدينا مرارا ، وكان لمولانا /ص/ ولقد رأيت له وأنا معه /ص/ فى الموكب فى سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة ، ثلاثة عشر باشقا كلها من الغربان السود ... »[(٢)] .

هذا ما يقول الأستاذ ، وهو كما ترى لا يقطع بشىء عن المؤلف ولا أخباره ، وقد كان طلب ، مد الله فى عمره ، الى صديقنا الأستاذ يوسف العش أن يحقق فى موضوع الكتاب ونسبته ، فكتب ما نصه :

« بعد أن أنشأ الأستاذ رئيس المجمع مقاله المنشور فى هذا العدد من المجلة .. تلطف فعهد الى بمتابعة البحث عن مؤلف هـذا الكتاب .. وجدنـا ، ونحن نستعرض البيزرة فى طائفة من أهل العلم ، أبياتا نسبها المؤلف الى نفسه فقال : ولى فى نحو هذا المعنى وكنا نخرج للصيد بمصر فى موضع يعرف بدير القصير :

سلام على دير القصير وأهله ...

وهى تسعة أبيات ، واذا بأربعة أبيات منها فى معجم البلدان لياقوت منسوبة لكشاجم، وثمانية فى ديوان هذا الشاعر ، وقد زيد عليها اثنان لم يردا فى الديوان . واذا بالباحث يخرج من ذلك وهو يذهب الى أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، ويزداد يقينا حين يرى أن المتقدمين ذكروا له كتابا بهذا الاسم »[(٣)].

---

(١) البيزار : معرب كلمة بازيار الفارسية ، أى صاحب الباز . أو هى من قولهم بازدار . وقد استعمل العرب كلمة البازيار ، وفضلوها على كلمة البيار العربية ، مثل الصقار والكلاب والفهاد لصاحب الصقر والكلب والفهد ، أنظر « ارشاد المقاصد فى أسنى المقاصد » لابن ساعد الأكفانى (ص ٩٢) .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى (١٨/١٠٣) .

(٣) المصدر السابق (١٨/١٨٤ ـ ١٨٧) .

ثم يترجم لكشاجم ، ويخلص من تلك الترجمة الى نفى نسبة الكتاب الى كشاجم على الرغم من وجود أبيات كشاجم فيه ، فيقول : « ان السرى الرفاء كان يدس فى شعر كشاجم بعض شعر الخالديين فلعل كتاب البيزرة للخالديين ، .. واذا صح أن كتاب البيزرة ليس لكشاجم ، وأن صاحب البيزرة له أبيات ذكرت فى ديوان هذا الشاعر ، وأن بعض نسخ هذا الديوان حوى أشعار الخالديين ، اذا صح ذلك فالنتيجة المنطقية أن هذه القصيدة هى لأحد الخالديين ، وأن كتاب البيزرة لمن قالها منهما »(١) .

فالأستاذ العش كما ترى يميل الى نسبة كتاب البيزرة الى أحد الخالديين ، ولكنه يعود فى آخر مقاله فيشكك فى الأمر ، ويختم بحثه بقوله : « وكل هذا وجوه فى الرأى لا دليل يجزم بأنها قاطعة مانعة ، والزمان كفيل بكشف الحقائق »(١) .

قلت : قبل كل شىء ان كتاب البيزرة ليس لكشاجم قطعا ، لأن الذين ترجموه لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم ، وانما ذكروا له كتاب « المصايد والمطارد » . أما كتاب البيزرة ، فلم يذكر أحد ممن ترجموه أنه له ، فلا يصح اذن أن ينسب اليه ، ثم ان أدنى ملاحظة يلاحظها المدقق الخبير فى الكتابين تجعله يقطع بأن صاحب البيزرة قد جاء بعد صاحب المصايد ، واطلع عليه ، ونقل منه فصولا كثيرة ومقطعات شعرية عديدة ، منها هذه الأبيات التى جعلت الأستاذ العش يتجه فى بحثه هذا الاتجاه الذى رأيت . واذا صح ما قلناه من أن صاحب البيزرة كان يطغى على كتاب المصايد والمطارد ، ويقتطع منه ما يريد دون أن ينسب ذلك الى المصدر الذى نقل عنه ، انتفت نسبة الكتاب الى كشاجم . ثم ان كشاجم لم يعرف عنه انه خدم الفاطميين فى مصر ، ولا اتصل بهم اتصالا قويا يجعله يؤلف لهم ، أو يتحدث عنهم كما رأيت فى القطعة التى نقلها الأستاذ محمد كرد على من كتاب البيزرة عن المؤلف ونشأته وصلته بالفاطميين .

هذا ما عن لنا فى هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على ما كتبه الأستاذان محمد كرد على والعش ، والله الهادى الى سوى الصراط .

م ــ كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ــ٥٨٤) ، وقد طبع بعناية الأستاذ فيليب حتى فى سنة ١٩٣٠ فى مطبعة جامعة برنستون ، ويشتمل الباب الثالث من هذا الكتاب على فصول قيمة طريفة عن الصيد وأنواعه وحيله وآدابه ومواطنه فى ديار الشام والجزيرة وديار مصر .

---

(١) المصدر السابق (١٨/١٨٤ ــ ١٨٧) .



ص (٣٠٠)



د - أنس الملا بوحش الفلا لمحمد المنكلي ، وهو كتاب ممتع في بيان الوحوش ومساربها ومصايدها وأنواعها ، وقد عنى به بعض المستشرقين فنشره في أوربة •

هـ - أرجوزة فرائد السلوك في مصايد الملوك لجمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباتة الحموي الفارقي (- ٧٦٨) • كان كاتبا سلك طريقة القاضي الفاضل ، وشاعرا ، وخطاطا ، وفقيها • ترجمه السخاوي في الضوء ، وابن حجر في الدرر ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، وابن العماد في الشذرات ، والسبكي في طبقات الشافعية • وقد أتنوا جميعا على براعته في النثر والشعر والفقه والخط • قال السبكي في الطبقات : حامل لواء الشعر في زمانه ، ما رأينا أشعر منه ولا أحسن نثرا ، ولا أبدع خطا ، له فنون ثلاثة لم نر من لحقه ولا قاربه فيها : سبق الناس الى حسن النظم فما لحقه لاحق في شيء منه ، والى أنواع النثر فما قارب مقارب الى ذروة منه ، والى براعة الخط فما قدر معارض على أن يحكى له خطا أو يجاريه في أصول كتابته وأسمانها وجريانها ، وكان يتردد بين حماة وحلب والقاهرة ودمشق ، ويمدح رؤساءها ، وله في الملك المؤيد صاحب حماة شعر كثير - جمعه في ديوانه المؤيديات - وله شعر في الملك الناصر حسن صاحب مصر • ومن آثاره المطبوعة : ديوان خطب جمعية ، ديوانه الكبير ، ديوان المؤيديات أو المؤيدات ، وسرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون • ومن آثاره النفيسة أرجوزته فرائد الملوك ، وقد عثرت عليها في أثناء تنقيبي عن ذخائر مخطوطات خزانة الأوقاف العامة ببغداد ، وقابلتها على ما طبع منها في ديوانه فوجدت الفرق كبيرا ، لذلك عزمت أن أطبعها ملحقة بهذا البحث ان شاء الله(١) •

و - القصيدة المسماة بالفريد في تقييد الشريد وترصيد الوليد للشيخ الامام ابن عبدالجبار الفجيجي (- ٩٢٠) ، وهي قصيدة في/٢١٣/ بيتا في الصيد وآدابه والطرد وأشعاره ، وقد شرحها بعض الأدباء • ومنها نسخ في بعض خزائن الكتب الأوربية كبرلين وباريس ومنشن(٢) •

محمد أسعد طلس

---

(١) أنظر الصفحة التالية •
(٢) أنظر تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٥٨) •

فرائد السلوك في مصايد الملوك (*)

نظم

جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن علي بن يحيى ابن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباته الحموي الفارقي ، قالها يمدح الملك الأفضل(١) صاحب حماه ، وكان حينئذ يلقب بالملك المنصور ، رحمهم الله .

أثنى شذا الروض على فضل السحب ... واشتملت بالوشي أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام ... وزهر يضحك في الأكمام
ان كانت الأرض لها ذخائر ... فهي – لعمري – هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة الغمائم ... بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم ... تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادي « حماة » الرحب ... حيث زها العيش به والعشب
أرض السناء والهناء والمرح ... والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الترب ... وأمهات عصفه والأب(٢)
تعلمت نوح الحمام الهتف ... أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب ... وكيف لا والماء منها صب(٣)
لله ذاك السفح والوادي الغرد ... والماء معسول الرضاب مطرد
يصبو بها الرائي فكيف السامع ! ... ويحمد « العاصي » فكيف الطائع!(٤)
اذا نظرت للربا والنهر ... فارو عن الربيع أو عن جعفر

(*) عني بتحقيقها **الدكتور محمد أسعد طلس** .

(١) نشرت ناقصة في الديوان المطبوع بمصر سنة ١٢٨٨ هـ وقد اعتمدنا في نشرها كاملة على نسخة مخطوطة محفوظة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد رقم (٩٨٥٠)، وعلى قطعة منها ذكرها صاحب حلبة الكميت (ص ٣٧٦) .

(٢) في حلبة الكميت (ص ٣٧٧) : « سقاة الشرب »

(٣) في المخطوطة : « من اللجين » .

(٤) في الحلبة والديوان المطبوع ص ٥٨٩ « يصبو لها . ويهفو السامع » .

(لا عيب الا أن مغناهـا الهنـى ... ينسى أخا الغربـة حب الوطن)[٥]
محاسن تلهى العيـون والفكـر ... ربيع روضـات وشحـرور صفـر
أمـام كل منـزل بستـان ... وبـين كـل قريـة ميـدان
أما رأيت الورق فى الأوراق ... جاذبة القلـوب بالأطـواق ؟
فبادر اللذة يـا فـلان ... واغنم متى أمكنـك الزمـان
ولا تقل مشتى ولا مصيف ... فكل أوقات الهنا شريف[٦]
كـل زمـان يتقضى بالجـذل ... زمان عيش كيف ما دار اعتدل[٧]
أحسن ما أذكر من أوقاتـه ... وخير ما أنعت من لذاتـه[٨]
بروزنا للصيد فيـه والقنص ... وحوزنـا من مـره أحلى الفـرص
وأخذنا الوحش من المسـارب ... وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زسـان رمـى البنـدق ... سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم ... وغلمـة مثـل بـدور التـم
من كل مبعوث الى الأطيـار ... تظله غمـامة الغبـار
وكل معسول الشبـاب أغيـد ... منعطـف عطـف القضيـب الأملـد
قد حمد القوم به عقبى السفر ... عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القـوس من يديـه ... لغنت الورق على عطفيـه[٩]
فى كفه محنيـة الأوصـال ... قاطعـة الأعمـار كالهـلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه ... مما نوت بين الرياض المعشبه
فاغـرة الأفـواه للأطيـار ... طالبـة لهـن بالأوتـار
كأنها حـول الميـاد نـون ... أو حاجب بما تشا مقرون
لهـا بنـات بالمنى معـذوقه ... من طينة واحـدة مخلوقـه
سـامعـة لمـا تشيـر الأم ... مع أنها مثل الحجـار صـم
كأنها ، والطير منهـا هـارب ... خلف الشيـاطين ، شهـاب ثـاقب

(٥) ناقص فى المخطوطة
(٦) فى الديوان المطبوع ص ٥٨٦ : « فكل وقت للهنا »
(٧) فى الحلية /كلما دار/ ٠
(٨) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٦) : « وخير ما أنعت ٠٠ »
(٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « القوس فى يديه »

واها لها شهب كـــراة تخلف شاهدة بالعـزم وهـى تقـذف(١٠)
حتـى نزلنـــا بمكان مـــونق اخــوان صدق أحـدقوا بالملـق
فيا له فى الحسن من محل مــراد جــد ومــراد هــزل
للطيـــر فـى ميـــاهه مواقـع كأنهــا مــن فوقـه فواقـع
فلم نـــزل فى منـــزل كــريم نروى حديث الرسى عن قديم
حتى طوى الأفق رؤوس الورس والتقم المغـرب قرص الشمس(١١)
وذر مسك الليل فى فـرق الأفـق واتشحت خود السمـاء بالنطـق(١٣)
وابتـدر القـــوم الى المراصـد من ساهر ليل التمام شاهد(١٢)
كالليث يسطـــو كفـــه بأرقـم والبدر يرمى فى الدجـــى بأنجـم
بينا الطيور فى مداها ســائره اذا هم من عينـــه بالســـاهره
وأقبلت مـــواكب الطيـــور على طـــروس الجو كالسطـــور
فحبذا السطـور فى المهـــارق منقوطة الأحرف بالبنادق(١٤)
من كل تم حـق أن تسمى ضياء المشرق بـدر التـم(١٥)
تخاله من تحت عنق قد سجا (طرة صبح تحت أذيال الدجى)
وكل حـــى حسن الوســـامه تخاله فى أفقـه غمـــامه(١٦)
تتبعـــه اوزة دكنـــــاء من دونها لقلقة غـــراء(١٧)
تقدمهـــا أنيســة ملـونـه يانعة من كل وصف أحسنـــه(١٨)
وربمـــا مر لديهـــا حبـرج كأنـه على نضـــار يـدرج
وانقض ســن بعض الجبـال نسر له بأبـراج النجـوم وكـر
مضبر الخلق شـديـد الأيـــد يبنى على الكسر حـــروف الصيـد

(١٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) :
« واها لها من شهب تخطف شاهرة بالعزم وهى تقذف »
(١١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « الأفق رداء الورس »
(١٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « من ساهد ليل .. »
(١٣) هذا البيت ناقص من المخطوطة (١٤) فى اللسان : « هرق » : المهرق
كمكرم الصحيفة وجمعها مهارق (١٥) فىالديوان (ص٥٨٧) : «حق أنيسمى ..» .
(١٦) فى المخطوطة : « وكل كى » . (١٧) فى الديوان : « لغلغة » ، وفى
القاموس اللغلغ طائر غير اللقلق (١٨) فى المخطوطة : « تابعة من كل وصف »

تحت مسراه عقاب كاسبه خافضة لحظ الطيور ناصبه[(١٩)]
اذا مضت جملتها المعترضه تواصلت خيوطها المفرضه
بكل كركى عجيب السير كأنه طيف خيال الطير
تحت غرنوقا شهى المجتلى مقدما على الغرانيق العلى
وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوئه منسجما[(٢٠)]
يحفه شبيطر قوى معجزة فى الطير موسوى[(٢١)]
كم جاش ثعبان وكم حواه كأنه فى يده عصاه[(٢٢)]
هذا وكم ذى نظر ممتاز ينعت فى الواجب بالعناز[(٢٣)]
أسود فيه لمعة فى الصدر كأنه نور هدى فى كفر[(٢٤)]
فلم تزل قسينا الضوارى تصيبها بأعين الأوتار[(٢٥)]
حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير
كأنها وهى لدينا وقع لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت ولم تسل بأى ذنب قتلت[(٢٦)]
مستتبعا وجه العشا وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر
يا لك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين[(٢٧)]
لم نرض ما وفى من الأمانى حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر
ذاك الذى تصبو له الجوارح فهى الى ظلاله طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح تعوم فى الأقطار بالسوابح

---

(١٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) زاد قبله :
يجنى بها الآكل خير ما جنى وأحسن المأكول ما تلونا

(٢٠) أرزم الرعد : اشتد صوته (٢١) فى الديوان المطبوع : « فى ملة الأطيار موسوى » . (٢٢) لا وجود له فى الديوان المطبوع (٢٣) العناز : طائر مائى ، وأنثى الحبارى أنظر القاموس (٢٤) فى الديوان :
أسوده ذو غرة فى الصدر كأنه نور الهدى فى الكفر

(٢٥) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « بأعين النظار »

(٢٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « فلا تسل »

(٢٧) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « يرضى . »

خيل تحاذى الظل حيث مالا ... كأنها أضحت له ظلالا
يسعى بها قوائم لا تتبع ... وكيف لا وهى الرياح الأربع
(رائعة المنظر زهراء الغرر[٢٨] ... كأنها الروضات حيت بالزهر
من أحمر للبرق عنه خبر ... يشهد أن الحسن حقا أحمر
وأصفر الجلدة كالدينار ... يسر كف الصائد المختار
وأشهب كالسهم فى انقضاضه ... وصفحة الطرسى فى ابيضاضه
ماضى السباق أظهر اللباس ... ناهيك من سهم ومن قرطاس
وأخضر مثل سنا العيش النضر ... يطوى الفلا وكيف لا وهو الخضر
وأدهم ساد على الجياد ... وهكذا السواد فى السواد)[٢٨]
تحفنا من فوقها غلمان ... كأنهم لدوحها أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس ... كواكبا طالعة فى الأطلس
منظومة الأوساط بالسلاح ... من كل سهم زجل الجناح[٢٩]
وكل عضب ذرب المقاطع ... يحرف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاد. ... من كل باز قرم فؤاده[٣٠]
قد كتبت فى شكله حروف ... ترى[٣١] بما ترى به الصنوف[٣٢]
وكل صقر مسبل الجناح ... مواصل الغدو والرواح
ذو مقلة لها ضرام واقد ... تكاد تشوى ما يصيد الصائد
وكل شاهين شهى المرتمى ... كبارق طار وصوب قد همى

---

(٢٨) هذه المقطوعة غير موجودة فى المخطوطة . (٢٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « رجل » . (٣٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « على يد الزائر » .
(٣١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « تقرى بما يقرى به . » .
(٣٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) يورد ـ بعد هذا البيت ـ الأبيات التالية على هذا الترتيب :

فالمنسر الأشغى تخال جيما ... والعين تجلى بالنضار ميما
دان لمن يتلوه خير حم ... سهم اذا ضبرته أو شهم
وكل شاهين شهى المرتمى ... كبارق طار وصوب قد همى
بينا تراه ....
حتى تراه ...
أفلح من كان ....
تلك يد ....
وكل صقر ....

بينا نراه ذاهبا لصيده معتصما بأيده وكيده
حتى نراه عائدا من أفقه ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسرة يمناه
تلك يد لا تعرف الاعسارا من أجل هذا سميت يسارا!
(٣٣ كأنما المخلب منه منجل لحصد أعمار الطيور مرسل
عيش ذوى الصيد به عيش رخى يصلح أن يدعى وكيل المطبخ[٣٣])
يا حبذا طيور جد ولعب تهوى الى الأرض وللأفق تب
من سنقر عالى المدى والشان معظم الأخيار والأعيان
(كأنه خليفة قد أقدما يفسد فى الأرض ويسفك الدما[٣٤]
يصعد خلف الرزق ليس يهمله كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب باسمها يروع كأنها للطير حين تصرع[٣٥]
كم جلبت لطائر من وهن وكم وكم قد أهلكت من قرن[٣٦]
هذا وقد تجهزت أعدادا بجمعها الكلاب والفهادا[٣٧]
(وجيد كواسر كواهى عديمة الأنظار والأشباه
مخصوصة بالطرد القديم حدبا كظهر الذنب الركيم
ذاك ـ لعمرى ـ حدب للرائى يعدل ملك القلعة الحدباء[٣٨])
من كل فهد عترى الحمله اذا رأى شخص مهاة علمه
مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بباب ماض
كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الأنجم فى اهابه[٣٩]
له على مسايل الجفون خط كبعض الألفات الجون[٤٠]
اذا تراءى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ فى الثور طلع

(٣٣) لا وجود لها فى المخطوطة .
(٣٤) ناقص فى المخطوطة
(٣٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « مروع كأنها للطير جن تفزع »
(٣٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « من مهن »
(٣٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) :
« هذا وقد تجهزت أعداد تجمعها الكلاب والفهاد »
(٣٨) لا وجود لها فى المخطوطة . (٣٨) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « كأنه من حده كنابه »
(٤٠) فى الديوان المطبوع : « خط لبعض » .

قاصرة عن يده عيناه ... مشروطة برجله أذناه[٤١]
لو أمكن الشمس التى تجلى له ... ما سميت من خوفها غزاله[٤٢]
يشفعه من كل غور غارى ... يغالب الصيد على الأوكار[٤٣]
يكاد يبغى سلما الى السما ... أو نفقا فى الأرض حيث يمما[٤٢]
قد بالغت فى طمع فى كسبها ... ففتشت عن أنفس لم تجنها
حتى اذا تمت بها الأمور ... حفت بنا لصيدها الطيور
ما بين روضات قصدنا نحوها ... وحول آفاق ملكنا جوها[٤٣]
فلم تزل تسطو سطا الحجاج ... على الكراكى الى الدراج
اذا نجت سائرة محلقه ... عادت بها كمضغة مخلقه[٤٢]
حتى غدت تلك السراة صرعى ... مجموعة لدى التراب جمعا[٤٤]
على الربى من دمها خلوق[٤٥] ... كأن كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحه ... واستيقنت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سنافر ... تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العفر على نفوسها ... فالطير ـ لا شك ـ على رؤوسها
وللكلاب حولها مغار ... تكاد أن تقدح منها النار
من نهب لسانه يلوب ... يقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق ... ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال ... مثل وصى السوء فى الأموال
لا يهمل القصد ولا يخون ... كأن كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الأرنب ... حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود ... وقتلت بصاحب الأخدود
وربما مرت ظباء ومها ... لنيل أكل فى حشاها مشتهى
قد سنمت ملاءة من عنبر ... تخاط من قرونها بالأبر
فابتدرت أجنحة السهام ... صائبة الأغراض والمرامى

---

(٤١) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « قاصرة عن طرفه يداه » .
(٤٢) لا وجود له فى المخطوطة . (٤٣) فى الديوان المطبوع : « بكل غور غار » .
(٤٤) فى الديوان المطبوع : « ودور آفاق » .
(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع .

تجرح كل سابح نفـور كأنه بعض شهود الزور(٤٥)
كأن أقطار الفلاة مجزره أو روضة من الدماء مزهره
كأن صرعى وحشها كفـار الموت عقبى أمرها والنـار
للمرء فيها منظر أحبه يملأ من لحم وشحم قلبه
لله ذاك المنظـر المهنـا أى معاد عن ذراه عدنـا(٤٦)
قـد ملئت من ظفـر أيدينا وقد شكرنـا فضل ما حبينا(٤٦)
نسير حـول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر ديـن أحمـد الملك ابـن الملك المؤيـد
(يا حبذا من والد ومن ولد وحبذا من شبل ملك وأسد
فـرع زها بأصله أيـوب فأثمـرت بحبـه القلـوب
مفضل كمـا رأيـت أفضل تناول المجد بباع أطـول(٤٧)
قـال الأنـام : حظـه جـلى قلت : نعـم وجـده عـلى
ذاك الذى شـاد العلى صبيا وجاءهـا من مهـده مهديـا(٤٨)
نائى على الجـود(٤٩) وتقليب المنن كأنما مزجتـه مـن اللبن
بين حجور العلم والأعـلام تكنفـه لواحظ الأيـام(٤٩)
حتى اذا استقبل شرخـا سنه وضاء فى ليل الشهاب ذهنـه(٥٠)
أبصرت منه ملكا تمـامـا يجدل الأعداء والأعلاما(٥٠)
محكم السطوة سحاح الديم يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
لو لمس الصخر لفاض نهـرا أو صحب النجم لعاد بـدرا
تختمـت يمينـه المـكارم فهو على كل الأمور خـاتم(٥١)

(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع
(٤٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « ان معان » ، وهو تحريف
(٤٦) فى الديوان المطبوع : « وقد شكرنا الفضل ما حبينا »
(٤٧) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع
(٤٨) فى الديوان المطبوع :
« ذاك الذى سامى العلى صبيا وجاء من مهده مهديا »
(٤٩) فى الديوان المطبوع : « الحر » ، وهو تحريف ظاهر
(٤٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « لواحظ الأقلام »
(٥٠) لا وجود لهذين البيتين فى الديوان المطبوع
(٥١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :
« تختمت بيمنه المكارم فهو على كل الوجوه خاتم »

لا ظلم تلقى فى حماه العالى الا على العداة والأمـوال(٥٢)
أما ترى الدينار منه خـائفـا أصفر فى كف الهبـات ناشفـا ؟
أما ترى بالصيد فـرط حبـه تمرنا على اعتيـاد حربـه ؟
يا قاطعا عرض الفلاة واصلا وقادما يبغى العلا وراحـلا(٥٣)
ملك اذا حققته قلت ملك قاضية بسعده أيـدى الفلك
كالبدر فى سنـائه وتمـه والطود فى وقـار وحلمه
تسجد ان لاح رؤوس العالم وراثة قد حازها من آدم
مرأى يشف عن فخار الأهل ونسخة قد قـوبلت بالأصـل
ما ضر من خيب فى جنـابه ألا تكون الشهب من أطنـابه
جنابه عن جار لا ينكب وباب نجح للغنى مجرب(٥٤)
غنيت فى ظلاله عن الورى غنى نزيل المزن عن قصـد القـرى
ورحت من نعمـاه بالتواتـر أروى أحاديث عطا عن جـابر(٥٥)
معتصما بالكـرم المؤيـد مصلى الحمـد عـلى محمد
قديم سعى وثنـاء وهـوى ما ضل عن قصد بها ولا غوى(٥٦)
يزداد لفظى بهجـة ورونقـا كأنه الخمـر اذا تعتقـا(٥٧)
ان لم أرم ذاك الحمى العـالى فمن ينصرنى على تصاريف الـزمن
يا ناصر الدين دعـاء سادحى ما بين روضات السطور صـادح(٥٨)
حسبك مثلى فى الثناء شـاعرا وحسب شعرى قوة وناصرا

---

(٥٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « على الأعداء والأموال » .
(٥٣) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عرض الفلا وواصلا »
(٥٤) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « نجح للمنى مجرب » .
(٥٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عطا وجابر »
(٥٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :
« قديم قصد وثناء أو هوى ما ضل سعى فيهما ولا غوى »
(٥٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « يزيد لفظى »
(٥٨) لا وجود لهذا البيت فى الديوان المطبوع

المجمع والمصطلحات

من أعمال المجمع الأصلية بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها ، وتوجيه مجهوده ونشاطه الى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق ، فحاجة الناس الى المصطلحات اليوم شديدة ، وطلابها كثير •

ومن حق المجمع على المتخصصين والباحثين وأصحاب العلم باللغات ، مطالبته اياهم بوجوب مساعدته في هذا الباب وشد أزره وذلك بتقديم ما عندهم من علم ورأى وتوجيه ونقد ، ليؤدى الرسالة العلمية على أكمل وجه ، وأحسن حال • وهو لهذا وذاك كتب الى الوزارات والدوائر المختصة يستعينها على تسهيل هذه المهمة ، بأن ترسل اليه بما تجمع عندها من مصطلحات ، وما نقلته من كلمات ، ليدرسها ويرى رأيا فيها • وألف في الوقت نفسه لجانا من أعضائه ومن غيرهم لوضع مصطلحات لما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها ، ومنها اللجنة التي ألفها بموجب قراره المتخذ في جلسته الثالثة عشرة المعقودة في ١٧-٦-١٩٤٨ من السادة شيث نعمان وتحسين ابراهيم ويحيى عوني الصافي والمرحوم ناظم الجلبي ، ومن أعضاء لجنة العلوم في المجمع المؤلفة من الدكتور محمد فاضل الجمالي والأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور هاشم الوتري والدكتور متي عقراوي والدكتور شريف عسيران والدكتور جواد علي لدراسة المصطلحات الواردة في كتاب « مقدمة للكيمياء العضوية » الذي عرضت ترجمته على المجمع لنشرها باسمه ان أمكنه ذلك ، وكذلك اللجنة التي ألفها من الدكتور محمد فاضل الجمالي والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي للنظر في المصطلحات الفلسفية الواردة في الترجمة العربية لكتاب « المدخل الى الفلسفة الحديثة » تأليف سي• أم• جود وترجمة السيد كريم متى ، وهو كتاب ساعد المجمع على نشره مساعدة مالية •

وقد عقدت لجنة « مصطلحات الكيمياء العضوية » المذكورة سلسلة اجتماعات مسائية ، دام كل اجتماع منها عدة ساعات ، درس في خلالها أكثر من (٣٥٧) مصطلحا ، أقر منها زهاء مئتي مصطلح • لادخالها في الكتاب المترجم • وقد والت اجتماعاتها حتى أنهت أعمالها المرهقة على الوجه الذي ارتضته ، والمنهج الذي نهجته ، ولم تنل على عملها هذا أجرا ماديا ولا عوضا ، وانما أجرها خدمة العلم وتلبية نداء المجمع •

وكان « معهد المباحث الصناعية » ، الذى صار من بعد « مديرية الصناعة العامة » أول دائرة حكومية قدمت الى المجمع قوائم مصطلحات فنية وكان ذلك فى كتاب « المدير العام لمعهد المباحث الصناعية » المرقم « ١٧٧٨ » المؤرخ فى ٢٦-١٢-١٩٤٨ طالبة فيه اعداد مصطلحات عربية لما يتداول فى البحوث العلمية والصناعية ، مما سيرد بيانه • ثم أتبعتها مصطلحات أخرى بكتبها المرقمة ٦١٤ ، ٤٥٦ ، ١٥٧٧ ، المؤرخة ١٢-٥-١٩٤٩ ، و٦-٤-١٩٤٩ و ١٦-١١-١٩٤٩ • وسأشير اليها فى مواضعها ، ومنها المصطلحات المستعملة فى صناعة السكر وعدتها « ١٦ » مصطلحا[1] ، والمصطلحات المستعملة فى صناعة « السمنت » ومقدارها « ٢٦ » مصطلحا ، أرسل بها مع تعريفاتها وما يقابلها فى العربية[2] •

وعلى أثر توزيع كتاب المجمع المذكور على الدوائر لموافاته بما تجمع عندها من مصطلحات وما وضعته هى من معربات ، تواردت عليه كتبها ترحب بالفكرة ، منها : كتاب من مديرية سكك الحديد العامة رقمه ع/١١١٤٣/١/١٨٦٨ وتأريخه ٢٧ شباط ١٩٥١ ومعه قائمة بالألفاظ التى أنجز تعريبها وتقع تحت حرف (A) ، ومجموعها « ١١٩ » مصطلحا ، جاء فيه : « ان اللجنة قد راعت فى تعريب الألفاظ الانكليزية الاقتصار على معناها الفنى أو الذى له مساس بشؤون السكك الحديدية وما يتصل بها من فروع فنية دون الالتفات الى ما قد تفيده تلك الألفاظ من معان أخرى كما أنها اختارت من الألفاظ أقربها الى فهم العمال وعامة الموظفين وأكثرها شيوعا وأخفها سمعا مع توخى صحتها اللغوية » • وكتاب آخر رقمه ٤/١١٤٣/١/٦٦٤٤ وتأريخه ٢٦ أيلول ١٩٥١ ومعه قائمة بـ « ٢٧٢ » مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما يقابله فى العربية •

وأرسلت اليه « مديرية الطيران المدنى » بقائمة المصطلحات التى تستعملها وهى باللغتين العربية والانكليزية وعدتها (٣٥) مصطلحا ، وأرسلت « مديرية الملاحة العامة » بقائمة تتألف من (٢٩) مصطلحا تتعلق بالسفن والملاحة وذلك فى كتابها المرقم : ٣٠/١٢٣/٣٨٢ المؤرخ فى ١ آب ١٩٥١ ، وبعثت « مديرية الرى العامة » الى المجمع فى كتابها المرقم ٧٤٥٨ المؤرخ فى ١٩٥١/٨/١٦ بـ (٣٩٣) مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما اختارته لها فى العربية • وكذلك فعلت « مديرية الأشغال العامة » بأن أرسلت فى كتابها المرقم

(١) كتابها المرقم ٤/٢١/٣٢٤ ، المؤرخ فى ١٩٥١/٢/١٧ •

(٢) بموجب كتابها المرقم ٤/٢١/٧٢١ ، المؤرخ فى ١٩٥١/٤/١٧ •

(٣) كتابها المرقم ط ، م/٢٥/١٧٩١ المؤرخ فى ١٩٥١/٧/٤ •

« ٢٦٢٧ » المؤرخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٥١ بقائمتين : قائمة بالمصطلحات الفنية المستعملة في أعمال الطرق ، وقائمة أخرى بالمصطلحات الفنية المتعلقة بأعمال الجسور . فالقائمة الأولى « ٤٢ » مصطلحا ، والقائمة الثانية « ٢١٤ » مصطلحا .

وكان نصيب المجمع من « مديرية الموانىء العامة » قائمة أرسلت بها مع كتاب المديرية المرقم ١٩/آد١٤/١٤٢ المؤرخ في ٢٨ أيار ١٩٥٢ تتضمن « ٣٠٣ » مصطلحات باللغة الانكليزية مع تعريفاتها وما اختارته لها في العربية . وذلك مضاف الى قائمة أخرى في « المصطلحات التجارية والحسابية » المستعملة في دوائرها باللغتين العربية والانكليزية جملتها « ٢٣٩ » مصطلحا أرسلت بها الى المجمع في ٢٧ كانون الأول ١٩٥١ في كتابها المرقم ١٩/اد/١٤/٢٧٣ . وبعثت « مديرية الزراعة العامة » الى المجمع بقائمة من (٢٥) مصطلحا انكليزيا في بحث علم الغابات Forestry ومعها تعريفاتها باللغة الانكليزية ، لوضع مقابل لها باللغة العربية[1] . وطلبت « كلية العلوم والآداب » الى المجمع بكتابها المرقم (٤٤٠) والمؤرخ في ١٨ شباط ١٩٥١ ابداء رأيه في (١٢) مصطلحا من المصطلحات العلمية المستعملة في الجامعات الانكليزية لوضع ما يقابلها في العربية .

هذا وقد أرسل عضو المجمع المراسل الدكتور داوود الجلبي اليه بمعجم في « مصطلحات أمراض الجلد » فأحاله المجمع على لجنة مؤلفة من العضوين الدكتور هاشم الوتري والدكتور شريف عسيران لابداء الرأي لكي يكون نواة لمعجم طبي في المستقبل .

وأرسلت اليه دوائر حكومية مثل مديرية الأوقاف العامة ومديرية الميزانية والأمور المالية قوائم بالمصطلحات والتعابير العربية المستعملة في مؤسسات الدائرتين قد تفيد في المستقبل في تسهيل دراسة ما يقابلها من المصطلحات باللغات الأعجمية ان عرضت على المجمع .

وعلى هذا يكون مجموع ما أرسلت به الدوائر الحكومية الى المجمع « ١٧٣٣ » مصطلحا في الانكليزية طلبت الى المجمع دراستها وابداء رأيه فيها واثبات ما صح منها والاستبدال بما لم يصح .

وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات واقرارها ووضعها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص أولا ، كأن يستعرض حده وتعريفه عند المتخصصين أو في الكتب الخاصة ويتعرف أصله ونشأته ، ثم يسمع رأي المتخصصين فيما

(١) كتابها المرقم ٣٦١٧ والمؤرخ في ١٩٥٢/٢/٢٤

اختاروه من كلمات عربية مناسبة له ، ثم يستعرض ما ورد فى الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفى بالمراد ، فاذا وقف على كلمة صالحة مناسبة له مؤدية للمعنى الاصطلاحى ، ورأى فيها الرشاقة والسلامة ، أعنى أنها عربية سليمة يألفها الذوق ، عقد رأيه ، وبت فى الأمر • على أن من عادة المجمع ألا يرى رأيا فى مصطلح ولا يبت فيه ، الا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه • فلعل لها اجتهادا فيه أصوب من اجتهاده وأقوم ، أو كلمة أصح وأحكم • ثم هو حريص كل الحرص على ألا ينفرد برأى ، ولا يقر قرارا قد يخرجه عن الإجماع والوحدة وصفاق العلماء من أبناء هذه الأمة • فانما هو يدرس المصطلحات من الوجهة العلمية واللغوية والفنية ولتكون سببا من أسباب جمع الشمل بتوحيد المصطلحات فى جميع البلاد العربية ، وهو لذلك يعمد الى محاضر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ومجلته ، والى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق والى الكتب والمجلات التى تعنى بالمصطلحات ، للوقوف على رأيها فى كل مصطلح قبل اتخاذ قرار ما ، لكيلا تتعدد القرارات فلا تبقى اذن فائدة من وضع المصطحات • وللزيادة فى الاحتياط والأخذ بالتأنى والتأنى ، فرر • ألا يثبت مصطلحا الا بعد مرور ستة أشهر على تأريخ نشره ليتسنى له دراسة الآراء التى تبدى فى شأنه • وفى ضوئها يقرر المجمع ما يراه صالحا للاستعمال »(1) •

فقرارات المجمع اذن هى فى الزمن الحاضر قرارات ترجيح ، ولن يكون القرار نهائيا الا بعد مضى المدة التى حددها للوقوف على ما يرد عليه فى أثنائها من آراء • وللمجمع خطة كذلك فى استنباط المصطلحات ووضعها تجمع بين رأى المتقدمين ورأى الباحثين المحدثين ، وحاجة العربية الملحة الى المصطلحات ، وضرورة تلبية هذه الحاجة واستجابة ندائها ، لتعود كما كانت لغة للعلم • وهو يرجو لذلك من المؤسسات العلمية اتخاذ خطوات عملية ايجابية فى التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمى ، لكى تتمكن فى المستقبل من جعل العربية لغة رسمية للتعليم العالى ، ولن يتم ذلك الا بتعاون البلاد العربية كلها فى هذا العمل القومى ، فلذلك وجه المجمع دعوة الى المجمعين الكريمين مجمع فؤاد الأول بمصر والمجمع العلمى العربى بدمشق بهذا المعنى ، والله اسأل أن يحقق الرجاء •

ولابد لى أخيرا من القول ان هذه المصطلحات التى يراها القارى- مدونة فيما يأتى هى بعض من كل ، وجزء من كثير ، سيوالى المجمع نشره فى مجلته هذه تباعا ، وفى

---

(١) قرر فى الجلسة السابعة عشرة المعقودة فى ١٩٤٩/٤/٢٧ ، وفى المادة الثالثة من محضر الجلسة •

كراسات خاصة ، وقد استخرجته من محاضر جلسات المجمع ، ورأيت من باب الأمانة العلمية الاشارة الى المورد الذى أورد فيه ، والمعين الذى استقى منه . ثم رأيت الاشارة الى موضعه فى « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ان كان له هناك موضع ومقام اتماما للفائدة ، وتعميما لقرارات المجمع . وقد رتبتها ترتيبا أبجديا ، ليسهل على المطالع الوقوف على المصطلح منها بيسر وسهولة .

جواد على

معجم المصطلحات العلمية

المحور السينى أو الاحداثى السينى Abscissa (Axis)

نظر المجمع فى هذا المصطلح المرسل اليه من مديرية السكك الحديد العامة ، وأقره على هذا الشكل . أما المديرية المذكورة ، فقد اختارت له « محور السينات » . واستعمل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الاحداثى السينى لـ (Abscissa ، X-Co-ordinate) والمحور السينى لـ (X axis)[1] .

درجة الحرارة المطلقة Absolute temperature

أقر استعمال « درجة الحرارة المطلقة » له كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة . وقد سبق لمجمع فؤاد الأول أن أقر استعمال هذا الاصطلاح على هذه الصورة ، غير أنه وضع معه جملة « الاحرار المطلق » بين قوسين[2] .

الصارفة (صارفة الصدمة) Absorber shock

وضعه المجمع بدلا من « مبددة الصدمة » التى وردت فى قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة .

امتصاص Absorption

أقره المجمع فى جلسته التاسعة المنعقدة بتأريخ ٥-١-١٩٥٢ كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة . وقد استعمل « مجمع فؤاد الأول » كلمة « الامتصاص » لهذا المصطلح وذلك فى مصطلحات علم الحياة[3] .

وقدمت لجنة الكيمياء والطبيعة الكلمات : المص ـ الامتصاص ، المصاصية ـ قوة المص ، الى المجمع المذكور لـ (Absorption) ، وذلك لاقرار كلمة من هذه الكلمات فى موضوع الكيمياء[4] .

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية (٥/٤٣ ، ٢٥٧) .
(٢) مجلة المجمع (٥/١١٢) .
(٣) مجلة المجمع (١/٨٤ و٢/١٣١ و٥/١٢٠) .
(٤) مجلة المجمع (٦/٢٦٤) .

Abutment (bridge) كرسى الجسر

رأى المجمع استعمال « كرسى الجسر » لهذا المصطلح ، وهو من التعابير التى اصطلح عليها العرب قديما ، بدلا من « ركن الجسر » الذى وضعته مديرية السكك الحديد العامة .

Abutment Point (Mech.) مرتكز

وضع المجمع لهذا المصطلح لفظ « مرتكز » بدلا من « نقطة المقاومة » الذى استعملته مديرية السكك الحديد العامة ، وهو من مصطلحات « الميكانيك » .

Acceleration تسارع

وضع المجمع هذه الكلمة بدلا من « تعجيل » التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة ، واستعمل مجمع فؤاد الأول « العجلة الذاتية » لـ

(Acceleration , automatic) (Automatic acceleration)

وذلك فى موضوع « الكهربا واللاسلكى »[1] .

Accessory تابع

وضع المجمع كلمة « تابع » لهذا المصطلح بدلا من « ملحق » الوارد فى قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة .

Accident حادث

وضعه المجمع بدلا من حادثة التى وضعتها مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Muriatic حامض الكلوردريك

أقره كما ورد فى قائمة مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Sulphuric حامض الكبريتيك

أبقى كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Actuating (Lever) عتلة تحريك

أقر كما ورد من المديرية المذكورة .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول (٥/١٢٠)

Adapter , Adaptor موفقة

وضع المجمع هذه الكمة بدلا من كلمة « وفيقة » التى اصطلحت عليهـا مديرية السكك العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول للغة العربيـة تخصيص كلمة « موجه » لكلمة Adapter ، وذلك فى مصطلحات الكيمياء[١] . وأقر مجمع فؤاد استعمال « المهيئة » لـ Adapter فى موضوع « الكهربا واللاسلكى » .

Addendum مضـــاف

ورجح المجمع استعمال هذه الكلمة بدلا من « ملحق » التى استعملتهـا مديريـة السكك لهذا المصطلح .

Adhesion التصـاق

رأى المجمع استعمالها بدلا من كلمة « تلاصق » التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة .

Adhesive لاصـوق

وضعه المجمع بدلا من « لاصق » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول[١] تخصيص كلمة « لصاق » لـ Adhesive .

Adjustment (Mech.) اتراص (فى « الميكانيك »)

وضع المجمع هـذا اللفظ بـدلا من كلمـة « توقيت » التى استعملتهـا مديريـة السكك الحديد العامة .

Adjustment تعـديـل

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الأول اطلاق « التعديل ــ الضبط » على Adjustment [١] .

---

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٢٦٥) .

Adjustment (Accounts) تسوية ، حسابية ،

قبلت كما وردت من مديرية السكك الحديد العامة .

Admission (of train) ادخال القطار

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Advance (Mech .) تقـديم

قبل كذلك كما ورد من مديرية السكك الحديد .

Adze (Carpenter) قدوم (بوزن صبور)

وضعه المجمع بدلا من فأس النجار المقترح فى قائمة مصطلحات مديرية السكك العـامة .

Adzing and Boring نجر وثقب

أقره كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Aeration تهـويـة

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول فى الدورة الثانية عشرة اطلاق « تهوية » على Aeration كذلك[١] .

Aerial هـــوائى

قبل كما ورد من المديرية المذكورة ، ووضع مجمع فؤاد الأول « الهوائى » لهذا المصطلح فى موضوع « الكهربا واللاسلكى »[٢] .

Aging (of Solutions) تعتيق المحاليل

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد فى قائمة مديرية السكك العامة .

Agitate حـرك

قرر المجمع استعمال « حرك » لهذا المصطلح بدلا من « خضخض » التى اختارتها مديرية السكك العامة .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٢٦٥) .

(٢) مجلة مجمع فؤاد الأل (٥/١٢١) .

Aggregate (eng.) خليـــط

قبل كما ورد من المديرية المذكورة .

Aileron جنيح (بتشديد الياء)

أقر هذا المصطلح كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Cap غطـــاء الهواء

أقر هذا المصطلح على هذا الشكل عوضا عن « غطاء هواء » الذى اقترحته مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Copk صنبور الهواء

أقر هذا المصطلح على هذا الشكل بدلا من « صنبور هواء » الذى اقترحته مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Silencer مسكتة هوائية

وضعها المجمع بدلا من مخرسة هوائية التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة.

Air-Starter مشغل هوائى

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-tap حنفية الهواء

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Valve صمام الهواء ، صمام ككتاب .

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك العامة .

Air-Vessel وعاء الهــواء

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Duct المسهك ، ممر الريح أو الهواء .

قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح بدلا من « مسلك هواء » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Compressor مكبس الهواء

قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح عوضا عن « ضاغطة هواء » التى وضعتهـــا

مديرية سكك الحديد العامة .

تكييف الهواء Air-Conditioning

قبل كما ورد من مديرية سكك الحديد العامة .

مرشحة الهواء Air-Filter

قرر المجمع استعمال « مرشحة » بوزن مكنسة .

خرطوم الهواء Air-Hose

قرر المجمع استعماله على هذه الصورة بدلا من « خرطوم هواء » التى وردت من مديرية السكك الحديد العامة .

مشعبة الهواء Air-Manifold

قرر استعمال هذا المصطلح عوضا عن « تشكيلة هوائية » التى وضعتها مديرية السكك الحديد العامة .

أنبوب الهواء Air-Pipe

قرر استعمال أنبوب الهواء عوضا عن « أنبوب هواء » المقترح من مديرية سكك الحديد العامة .

مضخة الهواء Air-Pump

قرر استعماله عوضا عن « مضخة هواء » الوارد من مديرية سكك الحديد العامة .

متسلمة الهواء Air-Receiver

قرر المجمع استعمال هذا المصطلح عوضا عن « مستقبلةالهواء » الذىاقترحته مديرية سكك الحديد العامة .

العضـــادة Alidade

وضعت مديرية السكك العامة لهذا المصطلح لفظة « الاستقامة » ، غير أن المجمع لاحظ أن الكلمة عربية محرفة عن « العضادة » فقرر احياءها واستعمالهـــا بدلا من « الاستقامة » .

الالومينـــا Alumina

وهو ثالث أكسيد الالومنيوم ، وقد أقره المجمع كمـا ورد من مديريـة المبـاحث الصناعية العامة .

Animal Charcoal الفحم الحيوانى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة ، واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول على المجلس فى الدورة الثانية عشرة اطلاق « الفحم الحيوانى » على هذا المصطلح كذلك[١] .

Bleaching التبليـج

« وهو قصر السكر وازالة لونه » . وضع المجمع هذا الاصطلاح بدلا من كلمة « القصر » الواردة من مديرية الصناعة العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الأول على المجمع اطلاق احدى هذه الكلمات : « قصر ، تبييض ، تحوير »[٢].

Bone Char فحم العظـام

أقره المجمع كما ورد فى قائمة مصطلحات صناعة السكر لمديرية الصناعة العامة .

Briquette طويبقـة

« وهو قالب قياسى من ملاط السمنت المنجمد تفحص به قوة السمنت » وضعه المجمع بدلا من كلمة « الأجيرة » التى اختارتها مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Brix Degree درجة بريكس

« درجة يقاس بها مجموع المواد الذائبة فى المحاليل السكرية وفى العصير » . أقرت كما وردت من مديرية الصناعة العامة ، وهى من مصطلحات صناعة السكر .

Chemical , Chemist كيميـائى

قرر المجمع استعمال هذا المصطلح ترجمة لهذين المصطلحين الانكليزيين .

Chemical Test الفحص الكيميائى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة . « وهو فحص تركيب السمنت الكيميائى » .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول(٦/٢٦٦) . (٢) مجلة مجمعفؤاد الأول(٦/٢٦٧).

Clay الصلصال

« وهو المادة الخام الطينية فى صناعة السمنت » . وقد أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول اطلاق كلمة: « طفل » على هذا المصطلح . « مجلة المجمع الجزء السادس سنة ١٩٥١ ص ٢٦٨ » .

Clinker كلنكر

وهو كرات السمنت بعد تكونها فى الفرن وقبل طحنها . وقد أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Compressive Strength قوة الكبس

« وهى معدل قوة ثلاثة مكعبات قياسية ، وتعبر عن قوة السمنت فى الكبس » . وقد نظر المجمع فى هذا المصطلح فأقره كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة .

Concrete الأبرق (الكونكريت)

رأى المجمع اطلاق كلمة الأبرق على « الكونكريت » على أن توضع معها كلمة « الكونكريت » بين قوسين .

Consistency القــوام

« وهو قوام عجينة السمنت القياسية » . أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Cutting قلــم

« هو قطعة من القصب تستخدم غرسته (بذرة) فى زرع القصب » . وضعه المجمع بدلا من (عقلة) القصب الواردة من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

Defecation الاثفــال

« وهو ترسيب المواد الغريبة غير السكرية فى العصير » . وضعه المجمع بدلا من « التنقية » أو « الاحثال » الواردين فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته المرسلة من مديرية الصناعة العامة . وقد اعتد المجمع الهمزة فى « أثفل » للتعدية ، وان ورد هذا الرباعى فى كتب اللغة لازما .

Expansion **التمـدد**

« وهو تمدد ملاط السمنت بعد انجماده » أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Fibre **ليـف**

« هو نسبة ما يبقى من القصب بعد استخلاص السكر وطرح الرطوبة » . وضعه المجمع بدلا من كلمة « نسبة الألياف » الواردة من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

Final Setting **التجمد النهائى**

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Fineness **الـدقـة**

« وهو قياس لحجم ذرات السمنت » . وضعها بدلا من « النعومة » الواردة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

First Ratoon **الراتون الأول**

« هو ما نما من جذور قصب بكر بزرعه فى موسم سابق » . أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Handbook **تـذكـرة**

وضعها المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام وضع مصطلح لهذه الكلمة الانكليزية .

Initial Setting **التجمد البدائى**

وضعه المجمع بدلا من « الانجماد الابتدائى » الوارد فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Invert Sugar **السكر المنقلب**

« هو ما تحول من السكروس (سكر القصب) الى الكلوكوس (سكر العنب) واللفيولوس (سكر الثمر) » .

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته من مديرية الصناعة العامة .

أنبـــوب **Internode**

« هو ما يكون بين العقدتين فى القصب » . وضعه المجمع بدلا من « السلامية » التى اختارتها مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

العصـير **Juice**

« هو ما يستخرج من القصب بأجهزة خاصة » . أقره كما ورد فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة .

التشبع الكلسى **Lime Saturation**

« وهو يعبر عن درجة تشبع السمنت بالكلس » . قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

المغنيسيا **Magnesia**

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

الخصاصية **Mesh**

« وتعبر عن عدد الفتحات فى العقدة من المنخل » . رأى المجمع استعمالها بدلا من « الشبكية » المقترحة فى قائمة مصطلحات السمنت .

رسالة **Monograph**

وضع هذا الاصطلاح بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

عقــدة **Node**

« ويراد بها العقدة فى قصب السكر » . أقرها المجمع كما وردت عليه فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته . ووضع مجمع فؤاد الأول « العقدة » (٢٧٥/٥) .

الفحص الطبيعى **Physical Test**

« وهو فحص السمنت فى الشد والكبس والتمدد الخ .. » قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

سمنت بورتلند Portland Cement

« وهو السمنت الاعتيادى » وقد نسبه جوزيف اسبدن الى بورتلاند » أقره المجمع كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت لمديرية الصناعة العامة •

السياق Procedure

« وهو طريقة الفحص » • قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

الخلوص Purity

« وهو نسبة السكروس فى العصير الى مجموع المواد الصلبة بمقياس بريكس » وضعه المجمع بدلا من « نقاء العصير » الواردة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته •

الراتون Ratoon

« وهو ما نما من قصب السكر من جذور قصب المواسم السابقة » • أقره كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة •

بحث والجمع بحوث Research

وضعهما المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام •

عالم Scientist

وضعه المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام •

الراتون الثانى Second Ratoon

« هو ما نما من جذور الراتون الأول » ، أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

مدة التجمد Setting time

« وهو الوقت بين مزج ملاط السمنت والرمل وانجماده » •

وضعه المجمع بدلا من « وقت الانجماد » الوارد فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت •

منخل Sieve

« وهو منخل تقاس به نعومة السمنت » • أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

السيليكا Silica

« وهو ثانى أكسيد السيليكون » • أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

معامل السيليكا Silica Modulus

« وهو النسبة المئوية للسيليكا مقسومة على مجموع النسبتين المئويتين للألومينا وأكسيد الحديد » • وضعه المجمع بدلا من « موديول السيليكا » الوارد فى مصطلحات صناعة السمنت •

السلورى Slurry

« وهو مزيج سائل من الخامين الكلسى والصلصالى قبل دخوله الفرن » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

السلامة Soundness

« وهو مقياس ثبات الحجم فى السمنت » • قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

متخصص Specialist

أقره المجمع •

السطح النوعى Specific Surface

أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

السلفتة Sulphitation

« وهى معالجة العصير السكرى بثانى أكسيد الكبريت » • أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

قوة الشد Tensile Strength

« وهى معدل قوة ست طوبيقات قياسية من ملاط السمنت والرمل وتعبر عن قوة السمنت فى الشد » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

تحقيق نص كتاب المقابسات

لأبي حيـــان التوحيدي

هذا الكتاب من أجل كتب أبي‌حيان التوحيدى ، ومن أجدرها بالدراسة والتحرير ، واذ كان من منهجى فى دراسة سيرة الرجل وأدبه أن أعمد الى مؤلفاته جميعا بدراسة مستوعبة فاحصة ، اضطررت الى تحرير هذا الكتاب ضمن ما تهيأ لى تحريره من كتبه.

هذا الكتاب على جليل خطره ، وعظيم منزلته لم ينتفع به الناس ، ولم يلتفتوا الى بليغ جدواه لشيوع الخطأ فى النسخ المطبوعة ، وعدم الوقوف على نسخ مخطوطة منه .

وقد أحسست منذ بدأت دراسته فى‌النسخ المطبوعة بصعوبة فهم نصوصه ، وضرورة الرجوع الى ناشر الكتاب فى مصر عسى أن أجد لديه ما يغنى ، ولكنه بعد عدة جلسات تكشف لى عن حال لا يغبط صاحبها على نشر هذا الكتاب الفلسفى ، فعذرته ونعيت عليه قوله فى صدر النسخة التى نشرها : « بأنها محققة مشروحة » على حين ليس ثمة أى تحقيق ، وصرح لى أخيرا بأنه طبع الكتاب على نسخة حجرية طبعت فى الهند ، وأنه لم يزد عليها الا تراجم الأعلام فى الهامش ، والا وضع العناوين فى الصدر .

رجعت الى النسخة الهندية فاذا هى كنظيرتها التى طبعت عليها شيوع خطأ ، واستحالة تفهم ، واضطررت بعد ذلك الى استشارة فهارس المكتبات عسى أن ترشدنى الى نسخة مخطوطة للكتاب ، ولكن الفهارس التى كانت بين يدى - وهى الفهارس التى تحتويها دار الكتب المصرية - لم تذكر نسخة مأثورة من هذا الكتاب ، وظللت فى هذه الحيرة زمنا ليس بالقصير .

وفى عام ١٩٤٦ زرت المكتبة الظاهرية بدمشق فأرشدنى مديرها الفاضل الى شطر من نسخة مخطوطة للكتاب برقم ٤٨٠٣ واذ رجعت اليها ألفيتها أوراقا من نسخة مضبوطة نسخت فى القرن السادس للهجرة ، فصححت عليها ما قابلها من النسخة المطبوعة(١).

وهنا تجلى لى عظم ما داخل المطبوعة من تحـريف ، وشعرت بضرورة قصوى لتحرير نصوص هذا الكتاب . ولو لم تكن المخطوطة منقوصـة الوسط والأطراف

---

(١) وهى المقابسات : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ثم ٦٠ ، ٦١ - ٧٠ .

لتهيأ لى تصحيح الكتاب كله ، ولكنهـا ـ ويـا للأسف ـ لم تشتمل الا على قليل من المقابسات .

وتابعت البحث فى سبيل الاهتداء الى نسخة أخرى ، فعثرت عام ١٩٤٧ وفى أثناء قراءتى فى مخطوطات « تيمور » بدار الكتب المصرية بأصل المقابستين من المقابسات ضمن مجموعة تشتمل على فنون مختلفة لمؤلفين مختلفين ، وهى تحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور. وعلى هذا الأصل صححت المقابستين ٩١ ، ٩٢ من النسخة المطبوعة .

وفى عام ١٩٤٧ وفى أثناء بحثى فى فهارس الكتب المخطوطة بدار الكتب عثرت بمخطوط باسم « منتخب صوان الحكمة » فلفت نظرى اسم الكتاب ، ذلك أن « صوان الحكمة » كتاب « لأبى سليمان المنطقى ، أستاذ أبى حيان التوحيدى ، وقد ضاعت أصول هذا الكتاب فيما أعلم ، ولم يعرف عنه شىء لولا ما أشار اليه البيهقى من جريه فى مؤلفه « تتمة صوان الحكمة »[1] على منوال «أبى سليمان» فى تأليفه لـ « صوان الحكمة » فكان اسم الكتاب حافزا لى على قراءته .

والكلام على « منتخب صوان الحكمة » ومؤلفه ، وعصره ليس هذا محله ولكن بخصوص ما يتصل ببحثى من شأنه أقول : انه يشتمل على منتخبات مما ترجم « أبو سليمان » لحكماء اليونان فى « صوان الحكمة » وعلى تراجم أخرى لحكماء اسلاميين زادها مؤلف « منتخب صوان الحكمة » فى كتابه ، وبعض هؤلاء ممن عاصرهم كل من « أبى سليمان » و « أبى حيان » وقابسهم هذا الأخير فى جملة مقابساته .

واذ بلغت من الكتاب تراجم هؤلاء ألفيت لغة الكتاب ـ فيمـا يروى من آثار المترجمين ـ تذهب مذهب « أبى حيان » فى طريقة عرض الأفكار ، وأحسست بأن جو كتاب « المقابسات » يشيع فى جملة هذه التراجم . فأعدت النظر فى الكتاب من جديد ، وقابلت بعض ما فيه ببعض ما فى كتاب « المقابسات » فاذا هما يلتقيان بالنص والحرف على فكرة واحدة وتعبير واحد .

ومن هذا الاتفاق التام بين نصوص فى كتاب « المقابسات » ونصوص فى كتاب « منتخب صوان الحكمة » ينشأ احتمالان ، وأمر مقطوع به . فالاحتمالان هما :

أ ـ أن يكون كل من أبى حيان ومؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب « صوان الحكمة » .

(١) راجع مقدمة « تتمة صوان الحكمة » للبيهقى .

ب ـ أن يكون مؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب « المقابسات » .

ويضعف الاحتمال الأول أمور . منها أن المعروف عن مؤلف « صوان الحكمة » أنه في تراجم الحكماء اليونانيين لا الاسلاميين فيما يتصل من مؤلفه بتراجم الاسلاميين لابد أن يكون من عمل مؤلف « منتخب صوان الحكمة » ، ومنها أنه ترجم في الكتاب لأبي سليمان ، واعتمد في هذه الترجمة على أبي حيان ـ كما صرح بذلك[1] ، وعليه فهو قد رجع في بعض هذه التراجم الى مؤلفات أبي حيان .

ويرجح الاحتمال الثاني ـ أعني رجوع مؤلف « منتخب الصوان » الى كتاب « المقابسات » جملة أمور .

١ ـ ان المؤلف وقف على جملة من مؤلفات أبي حيان ، واعتمد عليها في كتابه : نقل في كتابه مرة عن كتاب « البصائر والذخائر وذلك عند ترجمة « أرسطاليس » و « ابن العميد »[2] . وذكر مرة اسم مؤلف لأبي حيان أسماه « الهوامل والشوامل » ورسالة له في الطبيعيات والالهيات . ذاك المؤلف وهذه الرسالة لم يرد ذكرهما في ثبت كتب الرجل ، وانما ورد ذكرهما في كتاب « المقابسات »[3] فقط . فالراجح أنه عرفهما عن طريق هذا الكتاب .

٢ ـ ان مؤلف « منتخب صوان الحكمة » اذ يورد رأي من يترجمه في مسألة ما ، لا يكتفي بذكر الرأي وحده ، وانما يبدؤه ويختمه بمثل ما أتم وختم به « أبو حيان » مقابساته من قول أو سماع ، أو شكوى ، أو بيان للطريقة التي عالج بها المقابسة . وهذا يدل على أنه نقل نص ما في « المقابسات » وبما أن مؤلف « منتخب صوان الحكمة » من رجال القرن السادس والسابع للهجرة ، فيستحيل على مثله أن يكون هو المقابس لرجال القرن الرابع .

وأما الشيء المقطوع به فهو ان النصوص التي في « منتخب صوان الحكمة » نفس النصوص التي في كتاب « المقابسات » واحتمال أن يكون المؤلفان قد رجعا الى أصل ثالث لا يقدم أو يؤخر في سلامة تصحيح أحد النصين على الآخر ، وذلك هو المهم في

(١) انظر ص ١٣٨ من الكتاب نسخة ج ٦٦٤٣ من دار الكتب المصرية .
(٢) انظر : ٢٤ من منتخب صوان الحكمة نسخة (و) رقم ٢٦٦٣ .
(٣) انظر ص ١١٥ ـ ١١٩ من النسخة المتقدمة عند الكلام على ترجمة أحمد بن مسكويه ، وقابله بما في المقابسات : ١٤٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ط الرحمانية .

تحرير النص الذى نحن بصدده.

والنصوص التى سأنشرها رجعت فى تصحيحها الى :ـ

١ ـ النسخة الحجرية الهندية وقد طبعت عام ١٣٠٦ هـ ورمزت لها بـ « هـ » .

٢ ـ النسخة المطبوعة بمصر وقد نشرها السندوبى عام ١٩٢٩م وقد رمزت لهـا بـ « ط م » .

٣ ـ نسخة المكتبة الظاهرية وقد رمزت لها بـ « ظ » .

٤ ـ المقابستين اللتين فى مجموعة تيمور وقد رمزت لها بـ « ت » .

٥ ـ النسختين الفوتغرافيتين من كتاب « منتخب صوان الحكمة »[١] وقد رمزت لكل منهما بـ « م » متبوعا بالرقم الذى تحمله النسخة .

٦ ـ أخبار الحكماء للقفطى ، وقد انتفعت بها فى تصحيح سطور من المقابسة الثانية[٢] .

وسيدرك القارىء مدى الجهد الذى بذلته فى تحقيق هذه النصوص برجوعه أولا الى النسخ المطبوعة ليشهد ما فيها من اضطراب ، ثم بمقابلتها بالأصل الذى بين يديه ثانيا .

المقابسة الرابعة*

فى الناموس الالهى ووضعه بين الخلق

سمعت ابن مقداد[٣] يقول : « لابد فى وضع الناموس الالهى الذى (يتوخى[٤]) به افاضة الخير ، (وبث المصلحة[٥]) ، وترتيب السياسة ، وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، ويوطد دعائم السنن ، ويبعث على تشريف النفوس ، وتزيين الأخلاق ، ويقرب الطريق[٦] الى السعادة المطلوبة ، ويواصل أسباب الحكمة ، ويشوق

(١) لمنتخب صوان الحكمة بمكتبة دار الكتب نسختان احداهما رقم (و) ٢٦٦٣ ، والثانية ج ٦٦٤٣

(٢) انظر تاريخ الحكماء ص ١٥١ ط السعادة والمقابسات : ١٣٤ ط الرحمانية

(*) صححت هذه المقابسة على كتاب « منتخب صوان الحكمة » وهى تقابل من نسخة (و) ورقة ١٠٦ ، ومن نسخة (ج) ورقة ١٥١ .

(٣) هو الحسن بن مقداد من فلاسفة القرن الرابع وقد ترجم له المصدر السابق فى الأوراق نفسها من النسختين .

(٤) فى ط م يتوجه

(٥) تفرد بها نسختا المنتخب .

(٦) فى نسختى المنتخب : الطريقة .

الأرواح الى طلب الحق ، وايثار العفة[١] ، ويقدم دواعى العدل[٢] والنصفة ، والمرحمة[٣] والمكرمة ، من الأخبار التى تنقسم بين ما هو صدق محض ، وبين ما هو صدق ممزوج . وتكون الألفاظ التى تدور بها ، واللغات التى ترجع[٤] اليها كثيرة الوجود ، (سهلة[٥]) سمحة عند التأويل . وانما وجب ذلك لأن الناس فى أصل جبلتهم ، وبدء خلقهم ، وأول سنخهم[٦] قد افترقوا مجتمعين ، واجتمعوا متفرقين ، واختلفوا مؤتلفين وائتلفوا مختلفين ، واحساسهم متوقدة ، وظنونهم جوالة ، وعقولهم متفاوتة ، وأذهانهم[٧] عاملة ، وآراؤهم سانحة ، وكل منهم ينفرد[٨] بمزاج وشكل ، وطباع وخلق ، ونظر وفكر ، وأصل وعرق[٩] ، واختيار وإلف وعادة ، وضراوة ونفرة ، واستحسان واستقباح ، وتوق ووقفة ، واقدام وجسارة ، واعتراف[١٠] وشهادة ، وبهت ومكابرة . هذا سوى أعراض كثيرة مختلفة ، لا أسماء لها عندنا خالصة ، ولا صفات متميزة .

قال : ومثل هذا كمثل رجل أصلح طعاما كثيرا ، واسعا مختلفا ، من كل لون وجنس ، ومذاق ورائحة ، ووضع ونضد[١١] ، وحرارة وبرودة ، وحلاوة وحموضة (ومرارة وحرافة[١٢]) ، ونصبه على مائدة واسعة عظيمة (لجمع ذى عدد جم)[١٣] . فمتى لم تكن المائدة ذات ألوان مختلفة ، وأطعمة مركبة متباينة فى القلة والكثرة ، والملوحة والحرافة[١٤] (والغرفة والقذمة)[١٥] لم يقبل كل انسان على ما تفتق[١٦] به شهوته

(١) فى ط م ، ط هـ : العقد .
(٢) فى م و ، وكذا فى م ج : العقل
(٣) فى ط م : الرحمة .
(٤) فى م و : يرجع .
(٥) لم ترد فى ط م ، ط هـ
(٦) فى م و : سجيتهم
(٧) فى م و ، م ج : وأذناهم .
(٨) فى ط م : منفرد .
(٩) فى ط م : وفرع .
(١٠) لم توجد فى م و ، م ج .
(١١) فى ط م : وقصد .
(١٢) ما بين القوسين من نسختى م ج ، م و .
(١٣) فى ط م : « فجمع ذوى عدد جم » وما اثبتناه من نسختى م و ، م ج .
(١٤) فى م و : والحرارة .
(١٥) فى ط م : « ومرقة المتقدمة » وهو خطأ . يقال : قذم قذمة : كجرع جرعة فى الوزن والمعنى .
(١٦) فى ط م : يفيق .

الخاصة له ، ولم تمتد يده (الى اللون[١]) الذى تدعو اليه العين ، لأن للعين نوعا من الطلب ليس للفم ، وللنفس أيضا مثل ذلك ، أعنى النفس المغتذية[٢] . فهذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والتكرمة ، والايناس والمحادثة .

قال : فلما كان الناموس الالهى نصيحة عامة للكافة[٣] وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون ردءا لها ، ورافدا معها ، ومرشدا لما انطوى فيها ، وموضحا لما خفى عنها ، وداعيا باللطف اليها ، وضامنا لحسن الجزاء عليها .

وهذا قدر كالخلاصة[٤] مما وقع التعوض به ، سقته على ما أمكن والحمد لله وحده .

المقابسة الخامسة*

في شرف الزمان والمكان ، وتفاوت الناس في الفضيلة

قلت لأبى بكر القومسى[٥] ـ وكان كبيرا فى الأوائل ـ : بأى معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ، وهذا المكان أفضل من هذا المكان ، وهذا الانسان أشرف من هذا الانسان ؟

فقال : هذا (يسوغ باضافة[٦]) الزمان الى سعادة شائعة ، وخير[٧] غامر ، وبركة فائضة ، وخصب عام ، وشريعة مقبولة ، وخيرات مفعولة[٨] ، ومكارم مأثورة[٩] ، من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض أدواره ، وكذلك المكان اذا قابله أثر من هذه الأجرام الشريفة ، والأعلام[١٠] المنيفة . فأما[١١] الزمان الذى هو رسم الفلك بحركته الخاصة

---

(١) فى ط م : اليه باللون
(٢) فى ط م : لدكانه وهو تحريف
(٣) ؟
(٤) فى ط م : كالخالصة
(*) صححت هذه المقابسة على « منتخب صوان الحكمة » نسخة م (و) : ١٠٨ ، م (ج) : ١٥٣
(٥) ترجم له فى المصدر السابق نفسه ، وسماه كذا : أبو بكر الحسن بن كرده القومشى بالشين .
(٦) فى ط م : يشعر بافاضة
(٧) فى ط م : وعز غامر
(٨) فى م و ، م ج : معقولة
(٩) فى م و ، م ج : موثرة
(١٠) فى ط م : والاعمال .
(١١) فى ط م : وأما

فليس فيه جزء أشرف من جزء، وكذلك المكان، لأنه رديف الزمان •

ولا سبيل في مثل هذه المسائل الى معرفة الحقائق الا بالاحاطة[١] التي هي شاملة[٢] للعالم، غالبة عليه من محيطه الى مركزه • وأما الانسان فلا شرف له أيضا على انسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت، لأن الحد[٣] في كل أحد واحد، فاذن لا شرف من هذا الوجه، فان اعتبر بعد هذا فعل هذا، وفعل ذاك من جهة[٤] الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب، فذاك يقف على الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى، بحسب ما يوجد منظوما في نفسه، نافعا لغيره، واقعا موقعه الأخص به[٥] •

المقـابسة الثـامنة *

في أن الأسباب التي هي مادة الحياة في وزن الأسباب التي هي علة الموت

سمعت الأنطاكي أبا القاسم[٦] – وكان يعرف بالمجتبى – يقول : الأسباب التي هي مادة الحياة هي (في[٧]) وزن الأسباب التي هي جالبة الموت[٨] •

قيل له : فلم كان الموت على هذا أولى بالانسان من الحياة ؟ فقال : لأن الموت طبيعي، وكل طبيعي لا محيص عنه، وانما أطلقت[٩] الكلام الأول لأنك ترى من نجا من الموت بشيء (به يخلص غيره الى الموت)[١٠]، (وتجد من يخلص الى الحياة بشيء به يخلص غيره الى الموت)[١١] فلو استطيع حصر هذه الأبواب (لوجد[١٢]) ما به يموت من يموت في عدد ما به يحيا من يحيا • ثم قال : وههنا موت طبيعي معترف[١٣] به،

---

(١) في ط م : بالأمانة، وفي م و، م ج : بالاضافة وقد فضلت ما ترى •
(٢) كلمة « شاملة » لم توجد في م و، م ج •
(٣) في م و : لأن الحياة •
(٤) في نسخة م و : « لا من جهة » بالنفي وهو خطأ انفردت به •
(٥) في ط م : منه •
(*) صححت هذه المقابسة على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٠، م ج : ١٥٦•
(٦) ترجم له في المصدر السابق نفسه
(٧) لم ترد في ط م •
(٨) في ط م : « جالبة للموت » •
(٩) في م و، م ج : « أطلقت» •
(١٠) في م و، م ج : « وقع به غيره في الموت » •
(١١) ما بين القوسين لم يرد في النسختين المطبوعتين ولكنه ورد في م و، م ج وبه تم المعنى •
(١٢) لم ترد في كل النسخ • وقد زدتها ليكمل المعنى •
(١٣) في ط م : معرف به •

وفى مقابله حياة طبيعة ، وهكذا أيضا ههنا موت عرضى ، وفى مواجهته حياة عرضية ، فالموت الطبيعى قد قامت (له[١]) الشهادة من الكافة . فأما الحياة الطبيعية[٢] فحياة العقل بالمعقول ، والموت العرضى الجهل الشائع فى الانسان .

وأما الحياة العرضية[٣] فحس الانسان وحركته ، بسلامة بدنه ، وسكون أخلاطه ، وقوة طبيعته ، وتصرف سائر ما هو مركب من جهته .

ثم قال : ومن فتح الله بصر[٤] عقله ، ولحظ هذه الحقائق ترقى فى درجات المعارف ، وسلاليم الفضائل ، وانتهى الى أفق الروح والراحة ، ونجا من هذه المعادن ، التى هى معادن العطب والتلف ، ومساكن الآفات والهلاك .

وتفجر[٥] فى هذا الفصل بكل كلام شريف ، وكل موعظة حسنة ، وكان من القادرين على أمثاله ، وممن قد أيده الله بتوفيقه ومعونته .

المقابسة الحادية عشرة *

في أن الطبيعة تعمل فى تخالف الناس على المذاهب والمقالات والآراء والنحل

سمعت أبا اسحق الصابى الكاتب يقول لأبى الخطاب الصابى (ابن عمه[٦]) :

اعلم أن المذاهب والمقالات ، والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدائرة فى العقل ، فمتى فرض فيها قول ، وجعل مبدأ لأقوام[٧] انتهى منه الى آخر ما يمكن أن يقال . فليس من قول الا وقد قيل أو يقال ، وليس من فعل الا وقد فعل أو سيفعل ، وليس من شىء يعلم[٨] الا وقد علم أو سيعلم ، وهكذا فى الظن والرأى وغير ذلك .

(١) فى الأصول : منه .
(٢) بعد هذه الكلمة ترك ناشر المقابسات بياضا وقال : « بياض بالأصول التى بأيدينا » . وقد راجعت مختلف النسخ التى بين يدى فلم أجد شيئا متروكا ، كما أن المعنى يستقيم بما هو موجود .
(٣) فى ط م : بالعرض .
(٤) فى ط م : بصيرة .
(٥) لم ترد فى م ج ، م و .
(*) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١١٣ ، م ج : ١٦٠ .
(٦) لم ترد فى ط م .
(٧) فى م و ، م ج : للأقوال .
(٨) لم ترد فى ط م .

ومثال(١) هذا بين فى كل ما أوردته(٢) ، وذلك أنك لا تشير الى رأى أو نحلة الا أمكنك أن تظن به كل ما ظن ويظن ، وتقول كل ما قيل(٣) ويقال . وانما يضيق مجم أحدنا وينفسح مسرب(٤) الآخر لأن الخاطر يسنح مرة ولا يسنح مرة ، والقلب يتسع تارة(٥) ولا يتسع تارة ، واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا .

قال أبو الخطاب : هل للخواطر والألفاظ ، والآراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهواء ، والى العناصر بالجملة ؟

فقال : نعم(٦) ، لها نسبة قوية ، وعلاقة شديدة ، ورباط متين ، الى هذه الأمور التى (تنظر فيها ، أو تطيف بها ، أو تطل عليها(٧)) ولا سبيل مع ذلك الى اتفاق الناس فى حال من الأحوال وسبيل من السبل ، ولو أمكن ذلك لوجد . ألا ترى أنه لا سبيل الى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها(٨) ، وضخام الرؤوس أو صغارها ، وفصحاء الألسنة أو لكنها ، أو على مذهب واحد(٩) ، ومقالة(١٠) واحدة . كيف يكون هذا(١١) أو يظن هذا ، والطبيعة انما تعطى صورتها لكل شىء بحسب قبوله وتهيوئه(١٢) ومواتاته ؟ فليس الزند من عطية الطبيعة ، ولكن على قدر قبوله ، وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدر . فاختلاف الصور انما نشأ(١٣) من جهة(١٤) اختلاف المواد، وهذا أصل لا أصل له ، وعلة لا علة لها ؛ لأنه لم يفعله فاعل على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ، والمادة من شأنها ذلك . والأمر مسبب على سنن ما ترى . فعلى هذا

(١) فى ط م : وأمثال .
(٢) فى الأصول جميعها : وأردته . وقد حررتها كما ترى .
(٣) فى ط م : كما قيل .
(٤) فى ط م : مشرب .
(٥) فى م و ، م ج : « مرة » بدل « تارة »
(٦) لم ترد فى م و ، م ج .
(٧) فى م و ، م ج : تبطن فيه ، أو تطيف به ، أو تطل عليه .
(٨) فى الأصول : أو قصورها .
(٩) فى ط م : واحد أوحد .
(١٠) فى ط م : ومقابلة .
(١١) لم ترد فى ط م .
(١٢) فى ط م : فى تهيئته .
(١٣) فى ط م : ينشأ .
(١٤) لم ترد فى ط م .

كل أحد ينتحل ما شاكله[(١)] مزاجه ، ونبض عليه[(٢)] عرقه ، ونزع اليه شرطه ، وعجن به طينه ، (وجرى بعد ذلك عليه دأبه وديدنه[(٣)]) .

المقـــابسة الثـــالثة عشرة *

في قول القائل : العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه

« قال يحيى بن عدى : قول القائل : العلة قبل المعلول (لا يدخل الزمـان)[(٤)] فيه ، وكذلك قول النحويين : الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان ، وكأنه جار فى فضاء[(٥)] الدهر ، والفرق بين الزمان والدهر بين .

ولعله سيمر فى موضع من هذا الكتاب .

قال له البديهى : فقولنا الأب قبل الابن آين هو من الزمـان ؟ قال : من جهـة لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا علة هذا ، ومن جهة يدخل لأنه يصير مؤذنا بأن هذا كان[(٦)] فى الزمان قبل هذا فى الزمان .

وأما قول النحويين : ان الاسم قبل الفعل فمعقوله[(٧)] أن ترتيبه مقدم عليه ، والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ، ومتى وجد الفعل وجد الحرف ، فمرتبة الوجود واحدةفى الجميع، ومراتب الاعيان[(٨)] مختلفة فى الجميع[(٩)] . ثم قال: وينبغىأن يصفو اللحظ الذى تجرد نحو الأشياء الأول ، التى هى كثيرة بالأسماء والنعوت عند الاستعمال ، وواحدة بالحقائق والذوات ، فانهذا النظر اذا صفا وتم كفىمؤنة عظيمة وحاز[(١٠)] أمرا عزيزا .

عبد الرزاق محيى الدين

---

(١) فى م و ، م ج : ما شاكه .
(٢) فى كل من م ج ، م و : اليه .
(٣) فى ط م : « وجرى بعد ذلك على دابه وديدنه » وفى م ج ، و : وجرى بعد ذلك دابه وديدنه » .
(*) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١٠٦ ، م ج : ١٥٠ .
(٤) فى ط م : لا مدخل للزمان .
(٥) فى ط م : فى قضايا
(٦) فى م و ، م ج : كائن .
(٧) فى ط م : فمعقول
(٨) فى م و ، م ج : الايمان .
(٩) فى ط م : « فى نحو »
(١٠) فى م و ، م ج : وكان .

باب الكتب

مباحث عراقية

تأليف الباحث المحقق يعقوب سركيس

عدد أوراقه « ٢٠٦ » ورقات من النوع الجيد مع صور فتوغرافية لعدة من الآثار والوثائق المحررة ، طبع بمطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد سنة ١٩٤٨ .

هذا هو الجزء الأول من « مقالات » المؤلف المذكور التى كان قد نشرها فى المجلات العراقية المشهورة ولاسيما مجلة لغة العرب ، وقد قدم هذا الجزء بعدة سطور الأستاذ العلامة محمد رضا الشبيبى ، ووصف تلك المقالات باللآلى المتناثرة قد نظمها سلك . وان الواصف لا يعدو الحقيقة اذا وصف السيد يعقوب سركيس بالباحث المتثبت الجم المعلومات الكثير المراجع وخصوصا مراجع تاريخ العراق المتأخر من تركية وفارسية وافرنجية وعربية ، خطية و غير خطية .

وقد سهل فوائد الكتاب بستة فهارس حسنة ، يستطيع الباحث أن يلتقط بها الفائدة التى يريدها من غير عناء ولا بحث طويل ، ومن جملة المباحث « سعدون باشا ومشيخة آل سعدون ، وحريم دار الخلافة ، ومنارة جامع سوق الغـزل ، والمدرسة المستنصريـة ، والعمارة ، والكوت ، وتل هوارة ، ونظمى زاده وذووه ، ودار المسناة » .

وكنا نأمل من المؤلف أن يجيل فى هذه المقالات قلم التتبع والاستدراك أكثر مما فعل ، لأنها أصبحت كتابا من الكتب التى يستند اليها ويعتمد عليها ، فقد نقل فى ص ٩٩ من مقالة للأب لويس شيخو أن أبا المظفر يوسف بن قزغلى المعروف بسبط ابن الجوزى توفى سنة ٦٥٦ هـ ، ولم يصحح ذلك مع اجماع المؤرخين على أنه توفى سنة ٦٥٤ هـ ، وقد أيده فى (ص ١٠٢) قال : « وحسبى وفاة السبط فى سنة ٦٥٦ ، ثم أكـده فى (ص ١١٦) لأنه جعل تأريخه « مرآة الزمان » المطبوع بأمريكا ممتدا الى هذه السنة . مع أنه انتهى بسنة ٦٥٤ ، فقد توفى هو فيها .

وجاء في (ص ١٠١) قوله : « في خبر وفاة أبي المظفر تاتكين (كذا ولعلها تاتكين) أبي عبدالله الرومي الناصري » • ثم قال ناقلا : « وله (لأبي المظفر تاتكين) نظم حسن». مع أننا ذكرنا في كتاب الحوادث الجامعة بل المظنون أنه هو « باتكين » بالباء ثم الألف ثم التاء ، وكررنا ذلك في الجزء التاسع من الجامع المختصر ، وأحلنا على مراجع أخرى منها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣٧٠/٢) • قال في أخبار حملات التتر على البلاد الاسلامية : « فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم الا وقد دوخوه صمدوا[1] نحو اربل في سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وقد كانوا طرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيها ، فلم يوغلوا فيها • والأمير المرتب بها يومئذ باتكين الرومي » • ثم قال : « فاني حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبدالقادر بن داود الواسطي المعروف بالمحب ، خازن دار الكتب وعنده في البيت باتكين الرومي الذي ولي اربل أخيرا ••• فقال باتكين » • « مج ٣ ص ٣٨٢ » • ومن ذلك يظهر أني لم أضبط هذا العلم اعتباطا في كتاب الحوادث المذكور وأحلت على مراجع لم يعرفها أحد من قبلي[2] ، وقد تضافرت الأدلة على أنه « باتكين » لا غير ذلك ، وأحسن مفهرس كتاب المؤلف المحقق بالغفلة فأدخل تاتكين في « الباء » وأخرجه من باب (التاء والنون) •

ونقل في ص ١١٣ ما هذا بعضه « سنة ٦٥٣ (١٢٥٥م) ذكر ولاية ابن الجوزي أستاذ الدار ••• » • وهذا الخبر يفيد أن أبا المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي تولى أستاذية الدار في سنة « ٦٥٣ » • نقل ذلك من المخطوط الذي وسماه بالحوادث الجامعة حين طبعه ، ومن أعجب الأمور أننا في أثناء الطبع ووصول المطبوع منه الى حوادث سنة « ٦٥٣ » التي ذكرها البحاثة يعقوب سركيس ، شعرنا بأن الحوادث لا تناسب ما حفظناه منها خاصا بهذه السنة ، وحدانا ذلك على التحقيق والتحري ، فعلمنا أن قطعة من حوادث سنة « ٦٤٢ » نقلت بسوء التجليد الى حوادث سنة « ٦٥٣ » ولكننا

(١) هذا هو المعنى الصحيح للفعل « صمد » ومن الغلط استعماله بمعنى « ثبت » وصابر وواقف كما مسخه تراجمة البلاغات الحربية في أيامنا فأخرجوه بغير صورنه الجميلة الدالة على الحركة

(٢) ومن المراجع التي لم اذكر « ديوان ابن المقرب العيون » المطبوع بالهند فقد ورد فيه اسم « باتكين » مرات ومن ذلك ما في ص ٢٠٣ ونصه « وقال أيضا وكتبها الى شمس الدين باتكين أمير البصرة وقد عارضه شرف الدين المعروف بالكاتب ضامن مكوس البصرة في حديد انحدر معه من بغداد ، يريد عليه ضريبة مقدارا يسيرا بسبب ذلك الحديد » وذكره ابن الفوطي في معجم الألقاب بصورة « باتكين » أيضا •

أخطأنا في التقدير بسنة واحدة فعددناها من حوادث سنة « ٦٤٣ » ـ الحوادث ص ٢٧٩ـ والحمد لله تعالى ـ على تنبهنا على هذا الأمر المهم الذي لم يفطن له غيرنا حتى العلامة البحاثة أحمد باشا تيمور صاحب المخطوطة الأم وهو هو . فابن الجوزي المذكور ولي استاذية دار الخلافة المستعصمية سنة « ٦٤٢ » لا سنة « ٦٥٣ » كما جاء في « مباحث عراقية » الذي نحن في سبيل التعريف به . ويؤيد ذلك حوادث ذكرها المؤرخون منهم علي ابن الحسن الخزرجي في تاريخه ، قال في حوادث سنة «٦٤٣» : « وفيه (في شهر رجب) توجه المستعصم بالله الى الصيد بناحية الأنبار فلما قدم بغداد كتب أستاذ الدار أبو المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي كتابا هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم المملوك العبد يوسف بن الجوزي ... » . ثم قال في وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله رابع شوال من سنة « ٦٤٣ » أيضا « وكتب أستاذ الدار يوسف بن الجوزي تعزية الى الخليفة فيها ... »[1] .

وفي الخبرين دلالة على أنه ولي أستاذية الدار في سنة « ٦٤٣ » أو قبلها ، ولما لم يكن أستاذ الدار في سنة « ٦٤١ » لزم أن يكون تولاها سنة « ٦٤٢ » أو سنة « ٦٤٣ » .

وكذلك القول في الخبر الذي يليه وهو ترتيب جمال الدين عبدالرحمن بن يوسف ابن عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ـ ص ١١٢ـ فانه ولي التدريس فيها لما نقل والده الى الأستاذ دارية أعني سنة « ٦٤٢ » على التحقيق ، قال الخزرجي في حوادث سنة « ٦٤٢ » :

« وفي شهر جمادى المذكور استدعى أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف الجوزي الى دار الوزير وشرفه بتدريس الطائفة الحنبلية في المدرسة المستنصرية »[2] .

وكذلك فعل المحقق الجليل في وفاة نقيب النقباء أبي طالب الحسين بن أحمد بن المهتدي بالله ـ ص ١٤٢ ـ قال ناقلا « سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥) وفيها توفي نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهتدي بالله . كان خطيبا بجامع الخليفة ... » . فنحن قد ذكرنا هذه الوفاة في حوادث سنة ٦٤٣ ـ ص ٣٩٢ ـ التي يجب أن تكون سنة « ٦٤٢ » يؤيد ذلك ما جاء في كتاب ابن كثير والخزرجي .

وجاء في ص ١٤٩ ما نصه « جاء في مناقب بغداد أن عمر بن بهلقا (كذا) الطحان استأذن بعمارة مسجد العقبة وصليت به الجمعة في منتصف شعبان سنة ٥٣٨ » . قال هذا

(١) أصول التأريخ والأدب (م ٢٢أ ص ١٥٨ـ٩) .
(٢) المرجع المذكور (ص ١٥٤) .

تعليقا على ما ورد فى كتاب الحوادث فى سنة « ٦٤٠ » من ذكر جامع بهليقا .

ولم يرجع الباحث المحقق الى كتاب الجامع المختصر فى الجزء التاسع منه وقد ذكرناه آنفا ، فقد ذكر فى حوادث سنة « ٥٩٨ » وفاة « أبى زكريا يحيى بن عمر بن على ابن أحمد بن بهليقا الطحان ، وكان أحد الشهود المعدلين ، قال المؤرخ ابن الساعى مؤلف الجامع المختصر « وجامع العقبة بالجانب الغربى المعروف بجامع بهليقا أبوه بناه »[1] . وقال الأب أنستاس مارى الكرملى فى فهرست الجامع المختصر – ص ٣٧٧ – : « ومعنى بهليقا بالارمية المطمئن النفس الساكنها أو الهادئها » .

ولم يرجع الى الجزء الثامن من مرآة الزمان ، قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٦٠ » هـ : « وفيها توفى عمر بن بهليقا الطحان البغدادى الذى عمر جامع بهليقا بالجانب الغربى من بغداد بالقرية ، كان مسجدا صغيرا ... »[2] . وقال ابن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٣٨ » : « وأذن فى اقامة الجمعة بجامع ابن بهليقا فصار أحد الجوامع المذكورة » . وفى حوادث سنة « ٥٦٠ » ذكر وفاة ابن بهليقا قال « عمر بن بهليقا الطحان عمر جامع العقبة بالجانب الغربى[3] ... » .

فهذه كتب مطبوعة كان الباحث المحقق خليقا بأن يراجعها ، أما التواريخ المخطوطة كتاريخ ابن الدبيثى وتاريخ ابن النجار فقد ذكرت ابن بهليقا وجامعه ولكن مؤلف المباحث غير ملزم أن يطلع على المخطوطات التى ليست عنده . ومرادنا بكل ما ذكرنا أن يقول ان الاسم « بهليقا » لا بهلقا .

وجاء فى ص ١٦٢ من الكتاب مقال فى « دفين جامع الآصفية » ولم يستوف الباحث المحقق الكلام على جامع الآصفية ، ولم يذكر ما الذى كان من قبل ، وهذا الذى حمله على الشك فى موضع « مسجد الحظائر » – ص ١٦٧ – أفى شمالى المستنصرية هو أم فى جنوبها ؟ ، وقال فى تلك الصفحة « يرينا كتاب المساجد أن جامع الآصفية هو من مرافق المستنصرية لكنه لم يرو لنا المصدر ، وقال القنصل الفرنسى ريموند فى بغداد عن طراز البنائين المذكورين انهما واحد ، وكان القنصل المذكور فى بغداد أوائل القرن

(١) ج٩ ص ٦٤ – ٥ والعقبة هى محلة الشيخ صندل الحالية وفيها ولد ابن الرومى كما فى وفيات الأعيان .

(٢) ج٨ ص ١٥٧ من طبعة شيكاغو و «ج٨ ص ٢٥٣» من طبعة الهند

(٣) المنتظم «ج ١ ص ١٠٨ ، ٢١٢» .

التاسع عشر وحكى لنا عن جامع الآصفية قبل أن يسمى بهذا الاسم فقال « ... المولاخانه تكية للدراويش لا يفصلها من المدرسة المستنصرية الا طريق يفضى الى الجسر والظاهر أنها منها وقد اتصل به أن المولاخانه كانت جامعا لطلاب المستنصرية » . ونقل من كتاب كلشن خلفا أن محمد جلبى كاتب الديوان بنىزاوية الدراويشالمولوية سنة « ١٠١٧ »هـ .

قلنا : ان تكية المولوية أى جامع الآصفية هى دار القرآن المستنصرية مع مسجد مجاور لها ، أمر ببنائها المستنصر بالله مع المدرسة المستنصرية ، فقد جاء فى الحوادث المطبوعة ـ ص ٥٣ ـ فى خبر فتح المستنصرية :

« فى جمادى الآخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها الخليفة المستنصر بالله ... فركب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة ... وقصد دار الخلافة(١) واجتاز بها الى دجلة ونزل فى شبارة منباب البشرى(٢) مصعدا الى « الدار المستجدة »(٣) المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى وهو الذى تولى عمارتها ، ثم عاد متوجها الى داره فى الطريق التى جاء بها » . ثم قال فى شروط المدرسة ـ ص ٥٨ ـ « وشرط أن يكون فى الدار المتصلة بالمدرسة ثلاثون صبيا أيتاما يتلقنون القرآن المجيد من مقرىء متقن صالح ويحفظهم معيد معه وله من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشغلين بعلم الحديث » .

وقال الخزرجى فى تاريخه فى الشروط « وأن يكون فى « دار القرآن المجيد » شيخ يلقن القرآن وثلاثون صبيا أيتاما ومعيد يحفظهم التلاقين ، يكون للشيخ فى كل يوم خمسة أرطال خبزا وعرقان طبيخا ، وفى الشهر ثلاثة دنانير وللمعيد فى كل يوم أربعة أرطال خبز وعرق طبيخا وفى كل شهر دينار وعشرة قراريط ولكل صبى من المتلقنين فى كل يوم ثلاثة أرطال خبزا وعرق طبيخا وفى كل شهر ثلاثة عشر قيراطا وحبة »(٤).

ومن المؤرخين من يخلط بين أخبار المدرسة المستنصرية ودار القرآن هذه لأسباب منها اتصال أخبارهما وتجاورهما واشتراكهما فى البانى وتاريخ البناء والافتتاح تقريبا .

---

(١) كانت دار الخلافة المذكورة فى الخبر على طول شارع المستنصر الحالى

(٢) لعل هذا الباب شريعة نجيب باشا وعنده مخزن أوروسدىباك

(٣) المستجد والمستجدة اصطلاح الدولة على تسمية مبانيها الحديثة تسمية عـامة .

(٤) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٢أ ص ١٢٦ » .

وذكرها ابن الفوطي في « معجم الألقاب » قال في ترجمة أبي الفضل يونس بن يحيى بن عبدالله الخالدي النيلي الخطيب « استوطن بغداد وسكن بالمسجد المجاور لدار القرآن بالمستنصرية ، وكان يتردد الأصحاب اليه »(١) . توفي سنة « ٦٩٣ » هـ .

وقال في ترجمة أبي محمد عبدالله بن عبدالغني بن سكينة الصوفي « كان شيخا خيرا متواضعا أحد صوفية رباط جده(٢) ومعيدا بدار القرآن المجاورة للمستنصرية ، توفي في ذي الحجة سنة اثنين وخمسين وستمائة ودفن بمقبرة معروف »(٣) .

وقال في سيرة عمر بن أحمد بن غزار اليعقوبي « كان في العدول أيام قاضي القضاة سراج الدين الهنايسي وكان شيخ دار القرآن المنسوبة الى المستنصرية »(٤) .

وفي ترجمة « مظفر الدين أبي عبدالله المبارك بن عبدالله » عتيق ابن الدامغاني ، الرومي المقرىء » : « رتب شيخا بدار القرآن بالمدرسة المستنصرية في شعبان سنة احدى وثمانين وستمائة ، وكان شيخا كثير التلاوة حسن الأداء »(٥).

وهذه الدار ليست « دار سنقرجا » التي في جنوبي المدرسة المستنصرية ، وانما هي دار القرآن التي ذكرناها آنفا في النصوص التاريخية ووصفها كتاب مساجد بغداد نقلا من تاريخ الصفدي ناقلا من تاريخ ابن الساعي – ص ٨٩ – بأنها « في الحد الأعلى منها ، فلم ير مثلها أحد ولا لادراك وصفها أمد » . ولا يزال ايوانها شاهدا بعظمتها وفخامتها وان اتخذ مخبزا قبلا ومحذاة أخيرا . ذكرنا ذلك لأن الباحث المحقق قال في كتابه – ١٦٨ – « ويسوقنا الى الظن ان دار سنقرجا كانت في شمالي المدرسة ما جاء في كتاب مساجد بغداد ... أن الدار المجاورة لهذه المدرسة في الحد الأعلى ... » فان أحدا لم يذكر أن دار سنقرجا هي « دار القرآن » المستنصرية حتى يصح توحيد المؤلف الجليل بينهما .

والخبر الذي نقله من الحوادث المطبوعة من أخبار سنة ٦٤٦ من أنه في غرق تلك السنة « نبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان

(١) « ج٤ ص ٤٦ » من نسختنا وراجع رسالة مؤرخ العراق – ابن الفوطي – ص ١٢ – فقد جعلت ترجمته لرجل آخر اسمه « عفيف الدين أحمد بن ميمون الحلي » .

(٢) يعني رباط شيخ الشيوخ وكان في موضع خان الباجهجي بسوق الكمرك ، وكان قبالة باب المدرسة النظامية .

(٣) المرجع المذكور – ص ٨٠ –

(٤) كذلك – ص ٢٤٣ – .

(٥) كذلك «ج٥ ص ٧١ » من نسختنا

المجاورة للمستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر المجاور لهذه الدار » ، لا يفيده شيئا بعد أن علمنا من تاريخ الصفدي بالواسطة أن دار القرآن المذكورة كانت في الحد الأعلى وأن لها تاريخا مستقلا ، وكذلك القول في الدار التي دخل السلطان محمود غازان منها الى المستنصرية فلم تكن الا دار سنقرجا[1] ، لأن دار القرآن لم تكن مسكنا لأمثال شيخ المشايخ ولا لغيرهم ممن لم ينص عليهم شرط الواقف المستنصر بالله الخليفة العباسي .

وبذلك يستبعد جدا قول الباحث المحقق – ص ١٦٩ – « واذا ترجيحي هذا أضحى من الآكد أو شبهه أن الدار المحكي عنها هي لسنقرجا فتكون الآصفية مسجد الحظائر المجاور لهذه الدار كما رأيناه . ولعل هذا المسجد هو جامع المستنصرية الذي ذكره كتاب الحوادث[2] » .

فقد ذكرنا جامع دار القرآن المستنصرية بل مسجدها فيما نقلنا من ترجمة يونس ابن يحيى النيلي آنفا ، ومسجد الحظائر كان مبنيا قبل دار القرآن بأكثر من « ٢٢ » سنة ، ألا ترى أن النص التاريخي الذي نقله يصفه بالمعروف بأم الناصر ، وقد نقل هو نفسه أنها كانت تعرف بزمرد خاتون وتوفيت سنة ٥٩٩ ودفنت عند معروف الكرخي –ص١٨٤–، فكيف يكون المسجد المبني قبل سنة « ٥٩٩ » في موضع الدار المبنية سنة « ٦٣١ » ؟ وكنا ذكرنا في الجامع المختصر « ج٩ ص ٥٥ » أن مسجد الحظائر المذكور هو مسجد الخفافين الحالي بسوق الكمرك ، وهو مشرف على دجلة ، ولو أحال على ذلك المرجع لترك لنفسه مجالا للتخلي عن احتماله الأول البعيد عن الواقع كل البعد ، فلذلك لم نجد بدا من الاشارة .

وممن ذكر مسجد الحظائر أبو عبدالله ابن الدبيثي في تأريخه ، قال في ترجمة أبي حفص عمر بن يوسف بن محمد المقرئ المتوفى سنة «٦١١» : « وأم بالمسجد الذي أنشأته الجهة الشريفة والدة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين – خلد الله ملكه ورضي عنها – بمشرعة المزملات ، سنين الى حين وفاته »[3] .

---

(١) جاء في حوادث سنة٦٩٦ من الحوادث المطبوعة أن غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها « نظام الدين محمود شيخ المشايخ » .

(٢) ذكر في حوادث سنة « ٦٧٢ » كما أشار اليه المؤلف في الأصل .

(٣) نسخة باريس المرقومة « ٥٩٢٢ عربي » الورقة « ٢٠٤ » .

ومنهم محب الدين محمد بن محمود بن النجار فى تاريخه ، قال فى ترجمة المترىء المذكور « ورتب اماما فى المسجد الذى بنته أم الخليفة الامام الناصر لدين الله بالحظائريين على شاطىء دجلة »[١] .

وقد تبين من الخبرين أن هذا المسجد بنى فىموضع الحظائريينعند مشرعة المزملات على شاطىء دجلة ، ولا تزال مئذنته من البناء الأصلى كما نبهنا عليه فى « محلة سومر » . ولو لم يذكر ابن النجار موضعه من الحظائريين لحق لنا أن نشك فى موضعه ، فالآن قد بين الصبح لذى عينين . وتبين أيضا أن دار الأمير سنقرجا كانت بين جامع الخفافين والمستنصرية وفى أرضها فتح مدخل الكمرك القديم أعنى بابه الحديث .

وجاء فى ص ١٧٨ « فحماه منهم الشيخ ظهير الدين البخارى (؟) المدرس » . ولا حاجة الى علامة الاستفهام فقد ذكره هو نفسه قبل ورقة بصورة « ظهير الدين محمد بن عمر النوحاباذى[٢] البخارى الحنفى » ـ ص ١٧٥ ـ .

ويتخذ المؤلف الفاضل « التكذية » أى وضع « كذا » من دون حاجة اليها أحيانا كما فى ص ١٧٣ « عين عليه (كذا) مشتغلا[٣] فى علم الحديث » . والأصل صحيح فهو من « عين على فلان » مثل « قصر عليه » فهو معين عليه ومقصور عليه[٤] . وجاء فى ص ١٧٧ « القاضى بدر الدين على بن محمد بن ملاق (كذا) وفوض اليه » . فلماذا وضع كذا ؟ . وفى ص ١٤١ « وفى آخر شعبان ٦٣٥ انتهى (كذا) عمارة باب جامع القصر » . وفى ص ١٣٧ « عند الباب الحديد (كذا) من شارع الرصافة » . ولا يجوز فى العربية الا « الباب الحديد » عند الوصف . وفى ص ١٢٢ « لأن جميع العباسيين فى تلك الديار معتقلين (كذا) » وهى حال . وفى ص ١١٨ « وفيه العتبة التى كانت (كذا) يقبلها الملوك والرسل » . أراد ان الأصل « تقبلها » . وفى ص ١١٤ « الذين كانوا فى دار الصخر (كذا) ودار الشجرة » ودار الصخر من الدور المشهورة فى خطط بغداد ، ولعل الباحث الفاضل تعوزه المراجع فى تحقيقها فهو معذور .

وفى (ص ١١٤) فى حوادث سنة ٦٥٦ : « ثم عين على بعض الأمراء فدخل

(١) نسخة باريس المرقومة « ٢١٣١ » الورقة « ١٢٦ »

(٢) كذا ورد والصواب بالجيم

(٣) وقعت فى المطبوع من الحوادث أيضا « مشتغلا » والصحيح « مشغلا » أى راويا ومقروءا عليه وغير ذلك

(٤) جاء هذا التعبير فى ص ١١٤ فلم يعترض عليه وسننقله بعد اسطار .

(هولاكو) بغداد ومعه جماعته » وزيادة « هولاكو » ليست صحيحة فان الأمير هو الذي دخل اذ ذاك لا هولاكو ، ويصح دخول هولاكو ولكن في غير هذه المرة .

وجاء في ص ٢ « وذلك دليلا عما أبرزه » والصواب « دليل على ما أبرزه » . فان الواو تثبت الابتداء والرفع ، وفي ص ٨ « ومستندة على ثقات الرواة » ، والصواب « الى ثقات » . وفي ص ٨ « وما هذه الدفينة الا جزءا » . والصحيح رفع جزء وفيه غير ذلك .

والذي ذكرناه من الأمور الطفيفة بالاضافة الى هذا الكتاب الحافل بالتحقيق والتدقيق ، الجزيل الفوائد الوافر المراجع والمنافع ، ولولا أن التنبيه واجب لاستحيينا أن نذكر ما ذكرنا لضآلته .

مصطفى جواد

العربية الغربية القـــــديمة

Ancient West-Arabian, by C. Rabin, London 1951.

طبع لندن ١٩٥١م· ص ٢٢٥ من القطع المتوسط · فيه خوارط للقبائل واللهجات ·

هذا الكتاب هو بحث في لهجات العربية الغربية ، أي الحجاز واليمن في القرنين السادس والسابع للميلاد ، لمؤلفه « حايم رابن Chaim Rabin » المحاضر في موضوع العبرانية قبل عهد التوراة بجامعة أكسفورد .

حملته على تأليفه هذا ، الدراسة التي قام بها في عام ١٩٣٧ للهجـات العربيـــة الشرقية ، ويقصد بها لهجات تميم وربيعة وأسد وعقيل وغني وقيس ولهجات أخرى تابعة لهذه المجموعة ، للحصول على درجة « دكتور » . وقد كتبها متأثرا بنظرية « كارل **فولرس** Karl Vollers المستشرق الذي أثار ضجـة في مؤتمـر المستشرقين الـذي انعقد في الجزائر عام ١٩٠٥ برأيه الغريب عن نص القرآن الكريم حيث زعم أنه نزل في الأصل بلهجة أهل الحجاز ، وهي لهجة الرسول ، ثم صقل ــ بزعمه ــ مرارا ــ ، صقله النحويون ليوافق العربية الفصحى التي هي لغة أهل البادية : لغة الشعر والادب الرفيع !! وقد كرر هذا الرأي وأعاده المستشرق « باول كاله Paul Kahle في محاضرة ألقاها بمدينة لندن عام ١٩٤٧ عن نص القرآن[١] .

1- Vollers, Volksprache Und Schriftschprache in alten Arabien, Strassburg 1906.

وقد أثارت هذه الدراسة في نفس المؤلف الشوق الى دراسة لهجات أهل العربية الغربية ، وهي لهجات أهل الحجاز واليمن ، فجمعها بين دفتي هذا الكتاب . وهو يتألف من أربعة عشر فصلا تحدث فيها عن اللغويين وما صنفوه في اللغات واللهجات ، وعن الآراء التي قيلت في اللغة الفصحى لغة الأدب عند الجاهليين ، ثم عن لهجات أهل اليمن عامة وما أورده اللغويون من أمثلة من لهجاتهم ، وبحث بعد ذلك في لهجة حمير ، فالأزد ، فاللهجات اليمانية الشمالية ، فلهجة هذيل ، فلهجات أهل الحجاز . وأعقبها ببحث عن الحركات ، ثم الحروف الساكنة ، ثم عن اللواحق والكواسع ، فلغة طيء .

وموضوع الكتاب في الواقع موضوع خطير ليس من السهل البحث فيه ، والوسائل والمواد قليلة يسيرة . لذلك حاول المؤلف جمع كل ما علمه من آراء وأقوال فيه ، ليكون للقراء فكرة عامة عن الموضوع . وهو يرى تقسيم اللهجات العربية الى مجموعتين : لهجات شرقية ، ولهجات غربية ، متبعا في ذلك التقسيم القديم الذي يرجع اللهجات الى أصلين : تميم ، وحجاز . ويرى أن لغة الشعر والنثر هي لهجة من اللهجات العربية الشرقية نبتت أصولها في نجد ، وقد استعملت في الحجاز وخاصة في مكة في الشعر والنثر ، وبهذه اللهجة نزل القرآن الكريم . أما لغة عامة الناس ، فكانت بلهجة أهل الحجاز !

وهذا التقسيم ، أو أي تقسيم آخر معروف في الزمن الحاضر ، هو تقسيم « كيفي » لا يستند الى اسس علمية وحجج قائمة . فما سجل في كتب اللغة عن اختلاف اللهجات نوادر ، والنادر لا يحكم عليه . وهو في الغالب مفردات ، والمفردات لا تعطينا فكرة علمية صحيحة عن التركيب والجمل والكل . ولهذا وجب الرجوع الى النصوص المدونة قبل الاسلام ، والى دراسة لهجات القبائل الباقية ، وتحليلها بالأساليب العلمية الحديثة المتبعة في دراسة اللغات للاستعانة بها في الرجوع الى الماضي . أما طريقة « حايم رابن » وأمثاله ، فهي وان كانت تريد السير على المنهج الذي ذكرته ، ولكنها لا تزال بعيدة عنه كل البعد ، لذلك وجب الحذر كثيرا من التسليم بما ورد في الكتاب من آراء ، وفيها ما يجب رفضه ونبذه ، وليس من العسير تمييزه .

جواد علي

= رد عليه بعض المستشرقين مثل « نولدكه في كتابه » :
The Noldek, (Zur Sprache des Korans) in Neue Beitrage Zur Semitisxhen Sprdchwissenschaft 1910.

موجز تأريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى الزمن الحاضر

المؤلف جورج • اى• كيرك

A Short History of the Middle east From the Rise of Islam to Modern times

by Goeorge E. Kirk

أخرجت شركة Metuen للنشر بلندن هذا الكتاب لمؤلفه « جورج كيرك » ، وأصله محاضرات ألقاها المؤلف فى « معهد الشرق الأوسط للدراسات العربية » Middle East Centre for Arab Studies على الطلاب الانكليز الذين يرغبون فى الاشتغال فى الشرق الأوسط ويحتاجون الى تفهم روحية السكان فى هذا القسم المهم من العالم ، واتجاهاته ، وتأريخه القديم • فهى اذن محاضرات ذات صبغة عامة رسمت الخطوط الأساسية لـ « خارطة » السياسة الحاضرة فى بلاد الشرق الأدنى بتدقيق وعناية • فأما الفروع والقضايا الأخرى التى تهم المتخصصين ، فلم تتطرق اليها هذه المحاضرات ؛ لأنها وضعت لأناس ليسوا من المستشرقين ولا من العلماء المتخصصين ، وانما هم طبقة من الموظفين والسياسيين الذين ترسلهم حكومتهم الى بلاد الشرق الأوسط ، فهم أنفسهم فى حاجة الى تعرف حالة السكان الذين سيشتغلون بينهم ، والى الاطلاع على الأفكار العامة التى تسود جو السياسة فى الشرق الأوسط ، والى المعرفة الضرورية التى تنير السبيل لهم للعمل فى كل قطر من هذه الأقطار التى تدخل فى نطاق هذا المفهوم : تلك الأفكار التى تمهد لهم طريق التخصص ، وتعرف على المشكلات البلدية والقطرية فيما بعد •

وقبل أن أدخل فى نقد الكتاب ، أرى لزاما على أن أشرح المراد من Middle East فى الزمن الحاضر ، فقد تغير مفهومه منذ الحرب العالمية الأخيرة عما كان عليه قبل نشوبها ، اذ كان ساسة أوربة يقسمون القارة الآسيوية الى ثلاث مناطق : منطقة الشرق الأقصى ، أى (The far East) وتشمل فى الدرجة الأولى اليابان والصين والبلاد التى تعتمد عليها ثقافيا وجغرافيا • ومنطقة الشرق الأوسط ، أى (Middle East) ، وتشمل الهند وبرما وأفغانستان وايران • ومنطقة « الشرق الأدنى » ، أى (Near East) ، وتشمل أرضى الانبراطورية العثمانية القديمة وشبه جزيرة العرب • غير أنه لأسباب

غير واضحة حتى الآن تغير مفهوم (Middle East)منذ وقعت الحرب العالمية الأخيرة حتى الآن ، فأطلق مثلا على قيادة القوات البريطانية المرابطة في مصر « قيادة الشرق الأوسط « Middle East Command ، وأطلق هذا الاصطلاح على عدة من المؤسسات البريطانية الأخرى في القاهرة مثل « مركز تموين الشرق الأوسط » . وقد أثار هذا التبديل شيئا من النقد في « البرلمان » البريطاني ، فطلب من الحكومة البريطانية أن تبين الأسباب التي دعت الى هذا التغيير ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية في نيسان سنة ١٩٤٦ أن الحكومة قد وافقت على اطلاق مصطلح Middle East على العالم العربي والممالك المجاورة له ، وهو اصطلاح أملته التجارب العملية . ولا يزال الأمريكيون يفرقون بين (Middle East) و (Near East)

أما مؤلف الكتاب « جورج كيرك » ، فهو من المتخصصين بعلم الآثار ، وقد اشتغل في الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الأخيرة ، وللخبرة التي حصل عليها وتتبعه لمجاري الفكر والاتجاهات الحديثة في الشرق الأوسط واتصاله بالزعماء البارزين اختير للعمل في دوائر الاستخبارات البريطانية في القاهرة . ولما استسلمت ايطالية نقل الى القدس ، وهناك جعل محاضرا في « معهد الكولونيل برترام توماس للشرق الأوسط للدراسات العربية » الذي يعنى بتدريس الضباط البريطانيين (من القوات المسلحة الثلاث البرية والجوية والبحرية) والموظفين البريطانيين المدنيين ، مدة سنة ، تأريخ الأقطار العربية ومدنيتها وعاداتها ولهجاتها وآداب اللغة العربية . فلذلك تهيأت للمؤلف في أثناء اشتغاله في دوائر الاستخبارات في القاهرة والقائه المحاضرات في هذا المعهد مادة سمينة ومراجع مهمة رجع اليها في تكوين كتابه وفي بناء محاضراته التي ألقاها في « المعهد الملكي للشؤون الخارجية » بلندن ، ثم ألف منها هذا الكتاب .

ان تأليف كتاب مركز موجز في تاريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى زماننا ، عمل جد عسير . ولاسيما اذا أريد أن يكون جامعا سمين المادة ، يرسم الخطوط الأساسية والاتجاهات الرئيسة التي ظهرت في مختلف نواحي الحياة في هذه العصور . ومع ذلك استطاع المؤلف أن يجتاز الموانع بسلامة ، ويصل الى هدفه في أقصر وقت ممكن مع غلطات اذا قيست بغلطات غيره كانت قليلة قلة نسبية ، ولا سيما غلطات الأقسام العصرية من الكتاب ، وهي تمثل سياسة الزمن الحاضر ، وقد حصل على خبرة عملية فيها لم تتهيأ الا لقليل من أمثاله الذين عرفوا مداخل السياسة البريطانية وزوايا شعب الدوائر الاستخبارية ، واطلعوا على الوثائق السرية التي لا يستطيع أن يقف عليها الا

موظفو تلك الأقسام •

وقد وضع المؤلف فى هذه الصفحات البالغة عدتها • ٢٨٩ • صفحة خلاصة مركزة للحياة السياسية ، والمذاهب السياسية الحديثة التى وجدت سبيلا الى أقطار الشرق الأوسط ، وأهم القوى التى تقوم الآن بدور فى الميدان السياسى ، غير أنه لم يغفل مع ذلك عن النواحى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى لها دخل كبير فى المحافظة على التوازن السياسى فى كل قطر •

وتظهر براعة المؤلف فى ابراز فكرته بصورة سلسة مبتدئا من الفصل الخامس الخاص بالتجديد ، ونماء الفكرة القومية عند العرب من سنة ١٨٠٠م فما بعد ، فقد رسم فى هذا الفصل وفى الفصول التالية له صورا واضحة حية مفهومة لنضال الشعوب العربية من أجل حريتها وقوميتها واستقلالها ، وللتخلص من سيطرة الأتراك والأوربيين حتى سنة ١٩٤٨ م •

تحدث المؤلف فى هذه الفصول عن جهاد العرب فى سبيل استقلالهم من سنة ١٩١٨م حتى سنة ١٩٣٩م ، وهو يمثل العهد الأول من عهود هذا الجهاد • ثم تحدث فى الفصل السابع عن الحرب العالمية الأخيرة وما بعدها ، ووضع الشعوب العربية فى هذه الحرب • ثم تحدث فى الفصل الثامن عن البلاد العربية فى الوقت الحاضر أى سنة ١٩٤٨م والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تعانيها الأقطار العربية ، وخصص الفصل التاسع بروسية والشرق الأوسط • فأما الفصل العاشر ، وهو خاتمة الفصول ، فقد خصص بالدول الغربية وعلاقاتها بأقطار الشرق الأوسط فى هذا العصر • وبذل المؤلف مجهودا يقدر لافهام القارىء التطورات التى حدثت فى الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الأخيرة ، والتغير الذى طرأ على مختلف النواحى المادية والروحية فى البلاد العربية ، ثم رغبة السكان فى التخلص من نفوذ كلمة الاستعمار القديم • وبحث عن الجامعة العربية والآمال التى كان العرب يعقدونها عليها من حيث انها ستقوم باصلاحات كبيرة فى الأقطار العربية فى التربية والتعليم والزراعة والاقتصاد والحالة الصحية ورفع مستوى السكان • وهو يرى أن الجامعة لم تتمكن من تحقيق هذه الآمال ، ولم تنجح فى حل هذه المشكلات المعقدة التى يتذمر منها العالم العربى ، لأسباب كثيرة يرجعها فى الغالب الى عوامل تأريخية ورثها العالم العربى من العصور السابقة ، منها العقلية البدوية التى لا تزال تتحكم فى النفوس ، وان كان ذلك لا يستلزم أن يكون حملتها من

رجال الخيام والجمال .

وقد سار « جورج كيرك » على القاعدة التى وضعها المؤرخ الانكليزى الشهير « تريفليان » G. M. Trevelyan فى معالجته للبحوث التأريخية ، وهى : أن الأحوال الاجتماعية رهينة الأحوال الاقتصادية . فأما الأحوال السياسية ، فهى نتيجة الأحوال الاجتماعية . وعلى هذه القاعدة سار فى نقده وتحليله للأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأوسط .

وفى ضوء هذه الفكرة استعرض المؤلف مشكلات شتى من التى يعانيها العالم العربى فى هذه الأيام ، فتكلم فى مشكلات توزيع الأرضين وحالة الفلاحين فى مصر وفى الأقطار العربية الأخرى ، والفروق التى ظهرت بين الفلاح وصاحب الأرض ، وانخفاض مستوى المعيشة عند الفلاحين ، وقلة ما يتناولونه من الوقدات « الوحدات الحرارية = الكالورى » الضرورية اللازمة لمعيشة انسان ، وما تولد عن ذلك من انخفاض النتاج ومن ظهور مشكلات ذات خطر بين أصحاب الأرضين والفلاحين الذين لا علاقة طبيعية لهم بالأرض بسبب هذه القوانين التى ورثوها من أيام الاقطاع . ثم تكلم على النفط ، وأثره فى اقتصاديات البلاد العربية ، واستغلال الشركات له ، والنزاع الانكليزى الأمريكى على امتلاك آبار. وكيف أثر ذلك فى الوضع السياسى للبلاد العربية وفى تعين الحدود ، فبينما كانت أمريكة تريد مثلا الحاق لواء الموصل بتركية متأثرة بضغط رجال شركات النفط الأمريكية ، اذ أرادت بريطانية الحاقه بالعراق رغبة منها فى استثمار نفط العراق وآبار. بكمالها لا حبا للعراق . وقد كان ذلك موضع مساومة مع رجال الحكومة العراقية وضغط لهم كى يتساهلوا فى شروط الامتيازات .

وكان مما قاله فى « الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى الوقت الحاضر » أن العامل الرئيس فى فقر الطبقات القروية والمزارعين يعود الى الجور فى توزيع الأرضين فى جميع أقطار الشرق الأوسط ، ففيها يملك عدد ضئيل من الاقطاعيين أرضين شاسعة ، مع أن هنالك ألوفا بل ملايين من الناس لا يملكون غير بقاع صغيرة ، أو يشتغلون بالأجرة أو باللزمة من كبار الاقطاعيين . وقد يمر جيل أو جيلان حتى تظهر طبقة مهذبة متعلمة تتمكن من اصلاح الفاسد وتقويم المعوج ، الا اذا حدث انقلاب اجتماعى تفرضه حوادث خارجة عن نطاق العالم العربى » .

وقد انتهى فى كتابه الى هذه النتيجة ، وهى : أن السنين التى مرت بين تنبه الوعى القومى فى البلاد العربية ، والحرب الأخيرة ، على ما صحبها من تحسن فى الحالة

الاقتصادية والاجتماعية ، كان التقدم فيها بطيئا لم يحقق كل رغائب الوطنيين ، والأكثرية من الشعب • وقد أشار الى أضرار ذلك ، والى الخطر الذى ستتعرض له مصالح الدول الغربية اذا هى ظلت صامتة تنظر الى الحالة بغير اكتـرات ولا اهتمـام ؛ لأن روسيـة السوفيتية التى تنظر الى الشرق نظرة جد واهتمام ، من حيث انه مواضع وثبة لابادة الجهاز الاقتصادى والحربى الروسيين ، ستنتهز فرصة هذه الحالة من الفوضى الاجتمـاعيـة والسياسية الضاربة فى البلاد لازعاج الدول الغربية ولحرمانها الاستفـادة من هـــذه المنطقة بجعلها قاعدة حربية فى حرب مقبلة تخشاها •

وتحدث عن الطبقة الوسطى ومشكلاتها ، وظهور هذه الطبقة فى مصر وتركية ولبنان ، وعن حاجات الجيل المتعلم الجديد الذى أخذ يفكر تفكيرا يختلف عن تفكير أسلافه بالنسبة لفهمه لمطالب الحياة ، وعن المشكلات التى أخذت تعانيها هذه الطبقة ، ومشكلات التربية والتعليم ، والغاية من التعليم ، وتذبذب وجهات نظر المربين فى الشرق الأوسط • وتطرق الى موضوع تهيئة جيل صالح قوى بتفكير- بدلا من تهيئة طريقة من التلاميذ تعتمد أول ما تعتمد على الحافظة ، وعلى حفظ متون الكتب المدرسية لاجتياز الامتحان • وتطرق كذلك الى بحث الأحزاب السياسية ومفهوم الفكرة الحزبية ، والى الجمعيات السياسية والجمعيات والنوادى الثقافية وموضوع الجامعة العربية والمشكلات التى تعرضت لها هذه الجامعة مثل انقسامها الى معسكرين ، والعوامل الشخصية والعيالية التى يرجع اليها فى الواقع أسباب هذا الاختلاف •

وعرض للصهيونية ، فظهر بمظهر المحايد ، وأوضح فى مواضع كثيرة من مؤلفه أغاليط اليهودية وتهويلها للأمور بالنسبة لقضية فلسطين ، وبين بأسلوب مستتب رصين أن ما نشرته وما تنشره الجمعيات الصهيونية عن الأعمال الخارقة التى قامت بها فى اصلاح تربة فلسطين ، وما ادعته من تقدم صناعى وعما سيمكن احداثه فى مستقبل الزمان فى الناحيتين الصناعية والاقتصادية وعن المشروعات الكبرى التى أعلنتهـا فى الصحف العالمية لرفع مستوى المعيشة فى جميع الشرق الأوسط ، وايجاد خطـة للاستيطـــان والاستقرار : كل هذه الأعمال هى مجرد ادعاءات لا تستند الى حقيقة ، ولا الى أسس دراسية علمية ؛ ولذلك لم يلاق هذا الكتاب قبولا حسنا من الصهيونيين ، وعدوه من الكتب التى تدافع عن وجهة نظر العرب من طرف خفى •

وبعد فالمؤلف رجل انكليزى ، ولا يمكن مؤلفا مهما أوتى من العلم أن يتجرد من ميله وعواطفه التى تطغى على العلم والعقل ، ومثال ذلك ما أورده فى كتابه من أن وزر

هذه الاضطرابات التى وقعت فى الشرق من جراء قضية فلسطين انما يقع على عاتق العرب واليهود ، لا على عاتق الانكليز الذين كانوا أعطوا العرب تلك الوعود المعروفة ثم فاوضوا اليهود بشأن انشاء وطن قومى ، ثم حاروا فيما بعد فى كيفية التوفيق . وأنا لا أعتقد أن أحدا يمكنه أن يوافقه على هذا الرأى ، كما لا يمكن أن يوافقه انسان كائنا من كان فى اعطاء بريطانية أو دولة أخرى حقا فى جواز نزولها عن قطر من الأقطار ولو امتلكته بحد السيف .

هذا والكتاب بجملته جدير بالمطالعة ، وأنا أوصى بترجمته ليستطيع من لا يحسن اللغة الانكليزية قراءته ، لما جاء فيه من أمور يجهلها أكثر الناس ، وليطلع عليه من يحب الوقوف على تيارات السياسة فى الشرق الأوسط وخفاياها .

جواد علي

شمسو

مسرحية شعرية بابلية

نظم الشاعر المحامى السيد خالد الشواف

طبعت بمطابع دار الكشاف ببيروت سنة ١٣٧١ – ١٩٥٢ ، فى ١١١ صفحة

الشعر التمثيلى باب جديد فى الأدب العربى . أول من طرقه وجعل منه فنا طريفا ، أمير الشعراء أحمد شوقى بك المتوفى سنة ١٩٣٢ رحمه الله محتذيا به مسالك شعراء أوربة فيما ينظمون فى هذا الباب . وقد أتى – فيما وضع من رواياته المشهورة التى مثلت على المسارح وأخرجت اخراجا « سينمائيا » – ببرهان جديد على طواعية اللغة العربية فيما تنتدب له من الابانة عن مختلف أغراض الحياة ، وقدرتها التامة على الافصاح عن مكنونات الضمائر وخلجات القلوب وكل ما جل أو دق من المعانى والأفكار والأخيلة اذا أتيح لها الفكر المبتكر واللسان المعبر والقلم الصناع .

وجرى نفر قليل من شعراء العربية ، من بعد ، فى مصر والشام ، فى ميدان أمير الشعراء . فنظموا روايات مسرحية جيدة أصاب بعضها حظا من الذيوع والانتشار ، وأخرجت اخراجا « سينمائيا » كما أخرجت رواياته . وكان أعظم هؤلاء حظا من هذا التوفيق ، الشاعر عزيز أباظة . وكل أمر جديد ، يستعصى على الرغبات حتى يتاح له العقل المبدع فيجعله شيئا ذائعا ومطلبا سهلا ميسورا !

أما (شمسو) ، فهى أول مسرحية شعرية ينظمها شاعر عراقى من طلائع الجيل العربى الناشىء على ضفاف الرافدين ، ويذيعها فى الناس ليستدل بها على الانبعاث الأدبى الجديد فى هذا الصقع من أجزاء الوطن العربى الأكبر • ولا نحسب أن السيد خالدا الشواف حين نظم هذه المسرحية كان طامعا فى أن يكون لمسرحيته حظ من التمثيل على المسارح أو حظ الاخراج « السينمائى » ، فان هذين الأمرين لم تنفرج لهما أبواب الحياة فى العراق كما انفرجت فى مصر خاصة من بلاد العرب ، ولن يطمع مثله فى الظفر بما لا وجود له فى البلاد التى يحيا فيها • ولعل كل همه من نظمها وتأليفها أن يفرج عن نوازعه الوطنية المكبوتة بافراغها فى قصة مسرحية شعرية • ولقد صور فى هذه المسرحية فترة من عهود البابليين ازداد فيها توثب الأقوام الطامعة فى بلاد ما بين النهرين على أطراف المملكة البابلية ، وافترض الأحداث والوقائع والأسماء التى ملأت تلك الفترة افتراضا ، وهو فى واقع الأمر لم يقدم بها تأريخا شعريا لحوادث وقعت فى بابل ، وانما قدم فكرة اصطنع لها جوا بابليا ، وصورة جديدة وضعها فى اطار قديم ، أو كما قال •

ولقد أصاب الشاعر حظا جزلا من التوفيق فى تصريفه القول على ألسنة أبطال مسرحيته ، وأصاب حظا آخر من جمال الشعر جزلا أيضا • وكنا نحسبه من قبل لا يحسن الا ضربا واحدا من فنون الشعر هو الشعر السياسى الثائر ، فكشف بهذه المسرحية عن قدرة على الافتنان والتنويع مع حظ موفور من الحلاوة والعذوبة كقوله فى بعض مسرحيته على لسان فلاح يغنى أغنية الفجر :

كوخ وراء الفرات مستغرق فى سبات
مر به الفجر واستيقظ الكون
لكنه غاف فى حضن شاطيه
كوخ بعيد بعيد لم يدر عنه الوجود
كأنه سر يكتمه الحزن
فى مهجة خاف لا شىء يفشيه
كوخ بعيد هناك لم تدن منه خطاك
نضره الزهر والشط والمزن
وجوه الصافى شب الهوى فيه
يحيا به عاشقان طول الدجى يحلمان
عشتار والبدر شجاهما لحن

دوحـة صفصـاف بـاتـت تغنيـه

وقوله على لسان « شمسو » :

يا ابنة العم ! غدا يجمعنـا ذلك الكـوخ ، فـلا نفتـرق
يهجع المغرب ، والحب كما هو يقظان ، ويصحو المشرق
يطلع النجم علينا حانيـا ويناجينا السنـا والألق
وتغنينا القمـارى ضحى ويحيينا الأريج العبـق
وضفاف « الشط » فى سندسها والفرات المرح المصطفق

وقوله على لسان « شمسو » أيضا يخاطب « نيرما » :

نيرما ! أنظرى عشـا سنعمره بين الرياض هناك قد جثمـا
أرأيت مهدا فيه من زهـر من كل لون ورده انتظمـا
طفل عليه وطفلة رقـدا يستقبلان النوم ، وابتسمـا
الطفل يلثم أخته مرحا فتروح صارخـة اذا لثمـا
فيضج من ضحك ونحن معا حتى يرف النوم فوقهما ..

وقد نقلنا هذه الصور من أول ما وقع عليه نظرنا عرضا ونحن نقلب أوراق المسرحية وتصفحها ، ولم نتعمد اختيارها ، والمسرحية كلها من هذا النسج فى اشراقه وسلاسته وسلامته ، وقلما عثرنا فيها على لفظ أو تعبير تجوز الشاعر فى استعماله ، كقوله (ص ٢٦) : نجمة ذات سناء وسنا .. ولم يسمع من عربى تأنيث النجم ، وقوله (ص ٢٦ أيضا) : وجندلته النظرة الآسرة .. وانما صوابه « جدلته » من غير نـون ، أى طرحتـه على الجدالة وهى الأرض ، وكاطلاقه « الشط » على « النهر » فى بيته المتقدم :

وضفاف الشط فى سندسها والفرات المرح المصطفق

والشط انما هو الشاطىء ليس غير . وهى هفوات يسيرة وددت لو سلم منها هذا الشعر الجميل ، ولكن من ذا الذى يبرأ من أمثالها ؟

ولعل من حق القارىء ــ من بعد ــ أن يعلم أن هذا الشاعر لا يزال فى عنفـوان شبابه وازدهاره ، وأن مسرحيته هذه هى باكورة آثاره .

محمد بهجة الأثرى

عمـــدة الصرف

تأليف الأستاذ كمال ابراهيم

طبع بمطبعة النجاح ببغداد ، فى ٣١٢ صفحة ، سنة ١٩٥١ م

علم الصرف من العلوم التى نضجت واحترقت . ومعنى نضجه واحتراقه أن العلماء قد أوسعوه تمحيصا وتحريرا وأكثروا من التأليف فيه . وليس معناه أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فيه ، وأن التأليف فيه ضرب من العبث كما يتبادر الى بعض الأفهام من ذلك .

وقد كان هذا العلم الى عهد قريب أقل علوم العربية عناية به فى هذه المعاهدالرسمية التى تعد المدرسين للمدارس الثانوية خاصة ، مع مسيس الحاجة اليه . ولعل الجيل الناشىء لا يجهل شيئا من علوم العربية أشد من جهله لهذا العلم . ولا ريب فى أن احياءه بتدريسه والتأليف فيه على نحو يقرب مقاصده البعيدة الى الأذهان ، ويعرضه عرضا جديدا يحببه الى الشداة ويريهم خطره وجزالة نفعه ـ كما صنع مؤلف هذا الكتاب ـ سيشد من أزر الدراسات العربية التى كادت تمحل فى هذا القطر ، لقلة العناية بها ، بعد أن كان العراق مباءة العربية وفيه وضع علماء الكوفة والبصرة وبغداد أصول النحو والصرف والاشتقاق وألفوا دواوين اللغة العظيمة فصانوا بذلك الفصحى وحفظوها من الاندثار .

وقد ألف الأستاذ كمال ابراهيم هذا الكتاب بعد أن قام بتدريس موضوعه لطلاب فرع الآداب فى دار المعلمين العالية ببغداد ، وحرره مادة فمادة حتى سلم له من الشوائب التى يقع فيها عادة من يقتحمون التأليف اقتحاما ولا يتهيأ لهم ما تهيأ للمؤلف المذكور . وهو ثقة فى هذا العلم ، لطول عنايته به ، وممارسته له . وأنت تلمس آثار اجتهاده وتمكنه من أصوله وفروعه ، فى هذا العرض السهل الجديد الذى عرض فيه مواد كتابه ، وقد اتبع فيه طريقة تقديم كل بحث بطوائف مختلفة من الأمثلة التى تتمثل فيها قواعـده الأساسية ، ثم ذكر بعدها القواعد مشيرا فى ذكر كل قاعدة الى الطائفة التى تمثلها من الأمثلة عارضا الى ذلك أمثلة أخرى أيضا خلال البحث ، وعقب كل موضوع بتمرينات عدة تشتمل على صور شتى من فصيح الكلام لتطبق عليها القواعد وعلى صور مختلفة من الألفاظ والتراكيب من حيث العرض والسؤال لشحذ الأذهان وتقوية الملكات .

وقد قرر مجلس الأساتذة تدريس هذا الكتاب فى دار المعلمين العالية ، وطبعته وزارة المعارف بنفقتها ثقة بصحته وجزالة فائدته .

محمد بهجة الأثرى

في أصول النحو

تأليف الأستاذ سعيد الأفغاني

طبع بمطبعة الجامعة السورية ، سنة ١٣٧٠ = ١٩٥١ ، وعدد صفحاته ١٩١

ضمن المؤلف المحقق كتابه هذا محاضرات أربعا صدرها بمقدمة وذيلها بخاتمة • فأشار فى « المقدمة » الى منهاج اللغة العربية فى كلية الآداب بالجامعة السورية ، وارتياحه الى ثمرات تدريسه مدى سنتين ، وما قدم بين يدى دراسته تلك من مباحث جعلها مادة هذا الكتاب وحرص فيها على أن يتزود الطلاب مادة صالحة مع مسايرة النظرة التأريخية ومراعاة مستواهم وحاجتهم • ودعا فى « الخاتمة » الى اعادة النظر فى بناء قواعد اللغة ، وتحديد الهدف منها لوضع أخصر المناهج وأوضحها وأسرعها ابلاغا ؛ وشكا ــ كما يشكو كل غيور على سلامة اللغة العربية ــ بلبلة الأوضاع واختلاط المذاهب ، وأشار الى اضاعة الجهود المبذولة فى سبيل الاصلاح اللغوى فعزا ذلك الى من وضعهم الزمن ــ على حد تعبير ــ فى أعلى الهرم ، ووكل اليهم الخطوة الأخيرة ، فقصروا فى التنفيذ لأنهم فقدوا الوعى والاخلاص والمضاء ، وبذلك دفنت الأفكار الاصلاحية فلم يخرج شىء ما منها من حيز القوة الى حيز الفعل ، وذهبت الجهود والأموال والأعمار هباء منثورا •

أما المباحث التى تضمنها الكتاب ، فهى :

(١) الاحتجاج فى اللغة العربية : بحث فيه اللحن وتابعه ــ العلوم التى يحتج لها ــ من يحتج بكلامه من العرب ــ ما يحتج به من الكلام ــ قواعد الاحتجاج (٦ـ٥٩)•

(٢) القياس : تناول فيه تأريخ القياس والقياسيين ــ أثر العلوم الدينية فى القياس ــ أحكام القياس ــ موقف المصريين من القياس ــ قرارات مجمع فؤاد الأول فى التضمين والتعريب والمولد وغيرها (٦٢ـ١٠١) •

(٣) الاشتقاق : معناه ــ أنواعه ــ مصدره ــ أحكامه ــ موقف علماء العربية منه (١٠٤ ــ ١٣١) •

(٤) الخلاف : لمحة تأريخية « مدرسة البصرة ــ مدرسة الكوفة » ــ نشأة الخلاف ــ الفروق بين المذهبين ــ أثر العصبية فى الخلاف ــ كتب الخلاف ــ خلط المذهبين الكوفى والبصرى فى بغداد والشام والأندلس (١٣٤ ــ ١٨٣) •

وقد لم المؤلف هذه المباحث الواسعة ــ ومعظمها الى تاريخ أصول اللغة أقرب منه

الى أصول علم النحو ـ من أطرافها ، وأحسن جمعها وتلخيصها وتهذيبها ، وعرضها فى نسق مطرد جميل عرضا تحس فيه هضمه لها واستقلاله فى شرح آرائه ناقدا وموجها ـ على ما يستعين به فى مواضع كثيرة من أقوال غيره من الأوائل والأواخر ، لا على سبيل الجمع والحشد كما يصنع المتكثرون ، ولكن على سبيل التأييد لمذهبه والتمكين لرأيه . ولأحرار الفكر من علماء العرب ، آراء غاية فى الجدة وعظم النفع فى باب الاصلاح ، ولكن طغى عليها جمود الجامدين فى العصور المستعجمة ، فقتلها ، ولم تنتفع بها الأمة فى ورد ولا صدر على عظيم احتياجها الى الاستصباح بأنوارها والسير على هديها . وفى بعثها ، وربط الأفكار الحديثة الحصيفة بها على نحو ما صنع الأستاذ الأفغانى ، بعث للعبقريات العربية المطموسة ، ووفاء لتأريخ الفكر ، واحياء لمجد العرب والعربية .

ولقد أحسن المؤلف الطبع ، كما أحسن الوضع ، فلم يستدرك عليه من غلطاته فى « جدول الخطأ والصواب » الا تسعا . واستدركت عليه ، وأنا أتصفحه ولم يكن من همى تصيد الغلط أو تقصيه ، أقل من ذلك كقوله فى (ص ١٤٠ س١) « بأخره » وصوابه « بأخرة » ، وقوله فى (ص ١٦٥ س ١٥) « ابن دستوريه » وصوابه « ابن درستويه » وهو لغوى مشهور لا يمكن أن يقع الخطأ فى اسمه الا من قبل المطبعة أو من سبق القلم ، وقوله فى (ص ١٧٨ س ١) « المتوفى » بنقطتين تشعران أنها بصيغة اسم الفاعل ، وليس بمراد قطعا فى هذا الموضع ، انما هو المتوفى بصيغة اسم المفعول ، والله تعالى هو الذى يتوفى الأنفس فهى متوفاة لا متوفية ، وليس مثل هذا بخاف على المؤلف المحقق .

وروى المؤلف الفاضل فى (ص ١٧٧) هذين البيتين نقلا عن بغية الوعاة للسيوطى (ص ١٧٣) ، وهما مما تمثل به ثعلب حين هجاه المبرد :

يشتمنى عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى لـه من ذا يعض الكلب ان عضا ؟

وقد تغاير فى البيت الأول العطف فكان المعطوف (فصنت) ماضيا ، والمعطوف عليه (يشتمنى) مضارعا والذى وقر فى حافظتى من رواية هذا الشعر ، هو :

شاتمنى عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرضا

ويقال : « شاتمه فشتمه يشتمه ، أى غلبه بالشتم » كما نص على ذلك الزبيدى فى مستدركاته فى تاج العروس ، وهو مقصود ثعلب هنا لا شك ، وبه تتحد صيغة المعطوف والمعطوف عليه على ما تقتضيه أصول النحو .

واستعمل فى (ص ٢٨ س ٢) « نقص » بمعنى « أعوز » حين قال : « اذ كانت

خطتهم ينقصها الاحكام فى المنهج » . واستعمال ذاك مكان هذا شائع فى كتابات أهل العصر ، غير أنه لا تعين نصوص اللغة على قبوله .

وقال فى (ص ٧٤) : « ونحن نتعرف الى منهجه فى القياس من كتابه **(الخصائص)** الذى يدور على الغوص على أسرار اللغة الشاملة » وأرى أن الحرف (الى) بعد الفعل (نتعرف) زائد ؛ لأنه يقال : « تعرف ما عند فلان » أى تطلبه حتى عرفه ، نعم ، يقال : « تعرف الى فلان » لكن بمعنى آخر ، أى جعله يعرفه ، وأحسب أن الأول هو المراد هنا .

ثم قال وهو تمام الجملة المتقدمة : « ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلا » ، وضبط الفعل (يطرد) « بضم الياء وتسكين الطاء وكسر الراء » وعداه ، وكذلك فعل فى مكان آخر ، فى (ص ١٣٠) حين قال : « لابد من اعادة النظر فى باب الاشتقاق، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه ... فنطرد من قواعده ما كان غير مطرد ، ونكمل المواد الناقصة فى المعاجم » فعدى (نطرد) وأراد « نجعله مطردا » وضبطه بضم النون وتسكين الطاء ، كما ضبط (مطرد) بالضم فالسكون . ولم يعرف ذلك من استعمالات أطرد الرباعى فى اللغة ، كما أنه لم يرد المؤلف ولا واحدا من معانيها فى هذين الموضعين . قالوا : أطرده اذا أمر بطرده وابعاده ، وقالوا : أطرده اذا صيره طريدا ، وقالوا : أطرد السابق صاحبه قال له ان سبقتنى فلك على كذا وان سبقتك فلى عليك كذا . ولم يرد من هذا الفعل أطرده بمعنى جعله مطردا أى مستقيما . والمراد هنا انما هو الاطراد ، والاطراد «افتعال» لازم لا متعد ، ومنه القياس المطرد (بضم الميم وتشديد الطاء وكسر الراء) وهو القياس المستقيم على وجهته لا شذوذ فيه . قال علماء اللغة : اطرد الشىء : تبع بعضه بعضا وجرى، واطرد الأمر استقام ، واطرد الكلام تتابع ، واطرد الماء تتابع سيلانه ، وقال قيس بن الخطيم : « أتعرف رسما كاطراد المذاهب ؟ » ، واستعمال الفعل كله ــ كما ترى ــ على اللزوم لا التعدية .

وقد أطلت فى الاحتجاج لذلك ، على سبيل بيان الرأى ودليله ، والمؤلف الفاضل من أوثق من نعرف فى بلاد الشام من المعنيين بالعربية وأحرصهم على التثبت وأشدهم رغبة فى النقد والاستدلال ، فعسى أن يكشف لنا عن وجه الرأى فى هذا الضبط والاستعمال . وأنا لو أصبت مثل ذلك فى كلام من لا يؤبه لعلمه ، لما وجد عندى غيرالاطراح والاهمال.

وبعد ، فانى أهنىء صديقى الكريم على اطراد جهاده العلمى وتتابع تآليفه القيمة فى اللغة والأدب والتأريخ ، وهو أهل للتهنئة والتقدير والاعجاب .

محمد بهجة الأثرى

تطور الزراعة في الشرق الأوسط

من منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، تأليف الدكتور كين ، وترجمة السيد أمين نظيف مدير الزراعة فى وزارة الزراعة السورية ، واشراف الأمير مصطفى الشهابى وزير سورية المفوض فى مصر

بلغ عدد صفحات هذا السفر القيم الذى التزمت مكتبة النهضة المصرية طبعه ونشره ٢٤٩ صفحة من القطع الكبير ، وهو مطبوع طبعا أنيقا على ورق صقيل يليق بقيمة الكتاب . ويتألف من ستة فصول وملحقين وخارطتين زراعيتين مفصلتين للشرق الأوسط وتبينان الأقطار التى كانت موضع اهتمام مركز تموين الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الأخيرة .

يشمل الفصل الأول منه نظرة فى زراعة بلدان الشرق الأوسط : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وأريتريا ، والحبشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس ، وبرقة (لوبيا) .

والفصل الثانى فى عقبات الاصلاح الزراعى: العواملالاجتماعية ، النظام الاقطاعى، العوامل الفنية ، الصناعة والزراعة .

والفصل الثالث فى أساليب رفع المستوى الزراعى : اتباع أنظمة جديدة ، نقابة الغرس السودانية والجزيرة فى السودان ، كاتب القاش فى السودان ، المؤسسات الزراعية اليهودية فى فلسطين ، زراعة الموالح (أى الحوامض) فى فلسطين ، الزراعة الفردية فى فلسطين ، أملاك اللطيفية فى العراق ، زراعة النخل فى العراق ، توسع ايطالية الزراعى فى طرابلس وبرقة ، الجمعيات التعاونية فى قبرس ، دروس تستفاد منالتطورات الواسعة ، تحسين النظام الحاضر ، تنمية الشعور بالتبعة فى طبقة الملاكين ، غرس حب الاصلاح فى الفلاحين المزارعين والمالكين ، التعليم الريفى ، قادة الريف .

والفصل الرابع فى المسائل العلمية والفنية : الأتربة ـ تركيبها وتصنيفها ، مادة التراب العضوية ، حرق التراب ، حراثة الأرض ، رطوبة التراب ، جرف الأتربة ، تغذى النبات ونموه ، تأثير القطانى فى غلة الحنطة التالية ، تجويد النبات ، انتاج البذور ، أمراض النبات ، والحشرات المضرة ، الماشية والعلف .

والفصل الخامس فى تزويد المزارعين المعلومات الزراعية والنصائح ، وتحقيق هذا الغرض ، القضايا ومختلف البلاد ، الاحصاءات الزراعية والدراسات ، الاسقاء ، المصالح

البطرية ، القضايا الخاصة فى كل قطر : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وأريتريا ، والحبشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس الغرب ، وبرقة •

والفصل السادس فى الاستنتاجات وموجز الوصايا •

والملحق الأول ـ مذكرة أعدها المكتب الانبراطورى لعلم التربة • والملحق الثانى ـ موجز مراحل الأسفار •

ان كتابا يؤلفه الدكتور كين الاختصاصى الانكليزى بالتجارب الزراعية ، ويترجمه السيد أمين نظيف مدير الزراعة فى وزارة الزراعة السورية ، ويشرف على ترجمته وتصحيحه العلامة الشهير الأمير مصطفى الشهابى ، وتنشره الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، جدير بالتقدير وأهل للصدارة بين الكتب المفيدة •

الاستقلال الاقتصادى هو الدعامة الكبرى التى يرتكز عليها الاستقلال السياسى ، فلا تستطيع أمة من الأمم أن تحافظ على كيانها السياسى اذا لم يكن لها كيان اقتصادى ، ولنا فى موارد البلاد العربية ، وخاصة نفطها الذى يتسرب القسم الأكبر منه الى الدول الأجنبية التى تهدد استقلالنا بأساليب شتى ، عبرة لمن اعتبر •

الأستاذ كين من كبار علماء الزراعة البريطانيين ، انتدب فى الحرب الماضية لدراسة القضايا الزراعية فى أقطار الشرق الأوسط دراسة مجملة شاملة ، فقام بهذه المهمة الصعبة ، ووضع تقريرا عن أهم تلك القضايا فى كتابه الذى نحن بصدد نقده ، وأوضح الطرائق التى يرى أن تتبع فى معالجتها ، وهذا التقرير جزء من دراسة شاملة قامت بها بعثة استشارية علمية فى نطاق خطط مرسومة ، وكان الغرض من تأليف هذه البعثة :

(١) فحص القضايا العلمية الرئيسية فى الشرق الأوسط دون التعرض للامور السياسية (٢) فحص الوسائل العلمية والفنية (وفى جملتها الموظفون والوسائل المختلفة ، سواء فى ذلك وسائل البحث ووسائل التعليم) (٣) تقديم توصيات تتعلق باصلاح الوسائل العلمية والفنية •

والصقع الذى هو موضوع التقرير يتألف من أربعة عشر قطرا ، يقطنها غالبا سبعون مليونا من البشر ، وهو يمتد من قبرس شمالا الى السودان جنوبا •

ومما جاء فى الفصل الأول عن العراق : « ولا يستغل من الأرضين الزراعية الا ربعها تقريبا ، ويقع نصف هذه المساحة المستقلة فى القسم الشمالى من القطر ، وهذا

القسم صغير اذا قيس بسائر أراضى العراق » .

وفى الفصل الثانى ـ عقبات الاصلاح الزراعى ـ وصف لعلة من عللنا الاجتماعية العامة أعنى النظام الاقطاعى . وتصور الفقرة الآتية هذه العلة بعض التصوير : « فقد اتضح عام ١٩٣٣م فى مصر أن نسبة المالكين الذين يملك الواحد منهم ما معدله خمسون ايكرا (الايكر يساوى ٤٠٤٦ مترا مربعا) حسب لا تقل عن ثلثى هؤلاء المالكين غير أن ٣٩ فى المئة من الأراضى الزراعية لا يملكها الا ٠٫٦ فى المئة من مجموع المالكين الذين تزيد ملكية كل منهم على معدل خمسين ايكرا وقد نتج عن هذا الوضع فى الشرق الأوسط كله أن هذه الطبقة من صغار الملاك هى اليوم واقعة فى قبضة المرابين » (ص ٣٨).

ومما جاء فى الكتاب المذكور عن زراعة النخل فى العراق : « وتلبث النخلة زمنا معدله ٢٠ ـ ٣٠ سنة ، وتقطع عندما تصبح مطلعة ، أى تطول سائر النخل ويسرع ادراك حملها ، وعندئذ يحل محلها أشجار جديدة نمت من الفسائل . وتبلغ مساحة الحواشى ، أى بساتين النخل ، فى شط العرب ٣٥٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد أشجارهـا نحو ستة ملايين نخلة ، وجنى النخلة المتوسط قنطار انكليزى واحد ، أى ٥٠ كيلوغراما و٨٠ بالمئة من الكيلوغرام » (ص ٧٠) .

ومن الاقتراحات التى اقترحها المؤلف للاصلاح الزراعى فى الشرق الأوسط : أن تقدم شركة ذات نفع عام جزءا من رأس المال اللازم له ، وهذه الشركة تؤلف هى والحكومة والمزارعون مؤسسة ثلاثية للتطور الزراعى . ولهذا الاقتراح أربع مميزات : (١) كون الشركة تتبع فى أعمالها سياسة طويلة المدى تستغرق مدة العقد (٢) كونه يكون فى وسع الشركة بموجب عقدها تدريب السكان الأهلين من أبناء البلاد على الوظائف الفنية والادارية (٣) كون هذه الطريقة صالحة لتحضير القبائل نصف الرحل الذين زاولوا من قبل شيئا بسيطا من الفلاحة (٤) كون هذا الاقتراح يسهل حل المشكلة الكثيرة الصعوبة المتعلقة بازالة الشيوع فى الأرض وتثبيت تملك الزراع لأرض معلومة (ص ٨١ ـ ٨٣) .

وقد وضع المؤلف أربع قواعد تثقيفية للاصلاح الزراعى : (١) تنمية الشعور بالتبعة فى أكبر عدد من الملاكين ، تجاه الأرض وتجاه الكادحين فيها (ب) غرس حب الاصلاح فى الفلاحين العاملين بالمزارعة وفى الفلاحين المالكين للأرض ، سواء فى ذلك ما يعود بالنفع العام عليهم أو على أسرهم (ج) ايجاد طريقة صالحة لتعليم أولاد الريف على أن تهيئهم هذه الطريقة للعيش فى بيئة ريفية (د) تدريب معلمين لمدارس الريف (ص٨٧ـ٨٨).

ومن المشكلات الزراعية الجديرة بالذكر عن العراق ما يأتي :

« وفي العراق مساحات واسعة من الأراضي التي يمكن استغلالها ، وليس فيه عدد كبير من السكان العاملين في الأرض ، ولذلك نرى فيه مجالا عظيما لتوسيع زراعة الحقول باتباع المبادىء التعاونية التي سبق ذكرها (في الفصل الثالث ١ و٢) • وفي الجزء الشمالي من العراق قضية أخرى لها مغزى خاص ، وهي تتعلق بتربيــة الحيوانـات الأهلية ، فتجارة حيوانات الاصدار في العراق لها من الشأن ما يسوغ تأسيس قسم لتربية الماشية ، ولا سيما وان مصلحة البيطرة قد توسعت فيه توسعا حسنا •

وما نوصي به اعادة النظر في السياسة المتبعة في مزارع الحكومة فتخفض مساحاتها حتى تصبح موافقة لأن تستعمل محطات للتجارب الزراعية • وتحتاج مصلحة الزراعة الى اصلاح في مستوى موظفيها من الوجهتين العلمية والارشادية » (ص ١٧٩ ــ ١٨٠)•

وجاء في الفصل السادس ــ الاستنتاجات وموجز الوصايا : « الفلاح سجين بين جدران النظام الزراعي الذي ألفه ، فعدد الفلاحين يزداد سنة بعد سنة ولكن تلك الجدر تبقى ثابتة في مكانها » (ص ٢٢٢) •

ومن يتصفح فصول الكتاب فصلا فصلا ، ير في كل صفحة منه علما غزيرا وآراء سديدة وفوائد لا تقدر ، وأينما جلت فيه تجد الغرر وتلتقط الدرر •

ومما زاد الكتاب قيمة ، الحلة القشيبة التي أضفاها عليه مصحح الترجمة العلامة المدقق الأمير مصطفى الشهابي صاحب المؤلفات المعروفة والمقالات القيمة في المصطلحات العلمية العربية التي يغوص في بحارها ويستخرج منها اللآلىء ، وقد خدم اللغة العربية خدمات تذكر فتشكر •

فالكتاب ثروة كبيرة للمكتبة العربية ، وعقد ثمين يزين جيدها ، فجدير بكل مثقف أن يطالع هذا الكتاب النفيس • وقد أوجزنا ذكر محتوياته ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد •

وتستميح الأستاذ المفضال بابداء الملاحظات الآتية : فضل استعمال السقي على الارواء ، والارواء منتشرة في مصر والعراق وهي أكثر شيوعا من السقي •

اننا لا نوافق المترجم المفضال على ترجمة الألفاظ الآتية : الحمات ومفردها حمة ترجمة للفظة Virus اذ لم نجد لها أصلا في المعجمات العربية لأن « الفيرس » كائنات بين الحيوانات والنباتات تسبب أمراضا في الانسان والحيوان والنبات ، ولا يزال

كنهها مجهولا ، والأفضل أن تعرب كما هى ، ولا تضيق اللغة العربية بالألفاظ الأجنبية التى تدخل عليها بعد أن أخذت منها تلك اللغات مئات الألفاظ ، فاللغة التى لا تأخذ ولا تعطى لغة ميتة ، وليس فى المصادر التى رجعنا اليها ما يسوغ ترجمة « فيرس » بحمة .

كذلك لا نوافق على ترجمة Lignin بخشين و Cellulose بخليوس . ولو سرنا على هذا النمط فى تراجمنا لخرجنا على الأوضاع العربية وشططنا فيها ، ونفضل تعريب هاتين اللفظتين تعريبا ، ويطول بنا المقام اذا أردنا تسويغ رأينا بهذا الصدد ، وقد نحا مجمع فؤاد الأول للغة العربية منحى التعريب فى أمثال هذه الألفاظ .

ولا نتفق مع المصحح فى ترجمة Genetic Principles باصلاح النسل التى تقابلها لفظة Eugenics و Genetics بالانكليزية و Genetique بالافرنسية فرع من علوم الأحياء يبحث عن الوراثة والتغاير Heredity & Variation فيكون معنى Genetic Principles المبادىء الوراثية ، لا اصلاح النسل . واصلاح النسل هو تطبيق علم الوراثة ولكل منهما مفهوم علمى خاص يختلف اختلافا بينا عن الآخر كما لا يخفى على الأمير (راجع ص ١٣٤) .

ووردت فى الكتاب أغلاط مطبعية لم ينبه عليها فى التصويبات ولم نستقص الألفاظ كلها ، بل أوردنا نماذج منها للتنبيه عليها ص٢٥ Trifolium alescandrinum وصوابها Trifolium alxandrinum . ص ٨١ كزاعة وصوابها كزراعة . ص٨٨ لتليم وصوابها لتعليم .

ووجدنا فى الأصل الانكليزى صورا جميلة فى آخر الكتاب تضيف الى فوائده الكثيرة ، والترجمة العربية خلو منها . وقد عثرنا على نسخة الكتاب الأصلية فى وقت متأخر فقابلنا جزءا منها بالترجمة العربية فوجدناه صحيحا كل الصحة .

انا نشكر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية على هديتها الثمينة ، ونثنى ثناء عاطرا على المؤلف والمترجم والمصحح جزاهم الله عن العلم والفضل خير الجزاء .

شريف عسيران

النجـــاد العربيـــة
Arabian Highlands

هذا الكتاب من أحدث ما أخرجته المطابع من مؤلفات فلبى ، طبع فى سنة ١٩٥٢م فى مطابع Vail Ballou بمدينة نيويورك بنفقة معهد الشرق الأوسط The Middle East Institute بواشنطن ، وأشرفت مطابع جامعة كورنل على طبعه . وهو فى ٧٠٨ صفحات ، عدا الملحقات والفهارس التى تبلغ ٦٣ صفحة . وقد ألحقت بالكتاب . خارطة دقيقة كبيرة بمقياس $\frac{1}{1,000,000}$ ضمنت أسماء المواضع والقبائل التى وردت فى الكتاب، وجملة خوارط صغيرة أخرى ومخططات وصور تتعلق بالفصول .

والكتاب وصف وملاحظات لرحلات قام بها المؤلف الرحالة فى سنة ١٩٣٢ و١٩٣٦ و١٩٣٧ فى النجاد العربية والأماكن التى مر بها : مثل وادى بيشة وخرمة ورنية ونجاد عسير ووادى تثليث وحبونة وصبيا وجيزان وتهامة وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد عرض فى أثناء وصف رحلته للنواحى الاقتصادية والسياسية والتأريخية والاجتماعية والدينية لتلك الأماكن ، فكشف عن نواحى مجهولة عند العالم العربى والغربى عن جزيرة العرب . والجزيرة مجهولة لدى أبنائها جهلا يكاد يكون تاما . والى المؤلفات الانكليزية والالمانية والفرنسية والطليانية يلجأ الباحثون العرب فى تعرف أحوال بلادهم ويا للأسف !

وقد انصرف المؤلف فى الأيام الأخيرة الى الاهتمام بالدراسات التأريخية لجزيرة العرب ، فقام برحلات خاصة فى الحجاز لدراسة الكتاب ، واتصل بكبار علماء العربيات من المستشرقين لترجمتها ومعالجتها ، واستقدم اليه المستشرق رايكمنس العالم البلجيكى واستصحبه الى ديار ثمود لقراءة نصوص جاهلية فيها .

وتجد فى كتابه هذا بحثا تأريخيا قيما عن كعبة نجران والأخدود وتعذيب النصارى فى اليمن ، كما تجد فيه اشارات تأريخية لها علاقة بالمواضع التى مر بها . وقد سبق أن تحدثت عن كتابه القيم « سناد الاسلام » فى المجلد الأول من هذه المجلة .

وهذا الكتاب هو — فى رأيى — من خيرة ما ألفه فلبى من كتب ، جمع بين فن الرحلات والعلم والتدقيق وقوة الملاحظة . ترى فيه حياة الملوك والأمراء ، وحياة البدو وفقراء المملكة وتفكير البدوى ومعيشة الأعراب . انه كتاب أدب وعلم لمؤلف سلخ ما ينيف على ربع قرن من عمره فى الجزيرة . وهو كلما تقدمت به الأيام ، زادت

حكمة ودراية وعلما .

واذا جاز لى مؤاخذة المؤلف على هفوة وقعت فى الكتاب ، فهفوته أنه لم يكتب الأعلام على وفق الطريقة التى وضعها المستشرقون فى تدوين الحروف العربية بالحروف اللاطينية ، ولم يتقيد بضبطها كما ينطقها أبناء الجزيرة . وتلك مسألة مهمة ولاسيما للباحثين العرب الذين يتوقون الى معرفة مواضع بلادهم وتحول ظروف ذات طبيعة قاهرة دون ذهابهم الى جزيرتهم . والكتاب كتاب علمى ومرجع وحيد يرجع اليه ، ولضبط الأعلام أهمية كبيرة فيه ، وعصمة لمن يأخذ منه من الوقوع فى الخطأ والزلل .

جواد على

أنباء وآراء

ذكريات أدبية

أذكر من شؤون حداثتي وعنايتي بحفظ الشعر والتقاط فرائده أن أديبا من أدباء طرابلس الشام كان مشهورا بحسن الحديث ومطارحة أخبار الأدب . وكان يتعاطى من نظم الشعر وروايته ما كان فيه نكتة أو دعابة . وكانت له فوق ذلك مشاركة في الأدبيات التركية وأخبار رجالها . والمرء اذا حذق شيئا من الأدب التركي قلما تفوته طرائف من الأدب الفارسي ، وحفظ طائفة من أخبار شعرائه .

كان هذا الصديق يوما يقارن بين الآداب الثلاثة : العربية والتركية والفارسية ، وخصائص كل منها من حيث المعاني الشعرية المبتكرة . فوجدته يميل الى أن شعراء الفرس يفوقون غيرهم في ابتكار المعاني ، وانتهاز النكت ، وصوغ الخيال بأخصر أسلوب، وأجمل مثال . من ذلك أبيات لبعض شعرائهم يتذكرها الصديق معنى ، ولا يتذكرها لفظا . يقول فيها الشاعر الفارسي : ان الطبيعة حينما تثور بأنوائها وعواصفها وزلازل بركاناتها انما تكون غيرى من جمال محبوبي وحسن جهارته وروعة طلعته ، وغضبى أن لا يكون لديها في ما أبدعته من صنوف الكائنات ما يحاكيه حسنا وجمالا . وفي آخر الأمر فكرت في أن تخلق كائنا سماويا يكون أجمل من محبوبي ، فخلقت دائرة من نور في ذيل الأفق ، فكانت هلالا دقيقا ، ثم كونت دائرة أخرى أضافتها الى الدائرة الأولى وعلى موازاتها . وهكذا كل ليلة كانت تتوالى الأهلة وتتوازى الدوائر حتى اكتملت بعد أربع عشرة ليلة قرصا واحدا ، هو البدر ، وحسبت الطبيعة أنها بذلك وصلت الى غرضها من خلق ما تريد . لكنها حينما قابلت هذا بذاك وقارنت بين وجه محبوبي وصفحة البدر — رأت بين المخلوقين فرقا بينا ، فغضبت وسخطت ، وعمدت الى البدر فنقضته هلالا هلالا ، وعملت على تخريبه دائرة دائرة ، حتى صارت به الى المحاق . ثم عادت سيرتها الأولى فخلقت دوائر النور واحدة واحدة ، وكونتها بدرا ، وقارنت وواجهت ، فرأت البون بينهما ما زال بينا . فغضبت وعادت الى التحطيم والتهديم ، ثم الى الخلق والابداع ، لكن لا هي

بالناجحة في عملها ، ولا بالقادرة على خلق مخلوق مثل محبوبى .

وكنت كلما اجتمعت بالأديب الطرابلسى أسأله عما اذا كان ظفر بين أوراقه بنص الأبيات الفارسية ، فيقول انه لم يجدها . وقد وقع لى ما يشبه ذلك مع الوجيه العراقى الكبير (السيد فخرى الجميل) فانه كان أسمعنى بدمشق شعرا عراقيا شعبى اللهجة ، ومضمونه : أن امرأة كانت تمشى على شاطىء دجلة ، وهى تحمل طفلها الوحيد ، فخانتها رجلها وسقط الطفل فى النهر ، فجرى التيار به ، وأسرعت أمه تهرول على الشاطىء وراءه ولهى فاقدة الرشد تعول وتستغيث فى طلب النجدة وانقاذ الطفل ، واتفق من شؤم طالعها أن كان الشاطىء جرفا ، فكان ينهار تحت قدميها ، ويتساقط مدرا فى النهر ، فتقع وتقوم ، وتجرى وتصرخ وتستغيث ، حتى غاب ابنها فى اللجج ، ثم لم ير له أثر . فكيف كان وجد الأم وحزنها على وحيدها ؟ يقول الشاعر العراقى الشعبى فى أبياته : وهكذا كان وجدى بمحبوبتى ، وحزنى على فراقها . وقد خاننى الحظ أيضا فلم أستمل الأبيات من الصديق لحين سماعها منه ، وكان كلما زار دمشق واجتمعت به أسأله عنها فيعتذر بنسيانها . ورأيت أخيرا أن أضمن هذا المعنى العراقى البديع بيتين من الشعر فقلت :

وان بقلبى يوم حم فراقها
كحز سيوف الهند أو لذعة الجمر
فما وجدت وجدى ولا أم واحد
على الجرف تجرى والفرات به يجرى

وقد عنيت بأم الواحد المرأة ذات الولد الواحد . والوجد هنا بمعنى الحزن والوله ، يقال : وجد به وجدا اذا أحبه ، وكذا اذا حزن عليه . كأن أصله أن يشعر المرء بوجود عاطفة ميل أو عاصفة ألم فى نفسه ، فسميا كلاهما وجدا . والجرف : الجانب الذى أكله الماء من ضفة النهر ، فهو يتهافت تحت الأقدام من وقت الى آخر . وهو (أى الجرف) بضمتين ، ويجوز تسكينه . ومثله فى ذلك كل ما كان على وزن (فعل) بضمتين ، فانه يجوز فيه التسكين لضرورة الشعر ، وقيل مطلقا .

أما هذا التعبير ، وهو قول العرب « فما وجد وجدى أحد » أو « وجدت به وجد كذا بكذا » ، حين ارادة وصف المبالغة فى الحزن أو الحب ، فتعبير صحيح ، كثير الدوران على أفواه شعراء العرب ، من ذلك قول هدبة بن الخشرم من شعراء الدولة الأموية :

فما وجدت وجدى بها أم واحد
ولا وجد حبى بابن أم كلاب

وحبى (بضم الحاء المهملة وتشديد الباء مقصورا) هى ابنة الأسود ، خطبها ابن عتاب الشاعر الطائى ، فرفضت خطبته ، وتزوجت بابن أم كلاب ، فجعل هدبة يعرض بها ويهجو زوجها وقومه .

والوجد المتعدى بالباء يكون تارة بمعنى الحب ، وتارة بمعنى الحزن كما مر . وقد لاحظت أن الوجد فى كلامهم كثيرا ما يراد به الحب الشديد المقترن باشفاق وحزن شديد ، كما يفهم من قصة (عزة) صاحبة (كثير) ، فقد دخلت يوما عليه وهى متنكرة ، وقالت له : أنشدنى أشد بيت قلته فى عزة ، فأنشدها قوله فيها :

وجدت بها وجد المضل قلوصه
بمكة والركبان غاد ورائح

فقالت له (عزة) : لم تصنع شيئا ، فان الذى أضل قلوصه لا يلبث أن يهدأ وجده أو يزول ، عندما يجد قلوصا ، أو ناقة يركبها . فأطرق (كثير) قليلا ، ثم رفع رأسه اليها وقال :

وجدت بها ما لم يجد ذو حرارة
يمارس جمات الركى النوازح

(ذوحرارة) عطشان (يمارس) يعالج ندل الماء من جمات الركايا أى مجتمع مائها القليل ، أو البعيد القعر . فقالت له (عزة) : لم تصنع شيئا أيضا ، فان هذا العطشان الذى يتلهف على الماء قد يجد حوله من السابلة من يسقيه ، فيزول وجده وولهه . فأطرق ، ثم قال :

وجدت بها ما لم تجد أم واحد
بواحدها : تطوى عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت : ان كان ولابد فهذا . تعنى أن قوله الأخير أفضل تعبير يدل على شدة الحزن من حيث أن الأم اذا رأت وحيدها ووري فى التراب ، وسويت عليه الصفائح ، لا يمكن أن يزول حزنها أو ينتهى ، فهى ثكلى حزينة الى الأبد . وهكذا وله كثير بعزة .

فالوجد فى هذه الأبيات الثلاثة كما ترى هو وصف للحب ، لأن (عزة) انما سألت (كثيرا) أن يخبرها بمبلغ حبه لها . فكان يصف لها حبا يصحبه حزن شديد : حب الذى أضل ركوبته لهذه الركوبة مع حزنه على ضياعها ، وحب الصادى العطشان للماء مع حزنه على عدم الوصول اليه ، وحب أم الولد لواحدها مع حزنها على موته .

فالوجد اذن حب يقترن به حزن غالبا . والعاشق المفرط فى الحب قلما يسلم من الغم والحزن : يحزن لصدود المحبوب ، أو توقع تجنبه ، أو بعده عنه فى نحو سفر ، أو اصغائه للواشى ، أو مرضه والاشفاق من قلة العناية بتمريضه ومداواته . وناهيكم ما كان من صاحب ليلى وحزنه عليها ، مذ بلغه مرضها فى العراق ، وتمنيه أن يكون طبيبهـــا المداوى .

عبد القادر المغربي

قصيدة لعبد الغفار الأخرس

عثرت على قصيدة ، للشاعر عبدالغفار الأخرس الموصلى ثم البغدادى ، خلا منها ديوانه المطبوع ، يذكر فيها النباتات والأزهار التى ترى فى الربيع حوالىالموصل، فأحببت نشرها مع ايضاح ما لزم ايضاحه ، وبيان الأسماء العلمية للنباتات المذكورة فى القصيدة .

القصيدة

١ سر بالهنا للديـر والغـزلانى	متنزها بالزهـر والريحـان
٢ واشمم عبير الأقحوان مبادرا	لعرار والشيح والعقبـان
٣ أو ما ترى كيفالعروسمحمرا	من لطمه لشقائق النعمـان ؟
٤ وعيون بيبون قـد ابيضت على	وصل الحبيب وأعلنت بلسان
٥ أو ما ترى التريك يصبغرأسه	بطرا وتيها فى رضا النسوان ؟
٦ فكأنه عبد يريك كلاهـه	بسواده لتخـافه بأمـان
٧ واخجلةالكصيبوالكعوب والـ	كنيبره من صولة العربـان
٨ أما الفتى الكصيبفهو شجاعهم	فى شوكة الأجناد والجـولان
٩ فتراهم قطعوا معـاصم كفـه	لكنه قد شاكهـم بسنـان
١٠ والحاج كبى قد تراه مفـاخرا	فى حجه بأباطـح الايـوان
١١ لكنه قد غـاص قعـر ريـاضه	خوف الرقيب وصولة الصبيـان
١٢ فلذا تراهم اشحذوا محفارهم	حنقا عليه ليظفروا بعيـان
١٣ وكذلك الطقيق تسمع زعقـه	اذ قام يرقص مع قدود حسان
١٤ فيناطح الصبيان وسط جباهم	لا يختشى من ملك ولا سلطـان
١٥ والحندقوقى قد أنت تختال فى	صفر الثياب وتـزدرى بقيـان

١٦ فيفوح نشر الطيب من أردانها ويفوق منظرها بحسن معان
١٧ واللاعبه لما بدت أغصانها فكأنها زفت الى الأختان
١٨ ثم الحليان الذى يسمو على شهد وقد طعمه ببيان
١٩ قد زين الأزهار فى اخضراره متجليا بمنمنم التيجان
٢٠ ثم اقطف الحميض والنفل الذى قد ضاع عاطره بكل مكان
٢١ ثم الغريونه التى تحلو على كل الزهور وتجتنى بأوان
٢٢ قد حفها الخزيم من أرجائها والكرط والمنثور مع صيوان
٢٣ وكذلك السميسمه فى عطرها كرت وجالت فى حمى الميدان
٢٤ كسرت مناقر لكلك الأشجار فى لفتاتها وتشوفت لغان
٢٥ لا تنس لى الصفير فى لفتاته رشأ يفكك عقدة الصلبان
٢٦ من حسنه حطوه فوق رؤوسهم تاجا يكلل من عقود جمان

الشرح

(١) الدير : هو دير مار ايليا فى جنوب الموصل ، عنده عين ماء معدنية ، وهو أحد متنزهات الموصل . الغزلانى : يعنى مرقد محمد الغزلانى والأراضى التى حوله ، وهو فى أسفل التل الذى عليه معسكر الغزلانى الحالى ، وكان المرقد خارج الموصل بعيدا عنها ، والآن قد اتصلت قربه العمارات . الريحان : اسمه العلمى Ocimum basilicum ، وبالفرنسية basilic وهو أنواع .

(٢) الأقحوان chrysanthemum parthenium ، وسمى أيضا parthenium matricarie ، وبالافرنسية matricaire و chrysantheme matricaire و grande camomille ويسمى عندنا بالموصل « بيبون الشام » . العرار asterieus graveolens الشيح : artemisia herba alba ، وبالافرنسية يقال لأنواعه armoise ، هو كثير فى الجزيرة . العقبان : كذا وردت فى الأصل المنقول عنه ، وما العقبان الا جمع عقاب ولا محل لذكرها بين الأزهار . وان قرأنا الكلمة بالياء ، أى عقيان ، فهو الذهب الخالص ، ولعل الشاعر أراد به أزهارا صفرا دون أن يعين أجناسها وأنواعها .

(٣) كف العروس : نبات يظهر له فى أطرافه غلف وردية اللون ، أظنه الـ Anastatica hierochuntica . ووجدت فى كتاب ذكرا لنبات سماه « أصابع

العروس ، وقال : انه الـ Lotus palaestinus ، ولا أعلم أهو كف العروس المعروف عند الموصليين أم غيره ؟ شقائق النعمان: Anemona coronaria ، وبالفرنسية anemone .

(٤) البيبون : اسم كردى مستعمل فى الموصل للبابونج ، ويقال بابونق وبابونك أيضا كما فى بغداد • Matricaria aurea • بالفرنسية camomille matricaire وهو ليس عين anthemis nobilis المختار استعماله فى الطب ، بل ضرب منه برى •

(٥) التريك : أراد النبات المعروف بالموصل بطريك العبد (بضم الطاء وتشديد الراء وفتحها وتسكين الياء وكاف فارسية) وهو نبات ذو بصلة صغيرة ينبت له عسلوج من وسطه يزهر زهرا أسود مستديرا حافا به ، شبه بقلنسوة عبد فقيل للنبات طريق بامالة الراء ، والأصل فيه طراق • جاء فى التاج فى مستدرك /طرق/ : « وطراق بيضة الرأس طبقات بعضها فوق بعض » • وعلى هذا يصدق قول الشاعر : « فكأنه عبد يريك كلاهه » • لم أقف على الاسم العلمى لهذا النبات •

(٧) الكصيب : بكاف فارسية ، والأصل قصيب بصيغة التصغير • هى عساليج الكعوب تقشر وتؤكل طرية ، فيها عذوبة • الكعوب : (بفتح الكاف وتشديد العين) فى سورية وغيرها عكوب بتقديم العين • اسمه العلمى gundelia de Tournfortii وبالفرنسية gundelia de Tournefort و gundelia hacob ويقال له حرشف برى Artichaut sauvage • الكنيرة : فصيحها قنابرى (بضم القاف وتشديد النون وكسر الباء وفتح الراء بعدها ألف مقصورة) Lepidium draba • بالفرنسية Erannson dravier

(١٠) الحاج كبى أو « حشكبى » بباء فارسية : اسم محرف من السريانى الدارج فى بعض قرى الموصل (السورث) فهم يسمونه (شكابا) بكسر الشين وتشديد الكاف وباء فارسية • ويعرف بالموصل فى الغالب (بجوز البرية) • ذكره ابن البيطار باسمه البربرى (آآكار) ، وسماه صاحب كتاب ما لا يسع الطبيب جهله (بجوز أرقم) • وقال ابن البيطار : ان عرب برقة تسميه (تلفوطة) • أصل هذا النبات عجرة تستخرجها الصبيان بالمحافر وتأكلها ، طعمها كطعم الشاهبلوط • اسم النبات العلمى Bunium bulbocastanum الايوان : يقصد ايوان على الجدوم (القدوم) محل مرتفع على حافة « تل الغزلانى » مشرف على الأرض المنبسطة بين التل وبين النهر والمعروفة بـ « حاوى الغزلانى » • كان على الجدوم أحد ولاة الموصل قديما قد أنشأ عليه ايوانا

يخرج اليه للنزهة أيام الربيع •

(١٣) الطقيق : Leontice leontopetalum • نبات ثمره محافظ بقدر السعدة منتفخة ، فى جوفها هواء محبوس • يتسلى الصبيان بصك جباههم بهذه المحافظ فتنشق متفرقعة • جذر النبات عجرة تبلغ حجما كبيرا تشبه بكف الأسد • يسمى فلاحو قرى السريان هذا الجذر (عرطنيثا) ، ويسمى فى تلعفر وفى بعض قرى التركمان بالـ (درمان) ، يغسلون به الصوف فينقيه جيدا • والطقيق كثير الوجود فى برية الموصل• كان الانكليز فى الحرب الكبرى الثانية قد شغلوا عمالا كثيرين فى حفر خنادق حوالى بلدة الموصل ، فظهر بالحفر كثير جدا من العرطنيثا ، فصار الفقراء من نساء ورجال يجمعونه ويبيعونه الناس لغسل الصوف والثياب الصوفية ، فكانت سوقه رائجة ؛ لأن الصابون ندر وجوده فى الأسواق • فكنا نرى أكواما منه أمام البائعين • وكان جهلة العوام يسمونه « جوز البرية » ظنا منهم أن جوز البرية (الحاج كبى) اذا كبر كون العرطنيثا • وهذا خطأ ، فان هذا نبات ، وذاك نبات آخر •

(١٥) الحندقوقى : Melilotus وبالفرنسية melilot

(١٧) اللاعبة : Euphorbia esula • نبات سام له ورق أرقط شبيه بالحيات • يندر استعماله غذاء ، وذلك بأن يسلق ويسكب ماؤه أولا ثم يطبخ مع سماق وأشياء أخرى ويؤكل • وطبيخه يلين البطن •

(١٨) الحليان : سماه لكلرك مترجم كتاب ابن البيطار الى الفرنسية Bulbe comestible، وهو نبات جذره عقدة بقدر البندقة الكبيرة عليها غشاء أسود ، لبها أبيض، فيه حلاوة تأكله الصبيان •

(٢٠) حميض : (بضم الحاء وتشديد الميم وفتحها واسكان الياء) عشب صغير فى أوراقه حموضة ، تأكلها الصبيان • أظنه المسمى علميا Oxalis acetosella وبالفرنسية oxalide و alleluia ، وبعضهم يسميه surelle و pain de coucou وبالانكليزية Vood sorrel ، وبالتركية « كوجك قوزى قولاغى » ولست على ثقة من ذلك • النفل : Trifolium • ترعاه المواشى•

(٢١) الفريونة : (بضم الفاء وفتح الراء واسكان الياء وضم الواو وتشديد وفتح النون) اسمها العلمى Tulipa montana ، وبالفرنسية Tulipe sauvage لبصلة هذا النبات قشر أحمر داخله ألياف كأنها فروة • يستخرج الصبيان هذه البصلة ويأكلونها لعذوبتها • وهى تكون عادة غائرة فى الأرض •

(٢٤) الخزيم : (بضم الخاء وتشديد الزاى وفتحها واسكان الياء) أجهل اسمه العلمى • الكرط : فصيحه القرط ويسمى البرسيم Trifolium alexandrinum وبالفرنسية Trefle d'Alexandrie • المنثور : Mathiola •الصيوان:أراد بهالمسمىفى الموصل (صيوان الباشا) وهو المديد ويسمى اللبلاب واللفلاف Convolvulus وبالفرنسية Liseron des champs • منه نوع يسمى Ipomoed

(٢٣) السميسمة : Lallemantia iberica من الفصيلة الشفوية •

(٢٤) منقار اللكلك (اللقلق) : ويسمى (البخترى) بفتح الباء والخاء واسكان التاء وكسر الراء بعدها ياء ، وفى بعض البلاد (ابرة العجوز) ، وبالكردية (درزىلوكه)• اسمه العلمى Erodium Cicutarium و Alfilaria وبالفرنسية Erodion وبالانكليزية Strork's bill

(٢٥) الصفير : نبات له زهر أصفر يكثر فى الزروع ، لا فائدة فيه • قد ينسج الصبيان منه فى الربيع تيجانا يضعونها على رؤوسهم عابثين •

داوود الجلبى

تعليق على نسبة هذه المنظومة الى الشاعر الأخرس

لابد فى عزو كل أثر أدبى أو علمى الى صاحبه من دليل قاطع يثبته له ، وينفى شبهة حمله عليه : كأن يكون بخطه ومنصوصا على نسبته اليه ، أو يكون قد أثره عنه راو من الرواة الثقات المعدلين مشافهة أو نقلا من خطه ، أو يكون مرويا عنه فى كتاب موثوق بأمانة مؤلفه وصدقه •

وليس فى مقدمة الدكتور داوود الجلبى لهذه المنظومة شىء من هذه الأشياء الثلاثة يصحح نسبتها الى السيد عبدالغفار الأخرس شاعر العراق الذائع الصيت فى القرن الثالث عشر الهجرى •

وأنا أمنع نسبة هذه المنظومة اليه ؛ لأنها ليست من جنس شعره ، ولا هى من مذهبه فى الصياغة والرقة والانسجام ، بل هى لا تشبه حتى مخشلبه على ما سأزيد هذا توضيحا •

وأنفى أن يكون الدكتور قد وجدها بخط الأخرس ، الا أن يكون الخط الذى كتبت به المنظومة قد زعم له أن الأخرس كاتبه ، ولكن ذلك يستلزم التثبت والوثوق

من صحة هذا العزو بمعارضته بمثله من خط الأخرس الثابت أنه له ، ولا أدرى أفعل الدكتور ذلك أم لم يفعله ؟ فانه لم يتعرض لذكره لا اثباتا ولا نفيا . ولدى أثارة من خط الأخرس ، وهى رسالة كتب بها الى بعض القضاة وختمها بخاتمة ، ومن السهل جدا أن يعارض ذلك الخط بخطها الذى لا شك فى أنه هو خط الأخرس نفسه ، فيصحح حينئذ له ، أو ينفى عنه .

وأنفى أيضا أن يكون الدكتور قد أخذها عن الشاعر الأخرس مشافهة ، لأنه لم يعاصره ، ومن المؤكد قطعا أنه ولد بعد وفاته بعقد من السنين فى أكبر تقدير . وقد توفى الأخرس سنة ١٢٩١هـ(١) كما ذكر ذلك أستاذنا العلامة الامام السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله فى « المسك الأذفر » (ص ١٢٠) ، ومضى على موته الى الآن ٨١ عاما ، واذن فلا سبيل الى القول بأن الدكتور قد أخذ هذه المنظومة عنه مشافهة .

واذ انتفى عنه هذا وذاك ، لم يبق الا أن نقول ان الدكتور انما يروى هذه المنظومة عن راو زعم له نسبتها الى الأخرس فوثق به ، أو هو قد نقلها من مجموعة من هذه المجاميع الخطية أصابها فيها منسوبة اليه ، فاطمأن اليها ورواها عنها ونسى أن يعزوها اليها ويسميها . وأحد هذين الاحتمالين هو الشىء الطبيعى فى مثل هذه الحال . ولكننى أتهم الراوى والمجموعة جميعا ، ولا أراهما صادقين فى حمل هذه المنظومة على الأخرس . وقد عللت من قبل منعى نسبتها اليه بأنها ليست من جنس شعره ، والناحية الفنية وحدها هى التى تفصل فى المسألة وتعين نسبة القصيدة الى صاحبها بلا جدال . وهى سهلة ميسورة ، فللأخرس ديوان كبير مشهور متداول بأيدى الناس ، وهو يشتمل على أكثر من عشرة آلاف بيت فى الوصف والغزل والمدح والرثاء والهجاء والمجون ، لم ينحرها هو مما نظمه ، وانما جمعت بعد وفاته ، جمعها أحمد عزة باشا العمرى مما « أحرزه وحفظه من موجوده، وتتبعه من مفقوده » . ومن السهل جدا على من يشاء ، أن يعارض هذه المنظومة بما فى هذا الديوان من قصائد ، وما فيه من مخشلب وفرائد ، ليلتمس الجهة الفنية الجامعة بينهما ، ويتعرف مدى ما بينهما من انسجام والتحام ، أو تنافر وخصام ، وأنا زعيم له بأنه لن يجد بينهما وبين أية قصيدة كانت من قصائد الأخرس الا جهة التنافر والخصام على أشد ما يكون التنافر والخصام بين جهتين متناقضتين أشد التناقض .

وأنا أختصر له الطريق ، وأتولى عنه مقابلة هذه المنظومة بمثلها من شعر الأخرس

---

(١) ووهم جامع ديوانه وناشره ، الشاعر الأديب أحمد عزة باشا العمرى ، فجعل وفاته فى سنة ١٢٩ هـ وفى ديوان الأخرس نفسه ما يقوم حجة عليه

في وصف الربيع والروض ، ولا أعدوها الى أشعاره الأخرى ، ليرى بالتقابل في الموضوع الواحد : أنى يكون وجه الشبه بينها وبينه ؟

وبحسبي الآن هذه المقطوعة أرويها من شعر الأخرس ، قال :

فرش الربيع لنا خمائل سندس　　خضر تفوح برنده وعراره
شكرا لآثار الغمام بروضه　　فله اليد البيضاء في آثاره
روض محاسن أرضه كسمائه　　وشروق بهجة ليله كنهاره
فاشرب على النغمات من أطياره　　فكأنها النغمات من أوتاره
تتراقص الأغصان من طرب به　　ما بين شدو حمامه وهزاره
لا تنكروا ميل الغصون ، فانما　　هذي الغصون شربن من أنهاره !

أفمن يفري طبعه الشعري هذا الفرى ، ويبدع هذا الوشي العبقري ، ويقول :

لا تنكروا ميل الغصون ، فانما　　هذي الغصون شربن من أنهاره

يسف به الطبع فيقول :

سر بالهنا للدير والغزلاني　　متنزها بالزهر والريحان ؟

أو يقول :

أو ما ترى التريك يصبغ رأسه　　بطرا وتيها في رضا النسوان ؟

او يقول :

واخجلة الكصيب والكعوب والـ　　كنيرد من صولة العربان ؟

أو يقول :

والحاج كبى قد تراه مفاخرا　　في حجه بأباطح الايوان ؟

أو يقول :

وكذلك الطقيق تسمع زعقه　　اذ قام يرقص مع قدود حسان ؟

أو ما شئت من هذه الأبيات الستة والعشرين من غير اختيار لدونها ، فما فيها غير الدون .

ولا يحتج علينا بأن هذه الأبيات جائز أن تكون مما نظمه الأخرس في أوائل عهده بالنظم ، ثم استحصد بيانه ، وعلا في سلم الشعر درجة بعد درجة حتى بلغ الذروة ، وصار ينظم مثل الرائية التي أوردنا بعض أبياتها .

ذلك أننا ننفي عن الشاعر « الشاعر » أن تكون أوليته كأولية صاحب « النونية الغزلانية » ذات الكصيب والتريك والطقيق والحاج كبى . فمن شب وهو لا يقول الا

مثلها ، يستحيل عليه أن يرتقى الى مثل طبقة الأخرس ؟ لأن الطبع الشعرى مفقود فيها ، وكل لفظ فيها لا يدل الا على فسولة الطبع وبلادة الحس وموت الشعور •

وقد تعودنا أن نرى النوابغ مجيدين مذ يتفجر ينبوع الشعر على ألسنتهم فى صغرهم، ثم لا يزدادون فى الكبر الا حكمة التجارب وسعة الحيلة الفنية ، أما الطبع الشعرى فهو فى الكبر كما هو فى الصغر • وليتأمل من شاء أولية طرفة والنابغة وحسان وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والرضى والسلامى والمتنبى والمعرى وشوقى وغيرهم ، فهل يجد الطبع الشعرى فى قصائدهم التى قالوها فى الكبر مختلفا عنه فى قصائدهم التى قالوها فى الصغر ؟ وشوقى أقرب هؤلاء الينا عهدا ، فهل كان الطبع الشعرى فى سوائره التى نظمها فى علو سنه ، هو غيره فيما تفجر على لسانه من سوائره فى شبابه من أمثال :

خدعوها بقولهم : « حسناء » والغوانى يغرهن الثناء ؟

ولا ريب فى أن الأخرس كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعرى ، فليس من الجائز عليه أنه كان فى أوليته ينظم مثل هذه المنظومة ••• فان من بدأ حياته الأدبية بمثلها يعجز كل العجز عن السمو الى الأفق الذى حلق فيه الأخرس •

ثم ، كيف يمكن أن تضاف هذه المنظومة اليه ، وهذا ديوانه الضخم بين أيدينا ليس فيه بيت واحد يحاكيها أو تحاكيه فى النفس والطبيعة الشعرية والأسلوب والمعنى والخيال ؟ مع أن ديوانه ليس مما تخيره الشاعر نفسه من شعره ، فنفى ضعيفه وأسقط رديئه ، بل هو مما جمع بعد وفاته جمعا وقصد فيه الى حشر كل ما له من شعر ظفر به فى ديوان ، فكان فيه القوى والضعيف ، ولكنه مع ذلك ليس فى ضعيفه ما يجانس شيئا من هذه المنظومة بحال من الأحوال •

وبعد ، فلعل بعض القارئين لا يرى الموضوع يستحق كل هذه العناية فى الاحتجاج لنفى هذه المنظومة عن الأخرس • ولكن ما عسى أن نصنع غير هذا فى شأن من شؤون التحقيق ، ومناهج البحث العلمى تفرض التعمق والاستدلال والاستقصاء ، وتنكر ارسال الرأى من غير براهينه ؟

واذ لم يظفر ديوان الأخرس ، من نشر هذه المنظومة ، بشىء جديد يضاف اليه ، فقد ظفر التحقيق اللغوى ، من شروح الدكتور الجلبى ، بفوائد جليلة نشكرها له ونطلب منها المزيد •

محمد بهجة الأثرى

ثلاثة اقتراحات في قواعد اللغة العربية

(الاقتراح الأول : الأسماء الستة معربة بالحركات لا بالحروف)

ان الأسماء المفردة المعربة التى اعتبرها علماء قواعد اللغة العربية ، معربة بالحروف، أى أن الحروف فيها تنوب عن الحركات فى غيرها ، هى الأسماء الستة ، ولأجل هذه الأسماء ولأجل المثنى وجمع المذكر السالم ، وضع العلماء فصلين للأسماء المعربة ، وهما : فصل الأسماء المعربة بالحركات ، وفصل الأسماء المعربة بالحروف ، كما جعلوا فصلين لعلامات الاعراب فى الأسماء وهما : فصل علامات الاعراب الأصلية ، وفصل علامات الاعراب الفرعية ، وبذلك كثرت الدساتير فى باب الاعراب ، وزادت مشقــة الطلاب والمعلمين فى الوقت الذى أجاز الأقدمون أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات » نرى ان الحركات تعتور الباء في : « جاء أبوك . رأيت أباك ، سلمت على أبيك » مثلما تعتور الباء مثلا فى « هذا كتابك ، خذ كتابك ، ماذا فى كتابك »، وليس هناك من فرق سوى أن الحركات فى « أبوك ، أباك ، أبيك » طويلة مشبعة ، وفى « كتابك » قصيرة ومقطوعة .

اذن : لم لا نقول : ان جميع الأسماء المفردة المعربة تعرب بالحركات دون استثناء ، وأن الألف والواو والياء فى « أباك ، أبوك ، أبيك » تولدت من تمديد الصوت أى من اشباع الحركات ، وأن أهل اللغة هكذا نطقوا بهذه الأسماء فى محادثاتهم ؟ ان تولد حروف العلة هذه من تمديد الصوت بالحركات أمر لا مفر منه ، والشواهد على ذلك كثيرة فى الشعر ، لأن الشعر والغناء توأمان ، وكل غناء هو تمديد الصوت بالحركات ، وكل تمديد يولد حرف علة و ... ولم لا نقول بذلك فى النثر فى هذه الأسماء ؟ أليس لفظ « أبوك » أوقع فى السمع وأجمل فى الأداء من كلمة « أبك » التى لا مجال لتمديد الصوت فيها ، فلا تصلح للصوت الموسيقى الذى لابد منه ؟ وأما فى « فو » وفى « ذو » فلا مجال للاستغناء عن الحرف الثانى ، فكيف نعتبره اعرابا ؟ فهذه الأحرف أوجدتها صرورة لا تشبه ضرورة الحركات ، فلم نقول انها أحرف اعراب لنخلق فصلا طويلا فى باب الاعراب الذى لا يوجد الا فى اللغة العربية ؟

دفع اعتراض قرأت فـى بعض الكتب اعتـراضـا على مـا سبق ، مفـاده : اذا اعتبر الباء فى أبوك مثلا موضع اعراب ، وجب علينا أن نقول بوجود الاعراب فى حشو

الكلمة ، وهذا مخالف للمبدأ العام ، وهو : أن الاعراب هو تغير فى آخر الكلمات الخ .

نقول لهذا المعترض : ان الواو فى « أبوك » ليس لام الكلمة ، فان « أبا » مثل « يد » و « دم » لا تعود لام الكلمة فى حالة الاعراب : لأننا اذا اعتبرنا الواو فى « أبوك » لام الكلمة تصبح حرفا أصلا ، فلا يبقى هناك أى مجال لاعتبارها حرف اعراب ؛ لأن الاعراب عرض طارئ لا يكون من جوهر الكلمة مثل الحركات . ثم اننا اذا اعتبرنا الواو هذه لام الكلمة ، وجب علينا أن نقول بنقل الحركة من الواو الى الباء فى « جاء أبوك » ، وأن نقول بقلب الواو ألفا فى « أباك » . وأن نقول بالنقل والقلب فى آن واحد فى « أبيك » ، وكل ذلك تكلف لا ينبغى أن نتحمله فى عصر الايجاز والتسهيل . اذن فالأولى أن نعتبر هذه الأسماء مؤلفة من حرفين أو من حرف واحد ، وأن هذه الأحرف « الواو والألف والياء » نتجت من اشباع الحركات ؛ لأن القوم قالوا فى محادثاتهم « هذا أبوك » بصوت موسيقى عذب لين ، ولم يقولوا « هذا أبك » بصوت مقطوع مخنوق لا يخلو من لبس .

التعب فى الاستثناء اننا اذا استثنينا هذه الأسماء من هذا الدستور الكلى ، وهو : أن الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة كلها أو بعضها ، أو بالحركات المقدرة كلها أو بعضها ، ، وقلنا : انها تعرب بالأحرف ، أى أن الأحرف فيها تنوب عن الحركات فى غيرها ، يجب علينا أن نعلم وأن نعلم الطلاب حالا القيود والشروط الآتية ليتم العلم التفصيلى نوعا ما باعراب هذه الأسماء .

القيود والشروط ١ ـ يقصد بـ « ذو » ما كان بمعنى « صاحب » ، لأن « ذو » بمعنى « الذى » اسم مبنى ، ولكن ـ ذو ـ معرب ، وهو لا ينفك عن الاضافة الخ .

٢ ـ « فو » لغة فى « فم » ، والأول أصل والثانى فرع ؛ لأن أصل الكلمة هو « فوه » فحذفت الهاء وأبدلت الواو ميما ، واذا حذفت الميم عادت الواو ، فتعرب « فو » بالأحرف وتعرب « فم » بالحركات الخ .

٣ ـ ان الأكثر فى « هن » اذا أضيف أن يقال « هنه » لا « هنوه » ، وبذلك تكون الأسماء المعربة بالأحرف المستثناة من القاعدة الكلية خمسة لا ستة الخ .

٤ ـ ورد فى كلام العرب : « هذا أبه وأخه وحمها » ، وذلك قليل جدا ، ومما ورد فى ذلك هذا البيت الشهير :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه « أبه » فما ظلم

٥ ـ ورد فى كلام العرب : « هذا أباه ، رأيت أباه ، سلمت على أباه » عوضا عن « أبوه ، أباه ، أبيه » وعندئذ يمكن أن يكون « أباه » مثل « عصاه » معربا بالحركات المقدرة ، وهذا قليل جدا ، ومن ذلك ما ورد من الشعر :

يا ليت عيناها لنا وفاها بثمن يرضى به أباها
ان أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

٦ ـ يشترط فى اعراب هذه الأسماء بالحروف أن تكون مكبرة ، لأنها عند التصغير تعرب بالحركات الظاهرة مثل « أبى .. أبيا .. أبى » الخ .

٧ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف ان تكون مفردة ؛ لأنها عند التثنية والجمع تدخل فى قاعدة اعرابهما الخ .

٨ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف أن تكون مضافة ، فانها اذا انقطعت عن الاضافة تعرب بالحركات الظاهرة ، مثل « أب ، أبا ، أب » .

٩ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف أن تكون الاضافة الى غير ياء المتكلم ، والا فانها تعرب بالحركات المقدرة على ما قبل الياء ، شأن سائر الأسماء المفردة المضافة الى ياء المتكلم الخ ..

نعم ، اننا لا نستغنى عن معرفة هذه القيود والشروط فى حالة اعتبار هذه الأسماء معربة بالحركات ، غير أننا نستغنى عن تكليف الطلاب معرفة تفاصيلها بادىء بدء ، كما أن فيها بعض القيود لا نحتاج الى التعرض له مهما طال بنا البحث والتدقيق .

عود على بدء ان خير الدساتير ما كان عاما شاملا خاليا من شرط واستثناء ، فلذا أرى من الأفضل والأسهل أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة » وبذلك نخلص من فصل الأسماء الستة ، ومن شروط اعرابها بالأحرف ، ونخلص من فصل علامات الاعراب الفرعية فى الأسماء ، أو الاعراب بالحروف .

* * *

(الاقتراح الثانى : يعرب المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقة بهما بالحركات)
(المقدرة لا بالحروف)

يكاد المطالع أن يضيع الطريقة المثلى ، بل انها ضائعة ، حينما يطلع على اختلاف القدماء فى اعراب المثنى وجمع المذكر السالم ، فأقوالهم مختلفة متضاربة . غير أن ما يليق بالبحث من أقوالهم الواردة فى ذلك هو قولان ، أحدهما : أن الألف والواو

والياء فى التثنية وفى الجمع هى الاعراب نفسه ، أى أن هذه الأحرف بمنزلة الرفع والنصب والجر فى آخر الأسماء المعربة المفردة . فاذا قيل « جاء طالبان » و « جاء المعلمون » فان الألف والواو عوضان عن الرفع فى آخر « طالب ومعلم » فى قولنا « جاء طالب ومعلم » ، وهذا القول هو المعمول به اليوم .

وثانيهما : أن هذه الأحرف « الألف والواو والياء » ليست اعرابا ، ولكنها أحرف اعراب مثل الباء فى طالب ، والألف فى الفتى ، والياء فى القاضى الخ .

« أعتقد بأن أصحاب هذا القول يقصدون أن الاعراب مقدر على هذه الأحرف مثل تقديره على الألف والياء فى كلمتى « الفتى والقاضى » » قلت : أعتقد ؛ لأنى لم أقرأ تصريحا بذلك فى الكتب التى طالعتها » .

ان الخلاف بين القولين واضح : فان اعراب المثنى والجمع يعتبر لفظيا ظاهرا على القول الأول ، ويعتبر الاعراب مقدرا على القول الثانى .

القول الثانى أصح وأسهل قبل أن أذكر تفنيد القول الأول ، أقول : اذا لم يكن هناك أى مسوغ لترجيح القول الثانى على الأول ، أى لترجيح اعتبار الاعراب بالحركات على اعتبار العلامات نفسها أحرف اعراب ، فان مراعاة التسهيل والايجاز بتقليل الدساتير العلمية هى وحدها كافية لرجحان القول الثانى ، اذ يصبح لدينا دستور واحد فى اعراب الأسماء ، وهو : « الأسماء كلها تعرب بالحركات الظاهرة أو المقدرة الخ » .

تفنيد القول الأول ما أدرى لماذا تغلب الأخذ منذ عهد بعيد الى يومنا هذا بالرأى الأول ، وهو : أن الألف والواو والياء فى المثنى وفى الجمع هى الاعراب برغم ان هذا الرأى ظاهر البطلان ، وأن فيه تحكما لا نظير له فى قواعد اللغة العربية ، بل ان القول بأن المثنى والجمع مبنيان لهو خير من جعل هذه الأحرف اعرابا ؛ لأن البناء أقل كلفة فى التفهيم ، وآمن من توجه اعتراضات لا تدفع ، فلعل الأوضاع السياسية والاجتماعية لهؤلاء العلماء أثرت فى تغلب هذا الرأى مثل تغلب رأى الكسائى على رأى سيبويه فى مسألة « الزنبور » ، وكم من مسائل علمية ودينية تغلبت على ضدها فى أوضاع خاصة .

لقد فند العلماء القول باعتبار هذه الأحرف اعرابا من جهات عديدة ، أهمها أن الاعراب عرض طارىء ، يبقى مع زواله جوهر الكلمة دون أن يتغير معناها . وهذا

شىء واضح ، فاننا سواء قرأنا « طالب » برفع أو بسكون فى « جاء طالب » ، فان معنى الكلمة لا يتغير ، وليس الأمر كذلك مع الألف والياء والواو فى المثنى وفى الجمع ، فان حذفها يغير المعنى المراد ، وهو الدلالة على أكثر من واحد . اذن فان اعتبار هذه الأحرف اعرابا لا ينجو من النقد الذى لا يدفع ، وان الاستدلال بأن هذه الأحرف تتغير كتغير الحركات فاعتبرت عوضا عنها لهو استدلال باطل ؛ لأن أبناء اللغة الذين تكلموا بها قبل وضع القواعد أوجدوا للمثنى صورتين ، وللجمع الذى سمى فيما بعد جمعا سالما للمذكر أوجدوا صورتين أيضا ، كما نطقوا بعدة صور من مادة واحدة للجموع التى سماها العلماء جمع تكسير مثل نوق ، وأنيق ، وأيانق ، ونياق ، وأنواق ، و... فى جمع ناقة . وليس الفرق بين الصورتين فى الجمع السالم وبين صور متعددة فى غيره عن قصد سوى أن القوم استعملوا الكلمات كما تقتضيه محادثاتهم فى النثر وفى النظم .

فاستعمل العرب القدماء فى لغتهم التى نسميها اليوم لغة الكتابة أو اللغة الفصيحة صورتين للمثنى وصورتين للجمع ، بينما العرب اليوم لا يستعملون فى لغتهم التى نسميها اللغة العربية العامية سوى صورة واحدة للمثنى وللجمع ، وهى صورة زيادة الياء والنون على المفرد ، فيقول الناس « جوا المعلمين ، شفت المعلمين ، رحت ويا المعلمين ، جوا طالبين ، شفت طالبين الخ » . ثم انه لو كان هذا التغيير بمنزلة الحركات ، لقال المعترضون بوجوب هذا التغيير بين حالتى النصب والجر ، اذن ليس التغيير فى المثنى والجمع الا من قبيل التغيير الذى يحدث فى بعض الأسماء المبنية بحسب التراكيب المختلفة .

وقد سبق منا أن اعتبار هذه الأحرف علامات لمعنى خاص ، أى أنها فى حكم أحرف المعانى ، أمر لا مناص منه بحسب الوضع اللغوى ، واعتبارها اعرابا أيضا تحكم لا نظير له فى اللغة وضرورة يمكن التخلص منها .

النتيجة اذن لابد من الأخذ بالقول الثانى ، فنقول : ان المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقة بهما تعرب بالحركات المقدرة على آخرها أى على علامات المثنى والجمع من الألف والواو والياء ، اذ لا يمكن ان نعتبر النون آخر الكلمة لأنها ليست ثابتة لسقوطها فى الاضافة ، فلا مفر من اعتبار الألف والياء والواو آخر الكلمة ووضع الاعراب المقدر عليه .

واذا عملنا وفق اقتراحى الأول والثانى تطرد عندنا القاعدة الآتية فى اعراب الأسماء ، وهى : « الأسماء المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة على آخرها ،

وما أقوى الدستور اذا كان مطردا ، وبذلك نتخلص من فصول فى باب الاعراب الذى هو أصعب الأبواب فى قواعد اللغة •

(الاقتراح الثالث : لا حاجة الى تابع يسمى عطف بيان)

لقد ورد فى كتب قواعد اللغة العربية : « كل ما صلح أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » ، وقرأت فى بعض الكتب : « ومن النحاة من لم يثبت عطف البيان ، بل جعل كل عطف بيان بدلا مطابقا » ولم أقرأ تفصيلا لبيان وجهة نظر هذا النحوى • وعلى رغم ورود هذين التصريحين لم أجد من يصرح بما يلى : « لا حاجة الى تابع يدعى عطف بيان » ، بل وجدت كتبا حديثة التأليف فى قواعد اللغة العربية ، وقد أثبتت هذا التابع جريا على نظام المؤلفات القديمة فى هذا الباب •

انا لست من الأساتذة ، ولا من أبناء هذه اللغة ، غير أنى بحكم مهنتى : التعليم فى المدارس الابتدائية ، ثم بدافع التوسع طالعت كتبا محدودة فى قواعد اللغة العربية ، وبعد الدرس والتفكير ، تبين لى أنه فى الامكان أن نستغنى بالبدل المطابق أو « بدل الكل من الكل » ــ كما يسمونه ــ عن عطف البيان ، فنعتبر التوابع أربعة لا خمسة ، وعندئذ ينجو الطلاب والمعلمون من تخيير طالما نسمع به حينما يعربون مثل : جاء أبو هند على ، فيقولون : « على » بدل أو عطف بيان •

لم وضع عطف البيان؟ لقد أورد بعض المؤلفين أربعة أمثلة من التراكيب العربية بعضها واردة ، وبعضها مفروضة ، وقالوا : انها تستثنى من قاعدة « كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » فادعوا بأن التابع فى هذه الأمثلة يتحتم عليه أن يعتبر عطف بيان لا بدلا مطابقا ، وانى أعتقد أن هذا الادعاء تحكم محض ، وان فى الامكان تأويلها والاستغناء عن عطف البيان كما يتبين فيما يلى :

المثال الأول قالوا : لقد ورد فى كلام العرب مثل « يا غلام بشرا » بنصب «بشر» ، ومتى قيل : يا غلام بشرا ، ويا رجل خالدا ، يجب اعتبار الاسم المنصوب عطف بيان لا بدلا مطابقا • وحجتهم فى ذلك أن بشرا مثلا لو اعتبر بدلا لوجبت القراءة « ياغلام بشر » ببناء بشر على الضم ؟ لأن البدل هو التابع المقصود بالنداء دون المبدل منه ، وبشر ــ وهو علم مفرد ــ اذا صار منادى يبنى على الضم شأن المنادى المفرد المعرفة الخ •

ان هذا الاعتبار على ثبوت التحكم فيه لا يسهل تفهيمه للطلاب اذا سهل فهمه على المعلم ، ثم انه اذا ثبت بالتواتر أن العرب القدماء قالوا « يا غلام بشرا » و « يا غلام يعمرا »

كما ورد فى ألفية ابن مالك ، فلم لا نقول اليوم : ان بشرا ليس تابعا للمنادى ولكنه منصوب بفعل محذوف ، وهو « أعنى » وما ضارعه ؟ وهذا كثير جدا فى اللغة العربية ، ثم لماذا يعتبر المبدل منه فى حكم العدم دون سائر المتبوعات ليوجد ذلك محاذير هنا وفى الامثلة الآتية ؟ اذن يصح لنا أن نقول : ان بشرا فى « يا غلام بشرا » ليس تابعا ، واذا جعلناه تابعا نعتبره بدلا مطابقا تابعا لمحل المنادى .

المثال الثانى قالوا : اذا قيل جاء الناصر الرجل خالد يجب اعتبار « خالد » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لئلا يلزم اضافة الوصف المحلى بأل الى اسم خال من أل ، أى انهم لم يجيزوا جاء الناصر خالد . ولو فرض الكلام على البدلية ، لكان جاء الناصر الرجل خالد فى حكم جاء الناصر خالد ، وهذا ما لا يجوز فى عرفهم ، ولذا جعلوا « بشر » فى هذا البيت القديم :

أنا ابن التارك البكـرى بشر عليه الطير ترقبـه وقوعـا

عطف بيان ، ولم يجيزوا جعله بدلا مطابقا لئلا تضاف كلمة « التارك » المحلاة بأل الى بشر وهو خال من أل ، ولو أن « أنا ابن التارك بشر » جميل فى المعنى جدا !

ان التحكم فى هذا المثال أشد من التحكم فى سابقه ، لأن النحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بأل الى اسم خال من أل اذا كان الوصف مثنى أو جمعا ، فلم لا يجيزون اضافة الوصف نفسه اذا كان مفردا ؟ واذا يستدلون على جواز اضافة الوصـف المثنى والجمع بقول الشاعر :

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمى

وبقول الشاعر :

العارفو الحق للمدل به والمستقلو كثير ما وهبوا

فليحملوا المفرد على المثنى والجمع قياسا ان لم يكن واردا ، أو فليستدلوا على جواز اضافة الوصف المفرد بالبيت السابق : « أنا ابن التارك البكرى بشر الخ » بأن يعتبروا ــ بشر ــ بدلا ليكون الكلام فى حكم الاضافة ــ اذا صح قولهم ــ المبدل منه فى حكم العدم!

وان لم يقبلوا لا هذا ولا ذاك ، فليرجعوا الى قول نحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بأل الى الأسماء المعرفة كافة ، سواء كان الوصف مفردا أو مثنى أو جمعا ، فأجازوا « جاء الناصر خالد ، وجاء الناصر هذا ، وجاء الناصر الرجل ، وجاء الناصران ، وجاء الناصرون ، وجاء الناصرو الذى رأيناه ، و ... » اذن : لا يبقى أى مانع فى جعل بشر

فى ذلك البيت بدلا مطابقا ، مستغنيا عن عطف البيان !.

المثال الثالث قالوا : اذا قيل « يا محمد المهدى » ، وجب أن يكون ـ المهدى ـ وهو معرف بأل عطف بيان للمنادى لا بدلا مطابقا ؟ لأنه لو كان بدلا لزم دخول حرف النداء على المعرف بأل وذلك ممنوع ـ فى عرفهم ـ فلا يقال يا الرجل ، ويا الغلام و ...

لم لا نقول هنا ان الوارد من كلام العرب القدماء لهو حجة على الدساتير ، وأن الأصل فى الكلام عدم الحذف ؟ فقد ورد فى كلام العرب :

فيا الغلامان اللذان فـرا ... اياكما أن تكسبا لى شرا

فديتك يا التى تيمـت قلبـى ... وأنت بخيلة بالوصـل عنـى

فلم لا يجوز « يا الرجل » على حد « يا الغلامان » ، ولم نقول : ان الكلام هنا على حذف المنادى بتقدير ـ أيها ـ دون ضرورة ؟ واذا تم لنا ذلك نقول « المهدى » فى قولنا « يا محمد المهدى » بدل مطابق ، فليصبح الكلام فى حكم « يا المهدى » اذا قبلنا بالتحكم المشهور ، وهو أن المبدل منه فى حكم العدم . ولم نقبل هذا التحكم ولا نستغنى عن عطف البيان ، ولدينا مسوغ قوى وهو التسهيل والايجاز ؟

المثال الرابع قالوا : اذا قيل « الدار سافر على ساكنها » ، يجب اعتبار « ساكنها » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لأن البدل والمبدل منه يغنى كل واحد منهما عن الآخر ، وهنا اذا جاز أن نقول « الدار سافر ساكنها » بالاستغناء عن المبدل منه ، لا يجوز أن نقول « الدار سافر على » بالاستغناء عن البدل ، اذ تخلو جملة الخبر عن الضمير الرابطها بالمبتدأ !!

ومثل هذا المثال « جاء الذى كتب على أخوه » « جاء غلام سافر بشر سيده » « جاء خالد سافر على خاله » . لم لا نقول : ان هذه الجمل فرضية ، وقواعد اللغة لا تبنى على المفروضات بل تعتمد على الوارد المروى من كلام أصحاب اللغة ، وتستمد دساتيرها من كلامهم المسموع فقط ؟ ثم ان البدل فى الأمثلة المذكورة يستغنى عن المبدل منه ، لأنه المحتوى على الضمير الرابط ، ولنفرض عدم استغناء المبدل منه عن البدل فى هذه الأمثلة الفرضية نادرا ، وما أكثر النوادر فى اللغات !

عود على بدء بناء على ما تقدم نستطيع أن نقول : لا حاجة بعد اليوم الى تابع يدعى عطف بيان ، فلا ينبغى ذكره فى المؤلفات ، لأننا فى عصر السرعة والتسهيل . فكلما قلت الدساتير ، قرب القصد وسهل المرام .

محمد على الكردى

المجلة لقد اتسع هذا النحو العربي قديما لمذاهب علماء الكوفة والبصرة ، ولآراء البغداديين والأندلسيين ، ولم يضق ذرعا باجتهاد باحث من الباحثين في مختلف العصور .

وقد استجدت في هذه السنين الأخيرة محاولات عدة لتجديد النحو وتيسير قواعد الاعراب ، بدأها كتاب احياء النحو متأثرا ببعض آراء ابن جني وأبي عثمان المازني وابن مضاء القرطبي مؤلف « الرد على النحاة » ، وتلاه تقرير لجنة « تيسير قواعد اللغة العربية » بوزارة المعارف المصرية ، ثم أبحاث كثيرة نشرت في الصحف تناقش مسالك النحاة في تبويب النحو ومصطلحاته وعلله ، وتبغي التخفيف من هذه المباحث المتشعبة ومن وجوه الاعراب وتعليلاته وخاصة فيما يقدم منها للطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية . ثم تبنت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الموضوع ، فاستفتت العلماء في وجوه الاصلاح الذي يرونه ، حتى انتهت الى ما أقره ممثلو الدول العربية من مناهج النحو وقواعد الاملاء العربي الجديد في « المؤتمر الثقافي العربي الأول » الذي عقدته في بيت مري بلبنان في خريف سنة ١٩٤٧م . ولابد أن تظهر آثار هذه النتيجة في مؤتنف الأيام القريبة .

وهذه الاقتراحات الثلاثة التي حرص كاتبها على نشرها ، انما تمثل بعض أطوار الرأي الذي أشرنا اليه في تيسير قواعد النحو ، ونحن اذ ننشرها له نرجو أن يكون فيها شيء جديد غير مسبوق اليه فيما كتبه الباحثون في هذا الباب .

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي

لخصنا في المجلد الأول أهم الأعمال التي قام بها المجمع وأولاها عنايته منذ بدء تكوينه الى سنة ١٩٥٠م ، ونورد الآن ملخصا آخر لما أنجزه من بعد .

كانت موازنة المجمع السنوية في كل من السنتين الخاليتين ٨٫٠٠٠ دينار ، ولكن الضرورات الملحة استلزمت اضافة ٢٫٠٠٠ دينار الى موازنة السنة الماضية على سبيل المناقلة من فصول موازنة وزارة المعارف لتسوية حساباته ، وانه لمبلغ يسير جدا في جانب حاجات المجمع ومطالبه في حركة البحث العلمي وما ينبغي لها من اتساع النطاق والامتداد والشمول . ولئن فات المجمع ـ بسبب قلة موازنته ـ أن يحقق كل هذه الحاجات والمطالب التي يصبو الى تحقيقها ، لقد استطاع ـ مع ذلك ـ أن يحقق جانبا منها غير قليل الشأن على ما سترى في هذه الخلاصة .

المطبعة لما تكون المجمع ، كان من أوائل مقرراته أن يقتني مطبعة حديثة راقية تطبع كتبه ومجلته ، فعهد بذلك الى لجنة فرعية ألفها من أعضائه ، واستقر الرأي – بعد درس الموضوع – على مفاوضة احدى الشركات التجارية في شراء المطبعة فورا ، ولكنه لم يكد يشرع في المفاوضة حتى فوجيء بخفض موازنته من ٢٥٫٠٠٠ دينار الى ١٠٫٠٠٠ دينار ، فعدل عن عزمه ريثما تتبدل الحال ، وعهد بطبع كتبه ومجلته الى المطابع المحلية بوساطة مطبعة الحكومة على سبيل « المناقصة » ! فعاني من اضطرار الى اتباع هذه الطريقة في الطبع متاعب شديدة ، ووقع من تسويف المطابع وابطائها في انجاز كتبه فيما خشيه وأراد الهرب منه منذ أول تكونه . ولما ازدادت هذه الحال تأزما ، قدم الأستاذ محمد بهجة الأثري اقتراحا يتضمن حلا وسطا للمسألة ، وهو أن يقتني المجمع حروفا خاصة به ينضدها في دار . ويبعث بها الى المطابع لتطبعها له تيسيرا لانجاز أعماله ، فوافق على اقتراحه ، وكتب الى وزارة المالية يطلب موافقتها على ذلك ، فلم توافق ، فعاد الى الكتابة اليها بقيام الدواعي التي تقضي بهذا الاجراء الاضطراري مرة ثانية وثالثة ، وطال الأخذ والرد حتى ظفر المجمع بعد زمن طويل بموافقة وزارة المالية ، فابتيعت الحروف من بغداد والقاهرة ، ولكن من موازنة المجمع الضئيلة . وقد كان للأزمة المالية المستحكمة يومئذ أثرها البعيد في هذا الذي نذكره من الممانعة والمطال ، حتى اذا آنس المجمع في أثناء ذلك انفراج الأزمة ، أخذ يطالب بمطبعة خاصة به لما يعاني من تسويف المطابع المحلية وتأخيرها لظهور آثاره وأعماله كالذي حدث من طبع المجلد الأول والثاني من المجلة في أكثر من مطبعة وما نشأ عن ذلك من تأخير صدورها عن أوقاتها المقررة ، وكالذي تعرض له كتاب الخريدة وغيره من الكتب التي أودعها الى المطابع ، وما برح يؤكد حاجته الشديدة الى مطبعة خاصة به حتى ظفر بعد عناء طويل بالموافقة على ابتياع مطبعة مستعملة من لندن ولكن من موازنته أيضا . وطالت مراجعته لمطبعة الحكومة والشركات في هذا الشأن حتى تمكن من الحصول على مطلبه .

واستدعى اقتناء المطبعة انشاء بناية خاصة بها ، وهي مسألة ترتبط مباشرة بمسألة الأرض التي يطالب المجمع بتمليكه اياها ، ولمسألة الأرض قصة طويلة ضافية الذيول صاحبت تأسيس المجمع ومرت بأطوار كثيرة من الاعطاء والمنع استغرقت سنوات عدة لم يكف فيها عن المطالبة بها حتى وعد بأرض في « الوزيرية » ، ولم يلبث حين اقتنى المطبعة أن وجد السبيل الى تعيين هذه الأرض كي يتسنى له انشاء بناية المطبعة فيها ، فعينت له ،

فعجل وأنشأ فيها هذه البناية من موازنته السنوية أيضا ، ونحمد الله تعالى على أن تكللت سلسلة هذه المتاعب المضنية منذ سنة ١٩٤٨م بنجاح المجمع اليوم فى اقتناء مطبعة مستعملة وتشييد بناية لها . والمؤمل أن يثين وقت الشروع فى الانتفاع بها قريبا ان شاء الله .

أعماله العلمية فى سلسلة هذه المتاعب المضنية التى تستبد بالطاقة وتستنفد الصبر ، دأب المجمع على أعماله العلمية فواصل محاضراته التى ذكرنا قسما مهما منها فى المجلد الأول وشاركه فيها نفر من المستشرقين زاروا هذه البلاد وأموا المجمع خاصة لتعرف أعماله ومثافنة رجاله . ووضع ـ على سبيل التعاون مع دوائر الحكومة ـ كثيرا من المصطلحات العلمية والفنية ، وما زال دائبا على وضعها فى معظم جلساته ، وفى هذا المجلد طرف منها وسيواصل نشر ما أنجز منها فى الأجزاء الآتية . ونشر طائفة من المؤلفات القيمة التى تملكها وقرر طبعها بنفقاته . وساعد عددا من الأدباء على نشر ما رغبوا فى نشره من آثارهم أو آثار غيرهم بما بذله من المال . وشجع حركة التأليف والترجمة بتخصيص الجوائز السنوية للمطبوعات وللمؤلفات والمترجمات . ولم يفته أن يقف الجماهير على مبدعات العلم والمخترعات فى عالم الصناعة ، فعرض عليها أكثر من مئة شريط سينمائى حفلت بعجائب العلوم وغرائب الفنون والصناعات . ويسرت الشعبة الفنية فيه للعلماء والباحثين ما يفتقرون اليه من المخطوطات والوثائق والنصوص بتصويرها لهم بثمن زهيد ووقت قصير جدا . وسهلت خزانة كتبه جميع وسائل البحث والتنقيب الممكنة لمن يشاء من الناس ، وقد حفلت بأمهات الكتب ونوادر المؤلفات التى صورها عن المخطوطات النادرة فى أشهر خزائن الكتب فى الشرق والغرب ، ولا يزال دائبا على اقتناء المطبوعات الجديدة ـ عدا ما يهدى اليه منها ـ وعلى تصوير المخطوطات النادرة بقدر ما تمكنه موازنته الضيقة .

وقد عقد الى الآن زهاء مئة وعشرين جلسة مجمعية ، وأكثر من ٤٠٠ جلسة عقدتها لجانه الفرعية من غير أن يتقاضى الأعضاء شيئا عن جلسات اللجان .

وهذا ثبت محاضراته وكتبه ومساعداته وما قرر نشره :

المحاضرات ذكرنا فى المجلد الأول قسما مهما من محاضرات المجمع ، ونذكر فيما يأتى المحاضرات الباقية ، وهى :

(١) نشوء الوجدان وتكامل الانسان ـ للدكتور ناجى الأصيل ، فى ١١/١١/١٩٥٠ .

(٢ ، ٣ ، ٤) المرأة والرجل ـ ثلاث محاضرات للدكتور شريف عسيران ، فى

١٩٥١/٢/١٠ و١٩٥١/٣/٣ و١٩٥١/٤/٢١ .

(٥) تاج حفريات نمرود (باللغة الانكليزية) ـ للأستاذ سلون، فى ١٩٥١/٥/٥.

(٦) القانون المدنى العراقى ـ للأستاذ منير القاضى ، فى ١٩٥١/١٢/١ .

(٧) الشاعر الفيلسوف محمد اقبال (باللغة الانكليزية) ـ للدكتور أختر امام ، فى ١٩٥١/١٢/١٥ .

(٨) خطط البصرة ـ للأستاذ ماسنيون ، فى ١٩٥١/١٢/١٧ .

(٩) الرياضيات قبل عهد اليونان ـ للأستاذ محيي‌الدين يوسف ، فى ١٩٥٢/١/١٢.

(١٠) الثقافة النسوية القديمة فى العراق ـ للدكتور مصطفى جواد ، فى ١٩٥٢/٣/١ .

(١١) خطورة موقفنا الفاصل فى تأريخ العالم من الوجهة الروحية (باللغة الانكليزية) ـ للأستاذ ايلسون ، فى ١٩٥٢/١٠/٣١ .

(١٢ ، ١٣) المدرسة النظامية ببغداد وتحقيق موضعها ـ محاضرتان للدكتور مصطفى جواد ، فى ١٩٥٢/١٢/٦ و١٩٥٣/١/٣ .

الكتب والآثار ونشر فى هذه المدة الوجيزة من الكتب والآثار التى طبعها بنفقته :

(١) مجلة المجمع العلمى العراقى (المجلد الأول) .

(٢) مجلة المجمع العلمى العراقى (المجلد الثانى) .

(٣) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الأول) للدكتور جواد على .

(٤) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثانى) للدكتور جواد على .

(٥) كتاب النغم ليحيى بن على بن يحيى المنجم ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى .

(٦) المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للحافظ ابن الدبيثى ـ انتقاء الامام الذهبى، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(٧) مقدمة للرياضيات ـ تأليف وايت هيد ، وترجمة الأستاذ محيي‌الدين يوسف.

(٨) موجز الدورة الدموية فى الكلية ـ تلخيص الدكتور هاشم الوترى .

(٩) صورة الأرض ـ للشريف الادريسى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ، وهى أول خارطة عالمية وضعها المسلمون ، وقد جمعها وألف بين أجزائها المتفرقة فى كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسى » المستشرق الألمانى كونراد ملر ونشرها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، ونقلها الى العربية الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور جواد على وحققا

أعلام المدن بالرجوع الى خمس نسخ مصورة من كتاب نزهة المشتاق المذكور والى طائفة من كتب العرب في الجغرافيا ، وامتاز تحقيقهما بما استدركاه على المستشرق الألماني من الغلطات الكثيرة ، وكتب أسماء المدن الأستاذ محمد بهجة الأثري بخطه ، وطبعت الخارطة بتسعة ألوان بمطبعة المساحة ببغداد فجاءت تحفة نادرة منقطعة النظير .

(١٠) خارطة بغداد الأثرية ـ وضع الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد نسيم سوسة والسيد أحمد حامد الصراف .

وتتبعها كتب على وشك الظهور ، وهي :

(١١) خريدة القصر وجريدة أهل العصر ـ (القسم الخاص بالعراق) ـ تأليف العماد الأصبهاني الكاتب من كتاب صلاح الدين الأيوبي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جميل سعيد ، مع شروح وتعليقات مستفيضة للأول .

(١٢) ابن الفوطي ـ للأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي .

(١٣) الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ـ للسيد ناصر النقشبندي .

وكتب أخرى معدة للطبع ، وهي :

(١٤) نزهة الأرواح وروضة الأفراح في أخبار الحكماء اليونانيين والاسلاميين ـ تأليف الفيلسوف الاشراقي شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري معارضا بثماني نسخ .

(١٥) تأريخ الموصل (الجزء الثاني) ـ تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

(١٦) الخطاط البغدادي علي بن هلال المعروف بابن البواب ـ تأليف الدكتور سهيل أون وير من أساتذة الطب بجامعة استانبول ، وترجمة الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ عزيز سامي .

(١٧) مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ـ تأليف ابن الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(١٨) منازع الفكر الحديث ـ تأليف الفيلسوف الانكليزي سي. آي. أم جود ، وترجمة الأستاذ المرحوم عباس فضلي مدير التسوية العام ، ومراجعة الدكتور عبدالعزيز البسام والأستاذ أميل ضومط .

(١٩) معجم الرياضيات ـ تأليف جماعة من كبار الاختصاصيين الاميركيين ، وترجمة الأساتذة : محيي الدين يوسف ، ومحمد بهجة الأثري ، ومصطفى جواد ، وعبدالجبار عبدالله ، وحلمي سمارة ، وسعدي الدبوني .

(٢٠) أرض الخلافة ـ تأليف لسترنج ، وترجمة السيد بشير فرنسيس والسيد كوركيس عواد •

ومنح مؤلفي الكتب الآتية مساعدات مالية لطبعها ، وهي :

(٢١) اليزيدية ـ تأليف السيد صديق الدملوجي ، طبع في الموصل •

(٢٢) أنت الوراثة ـ تأليف أفرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس •

(٢٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة ـ تأليف سي• آي• أم جود ، وترجمة السيد كريم متى •

(٢٤) الديارات ـ للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد •

(٢٥) الشرر ـ ديوان للشاعر السيد أحمد الصافي النجفي ، طبع في بيروت •

(٢٦) شرفنامه ـ تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني (تحت الطبع) •

الجوائز ـ أشرنا في المجلد الأول الى اهتمام المجمع بتشجيع التأليف والترجمة والنشر في العراق ، وارصاده مبلغا من موازنته يمنح جوائز لمن يتفوقون في المباريات السنوية التي يعلنها ويعين موضوعاتها • وذكرنا الجوائز التي منحها في سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ • ونذكر الآن أنه قد مضى على سنته تلك فأرصد لسنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ست مئة دينار قسمها هكذا : ١٥٠ دينارا لمن يؤلف أحسن كتاب في « وسائل اصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من الفصحى » ، و٢٠٠ دينار للفائز الأول و١٠٠ دينار للفائز الثاني في نقل أحسن كتاب من لغة غربية الى اللغة العربية ، و١٥٠ دينارا لأحسن كتاب مطبوع في سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ، وشرط لذلك شروطا أذاعها في بيانه الرسمي بالاذاعة اللاسلكية ونشرها في الصحف المحلية وفي المجلد الأول من مجلته (ص ٣٩٢)• ولكن الانتاج الذي قدم لمباريات هذا العام كان أقل شأنا من انتاج العام الماضي كمية وكيفية، ولم يؤلف أحد ما في موضوع « وسائل اصلاح اللغة العربيةالعامية وتقريبها منالفصحى»• وراعى المجمع وهو يمنح جوائز هذا العام ما راعاه في السنة الماضية من التزام جانب التشجيع في منح جوائزه لئلا يقف في بدء حياته موقف المتشدد تجاه المشتغلين بالبحث والترجمة ، فمنح التأليف المطبوع ١٥٠ دينارا وكانت نصيب كتاب « التطبيقات الشرعية » للسيد محمد أحمد العمر ، ومنح الترجمة منحة الجائزة الثانية وقدرها ١٠٠ دينار وكانت نصيب كتاب « الأرض والفقر » تأليف الآنسة دورين ورنر وترجمة السيد حسن أحمد السلمان •

وأرصد لجوائز سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ خمس مئة دينار قسمها هكذا : للمؤلفات المطبوعة ٢٥٠ دينارا وللترجمة ٢٥٠ دينارا ، فمنح منها ١٥٠ دينارا لكتاب « أميركا كما عرفتها » تأليف السيد أمين المميز • و١٠٠ دينار لكتاب « ثورة الخيام » تأليف السيد عبدالحق فاضل • و١٠٠ دينار لكتاب « رحلة ريج فى العراق » ترجمة صاحب المعالى السيد بهاء الدين نورى • ومما تجدر بنا الاشارة اليه أن الفائزين الثلاثة فى هذا العام هم من رجال وزارة الخارجية العراقية كما أن مجموع الانتاج الذى قدم للمباراة كان أفضل مما قدم فى العام الماضى وأوفر عددا •

المصطلحات العلمية بذل المجمع مجهودا كبيرا فى وضع المصطلحات ، وكتب الى جميع دوائر الحكومة لتوافيه بما عندها من مصطلحات علمية وفنية باللغات الأجنبية تحتاج الى ما يقابلها من فصيح اللغة العربية ، وفى التقرير الذى نشر فى هذا المجلد (٣١١ـ٣١٥) عن مساعيه فى هذا الشأن غنى عن الاعادة والتكرار •

م ، ب ، ا

أعضاء المجمع العلمى العراقي

في سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م

الأعضاء العاملون

الأستاذ منير القاضى (الرئيس)	بغداد
الدكتور شريف عسيران (نائب الرئيس الأول)	»
الأستاذ محمد بهجة الأثرى (نائب الرئيس الثانى)	»
الدكتور جواد على (« السكرتير »)	»
الدكتور ناجى الأصيل	»
الدكتور هاشم الوترى	»
الأستاذ محيىالدين يوسف	»
الأستاذ شيث نعمان	»
الدكتور أحمد نسيم سوسة	»
الدكتور مصطفى جواد	»

الأعضاء الفخريون

الأستاذ طه الهاشمى	بغداد
الدكتور محمد فاضل الجمالى	»
الدكتور متى عقراوى	»
الأستاذ يعقوب سركيس	»

الأعضاء المراسلون

الدكتور داوود الجلبى	الموصل
الخورى سليمان الصائغ	»
الأستاذ محمد كرد على	دمشق

الأستاذ عبدالقادر المغربى	دمشق
الأستاذ فارس الخورى	»
الأستاذ خليل مردم بك	»
الدكتور قسطنطين زريق	بيروت
السيد جميل بيهم	»
الأستاذ أحمد لطفى السيد	القاهرة
الدكتور طه حسين	»
الدكتور أحمد أمين	»
الدكتور منصور فهمى	»
الدكتور عبدالوهاب عزام	»
الأستاذ عباس محمود العقاد	»
الأستاذ محمد الخضر حسين	»
الأستاذ أحمد العوامرى	»
الأستاذ ساطع الحصرى	»
الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب	تونس
الأستاذ ظفر الله خان	كراجى
الأستاذ مكرمين خليل	الأستانة
الأستاذ على أصغر حكمة	طهران
الأستاذ مولانا أبو الكلام آزاد	دهلى
الأستاذ جب	لندن
الأستاذ ألفريد كيوم	»
الأستاذ لويز ماسنيون	باريس
الأستاذ وليم مارسيه	»

فجع المجمع فى العام الماضى بعضوين من أعضائه المراسلين ، فكانت فجيعته بهما عظيمة ، وهما : الدكتور على مصطفى مشرفة باشا فى القاهرة ، والشيخ محمد السماوى فى النجف – رحمهما الله .

الفهرس

المقالات والمحاضرات

الكتب

انباء وآراء

تصحيح الغلط المطبعي في المجلد الأول

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
٣١٠	٢٣	=	+
٣١١	٥	٢	$\bar{٢}$
٣١١	٦	٣	$\bar{٣}$
٣١١	٧	٢	$\bar{٢}$
٣١٢	٨	ص = س	$ص^{٢} = س$
٣١٢	٨	ص = + ٢	ص = ± ٢
٣١٢	٢٩	الواحدة	الوحدات
٣١٢	٢٩	مثلا	ممثلا
٣١٣	١٤	احداثاتها	احداثياتها
٣١٣	١٦	م ا = ١ م ب = ١	م ا = ١، م ب = ١
٣١٣	بعد السطر ٢١ وقبل السطر ٢٢	توضع عبارة : لوجدنامن تطبيق القانون المدعو بقانون بويل أن حاصل ضربهما أي حض يساوي	
٣١٤	٤	حص = ١	حض = ١
٣١٤	٩	ا	أ
٣١٦	٨	$م^{١} وم^{٢}$	$ك_{١} ك_{٢}$
٣١٦	١١	$\frac{ب ك_{١} ك^{٢}}{ل}$	$\frac{ب ك_{١} ك_{٢}}{ل^{٢}}$
٣١٦	١٨	$\frac{ب ك_{١} ك_{٢}}{ل^{٢}}$	$\frac{ب ك_{١} ك_{٢}}{ل^{٢}}$
٣١٩	١٩	للبحث	للحث
٣٢٠	٤	النظرية	النظرة
٣٢٠	١١	محمل	مجمل
٣٢٠	١٢	عينة	معينه
٣٢١	٢٢	و	$\bar{و}$

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٢	٤	$و = \frac{و}{و}$	و ، $\frac{و}{و}$
٣٢٢	٦	$\frac{و}{و}$	$\frac{و}{و}$
٣٢٢	١٧	اليونان	الرومان
٣٢٣	٢	(ليونارد) و(دافنس)	ليوناردودافنسى
٣٢٥	٢٢	الفراع	الفراغ
٣٢٧	شكل ٦	م	آ
٣٢٩	شكل ٧	م	آ

تصحيح الغلط المطبعي في المجلد الثاني

٨٢	١٣	ويترقت	ويترقب
٨٤	٢٥	الحقيقية	الحصينة
٨٩	٠١ (الحاشية)	Rite	Rise
٩٧	١٥	يحذف السطر ، ويوضع مكانه ـ ويقول : ان العرب تقدموا من الجنوب ، ووصلوا الى جنوبى الوادى ، وعسكروا فيه ، بينما عسكر الروم ...	
٩٩	٠٩	ومسورة	ومستورة
٣٢٠	٨	Air Copk	Air Cock
٣٧٥	٣	بخاتمة	بخاتمه